الإمامُ الفقيهُ المحدِّثُ الشَّيخ

محمد عابد السِّندي الأنصاري

رئيسُ علماءِ المدينةِ المنوَّرة في عصره

ولد سنة ١١٩٠هـ تقريبًا - وتوفي سنة ١٢٥٧هـ

رحمه الله تعالى

بقلم

سائد بكداش

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الإمام

- «الشيخُ الهُمَام، أَوْحدُ الأَعلام، بَقِيَّةُ السَّلَف، وغُرَّة الخَلَف، العلامةُ الأَوْحَدُ الولَيّ، محمد عابد بن أحمد علي السندي».

من قول الشيخ لطف الله علي جحاف (ت ١٢٤٣)

- «الإمامُ العالِم العلامة، القُدْوة الفَهَّامة خاتِمَةُ المُحَقِّقين في زمانه، وعُمْدَةُ المُدَقِّقين في عَصْره وأوانه، وفَخْرُ العلماء الراسخين، ونُخْبَة الفضلاء المقدَّسين، الأستاذُ الكامِل، والمُسْنِد الواصِل، الفقيهُ المحدِّث الحافظ محمد عابد السندي...».

من قول رئيس علماء مكة الشيخ عبد الله سراج (ت ١٢٦٤)

- «القُدوة الحافظ، الحُجَّة المُتْقِن الورِع، محدِّثُ دارِ الهِجْرة، إمامُ المسلمين، وناصِيَةُ الفقهاء والمحدِّثين، العالم الجامع، والفاضل البارِع، المحدِّث الحافظ المُتْقِن، والفقيه المُتَبحِّر الفَطِن، الشيخ محمد عابد السندي».

من قول الشيخ محمد بن يحيى التُّرُهْتي (ت ١٢٩٣)

- «إمامٌ نظَّار، وسابِق لا يُشَقُّ له غُبار».

من قول الشيخ الحسن الضَّمَدي (ت ١٢٩٨)

- «آيةُ اللهِ الباهِرة في الحديث والفقه».

من قول الشيخ عبد الستار الدِّهلوي (ت ١٣٥٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدّمَة:

الحمد لله الـذي فضَّـل العلمـاءَ بوراثـة الأنبيـاء، وجَعَلَهـم كـالنجوم الزواهر يُهتدى بهم في الليالي الظَّلْماء، ومَن أراد الله بـه خـيراً جَعَلَـه مـن السادة الفقهاء.

والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على سيدنا محمد خـاتَمِ الأنبيـاء، وسيدِ الأتقياء، ومُخْرِجِ الأمة من الظلمات إلى النور والضياء، وعلـى آلـه وأصحابه السادة النُّجَبَاء، الـبررةِ الأوفيـاء، والقـادةِ الأصـفياء، شمـوسِ الهداية، وبُدُور الاهتداء، والتابعينَ لهم من الأئمة الأعلام النبلاء، وخَدَمَةِ دينه وشريعته الغَرَّاء، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر واللقاء.

وبعد:

فإن بلاد السِّند ـ وهي من بلاد باكستان الآن ـ من البلاد السعيدة التي هبَّت عليها نفحةُ الإسلام في أواخر القرن الأول من الهجـرة[١]، فـنَعِم بـه أهلُها وسَعِدُوا، ونَبَغ فيها نوابغُ من العلمـاء الأعـلام، شـاركوا في خدمـة الدين والعلم بنصيبٍ وافر، فكـان لهـم مؤلَّفـاتٌ نافعـة، وآثـارٌ طيبـة في مختلِف العلوم الإسلامية، من تفسيرٍ وحديثٍ وسيرة وفقه وأصـول وأدب وتاريخ، وغيرها من علوم الشريعة والعربية.

ومن أبرز مَن ظهر فيها من أهل العلم القُدامى: الإمامُ المحدِّثُ الفقيهُ

---

(١) ينظر معجم البلدان ٣/٢٦٧.

أبو مَعْشَر نَجِيْحُ بن عبدالرحمن السندي ثم المدني، صاحبُ كتاب «المغازي»، والإمامُ فيها، المتوفى سنة ١٧٠ من الهجرة [١]، رحمه الله تعالى.

ومن نبلاء المحدِّثين السِّنديين أيضاً: الإمامُ الحافظُ المجوِّدُ خَلَف بن سالم السندي البغدادي، المتوفى سنة ٢٣١ هـ [٢]، رحمه الله تعالى.

وامتدَّت مآثر هؤلاء الأسلاف السنديين في أعقابهم إلى القرن الثاني عشر الهجري، ففيه كَثُر العلماءُ والمتعلِّمون في السِّنْد كثرةً بالغة، وكان فيها آلافٌ من الطلبة والمحصِّلين، ومئاتٌ من العلماء والمعلِّمين [٣].

وبَرَزَ من جمهورِ علمائها المتأخرين جَمْهرةٌ عُرِفوا بالعلم والتحقيق والفقه والحديث في مختلف الأصقاع شرقاً وغرباً، عُجْماً وعُرْباً.

مثلُ الإمام المحدِّثِ الفقيه الحنفي رحمةِ الله بنِ عبدالله السندي، صاحبِ كتاب: «لُباب المناسك وعُبَاب المسالك»، الذي شَرَحه الإمام علي القاري، وقد وُلد في السِّند، ثم جاور في الحرمين الشريفين، وتوفي بمكة المكرمة سنة ٩٩٣ هـ [٤]، رحمه الله تعالى.

ومثلُ الإمامِ المحدِّثِ الفقيه الحنفي الشيخ أبي الحسن السندي الكبير نور الدين محمد بن عبد الهادي، صاحبِ الحواشي على الكتب الحديثية

---

(١) له ترجمة في سير أعلام النبلاء ٧/٤٣٥.

(٢) له ترجمة في سير أعلام النبلاء ١١/١٤٨.

(٣) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشيخ عبدالحي الحسني، الجزء السادس، وينظر جملة كبيرة من العلماء والمحدثين والرواة والقضاة في كتاب: رجال السِّند والهند، للقاضي أطهر المباركفوري.

(٤) له ترجمة في النور السافر ص ٣٩٢، إيضاح المكنون ٢/٤٠٠، الأعلام ٣/١٩.

الستة، وعلى مسند الإمام أحمد، وله حاشية على «فتح القدير» إلى كتاب النكاح، للكمال ابن الهُمَام في الفقه الحنفي، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٣٨ [١]، رحمه الله تعالى.

ومثلُ العلامةِ المحدِّث الفقيه الحنفي الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي، تلميذ أبي الحسن السندي الكبير، الذي شرح كتاب: «الترغيب والترهيب» للمنذري في مجلدين، وله غيره من المؤلفات، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٦٣ [٢]، رحمه الله تعالى.

ومثلُ الإمام العلامة المفسِّر المحدِّث الفقيه المحقق، ذي التصانيف التي تجاوزت المائة الشيخ محمد هاشم بن عبدالغفور الحارثي السندي التَّتَّوي من قبيلة بهنور (بِجْنَوَر) القبيلة العربية من أولاد حارث، المتوفى في مدينة (تَتَّه) من بلاد السند، سنة ١١٧٤هـ [٣]، رحمه الله تعالى.

---

(١) له ترجمة في نزهة رياض الإجازة المستطابة بذكر مناقب المشايخ أهل الرواية والإصابة، للشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي ص ١٤٤، سلك الدرر ٤/٦٦، الأعلام ٦/٢٥٣، تراجم شيوخ محمد عابد السندي (مخطوط ٨أ).

وقد رأيت في مقدمة تحقيق رسالة: (اللؤلؤ المكنون في تحقيق مدِّ السكون) للشيخ محمد هاشم التتوي السندي، لمحققها الأخ الكريم الفاضل الدكتور عبدالقيوم السندي، ذكر أن عنوان رسالته في الدكتوراه: (أبو الحسن السندي الكبير حياته وآثاره)، وقد نوقشت في باكستان سنة ١٤١٦، ولم تُنْشَر بعد.

(٢) له ترجمة في نزهة رياض الإجازة ص ١٤٥، سلك الدرر ٤/٣٤، فهرس الفهارس ١/٣٥٦، الأعلام ٦/١١١، تراجم شيوخ محمد عابد السندي (٩أ).

(٣) له ترجمة حافلة كتبها العلامة الشيخ أمير أحمد العباسي في مقدمته لكتاب: (بذل القوة في حوادث سِنِي الهجرة) من تأليف الشيخ محمد هاشم التتوي، المطبوع في حيدر آباد السند بباكستان سنة ١٣٨٦هـ، وينظر ما كتبه الأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو =

ومثل الإمام العلامةِ المحدِّث الفقيه الحنفي الشيخ أبي الحسن السندي الصغير محمد بن صادق [(١)] تلميذ الشيخ أبي الحسن السندي الكبير، والشيخ محمد حياة السندي، له شرح النخبة في المصطلح، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٨٧[(٢)]، رحمه الله تعالى، وقد عاش ثلاثاً وسبعين سنة.

* وكان من أبرز وأعلم مَن ظَهَر من علماء السِّند المحدّثين والفقهاء المتأخرين: وحيدُ دهره، وفريد عصره، مَن رقى أعلى ذروة الكمال، الإمامُ الزاهد الوَرِعُ القدوة، مَن رَفَعَ الله به العلم ومَنَارَه، العالِمُ العامل، المفنَّنُ في جميع العلوم، بدرُ الدِّين، المقرئ المفسِّر، محيي السنة وعلومها، المحدِّثُ الحافظُ الحجة، القاضي الفقيهُ الحنفي الأصولي

= غدة رحمه الله في تقديمه لرسالة: (دِرْهم الصُّرَّة) ص ١٠ فما بعدها - مع التنبيه إلى اقتباسي من كلامه بتصرف -، وما كتبه في مقدمة كتابه: ثلاث رسائل في استحباب الدعاء ورفع اليدين فيه بعد الصلوات المكتوبة، الأعلام ١٢٩/٧.

(١) هكذا سماه الزركلي في الأعلام ١٦٠/٦، وسماه الشيخ عبدالخالق المزجاجي في نزهة رياض الإجازة المستطابة ص ٢٦٠: (أبو الحسن بن محمد صادق)، وتَبِعَه على هذا الشيخ محمد عابد السندي في تراجم شيوخه، لوحة (٢٨ب)، وكذلك جاء اسمه في النَّفَس اليماني للأهدل ص ١٨٤، ثم وجدت في آخر (حصر الشارد) للشيخ محمد عابد، من نسخته التي هي بخطه، وقد وضع فائدة على غلافها الأخير، كتب فيها بخطه ما يلي: «فائدة: الشيخ أبو الحسن السندي الصغير تلميذ الشيخ محمد حياة السندي اسمه: الشيخ محمد ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ عبدالواسع. فليُحفظ» اهـ.

(٢) وللمذكور الشيخ أبي الحسن السندي الصغير نظمٌ في أسماء شيوخه في (١٤٠) بيتاً، ذكر في آخره أن اسمه (محمد)، منها مصورة ورقية في مكتبة الحرم النبوي الشريف برقم ٨٠/٤٤ الرسالة الرابعة، وبرقم ٨٠/٤٣ الرسالة الثانية.

المتبحِّر الفَطِن، النحويُّ المؤرِّخ، النظَّارُ السابق، الطبيبُ الحاذِق، الشيخُ محمد عابد ابن العلامة الشيخ أحمد علي ابن القاضي الواعظ شيخ الإسلام محمد مراد السنديُّ الأيوبيُّ الأنصاري الخزرجي.

سليلُ الكرام في الشرف والنَّسَب، والعلمِ والفضل والخُلُق والأدب، بقيةُ السلف، وغُرَّة الخَلَف، مَحَطُّ الرِّجالِ الأعلام، ومَن تُجَمَّلُ به مواقفُ العِظام، مَن كانت مفاخرُه حديثَ الناس في حياته، وسَمَرَهم بعد مماته.

وهو من أحفاد الصحابي الجليل سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه، مَن خُصَّ من الصحابة دون غيره بضيافة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنال الشرفَ الكبير الأوفى، والخيرَ العميم الأبقى، والبركةَ العظمى.

وُلد الإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري في بلاد السند، في حدود سنة ١١٩٠، ولذا نُسب إليها، واشتهر بهذه النسبة، ثم رَحَلَ من السند ـ وهو صغيرٌ في مقتبل عمره ـ إلى الحرمين الشريفين بصحبة أبيه وعمه، مع عميد أسرتهم: جَدِّه شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري، وكان قرارهم في مدينة جُدَّة، حيث كان لجدِّه مدرسةٌ ورِباط ومكتبة عظيمة، ونشاط كبير في نشر العلم، ونفع الناس.

أما الشيخ محمد عابد، فقد نشأ وترعرع في مدينة جُدَّة، وكان يتنقل بينها وبين مكة والطائف والمدينة المنورة بحثاً عن العلم والعلماء.

وبعد وفاة جده ووالده رحمهما الله تعالى، رَحَلَ مع عمه العلامة الشيخ محمد حسين السندي الأنصاري إلى اليمن، وكان قد بلغ الشيخ محمد عابد مبلغ العلماء الكبار، فأقام في اليمن مدة طويلة بلغت أكثر من ثلاثين سنة، قام خلالها بالعلم ونشره حقَّ القيام، وطاف غالب البلاد

والآفاق طلباً للعلم وأهله.

ثم استقرَّ به المَطَاف في الربع الأخير من عمره في المدينة المنورة رئيساً لعلمائها، ناشراً للعلم في رُبُوعها، مُحْيِياً للسنة المطهرة في جَنَباتها، فكان يُقرئ الكتبَ الحديثية الستة في حَرَمِها الشريف روايةً في كل شهر، ودرايةً في كل ستة أشهر، مع إقرائه للفقه والتفسير وغيرها من العلوم.

كما خلَّف ثروةً كبيرة من مؤلفاته العظيمة الضخمة الفخمة في فنون متنوعة، ووَقَفَ مكتبته الغزيرة النادرة على المكتبة المحمودية في المدينة المنورة.

وبعد عمر عامرٍ بالعلم والتعليم، والعبادة والصلاح، نال ما كان يصبو إليه، ويدعو به كثيراً، فكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة ١٢٥٧، قرير العين بها، ودُفِن في البقيع، رحمه الله تعالى، وأعلى مقامه مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين.

* هذا، وإن الإمام الشيخ محمد عابد السندي كَنْزٌ عظيم مَخْفي، لم يُعرَف عند الأغلب في هذا الزمن ولم يُشتَهَر، مع أنه كان في زمانه القريب العهد كالبدر الطالع والضوء اللامع، وما كان لهذا البدر المنير أن يَنْخَسِف، ولا لهذا الضوء الساطع أن ينكسف، بما خلَّد الله له من لسانِ صِدْقٍ في الآخرين، وذِكرٍ حَسَن عند العلماء العارفين، وبما أبقى الله له من مفاخِرَ ومآثِرَ وثناء، ومحامِدَ شَمَّاء، كانت حديثَ إكبار لمن بعده، قلّما يجود الزمان بمثلها.

ولقد أكرمني الله تعالى بالاطلاع على كثيرٍ من سيرة هذا الإمام العظيم العلمية والعملية وسَعِدتُ بذلك أيما سعادة ـ، حيث عِشتُ مدةً من الزمن بين مؤلفاته المخطوطة الكثيرة، وبين كُتُب مكتبته الخاصة، ووقفت

على شيءٍ كثير من أخباره الزكية، وسيرته العَطِرَة.

وكنتُ يوماً بعد يوم أزداد عَجَباً وإعجاباً بهذا الإمام الفذّ، وما أودع الله تعالى فيه، وما فَتَح به عليه، حتى اطمأن قلبي تماماً إلى أنه رحمةٌ من رَحَمَات الله تعالى أهداها لعباده، وحجةٌ أقامها الله على الناس في عصره، حيث يهيئ الله تعالى في كل زمان ومكان مَن يحفظ على هذه الأمة دينها وشريعتها.

وهكذا حمدتُ الله تعالى كثيراً على ما وفّقني إليه من صحبة هذا العَلَم المفرد في زمانه، والتي أطلعتني على شيءٍ مما منَّ الله تعالى به عليه، وما أعدّه فيه وما أمدّه به، من أدبٍ وخُلُق وفضائلَ حميدة وخصالٍ مجيدة، ونُبُوغٍ وسَعَةٍ في العلوم، ودقةٍ وتمحيصٍ فيها، ونَفَسٍ علمي طويل جداً، حتى بلغ حجمُ كتابٍ واحد من كتبه عشرةَ آلاف ورقة مخطوطة، أي عشرين ألف صفحة، بما يعادل حوالي ستين مجلداً من مجلدات مطبوعاتنا المعاصرة، وهو كتاب: «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى.

وهذا الكتاب هو الذي لَفَتَ نظري نحو الشيخ محمد عابد، وكان السببَ الأول لكتابة هذه الترجمة، مع ما ظهر من عَبَقِ وطِيْب سيرة مؤلِّفه، وجلالة قدره، وعظيم مكانته.

وهنا وجدت أن من الواجبات العينية عليَّ، أن أعرِّف بمفاخر ومآثر هذا الإمام، حُجَّةِ الله على عباده في هذه الأزمان المتأخرة، وأن أُظهِر هذا الكنز العظيم وما حوى.

إذ هذا الواجب حقٌ عظيم على الأمة عامة تجاه علمائها وأئمتها، تقديراً لهم، وعِرفاناً لجميلهم، وإسداءً إليهم بعض ما يستحقونه من الذِّكْر

الحسن على ما قدَّموه وبذلوه، وتعريفاً لمن بعدهم بذلك.

ويتحتَّم هذا الواجب أكثر على أهل العلم بالمدينة المنورة خاصة، حتى يحفظوا على هذه البلدة الطيبة أعلامَها وعلماءَها، فينشروا كنوزَها ومخبّآتها، ويعرِّفوا العالمَ بها، حيث إن الإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري كان في عصره رئيس علماء المدينة المنورة، ومحيي السنة الغرّاء في ربوعها، وهو سليل ذوي الكرم والنُّصْرة فيها، أنصارِ رسول الله ﷺ.

وعسى ـ بفضلٍ من الله ـ أن أكون قد وُفِّقتُ لسدِّ هذه الثغرة، ولأداء هذا الحق الواجب نحو هذا الإمام العظيم، بكتابة هذه الصفحات في التعريف به وبجهوده العلمية العظيمة.

* وإن دراسة حياة هذا الإمام فَخْرِ المتأخرين، والاطلاعَ على هذه الهِمَّة العالية العجيبة النادرة في العلم والعمل، لهي خيرُ مَعين ومُعين على تقوية العزائم، وشَحْذِ الهِمَم واستنهاضها، ودفعها لتواصل السير والعمل لبلوغ ما بَلَغوا.

وإن التراجمَ الزَّكيَّة هي خيرُ ما يطوِّف به الكاتبُ القرّاءَ ليقتدوا بما فيها من الفضائل، وليتعلّموا منها مكارمَ الأخلاق ومعالي الأمور، فنِعْم التاريخ تاريخٌ يُذْكي النفوسَ ويَشْحَذ الألباب.

* «وليس الغرض من هذه الترجمة هو مجرّدَ الوقوف على حياة هذا الإمام العَلَم الكبير، بل لنَشْر فضائله والتأسّي بمآثره، والتحفّز بحوافزه وعزائمه، مما يدفع بطالب العلم أن يَجِدَّ ويجتهد، ويُذْكي وَقْدة الشوق للعلم والعمل عنده، ويتطلَّعَ إلى صعود القِمَّة العالية فيما يدرس ويحصِّل، غيرَ راضٍ إلا ببلوغ الذِّروة فيه، والإمامةِ في أهله بجدارة وتمكّنٍ مشهودٍ له به.

إذا ما عــلا المرءُ رام العُلا ويَقنعُ بالدُّوْن مَن كان دُوْنا

وقد جرَتْ سُنَّةُ الله تعالى أن العزائم تَنْقَدِح بمشاهدة البطولات من أهلـها في ميادينها، فرؤية الإنسان للبطل الصِّنديد يُغير في الأعـداء ويُبير، تُحـرِّك نَخْوةَ الشجاعة في المرء، فتَجيشُ نفسُه بها، وينسى أن الإقدامَ قتَّال، ويَقـوى في نفسه أن الجُبْنَ لا يزيد في الآجال، فإذا هو بطلٌ مِغْوار، وأسَدٌ كرَّار، كان مخبوءاً تحت انكماشه وانحياشه، فلما اصـطكَّت القَنَـا بالقَنَـا، وسُـمِعَ رنـينُ السيوف بالسيوف، ظَهَرَ أنه أشجعُ المنازِلين وأمهر المقاتلين.

وكذلك طالبُ العلم قد يعيش منعزلاً خاملاً منطوياً على نفسـه، فـإذا حَظِيَ بشيخٍ عليمٍ قدَّاحٍ للهِمَم، مفـتِّحٍ للمَقُـول، نابِـهٍ مُنَبِّـهٍ، انقـدح زِنـاد علمه، ولَمَعَ نورُ عقله وفِطنته، وبرزت مواهبه المكنونة، ومزايـاه الثمينـة الدفينة، فإذا هو إمامٌ في علمـه، ورجـلُ أُمـة في رَجاحـة عقلـه، وسـداد نظره، واستنارة ذهنه.

بعِشْرَتِكَ الكرامَ تُعَدُّ منهم فـلا تُرَيَنْ لغَـيْرِهِمُ أَلُـوفـا

فهذا ونحوه هو الذي أبتغيه من نَسْج هذه الترجمة الحافزة، ترجمة مَن وَهَبَ وجودَه للعلم، فجازاه الله بحُسْـن الـذِّكر، وطِيـب السـيرة، وأحيـا تقديرَه عند مَن عَرَفَه وعند مَن لم يعرِفْه» (١).

* «ومَن يغار على ما حَلَّ بالأمة الإسـلامية عامـة، وبـالعلم خاصـة، ويَعْزِمُ عزماً صادقاً على إنهاض الأمة من كَبْوتهـا، لا يجـد إلى ذلـك مـن سبيل إلا باقتفاء أثر أمثال هؤلاء الرجال، وبترسّم خُطاهم في إعزاز الـدين والعلم، وإنهاض هِمَمِ الخامدين.

---

(١) من كلام الأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في كتابه: تـراجم سـتة من فقهاء العالم الإسلامي ص ٢٩١ـ٢٩٢ بتصرف يسير.

فإذا عرَفنا سِيَرَهم، وتابعناهم في السَّيْر على مناهجهم في غَرْس الفضيلة في النفوس، وإنعاش القُوى الخامدة بتقوية روح الغَيْرة على الدين والعلم في العروق، نتمكّن حينئذٍ من استعادة مَجْدِ الإسلام، وعِزّ المسلمين، بعد أن أمسينا بحالةٍ يَشْمَتُ بها العدو، ويَبْكي أسىً عليها الصَّدِيق، ومَن لا يُقِرّ بالداء لا يسعى في الدواء»[١].

* «وأيضاً فإن دراسة ترجمة مثل هذا الإمام حقَّ الدراسة، تكون هي المرآة الصادقة في تحديد مركز تلك الأمة التي عاش فيها هذا الإمام في ذلك العصر: نهوضاً وخموداً وتدهوراً، ففي تراجم الرجال تتمثل حضارة الأمة وثقافتُها، وتقدّمُها وتأخّرها، فهي المعيار الصادق لذلك»[٢].

* وإذا لم يُترجَم للإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري وأمثاله من أهل العلم والدين والصلاح، ولم تُدرس حياتهم، ضاعت مواضع الأسوة الحسنة بهم، وأصبح الهادم والباني، والفارغ والمليء على حدٍّ سواء.

* وهكذا فإن الوقوف على ترجمة هذا الإمام، والاطلاعَ على ما تَرَكَ من ثروة علمية عظيمة، مع التعرّف على حقيقة كُتُبه وموضوعاتها المهمة، ومكان وجودها، يكون ذلك دافعاً وحافزاً لأهل العلم على إحياء هذا التراث العظيم، الذي لم يُنشَر منه إلا النزر اليسير.

* أما عن سير عملي في هذه الترجمة، فقد بذلت جُهدي في تتبع أخبار هذا الإمام، والتعرّف على أصله وحَسَبه ونسبه، وشخصيته، والوقوف على أخلاقه وشمائله، وثناءات العلماء عليه، ورحلاته وغير

---

(١) ينظر مقدِّمة: الثمرة البهية في الصحابة البدرية، للحفني.

(٢) من تصدير كتاب: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، لزكي محمد مجاهد، بتصرف.

هذا، وذلك فيما كَتَبَه المترجِمون له من معاصِرِيه فمَن بعدهم، في المطبوعِ والمخطوط مما يسَّر الله تعالى الوقوف عليه.

كما وقفت على أخبارٍ كثيرة عنه وعن أسرته من خلال مطالعاتي في مخطوطاتِ مؤلفاته وكُتُبه التي وقفها على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، وما كُتِب عليها من تقاريظ وثناءات للعلماء.

أما شيوخه وتلاميذه فتتبعت أسماءهم في ثَبَته: (حصر الشارد)، وفيما وقفت عليه من إجازاته المخطوطة، وما ذكره مترجموه منهم، ثم عرَّفت بكلٍ منهم بإيجاز خشية الإطالة.

وعن جهوده العلمية في التأليف، فقد بذلتُ وُسعي في الوصول إليها، والسعي للوقوف عليها هنا وهناك، وقمتُ بالتعريف بها تعريفاً كاملاً، من خلال الاطلاع عليها، مع ذكر أهمية الكتاب، ووَصْفِه وبيان حَجْمه، ومكان وجوده، تيسيراً للوقوف عليها والاستفادة منها.

* وقد توسّعت في التعريف بكتابه «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» بشكلٍ خاص، حيث هو أكبر مصنفاته الفقهية، بل يُعد موسوعة علمية كبيرة، وعملت دراسة مطوّلة عنه، مع إيراد نماذج مقارنة بينه وبين بعض شروح (الدر المختار)، لإظهار خصائصه ومزاياه، وذلك بعد أن ذكرت ما وقفت عليه من أعمال علمية على كتاب (الدر المختار)، من شروح وتعليقات ونحوها، والتي بلغت خمسةً وعشرين عملاً.

كما بيّنت المنهج الفقهي للشيخ محمد عابد، مع ذكر شواهد على ذلك، وعرضت بعض المسائل الفقهية التي رجَّح فيها الشيخ محمد عابد غير مذهبه الحنفي، لرجحان أدلتها عنده.

* وقبل الدخول على هذه الترجمة رأيت أن أقدّم لها بتمهيد نتعرّف

من خلاله بشكل عام مُجْمَلٍ على الحياة التي عاصرها الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، من الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية، لتكون الدراسة متكاملة الأطراف، تامة غير ناقصة، حيث إن الوقوف على هذا التمهيد، يوضّح لنا أشياء كثيرة، قد تكون غامضةً في دراسة حياة هذا الإمام، لا تَتِمُّ معرفتها وكشفها إلا بالاطلاع عليه.

* وبناءً على ذلك فقد جعلت هذه الترجمة ـ تنسيقاً لها، وترتيباً لمحتواها ـ في مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب، وفي كل باب عدة فصول، ثم خاتمة البحث.

* أما **التمهيد** ففيه لمحاتٌ عن الحياة التي عاصرها الشيخ محمد عابد من الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية.

وقد جعلته في ثلاثة جوانب:

١ ـ الجانب الأول: نظرة إلى الحياة السياسية في عصر الشيخ محمد عابد، وفيها أربع فقرات:

أ ـ نبذة عن السلاطين العثمانيين الذين عاصرهم الشيخ محمد عابد، مع تعريفٍ موجز بحاكم مصر والحجاز آنذاك، التابع رسمياً للسلطنة العثمانية، وهو محمد علي باشا.

ب ـ نبذة عن أمراء مكة المكرمة الذين عاصرهم الشيخ محمد عابد قبل سفره إلى اليمن.

ج ـ نبذة عن حُكَّام اليمن زمن إقامة الشيخ محمد عابد فيه.

د ـ نبذة عن أئمة بلاد نجد من آل سعود في الدولة السعودية الأولى، ممن عاصرهم الشيخ محمد عابد.

٢ ـ الجانب الثاني: نظرة إلى الحياة العلمية في عصر الشيخ محمد عابد.

٣ ـ الجانب الثالث: نظرة إلى الحياة الاجتماعية التي عاصرها الشيخ محمد عابد.

* أما **الباب الأول**، فهو للتعريف بشخصية الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، وفيه ثلاثة فصول:

ـ الفصل الأول: اسمه ونسبه، وشجرة نسبه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: شجرة نسبه.

ـ الفصل الثاني: أسرته، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بجدِّه شيخ الإسلام القاضي الشيخ محمد مراد الأنصاري.

المبحث الثاني: التعريف بعمِّه العلامة الطبيب الشيخ محمد حسين الأنصاري.

المبحث الثالث: التعريف بوالده العلامة الشيخ أحمد علي الأنصاري.

المبحث الرابع: التعريف ببقية أجداد الشيخ محمد عابد.

ـ الفصل الثالث: ولادته، وزواجه ، وذريته، ووفاته، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مولد الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري.

المبحث الثاني: زواجه.

المبحث الثالث: عَقِبه وذريته.

المبحث الرابع: وفاته.

* **الباب الثاني**: أخلاق الشيخ محمد عابد وخِصاله.

وفيه إحدى عشرة خصلة من صفاته وأخلاقه.

* **الباب الثالث**: ثناء العلماء على الشيخ محمد عابد، ومكانته بينهم، وفيه ثلاثة فصول:

ـ الفصل الأول: ثناء العلماء على الشيخ محمد عابد.

ـ الفصل الثاني: المناصب الرفيعة التي تولاها، ومكانته العالية بين العلماء.

ـ الفصل الثالث: ذكر بعض كبار العلماء المعاصرين للشيخ محمد عابد في المدينة المنورة حين تولى منصب رئاسة العلماء فيها.

* **الباب الرابع**: نشأة الشيخ محمد عابد العلمية، ورحلاته، وذكر شيوخه، وتلاميذه، وفيه ستة فصول:

ـ الفصل الأول: نشأة الشيخ محمد عابد العلمية.

ـ الفصل الثاني: رحلاته.

ـ الفصل الثالث: صلة الشيخ محمد عابد بحُكَّام اليمن وغيرهم، وعظيم إكرام الجميع له.

ـ الفصل الرابع: شيوخه وآباؤه في العلم.

ـ الفصل الخامس: نشاطه العلمي.

وفيه ذكر نماذج وصور عديدة من نشاطه العلمي، لاسيما مكتبته

النادرة، مع ختام الفصل ببيان أسباب نبوغه العلمي.

ـ الفصل السادس: تلامذته وأبناؤه في العلم.

* **الباب الخامس**: العلوم التي برع فيها، وبيان مصنّفاته وآثاره العلمية، وفيه ستة فصول:

ـ الفصل الأول: إتقانه للقرآن الكريم وعلومه، ومصنفاته فيها.

ـ الفصل الثاني: براعته في الحديث النبوي الشريف وعلومه، ومصنفاته فيها.

ـ الفصل الثالث: إبداعه في علم الفقه وأصوله، ومصنفاته الفقهية.

وفيه دراسة موسّعة لكتابه: طوالع الأنوار شرح الدر المختار، وأخرى لبيان الأعمال العلمية التي قامت على كتاب: الدر المختار.

ـ الفصل الرابع: تقدّمه في علوم اللغة العربية وفنونها، ومصنفاته فيها.

ـ الفصل الخامس: إمامته في علم المناظرة.

ـ الفصل السادس: حِذْقه في علم الطب، ومصنفاته فيه.

* **الخاتمة** وفيها ملخَّصٌ لهذه الدراسة، وذِكْرٌ لأهم ما توصَّلتُ إليه من النتائج في هذه الرحلة المباركة مع هذا الإمام الفذِّ العظيم.

وسمّيت هذه الدراسة: «الإمام الفقيه المحدِّث الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري رئيس علماء المدينة المنورة في عصره».

هذا، وأسأل الله الكريم من فضله العظيم أن يوفقني لخدمة دينه الحنيف، وشرعه المنيف، مع تمام العافية من كل سوء ومكروه، وأن

يرزقني السداد والصواب، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ويكتب له القبول.

وأساله جلَّ وعلا أن يتغمَّد صاحبَ الترجمة بالرحمة والمغفرة والرضوان، وسائرَ علماء المسلمين، وأن يغفر لنا ولوالدينا وأهلنا ومشايخنا والمسلمين أجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً، والحمد لله أولاً وآخراً.

وكتبه

سائد بن محمد يحيى بكداش

١٠/ رمضان المبارك / ١٤٢٢ هـ

المدينة المنورة ـ ص.ب: ٦٤٧٩

تمهيد

لمحات عن الحياة التي عاصرها الشيخ محمد عابد

من الملاحَظ أنه حينما تُدرس شخصية إمامٍ من الأئمة، أو عظيمٍ من عظماء الأمة، نجد أن في حياته أموراً لا يُمكن أن تُفسَّر وتُدرك تماماً حتى نقف على جوانب عدة من حياة ذلك العصر الذي عاش فيه هذا الإمام، وذلك من الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية، التي لها فاعلية كبيرة واضحة على شخصيته وحياته تأثّراً وتأثيراً.

وإذا كان من الصعب الإحاطة بذلك، أو أن الوقوف عليه سيُخرج عن القصد الذي تُوُجِّه إليه، فأقل الواجب إلقاء نظرةٍ عامةٍ مُجْمَلة إلى حركة الحياة التي عاصرها ذلك الإمام، لعل بذلك أن تُعرف ملابسات الأمور التي كانت تحيط به، وتتَّضحَ غوامض الأمور التي تعتري الباحث خلال تلك الدراسة، وبذا يمكن الوصول إلى دراسة أكمل وأوفى لحياة هذا الإمام بإذن الله تعالى.

وعلى هذا نلقي فيما يلي نظرة إلى الحياة التي عاصرها الشيخ محمد عابد السندي، وذلك من الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية.

* * * * *

١ـ نظرة إلى الحياة السياسية في عصر الشيخ محمد عابد

إن الحديث عن الحياة السياسية التي عاصرها الشيخ محمد عابد، يخص زمن النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث كانت ولادته في حدود سنة ١١٩٠، ووفاته سنة ١٢٥٧، رحمه الله تعالى.

وعلى هذا فقد كانت السلطة السياسية في ذلك الزمن في غالب البلاد الإسلامية تابعةً للخلافة والسلطنة العثمانية في عاصمتها مدينة الإسلام (إسلامبول = استانبول)، فخليفة المسلمين العثماني في ذلك الزمن كان هو الحاكم الأول، وله نوّاب وحُكّام يحكمون البلاد بتعيين منه، وتَبَعِيَّةٍ له.

وقد عاصر الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري خلال حياته سبعةً من الخلفاء والسلاطين العثمانيين، وسآتي ـ إن شاء الله ـ على ذكرهم بالترتيب الزمني لهم، مع شَذْرة من حياة كلٍ منهم، مضيفاً إلى ذلك تعريفاً موجزاً بمحمد علي باشا، الحاكمِ الفعلي لمصر والحجاز، زمن الشيخ محمد عابد، والتابع رسمياً للسلطنة العثمانية.

بعدها أذكر نبذة عن أمراء مكة المكرمة زمن إقامة الشيخ محمد عابد في جدة ومكة، قبل سفره إلى اليمن.

ثم أذكر تعريفاً بحكام اليمن، وأئمةِ آل سعود بنجد في الدولة السعودية الأولى، الذين عاصرهم الشيخ محمد عابد أيام إقامته باليمن،

٢٥

حيث كان لكل من هؤلاء الحكام دور في الحياة السياسية في اليمن ونجد والحجاز، وكان للشيخ محمد عابد صلة ببعضهم، مع قبول وحُظْوةٍ عند الجميع، متوَّجاً ذلك كله بزهدٍ وورع ونزاهة.

* * * * *

أ ـ نبذة عن السلاطين العثمانيين الذين عاصرهم الشيخ محمد عابد

١ ـ السلطان عبدالحميد الأول ابن السلطان أحمد خان الثالث العثماني، ولد سنة ١١٣٧، وتبوّأ عرش الدولة العثمانية سنة ١١٨٧، وتوفي سنة ١٢٠٣، وكانت مدة توليه للسلطنة ١٦ سنة [1]، وهو السلطان السابع والعشرون من سلاطين بني عثمان.

وكان حليماً عادلاً محمودَ السيرة، صافي السريرة، محبوباً من رعيته، وكانت السلطنة في عصره مشغولة بمحاربة روسيا والنَّمسا، وكادت الجنود العثمانية أن تأسر إمبراطور النمسا.

وكانت معاصرة الشيخ محمد عابد له في أوائل حياته وإدراكه، بعد أن رحل من السند إلى مدينة جدة، مع جَدِّه شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري.

٢ ـ السلطان سليم خان الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث، ولد سنة ١١٧٥، وجلس على سرير السلطنة سنة ١٢٠٣، وتوفي مقتولاً سنة ١٢٢٣، وكانت مدة توليه ١٩ سنة وزيادة.

---

(١) له ترجمة في تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك ص ٣٤١، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية لإبراهيم بك حليم ص ١٨٣، أعيان القرن الثالث عشر ص ٩٦.

وكان من أعظم الملوك، وأعلاهم شأناً، وأرفقِهِم بالرعية، وأحبِّهم للإصلاح.

وكان أيضاً مشغولاً خارجياً بمحاربة روسيا والنمسا، وداخلياً بكَسْر شوكة الجيش الانكشاري، الذي عاث في تركيا الفساد، فثاروا عليه مشاغبين عابثين حتى استطاعوا عَزْلَه، وتعيين مصطفى الرابع مكانه، ثم كان مقتله في قصره [١].

٣ ـ السلطان مصطفى خان الرابع ابن السلطان عبدالحميد الأول العثماني، ولد سنة ١١٩٣، وجلس على سرير المُلْك سنة ١٢٢٢، وعمره تسع وعشرون سنة، ولم يكن السلطان مصطفى هذا إلا كآلةٍ يُديرها مبغضو السلطان سليم خان الثالث كيف يشاؤون، ولذلك تمَّ عزله بعد أن حكَمَ ثلاثة عشر شهراً، وقُتِل بعد ذلك بقليل سنة ١٢٢٣، وكانت الفتن الداخلية في عصره في اشتداد وإثارات، استمراراً لفتنة الانكشارية السابقة[٢].

٤ ـ السلطان محمود خان الثاني ابن السلطان عبدالحميد الأول، وهو شقيق السلطان الأسبق مصطفى خان الرابع.

ولد سنة ١١٩٩، وجلس على سرير السلطنة سنة ١٢٢٣، وله من العمر ٢٤ سنة، وتوفي إثْر مرضٍ اعتراه سنة ١٢٥٥، وكانت مدة سلطنته ـ ٣٢ سنة ـ مملوءة بالحروب والقتال ضد الروس والنمسا ونحوهم.

---

(١) له ترجمة في تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٣٦٣، التحفة الحليمية ص ١٨٨، أعيان القرن الثالث عشر ص ٩٨.

(٢) له ترجمة في تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٣٩٤، التحفة الحليمية ص ٢٠٤، أعيان القرن الثالث عشر ص ١٠١.

وكان حازماً، بل هو من سلاطين آل عثمان الذين دوَّخوا العالَم، وأرجفوا ملوكَ الأرض، ودانت له أعظم ممالك الدنيا، هذا كله مع ما كان في داخل دولته من فتن ومشكلات [١].

وفي زمنه سنة ١٢٤٨ كانت الحرب قائمة بين الدولة العثمانية وبين محمد علي باشا والي مصر، واستمرت إلى سنة ١٢٥٥، حتى وصل محمد علي باشا إلى قونية والأناضول.

والسلطان محمود هذا هو الذي تُنسب إليه المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، إذ هو الذي قام بتجديدها، كما سيأتي.

٥ ـ السلطان عبدالمجيد خان ابن السلطان محمود خان الثاني، وهو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين بني عثمان.

ولد سنة ١٢٣٧، وتبوّأ أريكة السلطنة العثمانية سنة ١٢٥٥، وله من العمر ١٨ سنة، وتوفي سنة ١٢٧٧، وكانت مدة توليه ٢٢ سنة [٢].

وكانت في زمنه الحروب مع محمد علي باشا مستمرة قائمة، ثم تمّ الصلح على بقاء السلطة في مصر لمحمد علي باشا وذريته من بعده، كما كانت هناك حروب بين الدروز وبين النصارى، وفي عهده احتلت فرنسا قسماً من سورية.

* * * * *

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٣٩٨، التحفة الحليمية ص ٢٠٦، أعيان القرن الثالث عشر ص ١٠٢.

(٢) له ترجمة في تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٤٥٥، التحفة الحليمية ص ٢١٣، أعيان القرن الثالث عشر ص ١١٠.

تعريفٌ بحاكم مصر والحجاز محمد علي باشا في عصر الشيخ محمد عابد

كان من كبار الحكام التابعين للسلطنة العثمانية، والنائب عنهم في مصر والحجاز ممن عاصره الشيخ محمد عابد، وكان له به صلة، هو والي مصر، ومؤسس الأسرة الخديوية فيها محمد علي باشا بن إبراهيم آغا.

ولد سنة ١١٩٠ في (قُوْلَه) بلدة قريبة من (سُلانيك) التابعة الآن لليونان، وكانت من البلاد العثمانية، وقد نشأ أُمِّياً، لكن مع ذكاءٍ وهمةٍ عالية، وذُكر أنه تعلم القراءة والكتابة وهو في الخامسة والأربعين من عمره.

قَدِم مصر مع الفرقة العسكرية التي حُشدت من (قُوْلَه) نصرةً للجيش العثماني لإخراج الفرنسيين من مصر سنة ١٢١٤، وتمّت ترقيته في الجيش، وتهيأت له الأسباب ليكون والي مصر سنة ١٢٢٠، في حديث طويل.

وكانت مصر آنذاك ضاربةً أطنابَها في الفوضى، وكان منازعوه هم المماليك، فدبَّر لهم حيلة في القلعة، فقتلهم عن بَكرة أبيهم [١].

وقد اهتم محمد علي باشا بإصلاح مصر كثيراً، من ناحية عمرانها ومصانعها وحضارتها، وتوسّع في ملكه، فضمَّ معظم السودان الشرقي إلى

---

(١) ينظر: عجائب الآثار للجبرتي ٣١٩/٣ في حوادث صفر سنة ١٢٢٦.

مصر، كما استولى على بلاد نجد والحجاز سنة ١٢٣٣، فكانت تحت إمرته وحكمه [١].

وبعد استيلاء محمد علي باشا على بلاد الحجاز، زاد طمعه فاستولى على سوريا وما حولها، وكان قائدَ جيوشه ابنُه إبراهيم باشا، ولم يكتف بذلك، بل طمح بفتح بلاد الأناضول (تركيا)، فدخل قونية وغيرها سنة ١٢٤٨.

عندها اتفقت السلطنة العثمانية مع إنكلترا وفرنسا لإيقاف محمد علي باشا، وتمّ الاتفاق على توليته حكمَ مصر وراثياً، وأُخذت منه سوريا وغيرها، واستقرَّ في مصر والياً عليها سنة ١٢٥٦.

وفي عام ١٢٦٤ ولّى ابنَه إبراهيم باشا على مصر، لكن توفي ولده قبله، بعد أن حكَم بضعة أشهر، ثم توفي محمد علي باشا سنة ١٢٦٥ [٢].

* * * * *

---

(١) ينظر عجائب الآثار ٣٢٩/٣ و٥٠١ و٥٤٦ و٥٧٦ و٥٨١.

(٢) تنظر ترجمة محمد علي باشا في: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٣٩٠، وقد أحال مؤلفه محمد فريد بك لمؤلَّف خاص له مطبوع ببولاق سنة ١٣٠٨، سماه: البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، وينظر أعيان القرن الثالث عشر ص ١١٥، الأعلام للزركلي ٢٩٨/٦، وللعلامة الأديب الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله تعالى، فصلٌ طويل في مقدمة كتابه: المتنبي ص ١٣٥ـ١٤٦، تحدّث فيه عن محمد علي باشا، وكَشَفَ حقائق عنه يحسن الاطلاع عليها.

ب ـ نبذة عن أمراء مكة المكرمة الذين عاصرهم الشيخ محمد عابد قبل سفره إلى اليمن

بعد أن استقر الشيخ محمد عابد مع جدّه شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري في مدينة جدة، في حدود سنة ١١٩٤، قادماً من بلاد السند، بقي الشيخ محمد عابد يتنقل بين مكة وجدة والطائف والمدينة المنورة، يطلب العلم إلى حدود سنة ١٢٠٨، حيث رَحَلَ بعدها مع عمه الشيخ محمد حسين الأنصاري إلى اليمن، وفي هذه الفترة عاصر من أمراء مكة المكرمة كلاً من:

١ـ الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن زيد بن محسن بن حسين ابن حسن بن أبي نُمَيّ الحسني، وكان قد تغلَّب على عمه الشريف أحمد ابن سعيد، وأخذ منه إمارة مكة سنة ١١٨٦ بعد وقائع عدة، وكان عمره إذ ذاك ١٨ سنة، وبقيت الحروب بينه وبين عمه مستمرةً إلى سنة ١١٩٣، حتى استطاع إمساكَ عمِّه وحَبْسَه، فمات محبوساً في جُدَّة سنة ١١٩٥.

وكان الشريف سرور حازماً، قاطعاً لأهل الشر والفساد، وأَمِنَتْ في زمنه العباد والبلاد، وحُمِدت أفعاله، وهو الذي عَمَّرَ القلعة بأجياد، وتوفي سنة ١٢٠٢، وله من العمر ٣٥ سنة، ودامت إمارته ١٥ سنة ونصفاً[١].

---

(١) له ترجمة في خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص ٢٠٧، عجائب الآثار ٦٨/٢، أعيان القرن الثالث عشر ص ١٢٤، الأعلام ٨١/٣، وذكره الجبرتي في =

٢ـ الشريف عبد المعين بن مساعد بن سعيد... بن أبي نُمَيّ الحسني:

تولى إمارة مكة بعد وفاة أخيه الشريف سرور سنة ١٢٠٢، وأقام بالإمارة أياماً، ثم تنازل عنها لأخيه الشريف غالب بن مساعد، وبقي مُعِيناً له [١].

٣ـ الشريف غالب بن مساعد بن سعيد... بن أبي نُمَيّ الحسني:

من أمراء مكة المكرمة المشهورين، وكان قد تولى إمارتها بعد أن تنازل له عنها أخوه الشريف عبدالمعين سنة ١٢٠٢.

وفي سنة ١٢٠٤ نازعه ابنُ أخيه الشريف عبدالله بن سرور، وحاربه طالباً الإمارة، فقبض عليه الشريف غالب، واستتبَّ له الأمر.

وفي سنة ١٢٠٥ بدأ القتال بينه وبين الإمام سعود بن عبدالعزيز في الدولة السعودية الأولى، لما أراد دخول الحجاز لأسباب عدة، وكانت بينهما وقائع كثيرة، تنوف عن الخمسين، امتدت إلى سنة ١٢٢٠ [٢]، وتقهقر في نهايتها الشريف غالب إلى جدة.

ثم إن الشريف عبد المعين أخا الشريف غالب كاتَبَ الإمامَ سعودَ بن عبدالعزيز، طالباً الأمان لأهل مكة، وأنه عامِلُه فيها، فقَبِل منه ذلك، ولما دخل الإمام سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة ـ وكان ذلك في ٧ محرم سنة ١٢١٨ ـ بايعه الشريف عبد المعين، ودخل تحت طاعته أميراً على مكة [٣].

عجائب الآثار ٢/٦٨ وحَمِدَ خصاله، وأثنى عليه ثناءً بالغاً.

(١) ينظر خلاصة الكلام ص ٢٢٥، أعيان القرن الثالث عشر ص ١٢٦.

(٢) ينظر خلاصة الكلام ص ١٦١.

(٣) ينظر أعيان القرن الثالث عشر ص ١٢٧.

وحين سيطر محمد علي باشا على بلاد الحجاز، تنحّى الشريف عبد المعين لأخيه الشريف غالب، وبقي في الإمارة حتى سنة ١٢٢٨، ثم جاء الأمر من السلطنة العثمانية بالقبض على الشريف غالب وأولاده، فنُفِي إلى (سلانيك) باليونان، وتوفي سنة ١٢٣١، وكانت مدة ولايته نحواً من ٢٧ سنة [(١)].

وعُيِّن بدلاً عنه الشريف يحيى بن سرور، ابن أخي الشريف غالب أميراً على مكة.

* وهكذا كانت الأوضاع السياسية في داخل مكة المكرمة وجدة، حيث نشأ وترعرع فيهما الشيخ محمد عابد، كانت هادئة مستقرّة إلى حدٍّ ما، مع غليانٍ واضطراب خارجهما، وهذا الهدوء كان من جملة الأمور التي هيأت الأسباب للشيخ محمد عابد، لأن يطلب العلم بجدّ ونشاط وراحة بال على علماء الحرم المكي وجدة والطائف، فإنه حين سافر إلى اليمن كان عالماً متبحراً مُتْقِناً لفنون كثيرة، ومنها علم الطب، كما سيأتي.

* وفي زمن ولاية الشريف غالب سنة ١٢٠٨ تقريباً، كانت رحلة الشيخ محمد عابد إلى اليمن، واستقرَّ فيه أكثر من ثلاثين عاماً، ثم عُيِّن من قِبَل محمد علي باشا رئيساً لعلماء المدينة المنورة سنة ١٢٤٣، فعاد إليها، واستقرَّ فيها إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٢٥٧.

* وكانت ولاية الحجاز عموماً زمن استقرار الشيخ محمد عابد في المدينة المنورة تابعة لمحمد علي باشا، فله في كل بلدة من بلاد الحجاز

---

(١) له ترجمة في عجائب الآثار ٣/٥٣٥، خلاصة الكلام ص ٢٢٥، أعيان القرن الثالث عشر ص ١٢٧، الأعلام ٥/١١٥.

نائب عام يقوم مقامه، وينفذ أوامره، فمكة المكرمة له فيها نائب، وكذلك جدة[١]، والمدينة المنورة[٢]، وينبع، وهكذا، ومن طَرَفِه أيضاً أو بموافقته يأتي تعيين السلطات السياسية العامة والخاصة في كل بلد، كمحافظ البلدة، وحاكم البلدة، وقاضي البلدة، وشيخ الحرم، ونحو ذلك.

وكانت الأوضاع السياسية في المدينة المنورة والحجاز عموماً في هذه الفترة التي عاشها الشيخ محمد عابد السندي، مستقرّةً هادئة، فسلطة محمد علي باشا نافذة، وشوكته قوية، وهذا الاستقرار كان له أثر كبير على العباد والبلاد، في يقظتهم ونهضتهم وتقدمهم علمياً وحضارياً، وفي كل جانب من جوانب الحياة.

وكان لذلك أثرٌ واضح عظيم في الحياة العلمية للشيخ محمد عابد، من ناحية جهده ونشاطه العلمي الكبير، تصنيفاً وإقراءً ونشراً للعلم في ربوع الحرم النبوي الشريف، بل في جنبات الحرم المكي أيضاً خلال زياراته له.

* * * * *

---

(١) ينظر أعيان القرن الثالث عشر ص ١٣٦ـ١٣٨.

(٢) ينظر تاريخ أمراء المدينة المنورة (١ ـ ١٤١٧هـ) ص ٤٠٧ـ٤١٤.

ج ـ نبذة عن حُكَّام اليمن زمن إقامة الشيخ محمد عابد فيه

استقرّ الشيخ محمد عابد في اليمن أكثر من ثلاثين سنة، من عام ١٢٠٨ تقريباً إلى عام ١٢٤٣، وقد عاصر في هذه المدة ثلاثةً من حكام اليمن وأئمته، وكانت عاصمتهم صنعاء، وهم الإمام المنصور، ثم ابنه المتوكِّل، ثم ابن المتوكل وهو المهدي، وكانت للشيخ محمد عابد صلة قوية بهم، فكان طبيبَهم الخاص، وأستاذاً لهم، مع نزاهة عالية ودينٍ وورَع، وهم على الترتيب التالي:

١ـ كان حاكم اليمن في صنعاء حين دخل الشيخ محمد عابد اليمن هو الإمام المنصور بالله علي بن العباس المهدي بن الحسين، من بني القاسم من سلالة الهادي إلى الحق (١).

(١) الهادي إلى الحق هو يحيى بن الحسين بن القاسم الحسني، إمام زيدي، ولد بالمدينة المنورة سنة ٢٢٠، وكان يسكن (الفُرْع) قرب المدينة المنورة مع أبيه وأعمامه، ونشأ فقيهاً عالماً، فيه شجاعة وبطولة، وله عدة مؤلفات في الفقه وغيره.
وقد راسله ملك اليمن أبو العتاهية الهمداني، ودعاه إلى بلاده، فقصَدَها، ونزل بصَعْدة عام ٢٨٣ في أيام المعتضد العباسي، وبايعه أبو العتاهية ومن معه، وخوطب بأمير المؤمنين، وتلقب بالهادي إلى الحق.
وهكذا فتح نجران، ومَلَك صنعاء سنة ٢٨٨ بعد ظفره على عمال بني العباس، وامتد ملكه حتى خُطِب له بمكة سبع سنين، وضُربت السكة باسمه، وهو أول من دعا =

والمنصور هذا إمام زيدي يماني، مولده ووفاته بصنعاء، وكانت له ولايتها في أيام أبيه، من سنة ١١٧٢، وبويع له بالإمامة بعد وفاة والده سنة ١١٨٩.

وطالت مدة إمامته إلى أن توفي سنة ١٢٢٤، وكانت ولادته سنة ١١٥١، فبلغت مدة إمامته (٣٥) سنة، وقد أثنى عليه العلامة الشوكاني كثيراً[(١)].

٢ـ وبعد وفاة الإمام المنصور وفي الليلة التي مات فيها سنة ١٢٢٤ بويع بالإمامة ولدُه المتوكل على الله الإمام أحمد بن علي المنصور بالله، وكانت ولادته سنة ١١٧٠، وهو أكبر أولاد أبيه، وبقي في الإمامة إلى موته سنة ١٢٣١[(٢)].

وكانت له زمن أبيه ولاية صنعاء، وفي آخر سنة من حياة والده سنة ١٢٢٣[(٣)]، حدثت بين المتوكل هذا، وبين وزير أبيه المنصور، واسمه حسن بن حسن العُلُفي خلافات شديدة، كادت على أثرها تذهب دولتهم، وحَصَل اضطراب وعدم أمن، فتدخَّل حينذاك المتوكل، وحَبَس الوزير، وصار تدبير الأمور له، إلى أن توفي والده بعد سنة، فبويع بالإمامة.

وفي أيام المتوكل تغلَّب الشريف حمود بن محمد السليماني ـ الآتي

باليمن إلى مذهب الزيدية، وأكثرُ من مَلَك اليمن بعده من أئمة الزيدية هم من ذريته، توفي رحمه الله سنة ٢٩٨.

ينظر لترجمته: الإمام زيد، لأبي زهرة ص ٥٠٩ـ٥١٦، الأعلام ٨/١٤١.

(١) البدر الطالع ١/٤٥٩ـ٤٦٢، وينظر الأعلام ٤/٢٩٨.

(٢) البدر الطالع ١/٧٧ـ٧٩.

(٣) البدر الطالع ١/٤٦٦.

ذكره ـ على أكثر اليمن، كما قويت شوكة الإمام سعود بن عبدالعزيز في جزيرة العرب [١].

٣ـ وبعد وفاة المتوكل سنة ١٢٣١، قام بعده ولده عبدالله، ولَقَبُه المهدي ابن أحمد المتوكل ابن علي المنصور، وهو أكبر أولاد أبيه، وبويع بالإمامة، وكانت ولادته سنة ١٢٠٨، وتوفي سنة ١٢٥١ [٢].

«وكان شديداً فتَّاكاً، دان له اليمن رغبة ورهبة، وقد مُدِح وذُمَّ، ولكن كان معظِّماً للشريعة، ومقاتلاً مَن ناوأها» [٣].

٤ـ الشريف حمود بن محمد الحسني السليماني:

لما كان للشريف حمود ظهور سياسي كبير في اليمن، وكان بينه وبين أئمة اليمن السابق ذكرهم وقائع وأحداث، وكذلك بينه وبين أمراء نجد حِلْف ونحو ذلك، لذا رأيت من تمام معرفة الحياة السياسية آنذاك، التعريف به، وذكر نبذة عنه.

فهو الشريف حمود بن محمد بن أحمد الحسني السليماني التهامي، المولود سنة ١١٧٠، وكانت له ولأسلافه ولاية (أبي عريش) وما يتبعه، كالمِخلاف السليماني من تهامة، وصَبْيَا وضَمَد، وكانوا تابعين بدعوتهم لأئمة صنعاء، وكان الشريف حمود متولياً على هذه المناطق من طرف الإمام المنصور علي.

وفي أيامه دخلت جيوش أئمة نجد من آل سعود (الدولة السعودية

---

(١) الأعلام للزركلي ١/١٨٢.

(٢) ينظر البدر الطالع ١/٣٧٦.

(٣) ينظر الأعلام للزركلي ٤/٦٩.

الأولى) على البلاد المجاورة له، ووصلوا إلى (أبي عريش)، وكان إمام نجد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وقائد جيوشه ولده سعود، فأَمَرَ صاحبُ نجد حليفَه عبدَالوهاب بن عامر العسيري المعروف بأبي نقطة، بأن يتقدم في جيشه على بلاد الشريف حمود، وكان الشريف حمود مستقراً في (أبي عريش) لقلة جيشه، فتقدَّم عليه أبو نقطة إلى (أبي عريش)، فدخلها في سنة ١٢١٧، ثم استسلم الشريف حمود، وانضوى إلى لوائهم، وقام بالدعوة لآل سعود.

وفي هذه المرحلة استولى الشريف حمود على بَنْدر اللُّحْيَة والحُدَيْدَة وزَبِيْد والحَيْس وما يليها، واختطَّ مدينة (الزهراء)، وبنى قلاعاً وأسواراً، ثم انقلب على آل سعود، فأمر صاحبُ نجد أبا نقطة المذكور سابقاً بأن يغزوه، فغزاه والتقيا بأطراف البلاد، فقُتِل أبو نقطة سنة ١٢٢٤، وانهزم جيش الشريف حمود.

ثم إن جيش صاحب نجد بعد مقتل أبي نقطة وهزيمة الشريف، تقدم إلى بلاد (أبي عريش) وجرَت بينهم ملاحم كبيرة، والحرب سِجَالٌ بينهم.

وكانت نتيجة هذه الحرب هي استقلال الشريف حمود بإمارة (أبي عريش) وما يتبعها من المِخلاف السليماني، فهو أول من استقل بالمِخلاف السليماني عن أئمة اليمن.

وفي سنة ١٢٢٤ وقع الصلح بين الشريف حمود وبين المتوكل على الله أحمد بن علي، على أن يَثْبُت الشريف فيما صار تحت يده من البلاد، ثم انتقض هذا الصلح، ولم تزل الحرب بينهما إلى سنة ١٢٢٩، وتوفي

الشريف حمود سنة ١٢٣٣[١].

وقد توسَّعت في هذا لأن الشيخ محمد عابد كان في ذلك الزمن مستقراً في هذه المدن، أو ما جاورها متنقلاً بينها، معايشاً رحى تلك الحياة السياسية.

* وهكذا مع كل هذه الأحداث السياسية والحروب والوقائع، لم ينشغل الشيخ محمد عابد عن صلته بالعلم تعلماً وتعليماً وتصنيفاً، بل جانَبَ الأحداث الواقعة، وتفرَّغ للعلم، واستغلَّ وقته، حتى غدا من كبار العلماء المحققين.

* * * * *

(١) ينظر لترجمة الشريف حمود وما جرى له: البدر الطالع ١/ ٢٤٠ فما بعدها، الأعلام ٢/ ٢٨١.

د ـ نبذة عن أئمة بلاد نجد من آل سعود ممن عاصرهم الشيخ محمد عابد

إن لأئمة نجد من آل سعود في دولتهم السعودية الأولى صلة وثيقة باليمن والحجاز، أيام إقامة الشيخ محمد عابد فيهما، لذا كان من المستحسن الوقوف على نبذة من أخبارهم، ليتمَّ الكلام عن الحياة السياسية التي عايشها الشيخ محمد عابد، وقد عاصر ثلاثة من أئمتهم، وهم:

١ـ الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بن مقرن:

ولي الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ١١٧٩، وكانت عاصمة دولته الدرعية بنجد، واتسع نطاق الدولة في أيامه كثيراً، فافتتح القصيم، ووصل إلى عسير، وجاوزها إلى كثيرٍ من البلاد الحجازية، حتى دانت له الطائف ومكة والمدينة، ومعظم جزيرة العرب، وكانت غالب هذه الحروب بقيادة ولده سعود.

وقد توفي رحمه الله سنة ١٢١٨ في الدرعية، وكانت ولادته سنة ١١٣٢[١]، ثم قام بالأمر بعده ولده الإمام سعود بن عبد العزيز.

٢ـ الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن مقرن:

---

(١) له ترجمة في الأعلام ٤/٢٧، وينظر البدر الطالع ١/٢٦٢.

ويُعرف بسعود الكبير، ولي إمارة دولة آل سعود الأولى بعد أبيه سنة ١٢١٨، وكان قبل ذلك قائدَ جيوش أبيه، وكان شجاعاً يَقِظاً، أخضع في أيامه معظم جزيرة العرب، ووصلت جنوده إلى اليمن، فافتتحوا بلاد (أبي عريش) وما يتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود، وأمدَّه بالجنود، ففتح البلاد التهامية، كاللُّحْيَة والحُدَيْدة وزبيد، وما يتصل بهذه البلاد.

وفي أيامه حشدت الدولة العثمانية جيوشاً ضخمة بقيادة محمد علي باشا سنة ١٢٢٦ لمحاربة آل سعود في نجد، وكان الجيش الموجَّه للحجاز بقيادة طوسون بن محمد علي باشا، فدخل مكة والمدينة المنورة سنة ١٢٢٧.

وتوفي الإمام سعود رحمه الله تعالى نتيجة مرض سنة ١٢٢٩، وكانت الحروب قائمة بينه وبين محمد علي باشا، وكانت ولادته سنة ١١٦٣[١]، وقام بالأمر بعده ولده الإمام عبدالله بن سعود.

٣ـ الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن مقرن:

ولي الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ١٢٢٩، ونازعه أخوه فيصل بن سعود، فضعفت شوكته، وكانت الحرب مستمرة بينه وبينِ محمد علي باشا، إلى أن تغلَّبت عليه الجيوش العثمانية سنة ١٢٣٤، وأخِذ إلى الآستانة[٢] في تركيا، فقتل هناك عام ١٢٣٤ [٣].

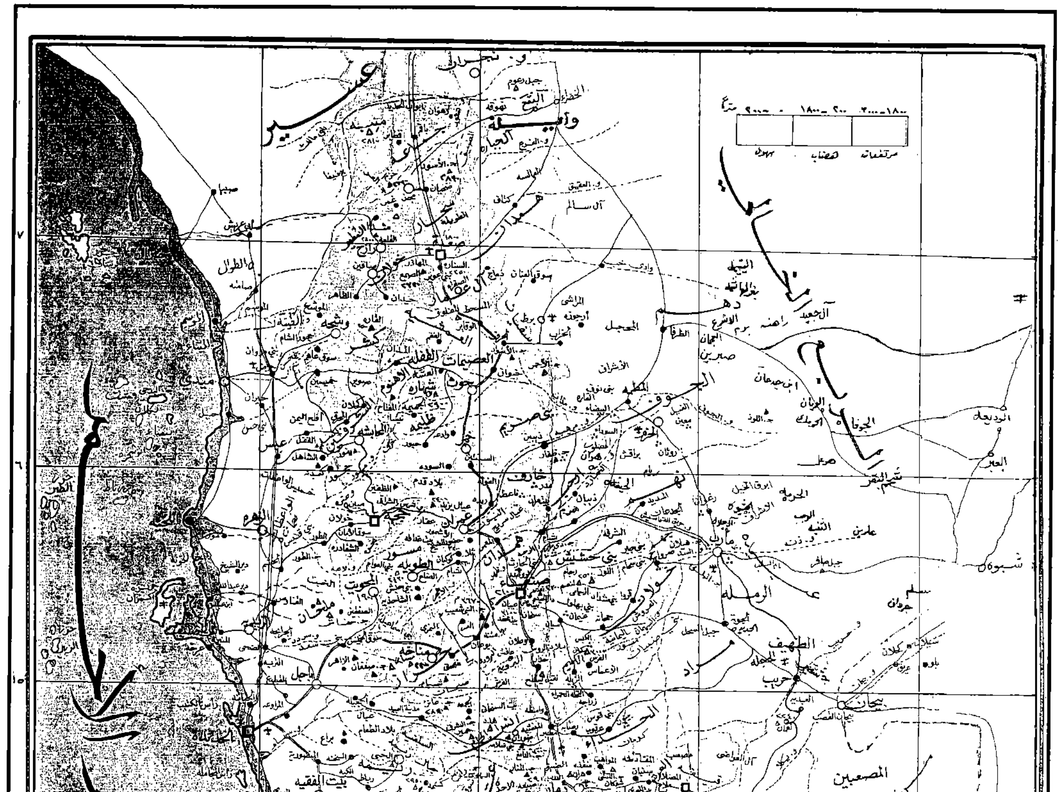
* * * * *

---

(١) له ترجمة في الأعلام ٣/٩٠، وينظر البدر الطالع ١/٢٦٢.

(٢) الآستانة بالمد، هو الاسم القديم لاسطنبول، ومعناه: عتبة الباب، والمركز، والتكيّة الكبيرة. ينظر المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، للدكتور سهيل صابان، ص ٢٣٧.

(٣) له ترجمة في الأعلام ٤/٨٩.



خريطة الجمهورية العربية اليمنية

* وهكذا يظهر من خلال هذه الأوضاع السياسية للبلاد التي سكنها الشيخ محمد عابد في الحجاز واليمن، أنها كانت مضطربة، لكنه كان بعيداً عن الخوض فيها، منشغلاً بالعلم والتعليم، وكان محبوباً لدى الحكام والأمراء، مع كل هذه التقلبات السياسية وخاصة في اليمن، فقد أقبل عليه ملوك اليمن، وصار له ثَمَّ حظ تامّ، عند الخاص والعامّ، وهو بذلك جدير وحقيق.

كما تسلَّم القضاء مدةً طويلة في مدينة زبيد (١)، هذه البلدة العظيمة التي كانت دارة علمٍ كبيرة، وكانت تعجّ بالعلماء والنبلاء، والتي توالى عليها أكثر من قيادة سياسية، وهو فيها قاض، وما ذاك إلا لفضله وعلمه وخُلُقه، ونزاهته وورعه.

* وقد وضعت في الصفحة السابقة صورة لخريطة بلاد اليمن، تُيسِّر على القارئ تَصَوُّرَ المدنِ التي ذُكرت في مبحث الحياة السياسية زمن الشيخ محمد عابد السندي، والمدنِ التي كان يتنقل بينها في اليمن للعلم والتعليم، أيام إقامته هناك، كما سيأتي هذا في مبحث رحلاته إن شاء الله تعالى.

* * * * *

(١) فهرس الفهارس ٢/٧٢١، نقلاً عن التحفة المدنية.

٢ ـ نظرة إلى الحياة العلمية
في عصر الشيخ محمد عابد

نشأ الشيخ محمد عابد في أسرة علمية كريمة، عريقةٍ في العلم أباً عن جد، كما سيأتي بيان هذا في الحديث عن نشأته وسيرته العلمية، حيث تفيَّأ منذ نعومة أظفاره الظلال العلمية الوارفة لجدِّه شيخ الإسلام العلامة الشيخ الحافظ محمد مراد الأنصاري، كما تربَّى وتعلّم في كَنَف والده العلامة الشيخ أحمد علي السندي الأنصاري، وعمِّه العلامة المفنَّن الشيخ محمد حسين السندي الأنصاري.

وأما ما حوله، فبلاد السند التي وُلد فيها كانت عامرة بالعلماء في كل فن من فنون العلم، وأما مكة وجدة وبلاد الحجاز التي ترعرع وشبَّ فيها، حين انتقل إليها مع جده وأسرته من بلاد السند، فهي كعبة العلم ومأرز العلماء، حيث تجبى إلى الحرمين الشريفين ثمرات ومنافع كل شيء.

وأما بلاد اليمن ـ وبخاصة صنعاء وما حولها من المدن ـ التي رحل إليها، فكانت في زمنه تعجّ بالعلماء والنبلاء والصلحاء، وهكذا بلاد مصر التي زارها، وكذا الشام والعراق وتركيا وبلاد المغرب وسائر ديار المسلمين، فإنه مازال فيها بساطُ العلم منشوراً، وأهله في القرن الثالث عشر الهجري بخير كبير.

* ولو استعرضنا ما كُتِب في تراجم علماء القرن الثالث عشر الهجري عصرِ الشيخ محمد عابد، ما عدا مَن لم يُكتب عنهم، أو مَن كُتِب عنهم،

ولم تصل إلينا تلك الكتابات: لرأينا جمعاً غفيراً وافراً من السادة العلماء في أصقاع الأرض، وقد تركوا لمن بعدهم ثروة علمية هائلة من المصنفات في كل فن، مما يصعب حصره وعدّه، وهذا كله يؤكد عظيم نشاط الحركة العلمية في مختلف بلاد الإسلام في ذلك القرن.

ومما وقفت عليه من الكتب المؤلفة في تراجم علماء القرن الثالث عشر الهجري ما يلي:

١ـ البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني الصنعاني، المتوفى سنة ١٢٥٠ رحمه الله تعالى، وفيه قسم كبير لتراجم علماء القرن الثالث عشر، وهو مطبوع، مع ذيلٍ عليه لابن زَبارة.

٢ـ مجموع فيه تاريخ علماء العصر وأفاضلهم، لابن عابدين محمد أمين صاحب الحاشية المشهورة، المتوفى سنة ١٢٥٢، جعله ذيلاً لسِلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي [١].

٣ـ مجموعة تراجم لعلماء القرن الثالث عشر الهجري، لشيخ الإسلام العلامة السيد أحمد عارف حكمت، المتوفى سنة ١٢٧٥، صاحب المكتبة الوقفية الشهيرة بالمدينة المنورة، وقد اقتبس منها صاحب هدية العارفين، كما في الأعلام ١٤١/١، وذكره البغدادي في هدية العارفين ١٨٨/١، وقال: لم يكمل.

٤ـ عقود الجواهر والدُّرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر، لحسن ابن أحمد، الملقب (عاكش) الضَّمَدي اليمني، المتوفى سنة١٢٨٩ رحمه

(١)ينظر مقدمة: قرة عيون الأخيار تكملة رد المحتار، لمحمد علاء الدين بن محمد أمين بن عابدين ص ٨، وأعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم ص ٣٩.

الله تعالى، وفيه (٢٦٧) ترجمة لعلماء اليمن في هذا القرن، وهو مخطوط.

٥ـ حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان العصر، لعاكش المتقدم، وقد خصَّه لتراجم مشايخه، وهو مطبوع في جزء واحد.

٦ـ النصيب الأوفر في تراجم علماء المئة الثالثة عشر، للإمام محمد عبدالحي اللكنوي، المتوفى سنة ١٣٠٤، رحمه الله تعالى.

٧ـ وللعلامة المؤرّخ الشيخ أحمد بن محمد الحضراوي المكي، المتوفى سنة ١٣٢٧ رحمه الله تعالى، كتابٌ ضخم في التاريخ والتراجم، كان من جملة ما تضمّنه تراجم لعلماء القرن الثاني عشر والثالث عشر، سمّاه: (تاج تواريخ البشر)، وهو في خمس مجلدات مخطوطة.

٨ـ حِلْية البَشَر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبدالرزاق بن حسن البَيْطار الدمشقي، المتوفى سنة ١٣٣٥ رحمه الله تعالى، ترجم فيه معاصريه، وهو مطبوع في ثلاث مجلدات.

٩ـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للشريف عبدالحي بن فخر الدين الطالبي الحسني، المتوفى سنة ١٣٤١ رحمه الله تعالى، وهو مطبوع في ثمانية مجلدات، خاص بتراجم علماء الهند والسند وتلك البلاد، وفيه تراجم وافرة لعلماء القرن الثالث عشر.

١٠ـ نشر النَّوْر والزَّهَر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، ويسمى أيضاً: الدُّرُّ الفاخر المكنون في تراجم الخمسة قرون، لعبد الله بن أحمد ميرداد أبو الخير المكي، المتوفى سنة ١٣٤٣ رحمه الله تعالى.

وللكتاب هذا مختصران، أحدهما للشيخ عبدالله بن محمد غازي المكي (ت ١٣٦٥)، وسماه: نظم الدرر، وهو مخطوط، والثاني لمحمد

سعيد العمودي المكي (ت ١٤١١) وأحمد علي بن أسد الله الكاظمي المكي (ت ١٤١٣)، وهو مطبوع في مجلد.

١١- تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، لأحمد تيمور باشا (أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور)، المتوفى سنة ١٣٤٨ رحمه الله تعالى، وهو مطبوع في جزء واحد.

١٢ـ فَيْض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، لعبد الستار بن عبدالوهاب الصدّيقي الدهلوي المكي، المتوفى سنة ١٣٥٥ رحمه الله تعالى، وهو مخطوط في ثلاث مجلدات في مكتبة الحرم المكي.

١٣ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب بن محمود الطبَّاخ الحلبي، المتوفى سنة ١٣٧٠ رحمه الله تعالى، فقد حوى المجلد السابع منه ـ وهو الأخير ـ عدداً كبيراً من علماء القرن الثالث عشر.

١٤ـ روضة البَشَر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، لمحمد جميل بن عمر الشطّي الدمشقي، المتوفى سنة ١٣٧٩ رحمه الله تعالى، وهو مطبوع بدمشق سنة ١٣٦٧.

١٥ـ نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، لمحمد ابن محمد بن زَبارة الحسني اليمني الصنعاني، المتوفى سنة ١٣٨١ رحمه الله تعالى، وهو مطبوع.

١٦- أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، لخليل مردم بك، المتوفى سنة ١٣٩٧ رحمه الله تعالى، وهو مطبوع في جزء واحد.

١٧- أعيان البيان مِن صُبْح القرن الثالث عشر الهجري، لحسن

السندوبي المصري، وهو مطبوع.

١٨ـ إتحاف المُطالِع بوفيات أعلام الثالث عشر والرابع، عبدالسلام ابن سودة، المتوفى سنة ١٤٠٠ رحمه الله تعالى، مطبوع بدار الغرب، ضمن موسوعة أعلام المغرب، سنة ١٤١٧.

١٩ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون (من الثامن إلى الخامس عشر)، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسّام، رئيس محكمة التمييز بالمنطقة الغربية سابقاً، وهو مطبوع في ست مجلدات، وفيه عدد كبير من علماء القرن الثالث عشر.

٢٠ـ أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، للأستاذ الفاضل عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المعلمي، وهو مطبوع في مجلدين، وفيه عدد كبير من علماء مكة المكرمة في القرن الثالث عشر.

٢١ـ علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، مطبوع بدمشق، دار الفكر، سنة ١٤٢١.

٢٢ـ وينظر كتاب: إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون، وكتاب: هدية العارفين أسماءَ المؤلفين وآثار المصنِّفين، كلاهما مطبوع لإسماعيل بن محمد باشا الباباني البغدادي، المتوفى سنة ١٣٣٩ رحمه الله تعالى.

٢٣ـ وينظر مصادر الفكر في اليمن، لعبد الله محمد الحبشي، حيث ذكر فيه جملة وافرة من العلماء في اليمن في القرن الثالث عشر الهجري.

٢٤ـ كذلك يدخل في هذا: الأثبات التي كُتبت في القرن الثالث عشر فما بعده، كثَبَت ابن عابدين، المتوفى سنة ١٢٥٢ رحمه الله تعالى: عقود اللآلي في الأسانيد العوالي، وثَبَت: النَّفَس اليماني، لعبدالرحمن الأهدل،

المتوفى سنة ١٢٥٠ رحمه الله تعالى، وثَبَت: التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز، لمحمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة باستانبول، المتوفى سنة ١٣٧١ رحمه الله تعالى، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للسيد محمد عبدالحي الكتاني الحسني، المتوفى سنة ١٣٨٢، رحمه الله تعالى، وغيرها الكثير من الأثبات التي ضمَّت تراجم لعلماء كثيرين في هذا القرن الثالث عشر.

* وهكذا يَلحظ المتتبع لعلماء ذلك القرن كثرتَهم ووَفْرَتهم في كل صُقْع من أصقاع المسلمين، والذين كان من بينهم - بل من كبارهم - الشيخ محمد عابد السندي، الذي يُعدُّ مرآةً صادقة للحالة العلمية في ذلك العصر، ويمثِّل بنموذجه حضارة تلك الأمة، وثقافتها وتقدّمها.

* * * * *

٣ ـ نظرة إلى الحياة الاجتماعية التي عاصرها الشيخ محمد عابد

إن الكلام عن الحياة الاجتماعية والحضارية والاقتصادية، وحال الناس في ذلك القرن يحتاج لدراسة مستقلة، وبخاصة مع ترامي البلاد التي عاش فيها الشيخ محمد عابد.

ولكن الذي يظهر بشكل عام أن حياة الناس كان يسودها عدم التقدم والرقي في صناعاتهم وتجاراتهم وزراعتهم، وهذا عند عامة الناس وغالبهم، إلا ما كان عند عِلْية القوم وسادتهم، مع ملاحظة الحال خاصة في مصر، حيث اهتم محمد علي باشا اهتماماً بالغاً بتطوير مصر من نواحي عدة: صناعةً وحضارةً وخدمةً للطرقات والجسور ونحو هذا.

وهذه الجوانب تظهر لمن طالع عجائب الآثار للجبرتي المصري، وتواريخ بلاد الحجاز ونجد واليمن وغيرها.

أما من ناحية انفتاح الناس بعضهم على بعض، وتنقلهم بين بلاد الإسلام، فكان الأمر سهلاً شائعاً، حيث كانت دولة الإسلام دولة واحدة، تحت سيطرة الدولة العثمانية، وهذا الانفتاح مما يسهّل الرحلات العلمية والتجارية وغيرها، ويُثْري البلاد الإسلامية بتبادلٍ علمي وثقافي وحضاري كبير، بل في كل جانب من جوانب الحياة.

* * * * *

الباب الأول

التعريف بشخصية الشيخ
محمد عابد السندي الأنصاري

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

اسمه ونسبه وشجرة نسبه

المبحث الأول:

اسمه ونسبه.

المبحث الثاني:

شجرة نسبه إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

الفصل الثاني

أسرته

المبحث الأول:

التعريف بجده شيخ الإسلام القاضي الشيخ محمد مراد الأنصاري.

المبحث الثاني:

التعريف بعمه العلامة الطبيب الشيخ محمد حسين الأنصاري.

المبحث الثالث:

التعريف بوالده العلامة الشيخ أحمد علي الأنصاري.

المبحث الرابع:

التعريف ببقية أجداد الشيخ محمد عابد.

الفصل الثالث

ولادته، وزواجه، وذريته، ووفاته

الفصل الأول

اسمه، ونسبه، وشجرة نسبه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

اسمه، ونسبه

المبحث الثاني :

شجرة نسبه إلى الصحابي الجليل

أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

الفصل الأول

اسمه، ونسبه، وشجرة نَسَبه

تمهيد:

لقد أكرم الله تعالى الإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري بنسب كريم رفيع، «فهو من بيتٍ مشهورٍ بالفضل، معمورٍ بالعلم، إذ هو من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، لم يَزَل آباؤه متمسِّكين بالعلوم، وعبادة الحيِّ القيوم، حتى انتقل بعضُ أجداده إلى السند، فصاروا قضاتَها وأعيانَها، والمرجوعَ إليهم في المهمَّات، وإصدارِ الأمور وإيرادها، وتوارثوا هذه الوظائف الدينية أباً عن جد، ولم يَخْلُ منهم عن العلم والكمال أحد»[1].

---

(١) من كلام وخط العلامة المؤرِّخ المفنَّن الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحوثي الحسيني اليمني، المتوفى سنة ١٢٢٣ رحمه الله تعالى، في تقريظ منه لكتاب: منحة الباري للشيخ محمد عابد السندي، وهي نسخة المؤلف المودَعة في المكتبة المحمودية، وينظر اليانع الجني (مخطوط).

* وأنبه هنا للفائدة أن ما ذكرتُه من وفاة الشيخ الحوثي، وهي سنة ١٢٢٣، هو ما جرى عليه الشوكاني في البدر الطالع ١/١٩، والزركليُّ في الأعلام ١/٥٠، والأكوع في هجر العلم ١/٥١٦، وكذلك أحمد لطف الله الجحاف في: دُرَر نحور الحور العين (مخطوط)، فقد ذكره في وفيات سنة ١٢٢٣.

ولكني وجدت بخط الحوثي نفسه على نسخة من شرح صحيح مسلم، قد وَهَبَها لولد الشيخ محمد عابد السندي، وتاريخ الهبة سنة ١٢٣٠، وستأتي صورة خطه من هذه النسخة ص ١٢٠، عند الكلام عن ذرية الشيخ محمد عابد السندي، وعلى هذا تكون

=

ولا شك فهذه مِنَحٌ وهِبَاتٌ إلهية، وأقدارٌ وإكرامات ربانية، فيا لها من عناية ورعاية، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما مَنَعَ سبحانه وتعالى.

* * * * *

وفاته بعد سنة ١٢٣٠ والله أعلم.

وأما ولادته فذكر الشوكاني، وتابعه الزركلي أنها سنة ١١٨٧، في حين أن الجحاف ذكر في «درر نحور الحور العين» أنها سنة ١١٩٢.

المبحث الأول

اسمه ونسبه :

هو محمد عابد بن أحمد علي [(١)] بن محمد مراد بـن محمـد يعقـوب الأيوبي الأنصاري السندي، ويلحظ هنا أن اسمه، واسم أبيه، واسم جده أسماء مركّبة من اسمين، وقد اشتهر اسمه بالشيخ محمد عابد السندي.

وأما نسبة الأيـوبي الأنصـاري، فهـي نسـبة لجـده الأعلـى الصـحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، حيث هو من ذريته.

ويقال في نسبه أيضاً: (الأبو أيوبي)، كما هـو في شـجرة نسـب جـده وأسرته، وكما هو بخطه فيما كتبه على نسخة كتاب جده: دفينة المطالب.

فهو خزرجي أنصاري، لكنه «وُلد ببلدة (سِيْوَن) من بلاد السـند علـى

---

(١) وقع في نيل الوطر ٢/٢٧٩ خطأ في تسميته، فقد جاء اسمه فيه على النحو التالي: محمد عابدين بن الشيخ أحمد بن علي، وحصل قريب من ذلك في الأعلام ٩/١٧٩ فسماه: محمد عابد بن أحمد بن علي بن يعقوب.

* وأنبه هنا أنه عند تصحيحي للتجارب المطبعية الثانية لدراسـتي هـذه، صَـدَر بحـث لطيف في ترجمة الشيخ محمد عابد السندي، نُشر في مجلة الدراسات الإسلامية، في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آبـاد بباكسـتان، بتـاريخ ذي القعـدة، عـام١٤٢١، أهداه إلي كاتبه الأخ الكريم الفاضل الدكتور عبدالقيوم بن عبدالغفور السندي جزاه الله خيراً.

شاطئ النهر، شمالي حيدر آباد السند، مما يلـي بلـدة بُوبْـك»[١]، ولـذا يقال في نسبه: السندي.

وبهذا الاسم والنسب تجده مكتوباً بخط يده رحمه الله تعالى في كـثير من كتبه.

* ونَسَبَه بعضهم[٢] إلى مكة، فقال عنه: المكي، وذلك لأنه أقام مـدة لا بأس بها في مكة المكرمة، كما سيأتي.

* ونَسَبَه بعضٌ آخر[٣] إلى المدينة المنورة، فقال عنه: المدني، وذلك لأن قراره كان آخر عمره في المدينة المنورة.

وهذا ما فعله الشيخ محمد عابد نفسه في آخر كتابه: طوالـع الأنـوار، فقال عن نفسه: «السندي مولداً، المدني توطناً».

* ومنهم مَن نَسَبَه إلى اليمن، وبخاصة إلى زبيد، حيـث أقـام الشـيخ محمد عابد في اليمن أكثر من ثلاثين سنة.

فقد ذكر صاحب اليانع الجني[٤]، وهو يبيِّن بعض اللطـائف في سَـنَدٍ ذَكَرَه، وكان من رجال السَّنَد الشيخ محمد عابد فقال:

«وفي سنده الشيخ محمد عابد رحمه الله من بني الخزرج، ويقـال: إن

(١) اليانع الجني (مخطوط)، أبجد العلوم لصديق حسن خان ٣/١٧١.

(٢) نيل الوطر ٢/٢٧٩.

(٣) كما فعل المفتي العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن سراج المكي، المتوفى سنة ١٢٦٤، حين ترجم له على ظهر نسـخةٍ مـن كتـاب: طوالـع الأنـوار، للشـيخ محمـد عابد، المودَعة في مكتبة مكة المكرمة (مكتبة المولد).

(٤) لوحة ٢٠أ، ٣٥أ.

أصل الأنصار من اليمن، وقد أقام الشيخ به دهراً من عمره، حتى عَدَّه ابنُ ساباط في فِهرسه الذي هو ملحَق بكتابه: البراهين الساباطية[١] من علماء زبيد، فهو يمني أيضاً».

* * * * *

(١) ابن ساباط هو جواد ساباط بن إبراهيم ساباط بن محمد ساباط باسيفَيْن الحسيني الهجري الأصل البصري الحنفي، ولد سنة ١١٨٨، وتوفي سنة ١٢٥٠ رحمه الله تعالى، وهو مشارك في علوم عديدة، كما يظهر من مؤلفاته.
وكتاب: البراهين الساباطية اسمه: (البراهين الساباطية فيما يستقيم به دعائم الملة المحمدية، وتَنْهَدِمُ به أساطين الشريعة المنسوخة العيسوية)، فَرَغَ منه مؤلفه سنة ١٢٢٨، وله كتب أخرى عديدة، ذكرها صاحب كشف الظنون مفرَّقة، ينظر هدية العارفين ٥/٢٥٨، معجم المؤلفين ٣/١٦٣، فهرس الفهارس ٢/١٠٥٣.

المبحث الثاني

شجرة نسبه للأنصار رضي الله عنهم:

إن من توفيق الله تعالى وتيسيره في صياغة هذه الترجمة، وقوفي على شجرة نسب الشيخ محمد عابد إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ضمن كتاب جده شيخ الإسلام القاضي محمد مراد الأنصاري، وهو كتاب: (دفينة المطالب)، في أربع مجلدات ضخام، المحفوظ بخط مؤلفه في المكتبة المحمودية، وذلك في المجلد الرابع منه لوحة ١٣١، وقد ألحقت هنا صورة لهذه الشجرة [١].

وأصل هذه الشجرة من عمل والد جد الشيخ محمد عابد، وهو الشيخ محمد يعقوب، ثم عَمل جده الشيخ محمد مراد تتمة لهذه الشجرة، وأضاف اسمه عليها، وقد وُثِّقت هذه الشجرة بأختام شهودِ أكابر العلماء القدماء وأعيانهم في عصره، تُثْبت صحتها وتشهد بذلك.

وأسوق هنا تمام نسبه كما جاء في هذه الشجرة، لتتم الفائدة، ولنتعرّف على هذه الأرومة الطيبة للشيخ محمد عابد، المتسلسلة بالعلماء

---

(١) وقبل وقوفي على هذه الشجرة، رأيت العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن سراج مفتي مكة المكرمة وعَصْرِيّ الشيخ محمد عابد، قد نَقَلَ نسبَ الشيخ محمد عابد كاملاً إلى سيدنا أبي أيوب، على ظهر نسخة من كتاب طوالع الأنوار، محفوظة في مكتبة مكة المكرمة، وذلك حين ترجم له معرِّفاً بصاحب الكتاب الشيخ محمد عابد.

والقُرَّاء وأهل الفضل والخير، من ذرية سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، مع فوائد أخرى تظهر من خلالها، مما لا نجده في غيرها.

فهو الشيخ محمد عابد ابن الشيخ أحمد علي بن محمد مراد الشهير بالقاضي الواعظ ابن الحافظ محمد يعقوب الشهير بالقاري ابن محمود الشهير بحافظ مَمُّون ابن الحاج عبدالرحمن الشهير بالقاري ابن عبدالرحيم زِينة القُرَّاء ابن محمد أنس بن عبدالله بن محمد جابر بن محمد خالد بن مالك بن أبي عوف بن حسان بن سالم بن الأشعث الشهير بالإمام ابن مَتّ ابن ثعلبة بن الجُنَيْد بن مُقَدَّم بن شُرَحْبِيل بن أَشعث بن مَتّ ابن الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وعن ذريته.

وبهذا يكون عدد رجال هذه الشجرة بدءاً بالشيخ محمد عابد أربعاً وعشرين رجلاً.

وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، «هو خالد بن زيد الأنصاري الخزرجي النجَّاري العَدَوي ابنِ كليب بن ثعلبة بن عبد عمرو بن عوف بن غُنْم بن مالك بن النَّجَّار بن ثعلبة بن الخَزْرج» (١).

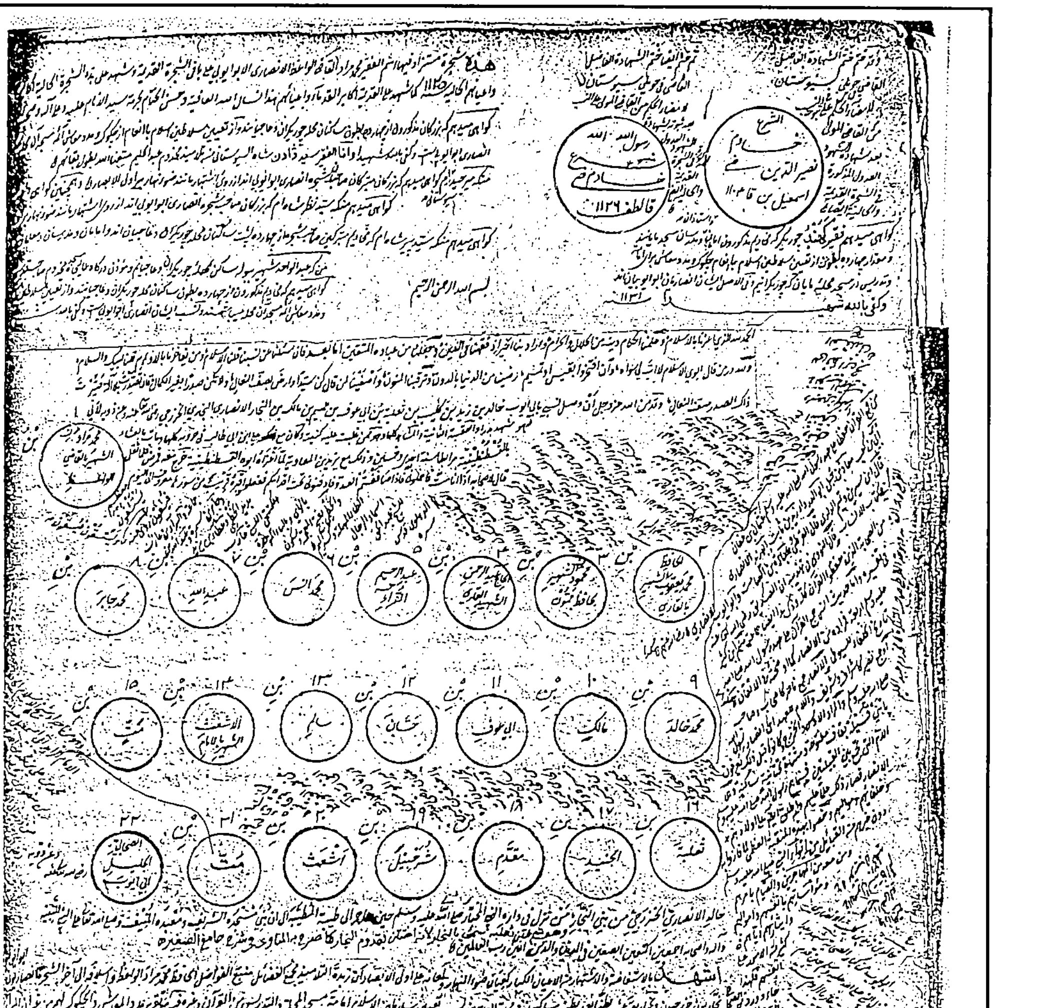
وهو مَن نَزَلَ في دَاره النبيُّ المختار ﷺ حين هاجر إلى طيبة الطيبة، وبقي عنده إلى أن بنى بيتَه ومسجدَه الشريف، فنال البركة العظمى، والفَخْرَ والشرفَ الأسمى، وهو من السبعين الذين شهدوا العَقَبة، وممن شهد بدراً والمَشاهدَ كلها، وكان مع سيدنا علي رضي الله عنهما في

---

(١) ينظر طبقات ابن سعد ٣/٤٨٤، سير أعلام النبلاء ٢/٤٠٤، الإصابة ١/٤٠٥، ولعبد الحفيظ بن عثمان القاري الطائفي كتاب: (جِلاء القلوب وكشف الكروب في مناقب سيدنا أبي أيوب)، مطبوع، انتهى من تأليفه سنة ١٢٩٨، كما في الأعلام ٢/٢٩٦، و٣/٢٧٦.

حروبه كلِّها، ومات بالقُسْطَنْطِينِيَّة مرابِطاً سنة ٥٢ للهجرة، وقيل: سنة ٥٥، وذلك مع يزيد بن معاوية، لما أغزاه أبوه القسطنطينية لقتال الروم، وخَرَجَ معه فمرض، فلما ثَقُل قال لأصحابه: إذا أنا مِتُّ فاحمِلوني، فإذا صاففتم العدوَّ فادفنوني تحت أقدامكم، ففعلوا، وقبرُه رضي الله عنه معروف الآن في اسطنبول في تركيا.

* وفيما يلي صورة لشجرة النسب:



صورة لشجرة نسب جد الشيخ محمد عابد (الشيخ محمد مراد الأنصاري)

فائدة :

في ذكر بعض كبار العلماء من ذرية سيدنا أبي أيوب الأنصاري :

١ـ إن الابن المباشر لسيدنا أبي أيوب الأنصاري، وهو (مَتّ)، برقم (٢٣) من رجال الشجرة، هو من أجداد شيخ الإسلام الحافظ الإمام أبي إسماعيل الهَرَوِيّ عبدالله بن محمد بن علي، المتوفى سنة ٤٨١، عن أربع وثمانين سنة [(١)] رحمه الله تعالى.

وعلى هذا (فالأشعث بن مت بن أبي أيوب الأنصاري)، الذي هو من أجداد الشيخ محمد عابد، و (منصور بن مت بن أبي أيوب الأنصاري) جدّ الإمام أبي إسماعيل الهروي، هما شقيقان لابن (مت) الأول.

٢ـ ومن أحفاد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أيضا أسرةٌ علمية عريقة في مدينة (فَرَنْكِي مَحَلّ) بالهند، ومن أشهرهم في المتأخرين الإمام الشيخ محمد عبدالحي اللكنوي، المتوفى سنة ١٣٠٤ رحمه الله تعالى، كما صرّح هو في ترجمته لنفسه [(٢)].

٣ـ ومن هذه الأسرة أيضاً [(٢)] قريب الشيخ محمد عبدالحي اللكنوي، وهو العلامة الشيخ محمد عبدالباقي الأيوبي الأنصاري اللكنوي، ثم المدني، المتوفى سنة ١٣٦٤رحمه الله تعالى.

---

(١) له ترجمة في سير أعلام النبلاء ٥٠٣/١٨، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢٥/٥، طبقات المفسّرين للداودي ٢٥٥/١، وقد سقط من طبعة السير اسم الجد الرابع لأبي إسماعيل الهروي.

(٢) ينظر مقدمة الأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى لكتاب: الرفع والتكميل، للإمام محمد عبدالحي اللكنوي ص ٢٠ و٢٣.

٤ـ وممن ذُكِر أنه من ذرية أبي أيوب الأنصاري أحدُ علماء القرن الثاني عشر، الذي ترجم له المرادي في سلك الدرر [١] بقوله:

«محمد بن رحمة الله بن عبدالمحسن بن يوسف جمال الدين بن أحمد بن محمد، المتصل النسب بأبي أيوب الأنصاري، الشهير بالأيوبي، الحنفي الدمشقي، الشيخ الإمام الفقيه النِّحرير، والأديب المفنَّن، والعالم العامل، ولد بدمشق سنة ١٠٨١، ومات شهيداً بالقسطنطينية سنة ١١٥٠، رحمه الله تعالى». اهـ.

كما اشتهر بين فقهاء الحنفية المتأخرين ولد هذا المترجم السابق، وهو الشيخ مصطفى بن محمد بن رحمة الله...، الفقيه الحنفي محشِّي الدر المختار، الشهير بالرحمتي، المتوفى سنة ١٢٠٥ [٢] رحمه الله تعالى.

وقد ساق الشيخ مصطفى الرحمتي نَسَبه كاملاً إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري في مقدمة كتابه: (المناسك وعمدة الناسك)، وهو من مخطوطات مكتبة الشيخ عبدالقادر الشلبي، المحفوظة بمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مجموع برقم ٨٢ شلبي، وهو الرسالة الثانية منه [٣].

---

(١) ٤/٤٨.

(٢) له ترجمة في أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم ص ٣٠، الأعلام ٧/٢٤١.

(٣) فائدة: في حقيقة ما يُتفاخَر به من الأنساب:

جاء في مقدمة شجرة نسب الشيخ محمد عابد كلامٌ نفيس في حقيقة ما يُتفاخَر به، أنقله للفائدة بنصه، وهو من كلام جده شيخ الإسلام القاضي الواعظ الشيخ محمد مراد الأنصاري:

«الحمد لله الذي أعزَّنا بالإسلام، وعلَّمنا أحكام دينه من الحلال والحرام، وأراد بنا =

تنبيه :

فيه تعقبٌ على ما قاله الإمام ابن سعد في الطبقات الكبرى من انقراض ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

بعد أن ذكرتُ طائفةً من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه من المتقدمين والمتأخرين، استوقفني نصٌّ للإمام ابن سعدٍ في الطبقات الكبرى [(١)] حين ترجم لأبي أيوب رضي الله عنه، فقال:

«كان لأبي أيوب من الولد: (عبدالرحمن)، وقد انقرض ولده، فلا نعلم له عَقِباً» اهـ.

وهو نصٌّ إمامٍ في الأنساب والتراجم، ولكن لعله ـ والله أعلم ـ حَصَلَ له هذا، كما حَصَلَ للنسَّابين والمترجِمين لسيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقد حكى أكثرُ من واحد منهم الإجماعَ على انقطاع ذرية خالد رضي الله عنه، وأنهم ماتوا كلُّهم في طاعون (عَمَوَاس).

الخير، إذ فقَّهَنا في الدين، وجعلنا من عباده المتقين.

أما بعد:

فإن سُئلنا عن نَسَبِنا، قلنا: الإسلام، ومَن يُفاخِرنا بالأوهام قلنا: لبَّيْك والسلام، ولله دَرُّ مَن قال:

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه إن افتخروا بقَيْسٍ أو تميم

رضينا من الدنيا بالدُّون، وترقَّبْنا المَنون، وأصغَيْنا لمن قال: كُن سيداً وارضَ بصَفِّ النِّعال، ولاتكن صَدْراً بغير الكمال، فإن تصدَّرتَ بغير آلة، صَيَّرتَ ذاك الصدرَ صفَّ النِّعال.

وقد مَنَّ الله عزَّ وجل أن وَصَلَ نسبي بأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه...» الخ.

(١) ٤/ ٤٨٤.

وأول مَن قال بانقطاع ذرية خالد بن الوليد هو المصعب بن الزبير، المتوفى سنة ٢٣٦، في كتابه: (نسب قريش)، ثم تابعه ابنُ أخيه الزبير بن بَكَّار في كتابٍ سماه: (نسب قريش وأخبارهم)، وتابَعَهما ابنُ حزم وغيره كثير.

في حين أن طائفة أخرى من العلماء أثبتت وجودَ ذرية له، مثل ابنِ الجوزي والسمعانيِّ وابنِ كثيرٍ وابنِ حجرٍ وغيرِهم، والمُثْبِتُ مقدَّمٌ على النَّافي الذي لا يَعْلَم له ذرية.

وقد نُشرت دراسةٌ جادةٌ تثبت وجود ذريةٍ لسيدنا خالد بن الوليد بجهدٍ كبير مشكور، قام بها الدكتور عبدالله بن محمد الزبن الخالدي، من أهل مدينة الرياض، سجَّلها في كتابه النافع: (الاختيارات الزَّبْنية من تراجم ذرية خالد بن الوليد المخزومية)، نقلتُ منه ما سَلَف من الكلام عن ذرية سيدنا خالد بن الوليد.

وقد ساق فيه ترجمةَ مائةٍ وسبعةٍ وخمسين عَلَماً منهم، مع ذِكْره لبطونهم وقبائلهم المتفرقة في شتى البلاد.

وعلى هذا، فحال كلام ابن سعد في نفيه بقاء ذريةٍ لسيدنا أبي أيوب رضي الله عنه، كحال كلام النافين لبقاء ذرية سيدنا خالد رضي الله عنه، والله أعلم، وقد سبق ذكري لطائفةٍ من ذرية سيدنا أبي أيوب، والناس مُؤْتَمَنُون على أنسابهم.

وتوجد في المدينة المنورة الآن أسرةٌ كريمة فاضلة، تُعرف بلقب (الأيوبي)، نسبةً إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وعندهم شجرة موثَّقة بذلك.

* * * * *

الفصل الثاني

أسرته

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول :

التعريف بجدِّه شيخ الإسلام القاضي محمد مراد الأنصاري

المبحث الثاني :

التعريف بعمه العلامة الطبيب الشيخ محمد حسين الأنصاري

المبحث الثالث :

التعريف بوالده العلامة الشيخ أحمد علي الأنصاري

المبحث الرابع :

التعريف ببقية أجداد الشيخ محمد عابد

الفصل الثاني

أسرته

ولد الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري في بيت العلم والفضل والشرف والدين، والفِطنة والذكاء والزهد والورع المتين، ونشأ نشأة طيِّبةً مباركة، وتشرَّب العلم والأدب منذ نعومة أظفاره، وتغذَّى بمكارم الفضائل والأخلاق.

فقد تربى في حِجْر جده شيخ الإسلام القاضي الواعظ الشيخ محمد مراد الأنصاري، وترعرع متعلِّماً على يد والده العلامة الشيخ أحمد علي، وعمه العلامة الشيخ محمد حسين، العالِمَينْ الفاضلَيْن النبيلَيْن.

وفيما يلي أذكر ترجمةً لأفراد أسرته الذين وقفت على شيءٍ من حياتهم، إذ بترجمتهم تتكامل الدراسة عن شخصية الشيخ محمد عابد، وبمعرفتهم تتجلى صورة تلك المدرسة العلمية العريقة، التي تكوَّنت فيها شخصية الشيخ محمد عابد العلمية والدينية.

ويكون في ذلك أيضاً إحياء لذكرهم، فهم من كبار السادة الفقهاء العلماء، وسيجد القارئ في ترجمتهم هنا، مالا يجده في غيرها، وذلك بما يسّر الله تعالى من نصوصٍ تمَّ الوقوف عليها من خلال دراستي لشخصية الشيخ محمد عابد، رحمهم الله تعالى جميعاً، وأعلى ذكرهم ومقامهم.

وقد قدّمت بالذكر جدَّه وعمَّه على والده، لأن جدَّه كان عميد

أسرتهم، وهو المقدَّم لفضله وعلمه، وأما عمه الشيخ محمد حسين الأنصاري، فلأنه كان له الأثر الأكبر على الشيخ محمد عابد، حيث طالت ملازمته له، وكانت أكثر قراءاته عليه، وبه تخرَّج في العلوم عموماً، وفي فن الطب خصوصاً، وأما والده فكانت وفاته رحمه الله في سنٍّ مبكرة، والشيخ محمد عابد بعدُ فتىً صغيرًا، ثم بعد ذلك ترجمت لبقية أجداده بما تيسَّر من نصوص شجرة نسبهم.

* * * * *

المبحث الأول

التعريف بجده شيخ الإسلام
الشيخ محمد مراد الأنصاري السندي
١٠٨٥ تقريباً ـ ١١٩٨

كان عميد أسرة الشيخ محمد عابد الأنصاري السندي هو جَدّه المعمَّر شيخ الإسلام، الإمامُ المحقِّق القاضي الواعظ العلامة الشيخ محمد مراد ابن الحافظ الشيخ محمد يعقوب الأنصاري الشهير بالقاري، المنتهي نسبه إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

وكان أحدُ أجداده قد انتقل من المدينة المنورة إلى السند، «وصاروا هناك قضاتَها وأعيانَها، والمرجوعَ إليهم في المهمات، وإصدارِ الأمور وإيرادها، وتوارثوا هذه الوظائف الدينية أباً عن جد، ولم يَخْلُ منهم عن العلم والكمال أحد»[(١)].

ولد الشيخ محمد مراد الأنصاري في السند، في حدود سنة ١٠٨٥، ونشأ في بيتٍ عامر بالقرآن والعلم والفضل والدين، فوالده الحافظ الشيخ محمد يعقوب الأنصاري الشهير بالقاري، وجدّه هو الشيخ محمود الشهير بحافظ مَمُّون.

وإن المطلع على سيرة جد الشيخ محمد عابد الشيخ محمد مراد،

---

(١) تقدم هذا النص من كلام العلامة الحوثي ص ٥٥.

يلحظ أن العناية الربانية كانت تَحُفُّ به وترعاه منذ صغره بشكل خاص، فقد أكرمه الله تعالى بحفظ القرآن الكريم مبكِّراً، فكان يلقَّب بالحافظ منذ صغره.

وكان يتصف بذكاءٍ ونبوغٍ وفضل وصلاح، يميِّزه عن أقرانه وزملائه، ولذا نرى أن مشايخه الذين تلقَّى على أيديهم علومَ الشريعة المختلفة، كانوا يلحظون فيه ذلك، وهو في مقتبل عمره، فيزدادون به عنايةً ورعاية واهتماماً.

ففي شجرة نسبه المتقدمة الذكر، ضمن شهادات مشايخه الشاهدِين على صحة مضمونها، تجد أن أوصافهم له عالية، وثناءاتهم عليه بالغة.

فهذا شيخه الشيخ عبدالحليم بن يوسف السِّيُوسْتَاني يقول عنه:

«زُبْدةُ التلاميذ، مَجْمَعُ الفضائل، وَمنْبَعُ الفواضل، الحافظ محمد مراد الواعظ...» اهـ، وذلك بتاريخ سنة ١١٠٣، أي وهو دون العشرين، والله أعلم.

ووَصَفَه في الشجرة نفسها الشيخ عبدالغني الواعظ سانديوتره، حين أجازه بالوعظ، فقال:

«قد أجزتُ الوعظَ بعد صلاة الجمعة فوق الكرسي، كما أُجِزتُ عن المشايخ الكرام، بعد ما أُمِرْتُ مراراً وتكراراً بالإجازة من سيد الأنام عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام، للولد الأَعَزِّ الأغَرِّ، الحافظ محمد مراد ابن الحافظ محمد يعقوب القاري الأنصاري الأيوبي النجَّاري الخزرجي، إجازةً متعدية بعد ما رأيتُ فيه الرشد والتقوى» اهـ، وذلك سنة ١١١٩.

ومعلوم أن مقامَ الوعظ مقامٌ كبير، لا يقدر عليه إلا الكبار القَدْر،

أصحابُ القلوب الصافية النقية، ولكن لما تكرر على الشيخ المجيز رؤيا النبي ﷺ وهو يوصيه بإجازة الشيخ محمد مراد مراراً وتكراراً، لم يجد بُدّاً من الإجازة، فأجازه، إذ رؤيا النبي ﷺ حق.

ولعل سبب تريّثه في ذلك، إما اجتهاد منه لم يظهر لنا وجهه، أو أن الوَصاة بذلك كان موسَّعاً في وقتها غيرَ مضيَّق.

وهكذا فيا له من مقام عظيم ناله هذا الشاب الأغرّ، ويالها من عناية ربانية ترعاه وتحيطه منذ صغره.

على نفسه فليَبْكِ مَن ضاع عمره   وليس له فيها نصيبٌ ولا سَهْمُ

* ومن كبار شيوخ الشيخ محمد مراد: الشيخ عبدالغفور بن عبدالرحمن التَّتَوي السندي، وكان من أعاظم علماء (سيوستان)، بلدة الشيخ محمد مراد[1]، وهي قرية قريبة من (تَتَّه) بالسند.

وله عنه رواية[2]، مشتركاً بذلك مع ولد الشيخ عبدالغفور، وهو الشيخ محمد هاشم ابن الشيخ عبدالغفور التتوي السندي، العلامة المشهور، المتوفى سنة ١١٧٤ هـ.

وهكذا ترقَّى الشيخ محمد مراد في علمه ودينه وصلاحه، فكان علامةً فقيهاً قاضياً واعظاً، وكان مشهوراً بلقب: شيخ الإسلام القاضي الواعظ.

* ومن ثناءات العلماء عليه، ما قاله الشوكاني في البدر الطالع[3] في

---

(١) ينظر ثلاث رسائل في استحباب الدعاء ص ١٨، والرسالة الأولى منها هي للشيخ محمد هاشم بن عبدالغفور التتوي السندي.

(٢) ينظر أول حصر الشارد للشيخ محمد عابد السندي (مخطوط).

(٣) ٢/٢٢٧.

ترجمة حفيده الشيخ محمد عابد:

«وأما جدّه فمن أكابر العلماء، له تصانيفُ حكاها عنه حفيدُه صاحبُ الترجمة».

* وقال عنه العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي:

«هو الشيخ الولي العالم محمد مراد» (١).

* وقال الشيخ صديق حسن خان في أبجد العلوم(٢):

«هاجر جدُّه الملقَّب بشيخ الإسلام إلى أرض العرب، وكان من أهل العلم والصلاح».

* ويصفه ولدُه العلامة الشيخ محمد حسين الأنصاري، فيقول في إجازته لولد أخيه الشيخ محمد عابد بالقراءات:

«قرأتُ بها على والدنا وشيخنا الحافظِ الإمام المحقق وليٍّ الله تعالى العارف الشيخ محمد مراد...» (٣).

* ويقول عنه حفيدُه الشيخ محمد عابد السندي(٤):

«العلامة الفهّامة، العالم الهُمَام، الذي صار لجميع العلوم كالخِتام، مفيدُ الطالبين، وقُدوةُ السالكين الشيخ محمد مراد الواعظ الأنصاري الأيوبي الخزرجي».

---

(١) في تقريظه لكتاب: منحة الباري للشيخ محمد عابد السندي (مخطوط).

(٢) ٣/١٧١.

(٣) حصر الشارد لوحة ٣.

(٤) من مقدمته التي كتبها بخطه على غلاف كتاب جده: (دفينة المطالب).

ويصفه الشيخ محمد عابد كثيراً في وقفيات كتبه على المحمودية بشيخ الإسلام، بل وَصَفَه في ختام نسخةٍ من «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر ـ بخط الشيخ محمد عابد[١] ـ بقوله: «الإمام الحجة».

* وحين أسنَّ الشيخ محمد مراد، وتقدَّمت به العمر، أحبَّ مجاورة الحرمين الشريفين، ففي سنة ١١٩٤ هاجر من السند مع أولاده وأحفاده، ومنهم الشيخ محمد عابد، إلى بلاد الحجاز، فصار إلى مكة المكرمة، ثم استقرَّ في مدينة جدة.

وكان تحديدي لزمن رحلته بهذا التاريخ، أنني رأيت بخط الشيخ محمد مراد في الجزء الرابع من كتابه (دفينة المطالب) رسماً لصورة نعل رسول الله ﷺ، وكتب تحته: (حُرِّر في صدر سنة ١١٩٤ في بندر المَخا في اليمن الميمون). اهـ، فهذا تاريخ مروره باليمن، وهو في طريقه من السند إلى بلاد الحجاز، والله أعلم.

* وما أن قَدِمَ الشيخ محمد مراد إلى الحجاز، حتى اشتهر أمره، وذاع صِيتُه، وعُرِفت مكانته العلمية الرفيعة، واتجهت إليه أنظار الكبار، فاهتموا به، وأولَوْه رعايتهم تكريماً له، وإظهاراً لعلوّ مقامه.

فهذا هو الوزير (رَيْحان) وزير وصاحب مدينة (جُدَّة) آنذاك، من قِبَل أمير مكة الشريف سرور بن مساعد، اهتمَّ به اهتماماً بالغاً، وأكرمه أيما إكرام، «حيث بنى له مسجداً في مدينة جُدَّة، وأسَّس له رَباطاً ومسكناً، مع خزانةٍ عامرةٍ بالكتب النفيسة، ووقف عليه أوقافاً تجري منها مصالحه»[٢].

---

(١) من محفوظات المحمودية برقم ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) نزهة الخواطر للحسني ٤٧٨/٧ و ٤٩٦ في ترجمة عمِّ الشيخ محمد عابد، وهو =

ونَفَعَ الله تعالى بالشيخ محمد مراد الأنصاري في هذا المسجد خَلْقاً كثيراً من طلاب العلم، وكان من بينهم هذا الوزير (ريحان)، فإنه تتلمذ على يد الشيخ محمد مراد، وعلى ولده الشيخ محمد حسين الأنصاري.

* وقد وجدت بخط الشيخ محمد عابد حاشيةً على كتابٍ نُسِبَ خطأً للشيخ محمد عابد، وهو كتاب: «نفحات النسيم الهندي على أغصان الريحان الجُدِّي» من محفوظات المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم ٢٧٨٤، فإنه كَتَبَ حاشيةً على كلمة: (الوزير ريحان) التي وردت في مقدمة هذا الكتاب:

«... إن بعض المريدين من وزراء أمير مكة المشرفة، وهو الوزير (ريحان) صاحبُ (جُدَّة) رحمه الله...» فكَتَبَ عليها الشيخ محمد عابد ما يلي:

«إن (ريحان) المذكور، قد كان أَخَذَ على عمي المرحوم في علومٍ مختلفة، وهو الشيخ محمد حسين الأنصاري رحمة الله عليه، إلى أن استوفى ما كان عند العم واستزاد...». اهـ.

«وتوفي هذا الوزير (ريحان) في ٢٠ رمضان سنة ١٢٠٠، وله كثيرٌ من الخيرات» [(١)].

* **أما علوم الشيخ محمد مراد** التي اشتهر بها، وبرّز فيها، فقد كان حافظاً مقرئاً على القراءات السبع، وكان قاضياً فقيهاً إماماً محققاً على مذهب السادة الحنفية، المنتشر في تلك البلاد السندية الواسعة، مفيداً

الشيخ محمد حسين، خلاصة الكلام ص ٢٢١.

(١) خلاصة الكلام ص ٢٢١.

للطالبين في حلقات دروسه العامرة.

وكان له معرفة تامة بالوعظ وطرقه، وهو بَعْدُ في ريعان شبابه.

هذه بعض العلوم التي اشتهر بها الشيخ محمد مراد، ولكنه كان كما وصفه حفيده الشيخ محمد عابد: «الذي صار لجميع العلوم كالختام» وذلك فيما كتبه على ظهر كتاب جده: (دفينة المطالب).

*** مصنفات الشيخ محمد مراد الأنصاري:**

حكى العلامة الشوكاني كما تقدم «أن للجدِّ تصانيفَ حكاها عنه حفيدُه الشيخ محمد عابد»[1]، ومن تصانيفه التي وقفتُ عليها مخطوط كبير في أربع مجلدات ضخام جداً، كل مجلدة منها في حدود أربعمائة لوحة، حيث هو غير مرقم، وذلك من القطع الكبير (٦٠×٤٥) سم تقريباً، سماه: (دفينة المطالب للطالب والراغب)، وله اسم آخر: (أناجيل المفتين) في الفقه الحنفي.

وهو محفوظ في المكتبة المحمودية تحت الأرقام التالية: (٢٨١٣ ـ ٢٨١٤ ـ ٢٨١٥ ـ ٢٨١٦).

وهذه النسخة للكتاب مُسَوَّدَةٌ بخط المؤلِّف الشيخ محمد مراد، وقد كَتَب حفيده الشيخ محمد عابد على غلافه مقدمة، وعمل له فهرساً بمضمونه، ليسهل الرجوع إلى فوائده، ومما قاله الشيخ محمد عابد عن هذا الكتاب:

«... وبعد: فيقول الفقير الحقير الراجي رحمة ربه الباري محمد عابد

(١) البدر الطالع ٢/٢٢٧.

ابنُ المرحوم الشيخ أحمد علي ابنِ المرحوم العلامةِ الفهامةِ العالمِ الهُمَامِ، الذي صار لجميع العلوم كالخِتام، مفيدِ الطالبين، وقدوةِ السالكين الشيخ محمد مراد الواعظ الأنصاري الخزرجي:

إني لما اطلعت على مسوَّدة: (أناجيل المفتين) التي هي في الفقه ظاهراً، وفي كل العلوم، إذا رآه أحدٌ حَصَلَ له اليقين، المنسوبةِ للجد المرحوم، وجَدْتها محتاجةً إلى الفهرسة، لتسهيل استخراج المسائل منها، وكان الاستخراج منها أمرًا مهمًا، فأردتُ أن أُفهرسها مع أني لست من فرسان هذا الميدان...».

ثم وضع رحمه الله على غلاف كل جزء منها فهرساً بمضمونه.

وهذا الكتاب يتضمن أبواب الفقه كلها، من الطهارة إلى نهاية الحج والنذر في المجلد الأول، ويبدأ الجزء الثاني بالنكاح وهكذا.

وهو كتاب في الفقه الحنفي، لكن تضمَّن علوماً أخرى كثيرة، فقد نُثرت فوائد غوالي متنوعة في حواشي الكتاب وزواياه في فنون مختلفة، من التوحيد والحديث والتفسير والتاريخ والتراجم وغيرها، بل أحياناً تجد رسائل صغيرة كاملة لبعض الأئمة، منسوخة بكاملها بين أوراق الكتاب، منها ما هو منسوخ على الكتاب نفسه، ومنها منسوخ على أوراق مستقلة مُدْرجةٍ بالكتاب.

وتجد بين ثنايا الكتاب أوراقاً كثيرة جداً، مُلحَقَةً به، عليها نص فتوى، مع جوابها، ومع ذِكْر المصدر الذي نُقِلت الفتوى منه.

وهكذا أوراقٌ أخرى فيها فوائد متنوعة، وبعض هذه الأوراق أو الفوائد باللغة الفارسية أو السندية.

ويوجد في آخر المجلد الأول منها وصية العلامة المحدِّث الشيخ

محمد هاشم التّتوي، وفي وَسطه توجد شجرة نَسَبِ أسرتهم الكريمة إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

وتوجد وسط المجلد الرابع خريطة جغرافية قديمة مفصلة لبلاد السند وما حولها.

* وقد كُتِب على غلاف الأجزاء الأربعة عنوان الكتاب بخط المؤلف، وهو: دفينة المطالب للطالب والراغب.

وعليه أيضاً نصُّ هبة المؤلف كتابه هذا لولده الشيخ أحمد علي والد الشيخ محمد عابد السندي.

فقد كُتِب على غلاف المجلد الثالث منها ما يلي:

«وهَبْتُه لابني الصغير غلام رسول، المسمى بأحمد علي. اللهم اجعله فقيهاً عالماً عاملاً. آمين، وزِدْ في عمره وأبيه وإخوته. آمين. سنة ١١٦٨» اهـ، وفي آخرها خَتْم الواهب: محمد مراد السندي.

وكتب على غلاف المجلد الثاني ما يلي:

«وهبتُه لابني غلام رسول. اللهم زِدْ في عمره وأبيه وإخوته، واجعلهم من الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون. آمين» اهـ.

وعليه ختم الواهب: محمد مراد السندي، ثم ختم الموهوب له: أحمد علي عفى الله عنه.

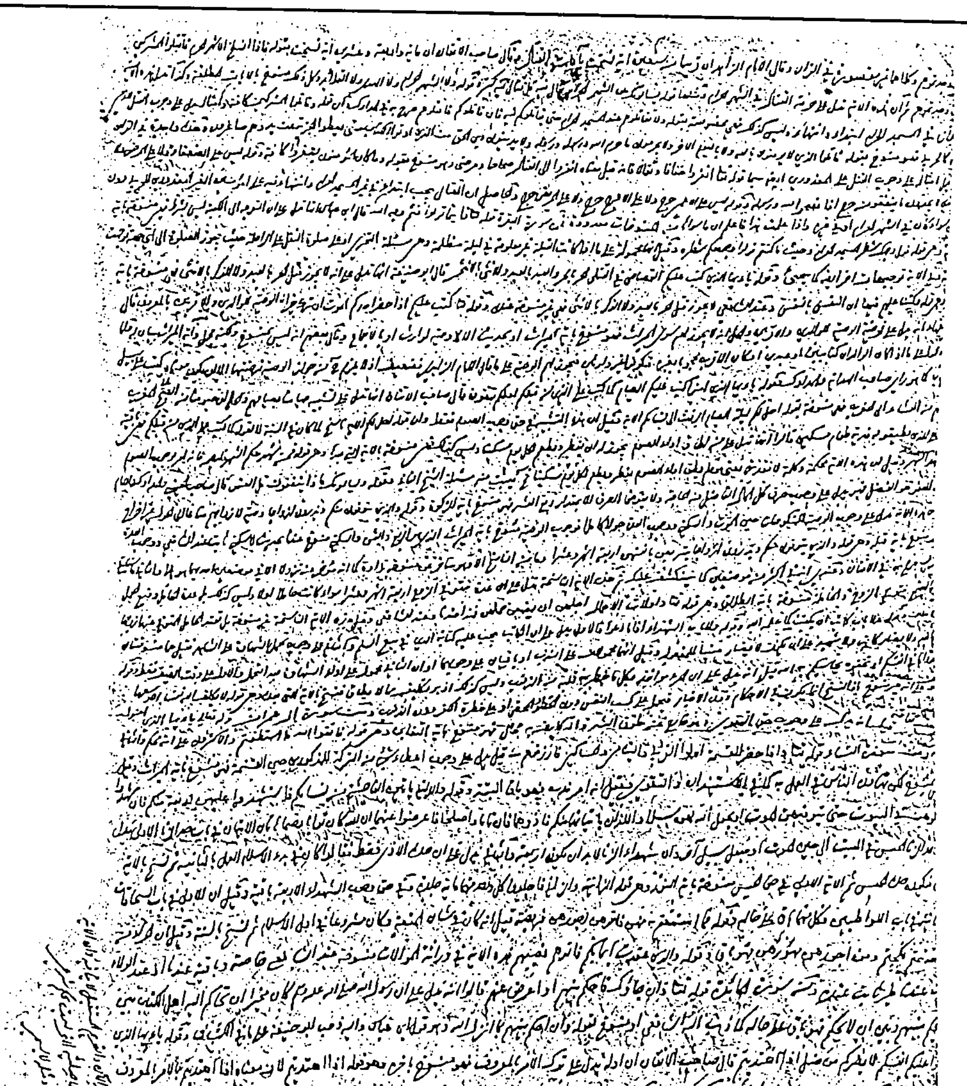
* والحق أني لم أر مثل هذا المخطوط صورة ومعنى، ولذا قال عنه الشيخ محمد عابد: «مَن رآه حَصَل له اليقين» أي: أن هذا الكتاب شاهدٌ حقٌ لدرجة اليقين على علم ومقام مؤلِّفه رحمه الله تعالى.

وهو كتابٌ تحتاج دراسته لوقت طويل، وجهد كبير، لتفريغ حواشيه،

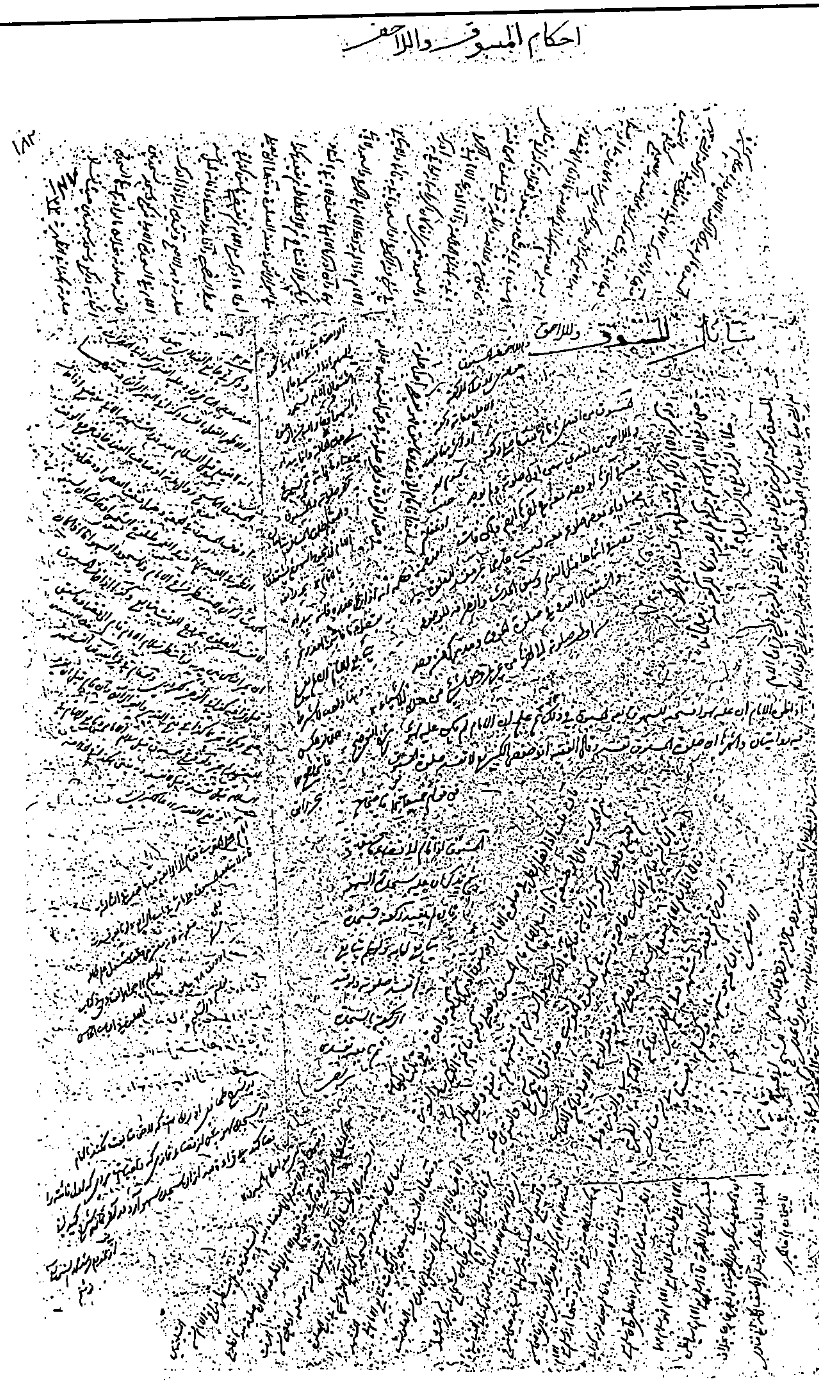
وما أُلحق به من أوراق كثيرة، ولذا قام حفيده الشيخ محمد عابد بسدّ شيء من هذه الثغرة، فعمل فهرساً عاماً لموضوعاته، ووَضَعَ فهرس كل مجلد على غلافه.

* وقد رأيت الشيخ محمد عابد ينقل عن فتاوى جده في هذا الكتاب، وذلك في رسالته عن حكم إطعام الطعام في مناسبات الفرح أو التَّرح، صفحة (٣٨) من المخطوط، معتمِداً لما نَقَله، مقرِّراً له.

وفيما يلي صورة لصفحتين من صفحات مخطوطة هذا الكتاب، كنموذج يقف عليه القارئ، ويطلع عليه.



صورة لإحدى صفحات كتاب «دفينة المطالب» للشيخ محمد مراد الأنصاري من المجلد الرابع



صورة لإحدى صفحات كتاب «دفينة المطالب» للشيخ محمد مراد الأنصاري من المجلد الأول

* سنة ولادة الشيخ محمد مراد الأنصاري ووفاته:

كانت ولادة الشيخ محمد مراد الأنصاري سنة ١٠٨٥ تقريباً، وذلك تقديراً من نصِّ شهادة شيخه له في شجرة النسب، وهو الشيخ عبدالحليم ابن يوسف السيوستاني، حيث وَصَفه «بأنه زبدة التلاميذ، مجمع الفضائل، ومنبع الفواضل الحافظ محمد مراد»، وكان ذلك سنة ١١٠٣.

فقدَّرت لهذه التلمذة سن الثامنة عشر من عمره، وعلى هذا تكون ولادته تقريباً سنة ١٠٨٥.

وأما سنة وفاته رحمه الله، فكانت بعد سنة ١١٩٨، فقد جاء في مقدمة رسالة ولده العلامة الشيخ محمد حسين الأنصاري: (التبيان للزجر عن شرب الدخان)، وهي من محفوظات المكتبة المحمودية:

«... وبعد: فإن المتوسِّل برب العالمين محمد حسين النقشبندي ابن الشيخ العلامة المعمَّر القاضي محمد مراد الواعظ الأنصاري أصلحهما الله عزَّ وجَلَّ مع جميع المؤمنين... وكان شروعي في هذه الرسالة في بندر جُدَّة، المحروس من كل آفةٍ وحِدَّة، في واحدٍ وعشرين من شهر الله الأصم رجب المرجَّب، المنتظِم في سلك سنة ثمانٍ وتسعين بعد الألف والمائة...».

فقوله: (أصلحهما الله) يدل على حياة والده في هذا التاريخ، وهو سنة ١١٩٨، وقد وصفه بأنه معمَّر.

وعلى هذا تكون وفاته في أواخر القرن الثاني عشر، أو بداية القرن الثالث عشر، وله من العمر ما يقرب من مائة وثلاثة عشر عاماً، فيكون ممن أُكرم بطول العمر، وحُسْن العمل في نشر العلم، وإفادة الناس ونفعهم، في بلاد السند وبلاد الحجاز، فقد كانت رحلته إلى الحجاز سنة ١١٩٤، كما تقدم تحقيق ذلك ص٧٧.

* وكانت وفاته رحمه الله في مدينة جدة، والله أعلم، فقد قال صاحب اليانع الجني [١]: «ويُشْبِه أن يكون جَدُّه توفي بجُدَّة، أو بمكانٍ ليس بالبعيد منها».

في حين أن الشيخ إبراهيم الحوثي في تفريظه لكتاب منحة الباري يقول: «إن جدَّ الشيخ محمد عابد صار إلى مكة المشرفة، وجاور فيها حتى توفاه الله».

ومما يرجّح أن وفاته رحمه الله كانت في جدة، هو استقراره فيها، حيث مسجده ومسكنه والرباط والمكتبة وما يتبع ذلك، مما بناه له الوزير (ريحان).

وأيضاً فإن الشيخ محمد عابد في حصر الشارد [٢] حين ذكر المسلسل بالمكيين قال:

«أرويه عن عمي الشيخ محمد حسين الأنصاري، فقد جاور بمكة مدةً، عن أبيه الشيخ محمد مراد بن يعقوب السندي الأنصاري، وأقام بمكة مدةً مراراً لتحصيل الحج، واغتنام التشرّف بالمآثر الشريفة...»، فهذا يدل على أن مقامه الأصلي لم يكن بمكة المكرمة، والله أعلم.

وكذلك ذكر خبراً آخر في حصر الشارد [٣]، يفيد أن جدَّه كان في آخر حياته، بل عند مماته في مدينة جدة، وفيه أيضاً من الفوائد المهمة ما يدل على علوّ مقامه وصلاحه.

---

(١) لوحة ٣٥أ.

(٢) لوحة ٢٨٠.

(٣) لوحة ٣٠٩ـ٣١٠، وينظر اليانع الجني لوحة ٣٥.

* وبعد هذه الكتابة كلها، يسَّر الله تعالى ـ والحمد لله ـ وقوفي[١] على صفحة من صفحات الجزء الرابع من كتاب «دفينة المطالب» للشيخ محمد مراد الأنصاري، وفيها تواريخ ولادات ووفيات كثير من العلماء، وكذلك عدد من أفراد أسرة الشيخ محمد مراد الأنصاري وزوجاته وأولاده.

وقد سَجَّل في هذه الصفحة - وبخطه - ولدُه الشيخ محمد حسين الأنصاري تاريخ وفاة والده، وأنها كانت في مدينة جدة، سنة ١١٩٨، وأن روحه خرجت وهو يذكر الله، وأرَّخها بحساب الجُمَّل بقوله: (فرَوْحٌ ورَيْحان وجنت نعيم)، وبهذا زال الشك باليقين في سنة وفاته ومكانها.

رحم الله الشيخ محمد مراد الأنصاري وعلماءَ المسلمين أجمعين، وجعلهم مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين.

* * * * *

(١) عن طريق الأخ الكريم الفاضل الدكتور عبدالقيوم بن عبدالغفور السندي، الأستاذ بجامعة أم القرى، جزاه الله خيراً.

المبحث الثاني

التعريف بعمه العلامة الفقيه الطبيب
الشيخ محمد حسين الأنصاري السندي
١١٦١ ـ ١٢١١

هو الشيخ محمد حسين بن محمد مراد بن محمد يعقوب الأنصاري السندي ، وُلد في السند سنة ١١٦١ ، كما هو بخطه في الجزء الرابع من كتاب والده (دفينة المطالب)، وقد ترجم له الحسني في نزهة الخواطر[١]، فقال:

«الشيخ العالم الكبير محمد حسين بن محمد مراد بن يعقوب الحافظ ابن محمود الأنصاري الخزرجي، أحدُ بني أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

ولد ونشأ في أرض السند، وقرأ العلم على والده، ثم هاجر معه إلى أرض العرب.

وله أسانيد عديدة، وكانت له اليدُ الطولى في علم الطب، ومعرفةٌ متقنة بالنحو والصرف وفقه الحنفية وأصوله، ومشاركةٌ في سائر العلوم، وله شهرةٌ عظيمة في أرض العرب.

---

(١) ٧/٤٧٨.

وذَكَرَه الشيخ رفيع الدين المراد آبادي[١] في كتابه: (أخبار الحرمين)، وقد أدركه بـ (جُدَّة) سنة ١٢٠٢» اهـ.

* وقال العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لكتاب منحة الباري للشيخ محمد عابد السندي:

«... إلى أن انتقل جَدُّ هذا المؤلِّف ـ أي الشيخ محمد عابد ـ أبو أبيه، وهو الشيخُ الوليُّ العالمُ محمد مراد، فصار إلى مكة المشرفة، وجاور بها حتى توفاه الله.

ثم خَلَفَه ولداه الشيخ العلامة محمد حسين بن محمد مراد، وأخوه العلامة أحمد علي بن محمد مراد والد الشيخ محمد عابد المؤلِّف، فاشتغلا بتحصيل العلوم والتفنّن فيها، وجَمْعِ الكتب، وتعلَّقا بعلم الطب والمباشرة للعلاج، فزادت شهرتُهما، وقُصِدا لعلم الأبدان والأديان.

ولما توفي الشيخ أحمد علي انتقل أخوه الشيخ محمد حسين وابنُ أخيه الشيخ محمد عابد إلى بندر الحُدَيْدة باليمن...». اهـ.

* ومن مشايخه في الحرمين الشريفين: العلامة الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي، المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٢٠١ [٢].

وهكذا عاش الشيخ محمد حسين مع والده الشيخ محمد مراد في مدينة جدة، بعد أن هاجروا من بلاد السند، مع إقامته بمكة المكرمة

---

(١) المولود سنة ١١٣٤، والمتوفى سنة ١٢٢٣، وكان قد رَحَل إلى الحجاز من الهند، ثم عاد سنة ١٢٠٣، وسجَّل أخبار رحلته ومَن لقيهم من العلماء في كتابه: (أخبار الحرمين)، وله من الكتب غيره، كما في نزهة الخواطر ١٨٢/٧.

(٢) ص ٦٩ من كتاب الشيخ محمد عابد في تراجم شيوخه (مخطوط).

مراراً[١]، ثم ارتحل إلى اليمن.

* وقد ذكر الشيخ محمد عابد عمَّه الشيخ محمد حسين كثيراً في حصر الشارد، حيث روى عنه الكثير من الكتب، ووَصَفَه بأوصاف عالية جداً، مع ثناءات بالغة.

منها ما جاء في أول حصر الشارد، عند ذكره لسنده في القراءات، فقال:

«قد مَنَّ الله تعالى عليَّ - وله الحمد - بقراءة القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته، على قراءة الأئمة السبعة المشهورين، برواياتهم الأربعة عشر، المحصورة من طِرقهم المشهورة، وذلك بما تضمَّنَتْه المنظومةُ المعروفة بالشاطبية، قراءة تحقيقٍ وبيانٍ وتجويد، مراراً متعددة، على شيخي العلامة الفهامة، زِينة دهره، وقُدْوة عصره، الحاوي لعلم الأديان والأبدان، الجامعِ للفنون العقلية والنقلية، والموضِّح لها بأحسن بيان: عمي وصِنْوِ أبي الشيخ محمد حسين بن محمد مراد الأنصاري الخزرجي الأيوبي نسباً، السنديِّ بلداً، والحنفيِّ مذهباً، رحمه الله تعالى، وبَوَّأه دارَ كرامته». اهـ.

* ووَصَفَه في إجازته للشيخ عارف حكمت صاحب المكتبة الوقفية المشهورة بالمدينة المنورة، فقال[٢]:

«... أرويه من طريق مَنْ فاقَ في دهره، وعزَّ وجودُ مثله في عصره، مولاي وشيخي وعمي، صِنْو أبي، مَن حاز علمَ الأديان والأبدان الشيخ محمد حسين بن محمد مراد الواعظ الأنصاري». اهـ.

---

(١) كما في حصر الشارد لوحة ٢٨٠ عند ذكر المسلسل بالمكيين.
(٢) كما في شَهِيِّ النَّغَم للآلوسي ص ٢٠٣.

* وجاء أيضاً في حصر الشارد[١] حين ذكر كتابَ عمه: (التبيان للزجر عن شرب الدخان)، فقال:

«لشيخنا الإمام النِّحرير عمي الشيخ محمد حسين..». اهـ.

وقال عنه في كتابه الذي خصَّه لتراجم شيوخه وشيوخ شيوخه[٢] في آخر لوحة منه:

«وأخذ عن الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي شيخنا العارف بالله سيدي العم الشيخ محمد حسين...».

وهذه الأوصاف حقيقة في محلها، فليس الشيخ محمد عابد ممن يكيل لعمه الأوصاف كيلا، ويمدحه اعتسافاً، حاشاه فهو مَن هو في ديانته وتقواه وورعه.

* ويظهر من هذه الثناءات تبحُّر الشيخ محمد حسين الأنصاري في العلوم كلها، المنقول منها والمعقول، مع تفننه فيها: في القرآن الكريم وقراءآته والحديث والتفسير والفقه والأصول والعربية وعلم الأخلاق وتزكية النفوس وغيرها، بل بلغ الإمامة فيها، مع حِذقه التام في علم الطب، واشتهاره فيه كل الشهرة.

هذا بالإضافة إلى اهتمامه البالغ بجمع الكتب النفيسة، والاعتناء بها.

* ويضاف لهذا الثناء العظيم من الشيخ محمد عابد على عمه الشيخ محمد حسين الأنصاري، أنه كان يعتمده علمياً في واقع كتبه، فقد نقل عنه في مسائل فقهية عديدة في كتاب: طوالع الأنوار، ويَعتبر قولَه حجةً

---

(١) لوحة ٤٤.

(٢) ص ٦٩ مخطوط.

وبياناً في المسألة.

ومما وقفت عليه من ذلك، نَقْلُه عنه مصرِّحاً باسمه دون تسمية الكتاب الذي نقل عنه، أو أنه نقل ذلك عنه شفوياً، وذلك في مسألة: إعادة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة حالَ تعددها في البلدة الواحدة، حين حكى الشيخ محمد عابد الخلاف في المسألة [(١)]، ثم نقل عن عمه الشيخ محمد حسين أن المذهبَ المعتمدَ عند الحنفية أنهم لا يصلون الظهر احتياطاً بعد صلاة الجمعة، كما يفعل الشافعية في المشهور عندهم، فجعل الشيخ محمد عابد قولَ عمه الشيخ محمد حسين من المرجِّحات في بيان مذهب الحنفية.

وكذلك نَقَلَ عنه في باب الكفالة [(٢)] للتوفيق بين عبارتَيْن ورَدَتا في المذهب، وبيان الصواب في فهمهما.

* **مصنفات الشيخ محمد حسين الأنصاري:**

أما مصنفاته، فلم أقف له إلا على كتابين، أحدهما ذَكَرَه الشيخ محمد عابد[(٣)]، وهو كتاب: (التبيان للزجر عن شرب الدخان)، وتوجد منه نسخة بخط المؤلف في المكتبة المحمودية، ضمن مجموعٍ رقمه ٢٦٨٢، يقع في (٥٠) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٠) سطراً، وعليه حواش كثيرة بخط المؤلف.

وقد ذكر في مقدمته: «أنه لما رأى أكثرَ أهل العلم في هذه البلاد

---

(١) طوالع الأنوار ٢/٤٨٤ (مخطوط).

(٢) باب الكفالة من طوالع الأنوار، ينظر نقل الرافعي لهذا في تقريراته على ابن عابدين ٢/١٨١.

(٣) حصر الشارد، لوحة ٤٤.

ـ مدينة جدة ـ على شرب الدخان مُكِبِّين، ويَدَّعون استحلالَه إطلاقاً مكابرين ومتعصّبين، بل بوجوبه في النفقة مطلقاً من الإفراط قائلين...». الخ.

ثم ذكر عدة مؤلفات في النهي عن شرب الدخان وتحريمه، وأن منهم مَن أفرط، ومنهم مَن فرَّط، إلا الشيخ المفتي محمد هاشم المرحوم السندي، وكانت رسالته بلسان الفارسية قال: «فتَرْجَمْتُها بالعربية لفظاً بلفظ، وبيَّنتُها بـ: (قال العلامة السندي)، وربما زِدْتُ في بعض الأمكنة تتميماً للفائدة، وبيَّنْتُها بـ:(وقال المترجِم)، وسمَّيْتُها: التبيان للزجر عن شرب الدخان، وكان شروعي في بَنْدر جدة، المحروس من كل آفة وحِدَّة، في واحدٍ وعشرين من شهر الله الأصم رجب المرجَّب، المنتظِم في سلك سنة ثمان وتسعين بعد الألف والمائة...».اهـ.

وهو كتاب نفيس في بابه، حوى زُبدة ما في غيره، وهو مليء بفتاوى كثيرة في هذا الموضوع، نَقَلها المؤلف عن الأقدمين وعن المعاصرين له.

وقد رأيت الإمام الشيخ محمد عبدالحي اللكنوي ينقل عنه في بعض كتبه.

* وأما الكتاب الثاني من مصنفاته، فهو رسالة سمّاها: (مهذَّب الهداية)، وهي في ٢٤ لوحة بخط مؤلِّفها، وفي كل صفحة من لوحاتها ١٧ سطراً، محفوظة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، في مجموع رقمه (٢٥٩١)، ورقم الرسالة فيه (١٣)، وكَتَبَ في آخرها:

«كتبه الفقير إليه عزَّ وجلَّ محمد حسين ابن العلامة القاضي محمد مراد الواعظ الأنصاري عفا الله عنهما وعن سائر المسلمين أجمعين، أكتعين أبْتَعِين أبْصَعين[١]. آمين، سنة ١٢٠١». اهـ.

---

(١) أكتعون أبتعون أبصعون، توابع لـ (أجمعون)، وهي ألفاظ يؤتى بها للتوكيد، =

وموضوعها كما ذكر مؤلِّفها، أنه حين كان يقرأ كتاب «الهداية» للمرغيناني علي بن أبي بكر، (ت٥٩٣)، وهو من أشهر كتب السادة الحنفية قال: «فكنت ألتقط أصولَها التي يتعسّر لديها وصول، فالآن أدوِّنها بالتبويب، وأكتبها بالترتيب، غير أني تصرَّفتُ في بعضها بزيادة بقدر الحاجة للتتميم...». اهـ.

فالرسالة عبارة عن القواعد والضوابط الفقهية التي وقف عليها الشيخ محمد حسين الأنصاري في كتاب الهداية للمرغيناني، مدوّنةً مرتبةً على أبواب الكتاب كما جاءت، مستوعباً للكتاب كله.

وعلى هذا فتعتبر هذه الرسالة رافداً جديداً لكتب القواعد الفقهية.

وفاته:

بقي الشيخ محمد حسين الأنصاري في اليمن، بعد أن هاجر إليه من بلاد الحجاز، ينتفع الناس به في علم الأديان والأبدان، ويُقْصَد من هنا وهناك، إلى أن وافاه الأجل في بندر الحُدَيْدة باليمن، كما ذكر صاحب اليانع الجني [(١)]، ونزهة الخواطر [(٢)]، دون ذكرٍ لسنة وفاته.

فيقال: جاء القوم أجمعون أكتعون أبتعون أبصعون، توكيداً للقوم.

و(أكتع) من قولهم: تكتع الجلد، إذا اجتمع، و (أبتع) من البَتَع، وهو طول العنق، والقوم إذا كانوا مجتمعين طال عنقهم، وهو كناية عن الاجتماع، فيكون بمعنى (أجمع)، و (أبصع) من البصع، وهو العرق المجتمع، فيكون بمعنى (أجمع) أيضاً.

ينظر ص ٨٧ـ٨٨ من الآجرومية مع شرحها للعلامة الشيخ حسن بن علي الكفراوي الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٢٠٢، وينظر القاموس المحيط (بتع).

(١) لوحة ٣٥أ.

(٢) ٧/٤٨٧.

وقد وجدت ما يفيد أنه توفي رحمه الله قبل سنة ١٢٢٠، وذلك أخذاً من نصٍّ للشيخ محمد عابد سجَّله بخطه على حاشية رسالة «نفحات النسيم الهندي»، أن الوزير (ريحان)، كان قد أخذ عن عمه المرحوم الشيخ محمد حسين.

فقد وصفه بالمرحوم، وكان نَسْخُ الشيخ محمد عابد لهذا الكتاب سنة ١٢٢٠.

وتقدم أول ترجمته أن الشيخ رفيع الدين المرادأبادي، أدركه في جدة سنة ١٢٠٢.

وكانت رحلة الشيخ محمد عابد مع عمه الشيخ محمد حسين إلى بندر الحديدة باليمن في حدود سنة ١٢٠٨.

وعلى هذا تكون وفاته في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، بعد سنة ١٢٠٢، وقبل سنة ١٢٢٠.

وبعد هذه الكتابة، وقفت على صفحة من صفحات الجزء الرابع من كتاب والده: (دفينة المطالب)، وبخط الشيخ محمد عابد، قد سجَّل فيها تاريخ وفاة عمه الشيخ محمد حسين، وأنها كانت «قريب الصبح الصادق ليلة الثلاثاء (١) جمادى الأولى سنة ١٢١١ في بندر الحُدَيْدة، وأرَّخ وفاته بحساب الجُمَّل: (يالها حُسْن خاتمة)، وذلك عن عمر بلغ خمسين سنة.

رحم الله الشيخ محمد حسين، وجعله مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

* * * * *

المبحث الثالث

التعريف بوالده العلامة الفقيه الطبيب

الشيخ أحمد علي الأنصاري السندي

١١٦٨ ـ ١٢٠٢

هو الشيخ أحمد علي بن محمد مراد بن محمد يعقوب الأنصاري السندي، ولقبه والده بـ(غلام رسول)، كما جاء في نصِّ هبة كتابه: «دفينة المطالب» لولده هذا الشيخ أحمد علي.

وُلد الشيخ أحمد علي في السند، وهاجر مع والده الشيخ محمد مراد إلى بلاد الحجاز، واستقر معه فيها.

وقد ذَكَرَه العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لكتاب منحة الباري للشيخ محمد عابد، حين ترجم لأخيه الشيخ محمد حسين، وقال مُثْنِياً عليهما[1]:

«انتقل جد هذا المؤلِّف أي الشيخ محمد عابد ـ أبو أبيه، وهو الشيخ الولي العالم محمد مراد، فصار إلى مكة المشرفة، وجاور فيها حتى توفاه الله.

ثم خَلَفَه ولداه الشيخُ العلامة محمد حسين بن محمد مراد، وأخوه العلامة أحمد علي بن محمد مراد، والد الشيخ محمد عابد المؤلِّف،

(١) نقلت هذا النص نفسَه عن الحوثي في ترجمة الشيخ محمد حسين ص ٨٩، وأعدتُه هنا لاشتراكهما فيه.

فاشتغلا بتحصيل العلوم، والتفنّن فيها، وجَمْعِ الكتب، وتعلّقا بعلم الطب والمباشرة للعلاج، فزادت شهرتُهما، وقُصِدا لعلم الأبدان والأديان، ولما توفي الشيخ أحمد علي انتقل أخوه الشيخ محمد حسين وابنُ أخيه الشيخ محمد عابد إلى بندر الحُدَيْدة...». اهـ.

* وذكره الشوكانيُّ في ترجمة ولده الشيخ محمد عابد[1]، وأنه «كان له حظٌّ في العلم».

* كما ذَكَره ولدُه الشيخ محمد عابد في تراجم شيوخه [2] فقال: «وأخذ عن الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي والدُنا العلامة الفهامة الشيخ أحمد علي». اهـ

وترجم له صاحب نزهة الخواطر[3]، في حرف الميم وسمّاه: (محمد علي)، والمعلومات التي ذكرها هي نفسها المتعلقة بوالد الشيخ محمد عابد، ولم يترجم له في حرف الألف: (أحمد علي)، مع أن الصواب في اسمه هو أحمد علي[4].

ووَصَفَه «بالشيخ العالم الصالح، وأنه سَكَن بجدة مع أبيه الشيخ محمد مراد، حيث أسَّسَ لوالده (ريحانُ الوزير) المسجدَ والرِّباط.

---

(١) البدر الطالع ٢/٢٢٧.

(٢) ص ٦٩ (مخطوط).

(٣) ٧/٤٩٦.

(٤) وقد وجدت في (دفينة المطالب) بخط الشيخ محمد مراد تاريخاً لوفاة ولدٍ له اسمه: (محمدعلي بن محمد مراد)، وأنها في جمادى الأولى سنة ١١٧٤، مما يدل أن ما وقع فيه صاحب نزهة الخواطر له أصل، حيث إن للشيخ أحمد علي والد الشيخ محمد عابد أخاً اسمه: محمد علي.

وقد أدركه رفيع الدين المراد آبادي، وذَكَرَه في كتاب: (أخبار الحرمين)، وقال: إنه مات بعد الحج في أول شهر المحرَّم.

قال صاحب نزهة الخواطر: لعله مات سنة ١٢٠٢هـ[١]». اهـ.

وفي موضع آخر من نزهة الخواطر[٢] في ترجمة أخيه الشيخ محمد حسين الأنصاري قال: «إن والد الشيخ محمد عابد توفي بجدة».

* وكانت ولادة الشيخ أحمد علي في ٥ شهر رجب المرجَّب، سنة ١١٦٨، كما هو بخط والده الشيخ محمد مراد في الجزء الرابع من كتابه: دفينة المطالب.

وفي سنة ولادته هذه وَهَبَ له والده كتابَه السابق الذكر: دفينة المطالب، فقد جاء على غلاف الجزء الثالث منه ما يلي:

«وهَبْتُه لابني الصغير غلام رسول، المسمى بأحمد علي، اللهم اجعله فقيهاً عالماً عاملاً، وزِدْ في عمره وأبيه وإخوته. آمين. سنة ١١٦٨». اهـ.

قلت: ما أجمل هذه الهدية من هذا الوالد العالم لطفلِه الصغير المولود، وما أحسن هذه السُّنَّة التي سنَّها الشيخ محمد مراد، فهذا هو النظر البعيد لعلماء الإسلام في تغذية أبنائهم من أول يوم على العلم النافع، ورَبْطهم به.

* أما سنة وفاته، ففي الصفحة نفسها التي دوَّن فيها والده سنة وفاته،

---

(١) قلت: ذلك أن رفيع الدين كان قد رحل إلى الحجاز من الهند، ثم عاد سنة ١٢٠٣، وسجَّل في كتابه: (أخبار الحرمين) مَن لقي من العلماء، كما في نزهة الخواطر ٧/١٨٢.

(٢) ٧/٤٨٧.

فقد سجَّل الشيخ محمد حسين تاريخ وفاة أخيه الشيخ أحمد علي، في ٥ محرم الحرام، سنة ١٢٠٢ في جدة المحروسة، ثم دعا الشيخ محمد حسين فقال:

«اللهم كن راضياً ومرضياً عنه آمين يارب العالمين، واجعل محمد عابد وعبدالله عالمَيْن عاملَيْن هاديَيْن مهديَّيْن معمَّرين بارَّيْن موفَّقَيْن للخيرات، وقُرَّتَيْ عينين...». اهـ.

وهذا النص يدل على أن للشيخ أحمد علي ولدين هما: الشيخ محمد عابد، وعبدالله.

* وقد توفي الشيخ أحمد علي وهو في مقتبل عمره، وقد بلغ من العمر ٣٤ سنة، رحمه الله تعالى، وجزاه عن العلم والعلماء والإسلام خيراً، فمن أكبر حسناته أن خلَّف للعلم وأهله صاحبَ هذه الترجمة ولدَه الإمام الشيخ محمد عابد.

* * * * *

المبحث الرابع

التعريف ببقية أجداد الشيخ محمد عابد

١ـ أما والد جد الشيخ محمد عابد، فهو الشيخ محمد يعقوب بن محمود، وقد وُصِف في شجرة النسب بالحافظ القاري، فهو من أهل العلم وأهل القرآن، وكانت وفاته رحمه الله سنة ١١٤٨.

٢ـ وكذلك جَدُّ جَدِّ الشيخ محمد عابد، وهو الشيخ محمود ابن الحاج عبدالرحمن، فقد كان من أهل العلم وأهل القرآن، ففي شجرة النسب أنه اشتهر بالحافظ (مَمُّون).

ووصفه أحدُ مَن شَهِد على شجرة النسب، وهو الشيخ دِين محمد ابن المخدوم عبدالواحد المفتي ابن عبدالرحمن القاري بقوله: (المقدَّس)، حيث قال: «أشهد أن مجموعَ الفضائل، ويَنْبُوعَ الفواضل الحافظ محمد مراد الواعظ، والدُه وجدُّه المقدَّس مع الأسلاف إلى آخر الشجرة أنصاريون...».

٣ـ وأما والد الشيخ محمود، أي والد جَدِّ جَدِّ الشيخ محمد عابد، وهو الشيخ الحاج عبدالرحمن، فقد اشتهر بالقاري أيضاً.

٤ـ وكذلك والد الشيخ الحاج عبدالرحمن، وهو الشيخ عبدالرحيم بن محمد أنس، فكان لقبه: زينة القُرَّاء.

وهكذا تشهد هذه النصوص المودَعة في شجرة نسب الشيخ محمد عابد، أن آباء وأجداد الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري هي سلسلة ذهب من العلماء والأئمة القُرَّاء، وأنهم كانوا يعلّمون القرآن وغيره من

العلوم في مسجدٍ خاصٍ بهم في السِّنْد، في سيوستان في محلة تسمى: (العاجين)، وقد تعاقبوا فيه على الإمامة والمشيخة والتدريس.

فقد جاء في الشهادة التي كتبها الشيخ عبدالحليم بن يوسف السيوستاني على شجرة النسب ما يلي:

«أشهد بالاستفاضة والاشتهار أن زُبْدَة التلاميذ، مَجْمَعَ الفضائل، ومَنْبعَ الفواضل الحافظ محمد مراد الواعظ وأسلافَه إلى آخر الشجرة أنصاريون أبو أيوبيون نجّاريون خزرجيون.

ونحو أربعة عشر بطناً بعد بطن في كم سنين، ساكنون في محلة (العاجين) بسبب تعيين سلاطين الإسلام إمامةَ مسجدِ المحلة والتدريس من القرآن وغيره فيه، مع تقرير مَدَد المعاش والجكوك[1] لهم، من غيرِ أن المشايخ محترفون بحرفة (العاجين) أصلاً، وأنا الشاهد المفتقر إلى رحمة الرحماني عبدالحليم بن يوسف السيوستاني - سنة - ١١٠٣هـ». اهـ.

وجاء في الشهادة التي سجلها الشيخ عبدالغني الواعظ سانديوتره على شجرة النسب ما يلي:

«... وهم وأسلافهم من الأشعثِ الإمامِ ابن مَتّ نحو أربعة عشر بطناً ساكنون في محلة العاجين، وأئمةٌ ومدرِّسون في مسجد محلّتهم بسبب تعيين سلاطين إسلام الهند، مع الإنعام من مدد المعاش والجكوك، من غير أنهم محترفون بحِرْفة (العاجين)، وليس لهم معهم قرابة نسباً، كما أن أهل المحلّة أيضاً قائلون شاهدون على رؤوس الأشهاد بذلك، سوى

---

(١) الجكوك جمع جَك، كلمة مستعملة الآن في بلاد باكستان، بمعنى: قطعة الأرض، أي فكانوا يقرّرون لهم المعاش، ويُقطعونهم الأراضي.

الإمامة والمشيخة والتعليم والتدريس في المسجد، فمَن يَنْسِبُ إليهم في هذه الأيام نسبةَ (العاجين) نسباً وقرابة، إهانةً واستخفافاً وإيذاءً، فعليه التعزير بحسب ما يرى الإمام». اهـ

* فهؤلاء هم أسرة الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، وهؤلاء هم آباؤه وأجداده، «فهو بيتٌ مشهورٌ بالفضل، معمورٌ بالعلم، إذ هو من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، لم يزل آباؤه متمسِّكين بالعلوم، وعبادة الحيِّ القيوم، حتى انتقل بعض أجداده إلى السند، فصاروا قضاتَها وأعيانَها، والمرجوعَ إليهم في المهمات، وإصدار الأمور وإيرادها، وتوارثوا هذه الوظائف الدينية أباً عن جَدٍّ، ولم يَخْلُ منهم عن الكمال والعلم أحد» [(١)].

أولئك آبائي فجِئْني بمِثْلهم ... إذا جَمَعَتْنا يا جَرِيْرُ المجامعُ

* وهكذا فليُنظر إلى بعض ما أكرم الله تعالى به هذا الصحابيَّ الجليل أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه، الذي تشرّف وتبارك أيما شرفٍ وبركة بضيافة رسول الله ﷺ، فكان من أبنائه وحَفَدَته وذريته هذه الأسرةُ الطيبة المباركة، العامرةُ بوراثة النبوة والقرآن الكريم، فكانوا حُفَّاظاً وأئمةً ومحدّثين وفقهاءَ، وعلماءَ نبلاء، ملؤوا الدنيا علماً وعملاً، في السند والهند واليمن والحرمين الشريفين وغيرها من البلاد.

ولسانُ حالهم يقول:

أفَلَت شموسُ الأوّلين وشمسُنا ... أبداً على أُفُقِ العُلا لا تَغْرُبُ [(٢)]

---

(١) من كلام الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لكتاب منحة الباري.

(٢) ذكر هذا البيت صاحب اليانع الجني.

فرضي الله تعالى عن جدهم أبي أيوب الأنصاري، وعن ذرياته إلى يوم الدين، وعن الأنصار والمهاجرين، وعنا معهم بفضله وكرمه، والمسلمين والمسلمات أجمعين.

* * * * *

الفصل الثالث

مولد الشيخ محمد عابد

وزواجه وذريته ووفاته

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مولده .

المبحث الثاني : زواجه .

المبحث الثالث : عقبه وذريته .

المبحث الرابع : وفاته .

المبحث الأول

مولد الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري

«ولد الشيخ محمد عابد السندي ببلدة (سِيْوَن) من بلاد السند - والسند هي من بلاد باكستان الآن - على شاطئ النهر، شمالي حيدر آباد السند مما يلي بلدة بُوبْك» (١).

ويقال لبلدة (سيْوَن) (سيوهن) بدون النطق بالهاء، وتسمى أيضاً: (سيوستان)، ولذا ذُكِر في نسب جده الشيخ محمد مراد بأنه (سيوستاني)، كما في شجرة نسبه.

* وكانت ولادة الشيخ محمد عابد في حدود سنة ١١٩٠ (٢).

---

(١) أبجد العلوم لصديق حسن ١٧١/٣، اليانع الجني ٣٥أ، وغيرهما، وقد نَصَّ الشيخ محمد عابد نفسه في آخر كتابه: طوالع الأنوار، أنه ولد في السند، فقال: السندي مولداً، وأيضاً في أول رسالته عن الكرامات، وأول رسالته: غنية الزكي، وكذلك ذكر صاحبُه وتلميذه العلامة لطف الله جحاف في آخر نسخة منحة الباري للشيخ محمد عابد، وبخطه قال: «أمرني مؤلفُ هذا السِّفر الجليل، وهو الشيخ الهمام... محمد عابد بن أحمد علي السندي السيونتاني الأصل والمولد، الجُدَّاوي المنشأ، أن أحرِّر تاريخَ فراغه...».

لكن الجحاف نفسه في تقريظه هو لمنحة الباري، كأن قلمه سَبَق فكتب: «... الأنصاري أصلاً، والجداوي مولداً، والسندي بلداً». اهـ. والصواب أنه سندي المولد، جداوي المنشأ، كما تقدم.

(٢) البدر الطالع للشوكاني ٢٢٧/٢، ولم أرَ غيره نصَّ على تحديد سنة ولادته.

«وكان الحكم والإمامة في بلدة (سيون) آنذاك لملوك (تَتَّـه)، وكانـت أيامُهم أيامَ عِزٍّ وازدهار في كل نواحي الحياة، وفي العلم خاصة.

و(سيون) قرية من بلدة (تَتَّه)، «و(تتَّه) بلدة قديمة معروفـة مـن بـلاد السند، كانت عاصمة السند في الأزمنة الماضية، ومَحْتِداً للعلم والفضل، ومَجْمَعاً للعباقرة والجهابذة.

يقال: إن (جام نظام الدين ننداً) المتوفى سنة ٩٢٣ بناها في أواخر سنة ٩٠٠، ورَقَتْ (تتَّه) رقياً باهراً، حتى صارت أختَ قرطبة وبغداد في الثقافة والحضارة، وكانت بها مئاتٌ من المدارس، يتعلم فيها آلافُ التلاميذ لـيلاً ونهاراً، وهذا سنة ١٠١١.

وأما الآن سنة ١٤٠٢ فـ(تتَّه) بلدة صغيرة من بلاد باكستان، تقع على بعد حوالي ستين ميلاً من كراتشي»[١].

وقد انتهى أمـر هـؤلاء الحكـام، ملـوكِ تتَّـه، وعهـدُهم الزاهـرُ سـنة ١١٩٨، حين تولى أمرَ السند بعدهم (تالبور)، الذي بقي عهـده إلى سـنة ١٢٥٩، حين دخل الإنكليز السند محتلين طاغين[٢]، ثم كان ما كان مـن تقسيمٍ للهند وباكستان.

* * * * *

---

(١) ذكر هذا الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله ص ١٨، في مقدمـة تحقيقـه لرسـالة الشيخ محمد هاشم التتوي السـندي، في اسـتحباب الـدعاء، ورفـع اليـدين فيـه بعـد الصلوات المكتوبة، نقلاً عن محقق الطبعـة الأولى لهـا في باكسـتان: الأسـتاذ المفـتي سيد شَجَاعَت علي القادري.

(٢) ينظر: نشأة باكستان، لشريف الدين بير زادة ص ٣٢ـ٣٥.

المبحث الثاني

زواجه

لما رحل الشيخ محمد عابد السندي مع عمه الشيخ محمد حسين من بلاد الحجاز إلى اليمن، وكان ذلك في حدود سنة ١٢٠٨، واستقرَّ في الحُدَيْدة متنقّلاً بين مدن اليمن، طالباً للعلم والعلماء، كان دخوله مدينة صنعاء سنة ١٢١٣ (١) بطلبٍ من إمام اليمن وحاكم صنعاء آنذاك الإمام المنصور، ليكون طبيبه الخاص، وذلك لاشتهار الشيخ محمد عابد ببراعته وحِذْقه في فن الطب ومباشرته للعلاج.

وقد ذكر مترجمو الشيخ محمد عابد (٢) أنه تزوج ابنة وزير الإمام المنصور، لكن لم يذكروا أيَّ وزيرٍ منهم، حيث ولي له الوزارة جماعة(٣)، وقد اجتهدت في تحديده من بينهم، لكني لم أستطع، حيث لا مرجِّح.

ثم أكرمني الله تعالى بنصٍ حدَّد لي اسمَ زوجته، واسمَ أبيها في زاوية من خبايا تعليقات الشيخ محمد عابد على ما ملكه من كُتُب.

---

(١) البدر الطالع ٢/٢٢٧، التقصار في جِيْد زمن علامة الأقاليم والأمصار، للشجني لوحة ١٩٩، وهو كتاب مخطوط خاص بترجمة الشوكاني وذِكْر مشايخه وتلاميذه، وهو من محفوظات مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة، ثم علمت أنه طُبع في اليمن.

(٢) أبجد العلوم ٢/١٧١، اليانع الجني لوحة ٣٥، وغيرهما.

(٣) ينظر البدر الطالع ١/٤٦٠-٤٦١.

فقد وجدت على الصفحات الأولى من المجلَّد الأول من نسخةٍ لكتاب: مجمع الزوائد، للهيثمي، نُسِخت بتاريخ ١١٥٤، وعليها تملكُ الشيخ محمد عابد السندي سنة ١٢١٧ بصنعاء اليمن، محفوظةٍ في المكتبة المحمودية برقم ٤٥٧، وقد نَسَخَ الشيخ محمد عابد بخطه على الصفحات الأربع الأولى من هذا المجلد رسالةً للإمام السيوطي، وهي: مَطلع البَدْرَيْن فيمَن يُؤتَى أجْرَه مرتَيْن، في كل صفحة منها (٣٨) سطراً، وفي كل سطر (٢٣) كلمة.

ثم تليها رِسالة أخرى بخط آخر جميل، في ثلاث صفحات وربع، عنوانها: بُزُوغ الهلال في الخِلال الموجِبة للظلال، للسيوطي، ولم يكتب الناسخ اسمَه، ثم رأيت تحت آخر سطرٍ من الرسالة بخط الشيخ محمد عابد العبارة التالية:

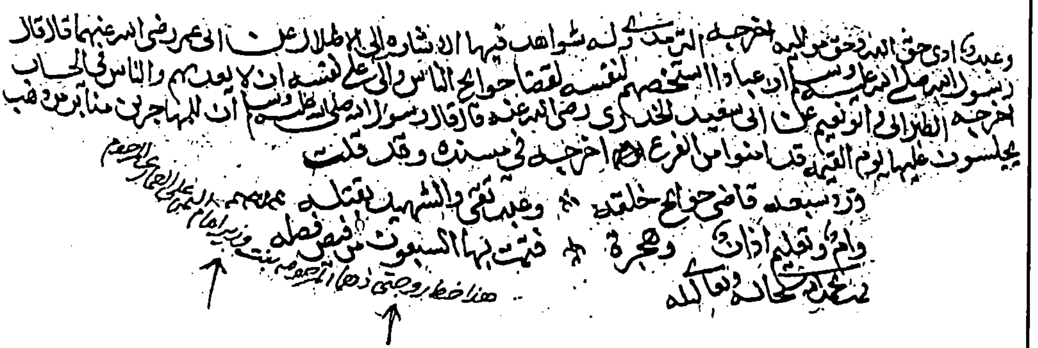
«هذا خط زوجتي دَهْما [(١)] المرحومة بنت وزير إمام اليمن علي العَمَّاري المرحوم» اهـ.

فسررت بهذا النص كثيراً، حيث عرفت به اسمَ زوجته، واسمَ أبيها تحديداً، وأنها كانت مشتغلة بالعلم على أقل تقدير، إن لم تكن عالمة، وأنها وأباها قد تُوفِّيا في حياة الشيخ محمد عابد، ورَحِمَ اللهُ الجميع.

وفيما يلي صورة لتلك الصفحة، ويظهر فيها خطها، وخطُّ الشيخ محمد عابد.

---

(١)ومعنى (دهماء) شديدة الاخضرار، فالعرب تقول لكل أخضر: أسود، ومنه قوله تعالى: ﴿ مدهامتان ﴾: أي سوداوان من شدة الخضرة من الرِّي، ويأتي دهماء بمعنى: الحمراء الخالصة الحمرة، ينظر مختار الصحاح (دهم).


وعبد ادى حق الله وحق مواليه اخرجه الترمذي وله شواهد فيها الاشارة الى الاطلاع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا استخصهم لنفسه لقضاء حوائج الناس وآلى على نفسه ان لا يعذبهم والناس في الحساب
اخرجه الطبراني وابو نعيم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمهاجرين منابر من ذهب
يجلسون عليها يوم القيامة قد امنوا من الفزع الاكبر اخرجه في مسنده وقد قلت

وزد سبعة قاضي حوائج خلقه ... وقبل ثغر والشهيد بقتله
وام وتعليم اذان وهجرة ... فتمت بها السبعون من فيض فضله
تم بحمد الله سبحانه وتعالى

هذا خط زوجتي دهما ... بنت وزير امام اليمن علي العماري ...

الصفحة الأخيرة من رسالة «بزوغ الهلال» للإمام السيوطي بخط زوجة الشيخ محمد عابد:

(دهما) بنت وزير إمام اليمن علي العمَّاري

* وحين عرفتُ اسمَ والد زوجة الشيخ محمد عابد، وتبيّن لي بمراجعة ترجمته أنه كان من خيار السادة الوزراء، ومن كبار العلماء الأذكياء، وممن يَفْتخر الدهرُ بذكرهم، لذا رأيت من المستحسن أن أذكر نبذةً عن حياته، لنتعرّف على هذا البيت الكريم، وهذه الأسرة العظيمة في الجاه والعلم، التي أكرم الله تعالى بها الشيخ محمد عابد، فتزوج منها، والتقى سليلُ العلم والأدب والفضل والدين والنسب، ببنت العلم والفضل والأدب والجاه.

فأبوها هو الوزير علي بن صالح العَمَّاري ثم الصنعاني، المولود سنة ١١٥٠ تقريباً، وقد ترجم له الشوكاني (١)، وأثنى عليه ثناءً عظيماً إلى حدٍ كبير في العلم وفي الوزارة.

فإنه لما بويع الإمام المنصور بالخلافة بعد والده، أعطاه الولاية على بندر المَخَا، وهو أكبر ولاية في القُطْر اليمني، وقد شَكَرَ الناسُ ولايتَه، وحُسْنَ تدبيره للأمور، ثم صار بعد ذلك أحدَ وزراء الإمام المنصور في صنعاء.

هذا عن وزارته، أما عن نشأته العلمية وترقّيه فيها، فقد ذكر الشوكاني «أنه قرأ على علماء عصره في كثيرٍ من الفنون، وبَرَعَ في علوم الأدب، وشارك في التفسير والحديث مشاركةً قوية، وتفرَّد بمعرفة فنونٍ، كعلم الهيئة والهندسة، كما تفرَّد بموادّ الكتابة والإنشاء وعلوم الأدب، وجَوْدة النَّظْم والنَّثر، بل ذُكر أنه يَفْضُلُ كثيراً من الأفاضل المتقدمين المتفرِّدين بالبلاغة، لما له من دقة الذهن، وممارسة العلوم الدقيقة، وكان حَسَنَ الخط على حدٍ يَقْصُرُ عنه الوصف.

---

(١) البدر الطالع ١/٤٤٦ـ٤٥٦.

وهكذا كان متفرِّداً بكثير من المحاسن، بل هو قليل النظير في مجموعه، فهو من محاسن العصر، ومفاخر الدهر.

ومع ولايته لبندر المَخَا، فكان بيتُه منتدىً يلتقي فيه أهل العلم والفضل، يتبادلون الفوائد والعلوم، وكان من تواضعه أخذه عن كلِّ مَن رأى لديه علماً لا يعرفه، وكان يستفيده في أسرع مدة». اهـ.

كما أثنى عليه كثيراً لُطْفُ الله الحجاف في درر نحور الحور العين [(١)]، وذكر أنه «كان له شغف بالحديث وأهله، ومعرفةٌ لقَدْره ومحله».

وتوفي رحمه الله سنة ١٢١٣، وله أولاد عدة: (أحمد) وهو أكبرهم، وكان على سَيْر والده في العلم، و(حسين) وقد ترجم له الشوكاني، و(إسماعيل ومحمدٌ وقاسم)، وهؤلاء كل واحد منهم على حَدَاثة أسنانهم، له شغلة بالعلم والبلاغة والنظم والنثر، والكمال في فنون الأدب.

* وعلى هذا يغلب على الظن أن زوجة الشيخ محمد عابد، وهي (دهماء)، وقد رأينا خطها، أنها كإخوتها في العلم والفضل، والشيء من معدنه لا يُستغرب، فمثل هذا البيت ليس ببعيد عليه أن ينتج العلماء الأعلام، والعالمات الفاضلات. فما أسعد الشيخ محمد عابد بهذه الأسرة الكريمة الفاضلة علماً وأدباً وجاهً، وما أسعد هذه الأسرة بسليل العلم والأدب والفضل والدين، وسليل الجاه والعزِّ أباً عن جد.

وهذه كلها مِنَحٌ وهِبَات ربانية، ساقها الله إليه، ليُتِمَّ عليه نعمتَه من فضله، حيث جعله في نفسه وأصوله وفروعه، وحتى في خاصة أهله وهي

---

(١) (مخطوط) في وفيات سنة ١٢١٣.

زوجته، من أهل العلم والفضل والكمال.

* وَيظهر أن الشيخ محمد عابد كانت صلته بهذا الوالي الوزير، العالم الكبير، حين دخل بندر المَخَا في حدود سنة ١٢١١ وهو والٍ عليه، فالتقت أرواحهما، وتجاذبا العلم الذي كان عند كلٍ منهما الغايةَ الأولى، وكان ما كان بينهما من صِلات.

وهكذا حين رأى هذا الوزير ما أكرم الله تعالى به الشيخ محمد عابد من فضائل وعلم غزير، زوّجه ابنته (دهماء).

* ومن هنا استطعت أن أعرف كيف اتصل الشيخ محمد عابد بخليفة اليمن وحاكمها الإمام المنصور، حيث يُتوقع غالباً أن هذه الصلة كانت عن طريق والد زوجته، والي ووزير الإمام المنصور، بترشيحه ليكون طبيباً خاصاً له، أو أن الإمام المنصور سمع به وببراعته وحِذقه في الطب، فاستدعاه بنفسه.

وهكذا قويت الصلة بين الشيخ محمد عابد وبين الإمام المنصور، ومِن بعده مع أبنائه حكام اليمن المتوكل والمهدي، فكان عندهم محبوباً مقدَّماً مكرَّماً.

ولا ننسى أن الشيخ محمد عابد هو سليل هذا العز والجاه، فهو وأسرته ممن تُجَمَّل بهم مواقف الرجال العِظام، فقد تقدم أن أجداده في السند كانوا هم المقدَّمين في القضاء والأحكام من قِبَل سلاطين الإسلام في الهند، وهذا جده الأخير الشيخ محمد مراد ممن سعى إليه الوزير (ريحان)، فبنى له مسجداً ورباطاً ومكتبة عامرة في مدينة جدة كما تقدم.

وسيأتي في مبحث رحلات الشيخ محمد عابد الكلام عن صلته بالحُكَّام، وأن هذه الصلات كلها، مع ما فتح الله عليه من الدنيا بسببها،

لم تُغيِّر من الحال المعنوية للشيخ محمد عابد شيئاً، بل كانت صلاته معهم موسومةً بكل نزاهةٍ وزهد وورع، وعدم تطلعٍ للدنيا وزخارفها، كما وَصَفَه بهذا مترجموه.

بل إنه استعمل ما استفاده من الدنيا ووجاهتها في خدمة العلم ونشره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

* * * * *

المبحث الثالث

عَقِبُه وذرِّيته

بالنظر في الكتب التي ترجمت للشيخ محمد عابد السندي، تجد أنها تكاد تُجمع على أنه مات ولم يخلِّف أحداً، بل مات عقيماً، كما نص على هذا تلميذه عاكش [(١)]، وصاحب اليانع الجني [(٢)]، وصديق حسن خان [(٣)] وغيرهم.

وكذلك فإن نصوص وقفيات الشيخ محمد عابد الكثيرة، التي سجَّلها على كتبه الخاصة سنة ١٢٤٩، أي قبل وفاته بثماني سنين، والتي وقفها على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، يُفْهَم منها أنه إلى ذلك التاريخ، لم يكن له عَقِبٌ من الذكور أو الإناث، وكل هذه الوقفيات عباراتها قريبة من بعضها البعض.

ومن هذه الوقفيات، ما جاء على مجموعٍ بخط يده محفوظ بالمحمودية، وَقَفَه على السادة ورئيسهم في قرية (متاري) بالسند، ولكن آلت هذه النسخة أخيراً إلى المكتبة المحمودية، وهي فيها برقم ٢٦٤٠،

---

(١) في كتابيه: عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، (مخطوط)، حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر، وتوجد لديَّ صورة عن مخطوطة كلٍ منهما، وقد طبع حدائق الزهر، وترجمته في ص ١٥٤.

(٢) لوحة ٣٧.

(٣) أبجد العلوم ٢/١٧٢.

فقد جاء نص الوقفية عليها كما يلي:

(وَقْفٌ لله تعالى، والنظر فيه لنفسي مدة حياتي، ثم للأرشد فالأرشد من ذريتي، ذكراً كان أو أنثى إن كان لي عقب، وإلا فلأكبر السادة ورئيسهم في قرية (متاري) من بلاد السند، ينتفع به الخاص والعام، كَتَبَه مالِكُه وواقفُه محمد عابد السندي في ربيع الآخر سنة ١٢٤٩).اهـ

* وجاء في وقفيته على المجلد الأول من كتاب (شرح صحيح مسلم) للنووي، المحفوظ في المحمودية برقم ٧٧٢ ما يلي:

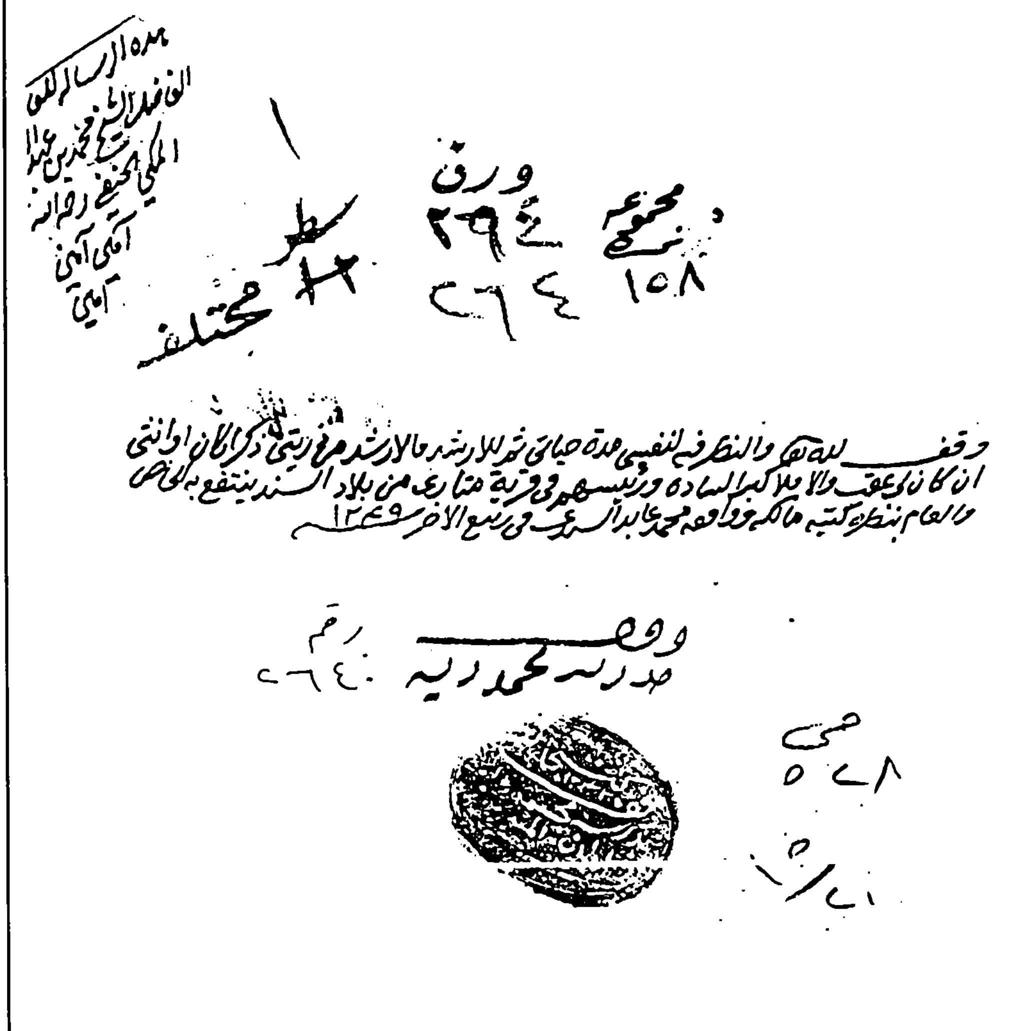
«وقفتُ لله تعالى هذا المجلد من شرح مسلم للإمام النووي في ذي القعدة سنة ١٢٤٩، والنظر فيه لنفسي مدة حياتي، ثم الأرشد من ذريتي، ذكراً كان أو أنثى إن كان لي عقب، وإلا فللأرشد من ذرية جدي شيخ الإسلام محمد مراد ابن الحافظ يعقوب بن محمود الأنصاري السندي، ذكراً كان أو أنثى، ينتفع بنظره العام والخاص، كَتَبَه واقفُه محمد عابد ابن الشيخ أحمد علي بن محمد مراد الأنصاري، تقبل الله منه، ورضي عنه وعن والديه وأسلافه ومشايخه، رضاءً لا سخط بعده آمين». اهـ

* وكتب على غلاف الجزء الأول من كتاب جده: (دفينة المطالب) الوقفية التالية:

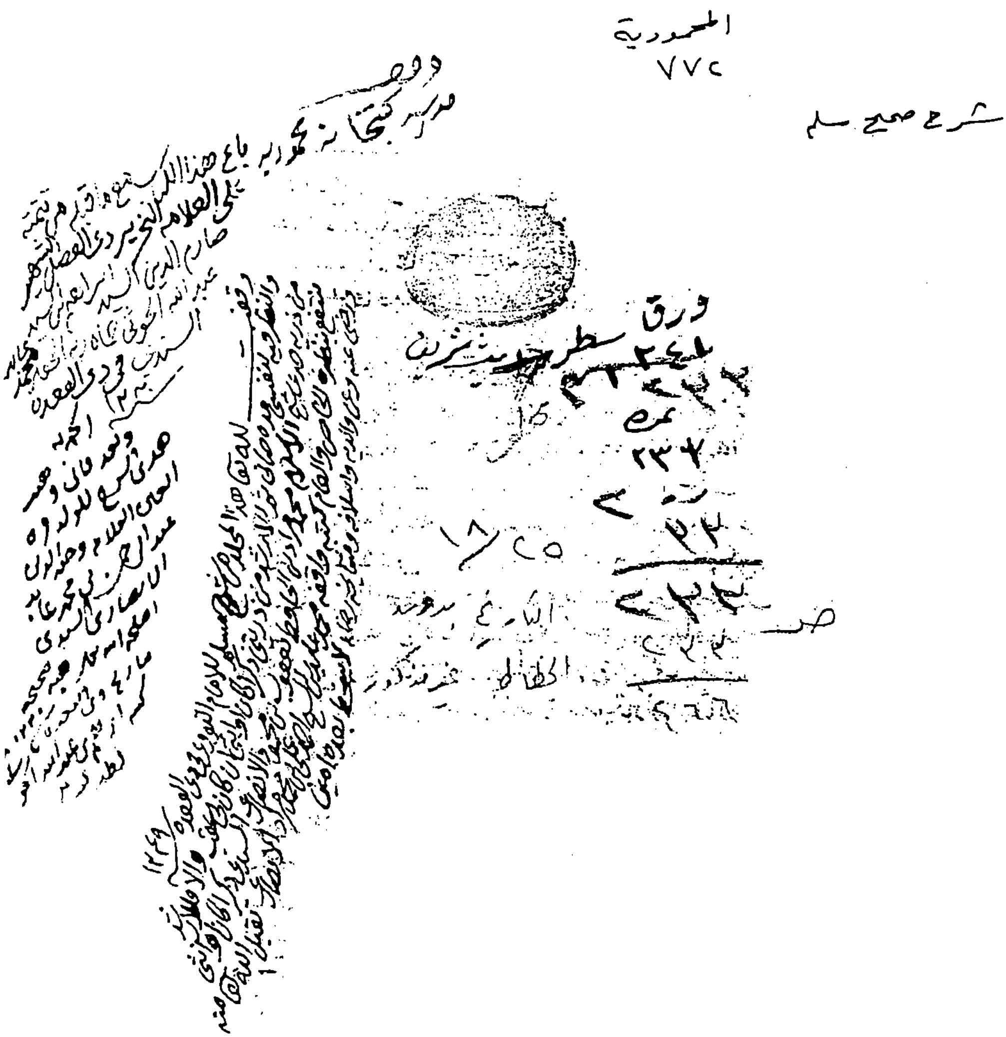
«وقفتُ هذا المجلد، وما بعده من المجلدات الثلاثة، ابتغاءً لمرضات الله تعالى، وجعلت النظر فيه لنفسي مدة حياتي، ثم إن كان لي ولدٌ ذكر أو أنثى بعد موتي، فالنظر له ثم لأولاده وأولاده، الأرشد فالأرشد، وإن متُّ من غير عقب كان النظر فيه لأكبر السادة ورئيسهم في قرية (متاري) من بلاد السند، ينتفع به الخاص والعام بنظره، حُرِّر في ربيع الآخر سنة ١٢٤٩». اهـ

وقد آلت هذه النسخة بأجزائها الأربعة إلى المحمودية، كما تقدم.

وهكذا سائر وقفياته رحمه الله تعالى، وفيما يلي صورة للوقفية الأولى والثانية، مما تقدم ذكره بخط الشيخ محمد عابد:



صورة لإحدى وقفيات الشيخ محمد عابد



صورة لإحدى وقفيات الشيخ محمد عابد،

وفيها خطه ببيعه هذا الجزء من شرح صحيح مسلم على العلاَّمة الحوثي،

كما يظهر خط الحوثي بهبته هذا الجزء لولد الشيخ محمد عابد

* وهذه الوقفيات يُفهم منها أن الشيخ محمد عابد لم يخلّف أحداً من الذرية بعده، وكأنه من هذه العبارات كَتَبَ مترجموه ما كتبوا.

ولكن الواقع غير هذا، فإنه رُزق ولداً ذكراً، ثم مات صغيراً، وكذلك بنتاً وماتت صغيرةً.

وبيان ذلك، أنني حين وقفت على نسخته السابقة الذكر من المجلد الأول من شرح صحيح مسلم، وجدت عليها ما يفيد أنه كان له ولد اسمه: (عبدالرحمن)، وأُهديت له هذه النسخة، من قِبَل العلامة الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحوثي، صاحب الشيخ محمد عابد وصديقه.

فقد جاء على غلاف هذه النسخة بخط الشيخ محمد عابد السندي ما يلي [1]:

«[redacted] باع هذا الكتاب مع ما قبله من تتمته، على العلامة النِّحرير، ذي الفضل الشهير، صارمِ الدين السيد إبراهيم ابنِ السيد عبدالله الحوثي حماه ربه.

الحقير محمد عابد السندي في ذي القعدة سنة ١٢٣٠». اهـ

وتحت خط الشيخ محمد عابد السابق تماماً، كَتَبَ بخطه الشيخُ إبراهيم الحوثي ما يلي:

«الحمد لله وبعد: فإني وهبتُ هذا الشرحَ للولد قُرَّة العَيْن الغلام وجيهِ الدين عبدِالرحمن بن محمد عابد الأنصاري السندي، أصلحه الله تعالى،

---

(١) ينظر صورة هذه المخطوطة في الصفحة السابقة.

هبةً صحيحة، بتاريخ ذي القعدة سنة ١٢٣٠. كَتَبَه إبراهيم بن عبدالله الحوثي لَطَف الله به». اهـ.

فهذا نص ناطق بأن للشيخ محمد عابد ولداً اسمه: (عبدالرحمن)، ووَصْفُ مُهْديه له بالغلام، ودعاؤه له بالصلاح دليل على أنه كان صغيراً.

وعلى هذا، فالكتاب كان ملكاً للشيخ محمد عابد السندي، وهو في اليمن سنة ١٢٣٠، وباعه للشيخ إبراهيم الحوثي، ثم وَهَبَه الشيخ الحوثي لولد الشيخ محمد عابد، وهو (عبدالرحمن)[١]، ويظهر أنه مات في حياة والده، حتى عاد مِلْكُ الكتاب للشيخ محمد عابد ثانية، وكتَبَ وقفيتَه على النسخة نفسها، على المكتبة المحمودية سنة ١٢٤٩، وفيها يقول: «... إن كان لي عقب، وإلا فللأرشد من ذرية جدي شيخ الإسلام...».

* وبعد أن كتبتُ هذا كله، رأيتُ نصاً أزال كلَّ شك في إثبات عقبه، وذلك حين كنت أطالع في شرح مسند أبي حنيفة للشيخ محمد عابد: المواهب اللطيفة[٢]، وهو يشرح حديث: «شُؤْم المرأة: سوءُ خُلُقِها، وعُقْر رَحِمِها»، قال رحمه الله:

«وعُقْرُ رَحِمِها: بأن كانت موصوفةً بذلك، أو أنها قد مضت لها عند زوجها مدةً، فما حَمَلَت له، وهو لو تزوَّج أخرى أو تسرَّى ما كان له عن التناسل مانع.

---

(١) وأنبه هنا أن العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله، حين ذكر الشيخ محمد عابد السندي في الرسالة المستطرفة ص ٨٥، كنَّاه بأبي عبدالله، ولم أقف للشيخ محمد عابد على ولدٍ له اسمه عبدالله، فلا أدري ماهو سنده في هذه الكنية؟ أو أنه كنَّاه من عنده بما يُكنَّى به غالباً مَن اسمه محمد.

(٢) ج ٢/ لوحة ١٠ مخطوط.

وأما إذا عُرِف زوجُها بـالعُقْم، وهـي قـد ولَـدت لزوجهـا الأول، أو تزوجت بكراً، لكنها بنتُ أناس يكثُر التناسل فيهم، فلا مأخذٌ عليها.

وهكذا كاتبُ الأحرف محمد عابد السندي قد تزوَّج وتسـرّى كـثيراً، ولم تلد له إلا جاريةٌ ابناً، ومات في صغره، وحُرَّةٌ بنتاً، وماتت كذلك في صغرها.

وقد طلَّق بعضَ نسائه، فتزوَّجَتْ بزوجٍ آخر، فولَدت له ما شاء الله. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما مَنَع، سبحانه وتعالى، ربنـا هـب لنـا مـن أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماما. آمين».اهـ.

* وكأن الشيخ محمد عابد بعد تدوينه لهـذا الخـبر عـن مـوت ولـده وبنته، وهو يكتب في شرح مسند الإمام أبي حنيفة الذي انتهى مـن تأليفـه سنة ١٢٣٢، كما سيأتي، كأنه بقي بدون ذرية، ولذا لما وصل إلى أواخـر شرحه السابق، كان يَلهج بالدعاء بطلب الذرية الصالحة.

فإنه لما شَرَحَ حديث «إن أولادكم من كسبكم»(١) خَتَمه بقوله: «اللهم ارزقني ذرية صالحة، ولا تجعلني عقيماً، ربِّ هَـبْ لي مـن لـدنك ذريـة طيبة إنك سميع الدعاء. ربِّ لا تذَرْني فرداً وأنت خير الوارثين». اهـ.

* وهكذا توفي الشيخ محمـد عابـد السـندي رحمـه الله تعـالى، ولم يخلِّف عقباً، بعد أن مات أولاده صغاراً، ولكن كما قال أبو الفتح علي بن محمد البُسْتي، الشاعر الأديب، والمحـدِّث الفاضـل، الفقيـه الشـافعي، المتوفى سنة ٤٠٠ رحمه الله تعالى:

---

(١) المواهب اللطيفة ٢/ ٤٢٠.

«يقـولون ذِكْـرُ المـرء يبـقى بنَـسْـله

وليـــس له ذِكْـــرٌ إذا لم يكـن نَسْـلُ

فقلـتُ لهـم: نَسْـلي بدائعُ حِكْـمتي

فمَن سـرَّه نَسْلٌ، فإنا بذا نَسْـلوا»[١]

وكما قال صاحب اليانع الجني[٢]:

«ولم يخلِّف الشيخ رحمه الله عقباً، ونِعْمَ العَقِبُ ما أعقبه من خيرٍ يُذْكَر به، مع ما أسلف من أعماله الزاكية فَرَطاً عند الله، رضي الله عنه، وجزاه عني وعن سائر أهل العلم والمسلمين، وأعلى درجته فيمن عنده بأعلى عليين، وجعله من عظماء ملكوت السماء، ووفَّر حظَّه من جميل المثوبة، وحُسْن الثناء». اهـ.

* * * * *

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٤٢٣.

(٢) لوحة ٣٧ أ.

المبحث الرابع

وفاته

تقدم أن ولادة الشيخ محمد عابد السندي كانت في حدود سنة ١١٩٠، وبعد عُمُر عامرٍ، مليءٍ بالخير والعلم والدين والصلاح، ونفعٍ للإسلام والمسلمين، مع تَطْوافه لغالب الآفاق، فإنه استوطن آخر عمره المدينة المنورة، وهو رئيسٌ لعلمائها، ثم أكرمه الله بالموت فيها، «فكانت وفاته رحمه الله يوم الاثنين لسبعَ عشرة خلَوْن من شهر ربيع الأول، سنة سبع وخمسين ومائتين وألف (١٢٥٧)، عن سبعٍ وستين سنة تقريباً.

ودُفن بالبقيع قُبَالة سيدنا عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه، وعلى يمين المتوجِّه إليها من قِبَل دار عقيل رضي الله عنه»[١].

وقال تلميذه عاكش[٢]:

«وآخرُ مدة المترجَم له، اتخذ المدينة المنورة دار وطن، وكان يتردد منها إلى مكة المشرفة، حتى نَقَلَه الله تعالى إلى جواره عام سبعة وخمسين بعد المائتين والألف، وقُبِر في بقيع الغرقد، وبلّغه الله ما تمنّاه، فإنه كان يقول: ما سكنتُ المدينة إلا عسى أن أموت بها».

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والعلم خير الجزاء، وجعله مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين.

* * * * *

(١) اليانع الجني ٣٦ب.

(٢) عقود الدرر (مخطوط).

الباب الثاني

أخلاق الشيخ محمد عابد وخِصاله

الباب الثاني

أخلاقه وخِصاله

لقد أكرم الله تعالى الشيخ محمد عابد السندي بكريم الخصال، ونبيل الخِلال من الأخلاق الفاضلة، وعالي الصفات الكاملة، وكأنه ــ رحمه الله ـ جُبِل على ذلك، وزاده الله من فضله بما هيّأ له من نشأة وعناية ورعاية، فقد تربى في بيت العلم والفضل والشرف والأدب، وتَشرّب بذلك منذ نعومة أظفاره.

ولقد أثنى عليه مترجموه وعارفوه في ذلك ثناء عطراً، حتى قال تلميذه لُطْفُ الله جحّاف في تقريظه لكتاب: (منحة الباري) للشيخ محمد عابد:

خِلْتُ الفضائلَ في مُحَمَّدِ عابدٍ ... جُمِعَتْ كجَمْعِ قِلامِه للشارد

وعلَّق عليها شارحاً بقوله:

«أي كما أن أقلامه جَمَعَتْ الفوائد الشاردة من الذِّهن، كذلك الفضائل اجتمعتْ فيه». اهـ

* وقال العلامة الأميرُ الصغيرُ، الفقيهُ المالكي النِّحرير الشيخ محمد ابن محمد بن محمد السَّنْباوي الأزهري، المتوفى بعد سنة ١٢٥٣ ــ وهو ابن العلامة الشهير، الأمير الكبير، صاحب الثَّبَت المشهور، المتوفى سنة ١٢٣٢ - وذلك فيما كتبه في تقريظه لكتاب: (منحة الباري) للشيخ محمد

عابد، وهو يَصِفُ خصال مؤلِّفه مجملة فيقول:

«ولا بِدْعَ، فإن مؤلِّفَه قد حاز من كل شيء أَحْسَنَه، واستقصى الدرجةَ العليا، فظَفِر بها على الوجوه المستحسَنة، سَبَحَ في بحور تلك اللطائف الربانية، ووَرَدَ ينابيعَ المعارف الرحمانية، فأتى بجوامع الكَلِم الإيمانية، وصحيحِ الأحاديث النبوية، فلهذا لاحت على جامعه أنوارُ الشموس الباهرة، وصار بين أقرانه بدرَ سمائهم الزاهرة.

ألبسه الله حُلَلَ السعادة العظمى، وتَوَّجَه تاجَ الكرامة الأسمى، ولا زال محمداً محموداً متعبِّداً عابداً، مشهوداً نفعاً صِرْفاً لجميع الأنام، مقروناً بالعزِّ واللُّطْف في كل حال ومقام». اهـ.

* وقال العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي فيما كتبه مقرِّظاً لكتاب: منحة الباري، وهو يذكر نبذة عن حياة مؤلفه:

«... هذا مع فضائل عديدة غير العلم، من الكرم والمروءة، وحُسْن الخُلُق والتواضع» اهـ.

ويقول تلميذه الشيخ عاكش: «وكان شديدَ الأنفة، قَريبَ النُّفْرة مما يسوء»[(١)].

وإن الدارسَ لحياة الشيخ محمد عابد، والمطلعَ على أحواله وأخلاقه العالية، يرى شيئاً عَجَباً، ولكن الشيء من معدنه لا يُستغرب، فقد كان له الحظ الأوفر من كل خلق كريم، وفِعل نبيل.

وفيما يلي أذكر ما وقفتُ عليه من ذلك، لنُشَنِّف بذلك أسماعنا،

---

(١) حدائق الزهر، عقود الدرر لعاكش.

ونطيِّب بذكر أخباره مجالسنا، وليكون ذلـك حـافزاً لنـا، لنجـدِّد العـزم، ونشحذ الهمة، لنقتدي بأخلاق العلماء، وكـريم خِلالهـم وخصـالهم، أو ـ على الأقل ـ أن نتشبه بهم، لننال السعادة والفَلاح والنجاح.

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلَهم إن التـشَـبُّـهَ بالكِـرام فَـلاح

١ ـ زهده وكرمه:

قال صاحب اليانع الجني [١] وهو يصف الشيخ محمد عابد:

«الزاهد المتجـافي عـن الـدنيا وزخارفهـا، المُعْـرِض عـن مَرَاقهـا [٢] ومعاطِفِها»، مع أنه «استفاد دنيا واسعةً من المنصور بالله علي ابن المهدي العباس إمام اليمن في عصره» [٣].

بل كان يبذل ذلك كله في رحلاتـه في طلـب العلـم، وفي استنسـاخه للكتب وشرائها، مع كرم وبذل وعطاء.

* ومما ذُكر من كرمه، أنه كان يجود على مَـن يـنزل عنـدهم، كرمـاً وتأليفاً لهم، فقد قال صاحب اليانع الجني [٤]:

«بلغني أنه جاء مرّةً ليُلْقي بها ـ أي بالمدينة المنـورة ـ جِرانـاً، ويتَّخـذ من أهلها جيراناً، فنزل عليهم يَحْبُوهم ويَـنْحَلُهم ممـا أعطـاه الله، ويقـوِّم الأَوَدَ منهم بنُصْحه، ويسدُّ الثُّلْمة منهم بوعظه...».

---

(١) ٣٤/أ.

(٢) المَرْق هو الإهاب المنتن. (القاموس المحيط).

(٣) حدائق الزهر، عقود الدرر، نيل الوطر ٢/٢٧٩ نقلاً عن عاكش.

(٤) ٣٥أ.

* كما أشار إلى زهده، وبَذْل ماله في سبيل العلم، صاحبُه وتلميذه لطف الله جحاف في نظمه الذي كتبه تقريظاً لكتاب: منحة الباري، حيث قال:

لا زِلْتَ بين أُولي النُّهَى متطبِّباً ... ما النَّبضُ دلَّ على المِزاج الفاسد
ومعلِّماً نَهْجَ الشرائع باذِلاً ... فيه النَّفيسَ، ورأسَ مالِ الحامد

٢ـ تواضعه وانكساره لله تعالى:

كان من تواضعه رحمه الله، هَضْمه الشديد لنفسه، ونُفْرتُه الظاهرة من التفاخر والتعالي، ورؤيته لنفسه أنه أقلُّ الناس، مع ما آتاه الله تعالى من مِنحٍ وعطايا، وعزٍّ وجاه.

وهذا التواضع الجَمّ، كانت تنضح به نفسُه عفوياً، ويسيل به قلمُه متدفّقاً في سطورِ كثيرة من كتاباته، إذ كلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَح.

ففي إجازته للشيخ عارف حكمت (١) قال:

«... وقد طَلَبَ مني - حُسْنَ ظنٍ منه - إجازةً فيها، وفي جميع ما يجوز لي روايته، فلم أجد من امتثال أمره بُداً، وإلا فأنا أحقر مِن أن أذكَر، فأجزت له ...».

* وفي مقدمة كتابه: فَكُّ المِحْنَة (٢) يقول:

«أما بعد: فيقول أضعفُ عباد الله تعالى وأحقرُهم، وأفقرُهم إلى الرضوان الأبدي محمد عابد بن أحمد علي السندي ...».

---

(١) شهي النغم ص ٢٠٣.
(٢) مخطوط.

* ويقول في آخر كتابه: حصر الشارد [١]:

«... وأرجو مِن كل مَن طالع فيه، أن لا ينساني من الدعاء بالمغفرة من الذنوب، فقد ارتكبت منها مالو ظَهَرَ لبعضٍ أدناها ريحٌ، لأنتن العالَم [٢]، ولا يسعني إلا أن أقول بلسان الحال والمقال: اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي، يا غفار الذنوب، ويا ستار العيوب اغفر ذنوبَنا كلَّها: دِقَّها وجِلَّها، وأولها وآخرَها، سِرَّها وعلانيتها، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم لا تُنْسِنا ذِكْرَك، ولا تَهْتِك عنَّا سِتْرَك، ولا تجعلنا من الغافلين». اهـ.

٣ ـ ومن تواضعه العلمي ما ذكره هو في كتابه المواهب اللطيفة [٣] في مسألة رفع اليدين في تكبيرات الانتقال، بعد أن رجَّح جوازَ الرفع قال:

«فلعل مَن يَطَّلعُ على أَحْرُفي هذه، يتبيَّن له خلافَ ما ترجَّح لي، على

---

(١) لوحة ٣١٤ب.

(٢) وللشيخ محمد عابد سلف في هذا، وهو ما روي عن أحد سادات وكبار التابعين، الإمام الرباني القُدوة، سيّدِ القرّاء وعالم البصرة أبي عبدالله محمد بن واسع ابن جابر الأزدي البصري، المتوفى سنة ١٢٣ رحمه الله تعالى، فقد قال سفيان بن عيينة: قال محمد بن واسع:
«لو كان للذنوب ريحٌ ما جَلَسَ إليَّ أحد» كما في سير أعلام النبلاء ٦/ ١٢٠.
هكذا كانا يقولان رحمهما الله تعالى، وهما مَن هما، ولكن إنما هي محاسبة خاصة، وظننا بهم غير هذا، ولا يسعنا أن نقول نحن إلا ما دعا به الشيخ محمد عابد. اللهم آمين.

(٣) شرح مسند أبي حنيفة ٢/ ٢٢٥ (مخطوط).

وجهٍ يقتضي دَفْعَ هذه الأدلة بنوعٍ إنصافٍ يحرِّر ذلك، فأستفيد، فإن الحكمةَ ضالّةُ المؤمن». اهـ.

* ومن صور تواضعه العلمي، أنه لما طَلَبَ شيخُ الحرم الرئيس المعظَّم قاسم آغا من الشيخ محمد عابد، أن يكتب تحريراً لمسألةٍ أفتى بها مفتي المدينة المنورة الشيخ أبو بكر بن عبدالسلام الداغستاني، وحَصَل فيها خطأ، فكتب الشيخ محمد عابد رسالته التي سمّاها: (القول الجميل في إبانة الفرق بين تعليق التزويج وتعليق التوكيل)، وبيَّن فيها الصواب في المسألة.

لكنه لم يُرِدْ أن يُظهر نفسَه أنه هو المتفرِّد بتصويب المسألة، تواضعاً منه، وهَضْماً لنفسه، فلم يُظهر جوابه أولاً، وطلب من الشيخ محمد صابر أحد العلماء المعاصرين له المعتمَدين، وكان قد وصل هذا الشيخ إلى مكة المكرمة، فطلب منه الشيخ محمد عابد أن يكتب جواباً وتصحيحاً للمسألة، ففعل، وسمّى رسالته: (القول السديد بتعليق الوكالة بالتقييد[1]، وقد قال الشيخ محمد صابر في مقدمتها:

«... فأمرني الشيخ العلامة، والحَبْر الفهّامة الشيخ محمد عابد السندي أن أكتب عليه، وقد كَتَبَ بنفسه فيها جواباً صحيحاً موافقاً لما في الكتب المعتمدة، بالتحقيقات والتدقيقات المعتبرة، ولكن ما أظهره علينا هَضْماً لنفسه أن لا يَظهر الحق لرضاء خاطره، فأراني بعد ما كتبتُ، فوجدتُه صريحَ الصواب والإرشاد، لا يُعرض عنه إلا طالبُ العَناد والإفساد، وقد شرعتُ فيه امتثالاً للأمر ...» اهـ.

(١) المحفوظة في المكتبة المحمودية في مجموع برقم (٨٢) شلبي، لوحة ١٠٦.

رحم الله الشيخ محمد عابد ما أشدّ تواضعه لله، وما أشدّ ملاحظته لنفسه.

٤ـ كريم عِشْرته للناس، ومشاركته لهم في مناسباتهم:

ومن أخلاقه العالية رحمه الله، أنه كان على درجةٍ رفيعة من التواضع، وخفضِ الجناح للمؤمنين، فكان لا يستنكف عن حضور اجتماعات الناس، ومناسبات الخير والبركة، مع عُلوِّ مكانته، ورِفعة شأنه وجاهه.

ومعلومٌ كم في حضوره ومشاركته من الخير العظيم، ومن أهمه دوامُ اتصال الناس بعلمائهم، وازديادُ اللُّحْمة والأُلفة والمحبة بينهم، وإدخالُ السرور عليهم، وشعورُهم بإكرام العلماء لهم، وهذا له أثرٌ كبير بالغ، ونفعٌ عظيم متعدِّد الجوانب.

* ومما ذُكر عن حَيَوية الشيخ محمد عابد ونشاطه في هذا الجانب، وعدم انكماشه وانعزاله، أنه حين أتمَّ نَسْخَ الكُتُب الحديثية الستة في مجلد واحد، وكذلك حين تمَّ استنساخه لكتاب: (فتح الباري) للحافظ ابن حجر في مجلد واحد، جَمَعَ الأعيانَ من أبناء الزمان لذلك الشأن، في كلٍ من المناسبتَيْن السابقتَيْن، وأظهر السرورَ والفرح في ذلك الجمع المبارك(١).

وهذا أشبه ما يكون في زماننا هذا بإقامة الاحتفالات بالمناسبات العلمية، والفرح بتخريج طلاب العلم ونحو ذلك.

ولا شك أنه في مثل هذه المجالس العامرة بالعلم والخير، يحصل من الفوائد العلمية الشيء العظيم، ويتم تبادل ذلك بين أهل ذلك الشأن

---

(١) ينظر: حدائق الزهر، عقود الدرر، لعاكش، درر نحور الحور العين، لجحاف، (مخطوط)، نيل الوطر ٢/ ٢٨٠ نقلاً عن عاكش.

خاصة، والناس عامة، ويكون في ذلك تنشيطٌ وشَحْذٌ للـهِمَم علـى العلـم والخير، ونحو هذا.

٥ـ سعة صدره العلمي:

ومن أخلاقه العلمية العلية – رحمه الله – أنه كان واقراً في صدره أدبُ الاخـتلاف في مسـائل العلـم والـدين، فكـان واسـعَ الصـدر مـع غـيره المخالِف، يألَف ويُؤْلَف، وإن اختلفت المشارب والمناهج بينه وبين غيره من أهل العلم، وذلك إن كان الخلاف معتبراً، فالحكمـةُ ضـالّة المـؤمن، والعلم رَحِمٌ بين أهله، ولذا سادت بـين الشـيخ محمـد عابـد وغـيره مـن العلماء المعاصرين له ـ على اختلاف مشاربهم ـ الألفة والمودة والمحبـة، مع كل أدب واحترام.

ولا شك أن هذا الخُلُقَ وهذا المعنى، يزداد رسوخاً في صـدر العـالِم كلما ازداد علماً وعمقاً.

وقد أشار إلى هذا الخُلُق الكـريم في الشـيخ محمـد عابـد السـندي، العلامة السيد محمد عبدالحي الكتاني [١]، حيث ذَكَرَ توسُّعَ الشيخ محمد عابد في مقام الرواية، عمَّن وافقه في المشرب وعمـن لم يوافقـه، وقـال: «ليكون قدوةً لأمثالنا الآن».

٦ـ أدبه الجمّ في بيان أخطاء غيره:

ومن كريم أخلاقه العلمية الرفيعة، أنه إذا وقف على خطأ علمي وقـع من عالم أو مُفْتٍ أو قاضٍ، فإنه لا يتخذ ذلك فرصة للتشهير به، وفَضْـحه في المجالس على رؤوس الأشـهاد، أو في كُتُبـه ورسـائله، بـل تجـد في

---

(١) فهرس الفهارس ١/٣٦٤.

عباراته عند بيان صواب ذلك الأمر، تمامَ اللطف والأدب، بل هَضْم نفسه وتقدير الغير، والتماس العذر له، وأنه لولا الضرورة الدينية لما فَعَل ذلك.

ومن الشواهد على هذا الخُلُق الكريم، أنه لما رَفَعَ إليه شيخُ الحرم في زمانه، الرئيس المعظَّم: قاسم آغا، قضيةً أفتى بها مفتي المدينة المنورة آنذاك سنة ١٢٣٦، يطلب من الشيخ محمد عابد أن يكتب ما يُشْعِر بصحة الجواب أو فساده، فكَتَبَ ما يلي:

«قد تأمّل الحقيرُ ما رَقَمَه النِّحْرِيرُ في جواب السؤال، فوجدتُه ناشئاً عن عدم التحقيق بسبب الاستعجال، ولا غَرْوَ في ذلك، فالله تعالى قد تفرَّد بالكمال، ولما كانت مسألةً دينية، يترتب عليها التحليل والتحريم، خصوصاً في أمر الفُرُوْج، لم يسَعْني إلا أن أنبِّه على المواضع التي مرَّ القلم فيها بغير إمعان النظر...» الخ [1]، ثم بيَّنها رحمه الله تعالى.

٧ـ نُصحه للأمة، وإقامته للسنن، وصبره على جفاء أبناء الزمن:

لقد ابتلي الشيخ محمد عابد في سبيل الله بعدة مصائب ومِحَن، نتيجة جهره بالحق، ونصحه في الله، فكان صابراً محتسباً الأجر عند الله، ولذا قال عنه صاحب اليانع الجني [2]:

«لم يزل – طيلة حياته – مجتهداً في العبادة، وإقامة السنن، والصبر على جفاء أبناء الزمن، ونُصْح الأمة، وخَفْضِ الجناح لهم، ونَشْرِ علومه، حتى لقي الله تعالى.

قال: وقد بَلَغَني أنه جاء مرةً ليُلْقي بها ـ بالمدينة المنورة ــ جِراناً،

---

(١) ينظر مقدمة رسالته: القول الجميل (مخطوط).

(٢) ٣٦/أ.

ويتخذ من أهلها جيراناً، فنزل بهم، يَحْبُوهم ويَنْحَلُهم مما أعطاه الله، ويقوِّم الأَوَدَ منهم بنُصْحه، ويَسُدُّ الثُّلْمةَ منهم بوَعْظه، فكأنَّ الناسَ نقَمُوا منه هذه الخصلة، إذ شَقَّ عليهم أن يُفْطَموا عن أهوائهم التي دبَّت في صدورهم دبيبَ النمل، ومَشَت في عروقهم مشيَ الحُمَيَّا، فقاموا عليه وكالبوه، ورمَوْه عن قوسٍ واحدة، فقوَّض خِبَاءه من فِنائهم، وارتحل إلى حيث وجَّهه مولاه». اهـ.

وكان مجيئه هذا إلى المدينة المنورة من اليمن، قبل استقراره الأخير فيها، وهذا الأذى الذي لقيه، إنما كان من بعض مَن سكنها من أهل الأهواء والبدع، كما هو ظاهر هذا الخبر، ولذا فإن الشيخ محمد عابد رحمه الله لم يرض بما هم عليه، فقام بواجبه من نصحهم، مع الإحسان إليهم بشيء مما أعطاه الله، تأليفاً لقلوبهم، عسى الله أن يصلح حالهم، فلما آذَوْه ويئس منهم، توجّه تلقاء جانبٍ آخر من الأرض، لعله يلقى منهم سمعاً، وينشر فيهم علماً ونفعاً.

*** صبره على محنةٍ عظيمة أصابته باليمن في سبيل قول الحق:**

«كما كانت له محنة عظيمة في (الحُدَيْدَة) باليمن، كانت من أشد ما ابتلاه الله تعالى به [1]، وذلك حين أمر قاضي (الحديدة) أهلَها أن يزيدوا في الأذان: (حي على خير العمل)، الذي أصبح شعار الزيدية والإمامية.

وهذا القاضي هو السيد حسين بن علي الحازمي، وهو رجل من

---

(١) ذَكَرَ خبرَ محنته بطوله الشيخ محمد عابد نفسه في كتابه: المواهب اللطيفة ٢١٠/١، مخطوط، وأشار إليه في طوالع الأنوار ٥١١/١ مخطوط، وأحال إلى المواهب، وذكره صاحب اليانع الجني ٣٥/ب، لكن بصياغته وإنشائه، وقد دمجت بين عبارتي الشيخ محمد عابد وصاحب اليانع الجني للفائدة.

الزيدية، وكان أَمْرُه بذلك بعد ما خالف الشريفُ حمود بن محمد أمراءَ نجد، سنة ١٢٢٤، وخرج عليهم.

وكذلك أَمَرَ هذا القاضي أهلَ (الحُدَيْدَة) أن يتركوا قولَهم في أذان الفجر: (الصلاة خير من النوم)، فإنه كان يراها بدعة، وإنما أحدثها ـ كما يقول ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولما رأى هذا القاضي امتناعَ الناس من ذلك الذي كان يسوِّله لهم، ويدعوهم إليه، اشتد باطله، حتى إنه حَبَسَ لذلك أربعين نفساً من أحناف (الحُدَيْدَة)، وكانت الحديدة مليئة بالحنفية وعلمائها، وكانوا يُنكرون فِعْلَ ذلك، والشيخ محمد عابد من جملتهم، وعلى رأسهم، فقيَّده وإياهم بقيود من حديد.

بل زادَ الشيخَ محمد عابد بزيادة أذى، فأَمَرَ بوضع الغِلِّ في رقبته ورقاب مَن يلوذون به من أقاربه خاصة، وأقامهم في الحبس ستة أيام، ثم أخرجهم وخلَّى سبيلهم، سوى الشيخ محمد عابد، فإنه أَمَرَ بضربه خاصة، فضُرِب على ذلك، ثم نفاه من الحديدة.

وصار هذا القاضي يقول لجَلَدَته: إن الشيخ محمد عابد صار مباحَ الدم والمال، لمخالفته في تلك البدعة، وهي (حي على خير العمل).

واحتجب هذا القاضي، وتوارى عن الشيخ محمد عابد، فلم يبرز من خِدره الذي احتجب فيه حتى نفاه، وخَلا له الوادي، فجعل ينسج بين شيعته أسمالاً من مخاريقه [1]، وهي أوهى من بيتٍ نسجَتْه العنكبوت،

---

(١) أي ينسج أثواباً بالية، فإنه ألَّف في إثبات: (حي على خير العمل) رسالة مشتملة على ثلاثة أوراق، منها ورقة اشتملت على هتك حرمة معاوية بن أبي سفيان رضي الله
=

لكنه اغترَّ بسلطانه، فهان عليه بَطَرُ الحق والوقيعةُ بأهله.

وما أحسن قول بعضهم حيث يقول:

ومَن يكن القاضي له من خصومه — أضرَّ به إقرارُه وجحودُه
إذا ما ادّعى حقاً له عاد باطلاً — ولو كان كلَّ العالَمين شهودُه

وهكذا يظهر من خبر محنته هذه، أن الشيخ محمد عابد كان على رأس المجاهدين العاملين على إقامة السنة، ومنابذة مخالفيها، حتى صُبَّ عليه من العذاب أكثر بكثير ممن سواه، فرحمه الله، وأعظم له الأجر والمثوبة، على نصرة الحق والصبر عليه.

٨ـ عباداته:

إن من أعظم العبادات المقرِّبة إلى الله تعالى، المتعدية النفع للخاصة والعامة، تعلّم العلم النافع وتعليمه، ولقد كان للشيخ محمد عابد رحمه الله من هذا حظٌ وافرٌ، ونصيبٌ عظيمٌ، فقد أمضى عمره في العلم آناء الليل وأطراف النهار، بل في حِلِّه وترحاله، حتى إنه كان يؤلف ويكتب

=عنهما، وورقة ونصف على تسفيهه للشيخ محمد عابد، وتحقيره من شأنه، ونصف ورقة على الأدلة، كما ذكر هذا الشيخ محمد عابد رحمه الله في المواهب اللطيفة ٢١٠/١.

وقد ردّ الشيخ محمد عابد في المواهب اللطيفة على أدلة الزيدية في ذلك، وبيَّن ضعف ما استدلوا به، وعدم ثبوته، وأن الثابت في الفجر هو قول: (الصلاة خير من النوم)، وأنه لم يكن في الأذان الذي علمه رسول الله ﷺ لأبي محذورة ولبلال رضي الله عنهما قول: (حي على خير العمل).

وينظر لهذه المسألة أيضاً: التعليق الممجد على موطأ محمد، للإمام اللكنوي ٣٥٩/١.

سنةَ رسول الله ﷺ في المساقي والمنازل في طريق الحج، حين ينزل الناس للاستراحة والسقاية، كما سيأتي هذا عند الكلام على ترتيبه لمسند الإمام الشافعي رحمه الله.

وها هو في الروضة النبوية الشريفة، وجَنَبَات المسجد النبوي الشريف، يقرأ الكُتُبَ الحديثية الستة في شهر واحد رواية، وفي ستة أشهر دراية، ثم يعود ويكرر ذلك، وغير هذا، مما سيأتي ذكره في باب رحلاته العلمية ونشاطه العلمي.

وهكذا كانت أوقاته كلها عامرة بنشر العلم والتعليم والتصنيف، وخدمة هذا الدين الحنيف، مع تسلّمه للقضاء في اليمن سنين مديدة، وانشغاله بأسفاره ورحلاته الطويلة، حتى طاف غالب الآفاق في سبيل العلم، ولا شك أن هذا من أعظم العبادات.

* وكان رحمه الله كثير الحج والعمرة إلى بيت الله، مع ما في ذلك من العناء والمشقة الشديدة، وبخاصة في ذلك الزمن، فكان إذا جاءت أيام الحج لا يصبر، ويحنّ شوقاً إلى ديار مكة والحج، كما سيأتي في رحلاته.

هذا مع صلواته النوافل، وأذكاره وأوراده، حيث كانت له أوراد خاصة يأتي بها، ولا ينقطع عنها، كما ذكر هذا مترجموه.

فقد وصفه العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لكتاب: منحة الباري للشيخ محمد عابد، فقال بعد أن ذكر علومَه وفضلَه:

«هذا مع فضائل عديدة غير العلم، من الكرم والمروءة وحُسْن الخُلُق والتواضع، والنُّسُك، والمواظبة على الأوراد، ومراسم العبادات». اهـ

وقال عنه صاحب اليانع الجني [١]:

«ولم يزل مجتهداً في العبادة، وإقامة السنن... حتى لقي الله تعالى...». اهـ

٩ـ حبه الشديد للمدينة المنورة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كَحُبِّنا مكةَ أو أشدّ» [٢].

وهكذا «كان الشيخ محمد عابد رحمه الله، شديدَ التَّحَنُّن إلى ربوع طابة، عظيمَ التشوُّق إلى شَذَاها، كثيرَ التَسْآل من ربِّه لمَحْيَاه فيها، ومماتِه بها، والاستظلالِ بذُرَى رسول الله ﷺ، والانحيازِ إلى حِمَاه» [٣].

ولقد أكرم الله تعالى الشيخ محمد عابد بذلك، فسكَنَ المدينة المنورة بأكمل عِزٍّ وجاه، وكان رئيساً لعلمائها، ناشراً للسنة النبوية في ربوعها، ثاوياً بتُرْب بقيعها بعد مماته.

وهكذا ما خاب عبدٌ قَصَدَ مولاه، وحاشا المولى جلَّ وعلا أن يردَّ عبداً صادقاً رَجَاه.

وإن محبة الشيخ محمد عابد الشديدة للمدينة المنورة، كانت تظهر بجَلاءٍ تام في كتاباته، وفيما كان يدعو الله به في خواتم كُتُبه.

---

(١) لوحة ٣٦أ.

(٢) صحيح البخاري، فضائل المدينة، باب ٤/٩٩، صحيح مسلم: الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة ٢/١٠٠٣.

(٣) اليانع الجني ٣٥ ب.

* ومن ذلك ما جاء في آخر كتابه: حصر الشارد، وكان قد كَتَبَه باليمن سنة ١٢٤٠، حيث قال في ختامه وهو يبتهل بالدعاء:

«... وارْضَ عني رضاءً لا سَخَط بعده، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة، وأسألك أن تُميتَني في بلد رسولك ﷺ مَرضيّاً عني، مغفوراً مستوراً مرزوقاً مجبوراً، مُنْعَماً عليَّ في البرزخ ودار الكرامة، محفوظاً من أهوال يوم القيامة، وترزقني مجاورةَ نبيِّك ﷺ حياً وميتاً وفي يوم القيامة، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير، يا مَن لا يُعجزه شيء صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. استجب دعائي، وأدركني بعفوك وعافيتك في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم». اهـ.

* وقال في آخر الجزء الأول من المواهب اللطيفة، وقد انتهى من شرح نصف الكتاب إلى آخر كتاب الحج، وهو إذ ذاك في اليمن:

«واللهَ تعالى أسأله أن يعجِّل ارتحالي إلى مدينة نبيِّه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، ويرزقني الإقامة هنالك، مع أهلي وكافة مَن أحاطت عليه شفقتي، مع الجمعيّة التامة، وعدم احتياجٍ إلى أحدٍ من الخلق إلا إلى ذاته الشريفة، ويجعلني خادماً لشريعته الغرَّاء، مقيماًلمَنَار سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم، مُحِباً له ولربه تعالى وتقدس. آمين». اهـ.

* وقال في ختام رسالته: (منال الرجاء)، وكان إذ ذاك في المدينة المنورة:

«وليكن هذا آخر كلامنا في هذه الرسالة، واللهَ تعالى أسأله أن يجعل أعمالي خالصةً لوجهه الكريم، موجبةً للخلود في الجنات، مع الفوز بالنعيم المقيم، ويرضى عنا رضاءً لا سَخَطَ بعده، ويديم إقامتي بطيبة

المشرفة، حتى أموت بها شهيداً، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». اهـ.

* ومن ذلك أيضاً ما قاله في كتابه: (طوالع الأنوار شرح الدر المختار)، في آخر الجزء الرابع، بعد أن انتهى من شرح كتاب الحج، وهو في المدينة المنورة سنة ١٢٤٥، قال:

«... وأسأل الله تعالى أن يتوفاني مسلماً شهيداً بالمدينة المنورة المشرَّفة، ويرضى عني رضاً لا سخط بعده، ويجعل قبري روضةً من رياض الجنة، ويُرضي عني خصومي يوم القيامة مِن مَحْض تفضّلاته، ويجعل خيرَ أيامي يوم لقائه فيه، ويديم عليَّ نعمة جواره ﷺ في الدنيا والآخرة، تفضلاً منه وكرماً، إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين». اهـ

١٠ـ ذكاؤه المفرِط:

ليس بغريب أبداً عن هذا الإمام الذي بلغ هذا الشأنَ العظيم، أن يكون فَطِناً ذكياً، متَّقد الذهن، لمَّاحاً ألمعياً منذ نشأته، وهذا من جملة الهِبَات الربانية التي أكرمه الله بها.

وقد أخذ هذا الذكاء المفرِط من العلامة الشوكاني مَأخذَه، حين لَحَظَ ذلك في الشيخ محمد عابد أيام قراءته عليه، مما دعاه لتسجيله ولَفْت الأنظار إليه، حين ترجم للشيخ محمد عابد في البدر الطالع(١)، حيث قال:

«وله فَهْمٌ صحيح سريع، وكان وصوله إلى صنعاء سنة ١٢١٣، وتردّد إليَّ، وقرأ عليَّ في (هداية) الأبهري، وشَرْحِها للمُبِيدي في علم الحكمة

---

(١) ٢/٢٢٧.

الإلهية [١]، وكان يفهم ذلك فهماً جيداً، مع كون الكتاب في غاية الدقة والخَفَاء، بحيث كان يحضر جماعةٌ من أعيان العلماء العارفين بعدة فنون، فلا يفهمون غالبَ ذلك». اهـ.

١١ـ سَمْتُه وهَدْيه :

لقد كان الشيخ محمد عابد موفَّقاً للكمالات في شؤونه كلها، مجمَّلاً في سَمْته وهَدْيه ودَلِّه، فقد وصفه مترجموه بأنه كان «مِن أحسن الناس هَدْياً وسَمْتاً في زمانه» [٢]، كما «لاحَتْ على جانبه أنوار الشموس الباهرة» [٣]، فكان منوّراً منضَّراً بحديث وسنة رسول الله ﷺ.

وهكذا كان رحمه الله فَخْماً في علمه وعمله وجاهه وعِزِّه ومنظره وهَدْيه، فقد أتمَّ الله عليه من النِّعَم ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى. رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأكرمنا والمسلمين بما هو أهله جلَّ وعلا.

* * * * *

---

(١) كتاب (هداية الحكمة) للشيخ أثير الدين المفضَّل بن عمر الأَبْهَري، المتوفى سنة ٦٦٣، وهو صاحب مختصر الإيساغوجي في المنطق، له ترجمة في الأعلام ٧/٢٧٩.
ولكتاب الهداية هذا شروح كثيرة، ينظر لها كشف الظنون ٢/٢٠٢٨، أما شارحها المُبِيْدِي الذي ذكره الشوكاني، فهو القاضي مِيْر حسين بن مُعين الدين المبيدي الحسيني، المتوفى سنة ٩١٠، وشرحه مطبوع باسم: قاضي مير على الهداية، له ترجمة في الأعلام ٢/٢٦٠.

(٢) اليانع الجني ٣٦أ.

(٣) تقدم هذا النص في ثناء الأمير الصغير عليه ص ١٣٠.

الباب الثالث

ثناء العلماء على الشيخ محمد عابد، ومكانته بينهم

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ثناء العلماء على الشيخ محمد عابد

الفصل الثاني: المناصب الرفيعة التي تولاها، ومكانته العالية بين العلماء

الفصل الثالث: ذكر طائفةٍ من كبار العلماء المعاصرين للشيخ محمد عابد في المدينة المنورة، حين تولى رئاسة العلماء فيها

الفصل الأول

ثناء العلماء على الشيخ محمد عابد

عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله إذا أَحب عبداً، دعا جبريلَ فقال: إني أُحِبُّ فلاناً فأَحِبَّه، قال: فيُحبُّه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يُحِبّ فلاناً فأَحِبّوه، فيحبه أَهلُ السماء، قال: ثم يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرض» [١].

وقال رسول الله ﷺ: «المؤمنون شهداءُ الله في الأرض» [٢].

وإن الناظر في سيرة الشيخ محمد عابد، يرى أنه ممن كُتِبَ له القبول - والله أعلم -، وذلك بشهادة العلماء وشهداء الله في الأرض، فلقد أجمع كل مَن ذكر الإمامَ الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري على فضله وعلمه ودينه وخُلُقه وصلاحه، بل إمامته في ذلك.

وهكذا سجَّل عارفوه من أساتذته وشيوخه، وكذلك العلماء المعاصرون له، وأيضاً تلاميذه، وأهلُ الفضل والصدق من علماء الأمة، ووُرّاث النبوة ممن جاء بعدهم، سجَّلوا ثناءات عاليةً في حقه وقَدْره، وشهادات زكيةً تشهد بعلُوِّ مكانته، ورِفعة منزلته، وقبوله التام عند الخاصة

(١) صحيح مسلم، البر ٤/ ٢٠٣٠.

(٢) صحيح البخاري، الشهادات ٥/٥٥٢، وينظر فتح الباري ٣/٢٢٩-٢٣١ عند شرحه للرواية الأخرى: «أنتم شهداء الله في الأرض».

والعامة، في مختلف الأصقاع والبلدان.

ولذا قال صاحب اليانع الجني [(١)]:

«كَثُرَ ثناءُ الناس عليه في حياته، وسَمَرُهم بمفاخره بعد وفاته.

كَفَلَ الشناءُ له بردِّ حياته لما انطوى فكأنه منشور». اهـ

وأنقل فيما يلي ما وقفتُ عليه من أوصاف العلماء له، وثناءاتهم عليه، لنتعرَّف على ما كان عليه هذا الإمام العظيم الشان من الفضل والقَدْر والعلم والتحقيق.

١- يقول العلامة المحدث الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحوثي في تقريظه لكتاب: منحة الباري، وذلك سنة ١٢٢١:

«وبالجملة فإن هذا المؤلَّف قد دلَّ مؤلِّفُه على حِفْظٍ باهرٍ للسُّنَّة النبوية، ورسوخِ مَلَكَةٍ في استحضار الأحاديث النبوية.

ولا غَرْوَ، فهو من بيتٍ مشهورٍ بالفضل، معمورٍ بالعلم، إذ هو من ذرية أبي أيوب الأنصاري، لم يزَل آباؤه متمسِّكين بالعلوم، وعبادة الحيِّ القيوم.

وقد قرأ الشيخ محمد عابد على عمه وغيره في العلوم، وأحرز فنونَها، وحقَّق أصولَها وفروعَها، من نحوٍ وصرف وبيان ولغةٍ وفقه وأصول وحديث وتفسير وطب، وبرَّز في كل فن منها، واشتهر بالحديث والطب، وحُمِدت مباشراته لعلاج الأمراض، مع تحقيقه لكليات ذلك العلم وجزئياته.

---

(١) ١٣٦أ.

مع فضائل عديدة غير العلم، من الكرم والمروءة وحُسن الخُلُق، والتواضع والنُّسُك، والمواظبة على الأوراد، ومراسم العبادات». اهـ.

٢- ويقول العلامة المحقق مفتي مكة المكرمة، ورئيس علمائها الشيخ عبدالله ابن الأستاذ الكامل الفاضل الشيخ عبدالرحمن سراج الحنفي المكي، المولود سنة ١٢٠٠، والمتوفى سنة ١٢٦٤[1]، وذلك فيما كتبه على ظهر نسخةٍ من كتاب: طوالع الأنوارِ شرح الدر المختار[2] للشيخ محمد عابد السندي، وهو يترجم لمؤلِّفه:

«هو الإمام العالم العلامة، القدوة الفَهَّامة، خاتمةُ المحققين في زمانه، وعمدة المدققين في عصره وأوانه، وفَخْرُ العلماء الراسخين، ونُخْبَةُ الفضلاء المقدَّسين، الأستاذُ الكامل، والمسنِدُ الواصل، مولانا الشيخ محمد عابد السندي ثم المدني، الفقيه المحدّث الحافظ ابنُ المرحوم الشيخ أحمد علي...».

٣- وقال العلامة المحدِّث النِّحرير الفقيه المالكي الشهير، الأمير الصغير محمدُ بن محمد بن محمد السَّنْبَاوي الأزهري، المتوفى بعد سنة ١٢٥٣، في تقريظه لكتاب: منحة الباري للشيخ محمد عابد:

---

(١) ينظر لترجمته مختصر نشر النور والزهر ص ٢٩٧ ط٢/١٤٠٦ دار المعرفة، أعلام المكيين ١/٤٩٩.

وينبه هنا - لعدم الالتباس - أن ابن حفيد الشيخ عبدالله سراج هذا هو الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله سراج الفقيه الحنفي المكي، وقد ولي الإفتاء ورئاسة العلماء بمكة المكرمة، وتوفي سنة ١٣١٤، رحمه الله تعالى، له ترجمة في معجم المؤلفين ١٤٩/٥.

(٢) المحفوظة بمكتبة مكة المكرمة (مكتبة المولد).

«ولا بِدْعَ، فإن مؤلِّفَه قد حاز من كل شيءٍ أحسنَه، واستقصى الدرجةَ العليا، فظَفِر بها على الوجوه المستحسَنة، سَبَحَ في بحور تلك اللطائف الربانية، ووَرَدَ ينابيعَ المعارف الرحمانية، فأتى بجوامع الكَلِم الإيمانية، وصحيحِ الأحاديث النبوية.

فلذا لاحتْ على جامعه أنوار الشموس الباهرة، وصار بين أقرانه بَدْرَ سمائهم الزاهرة.

أَلْبسَه الله حُلَلَ السعادة العظمى، وتوَّجه بتاج الكرامة الأسمى، ولا زال محمداً محموداً متعبِّداً عابداً، مشهوداً نفعاً صِرْفاً لجميع الأنام، مقروناً بالعزِّ واللُّطْف في كل حال ومَقام. آمين آمين آمين، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قاله بفمه وكتبه بقلمه الفقير محمد بن الأمير خادم أهل العلم في الأزهر، غَفَر له ما تقدّم وما تأخر». اهـ.

٤- وقال العلامة المحدِّث المؤرِّخ الأديب الشيخ لُطْفُ الله بن أحمد جَحَّاف، المولود سنة ١١٨٩، والمتوفى سنة ١٢٤٣، صاحبُ وتلميذُ الشيخ محمد عابد السندي [1]، وذلك في آخر نسخةِ منحة الباري، حين طلب منه الشيخ محمد عابد أن يؤرِّخ النسخة، فكتب بخطه تاريخَها، وهو

---

(١) له ترجمة في البدر الطالع للشوكاني ٢/٦٠-٧١، وقد أثنى عليه في أول الترجمة كثيراً، ثم قال: إنه انسلخ آخر حياته مما كان عليه، وطَعَن فيه كثيراً، لكن المحشِّي على البدر الطالع ابنَ زَبارة صاحبَ نيل الوطر، قال معلقاً على ذلك: وقد ترجمه غيرُ الشوكاني من علماء عصره، فأطال الثناء عليه. رحمهم الله. اهـ.
وممن أثنى عليه تلميذه الشيخ عاكش في حدائق الزهر ص ٢٢٠، وينظر نيل الوطر ٢/١٨٩، الأعلام ٥/٢٤٢، هِجَر العلم ١/٤٢٧.

سنة ١٢٢٠، ووصف المؤلِّفَ الشيخ محمد عابد بقوله:

«الشيخ الهمام، أوحد الأعلام، بقية السلف، وغُرَّة الخَلَف، العلامة الأوحد الوليُّ محمد عابد بن أحمد علي السندي». اهـ.

* وقال عنه أيضاً في درر نحور الحور العين[(١)]:

«وقد رَغِبَ فيه الإمامُ المنصور - إمامُ اليمن -، وجَمَّل به موقفه». اهـ.

فهو مَن تُجَمَّل به مواقف العظماء ومجالسهم، إذ العلماء زينة الأرض ومصابيحها.

* وللجحاف هذا قصيدة في مدح الشيخ محمد عابد وبيان مكانته، قَرَّظ بها كتابَ: منحة الباري، وقد جاء في مقدمتها، وهو يذكر المؤلِّف:

«هو الأخ العلامة الهمام الولي محمد عابد بن أحمد علي الأنصاري، مَن صان الله كمالاته، وتابع الجزيل من إفاداته، ثم قال ناظماً:

خِلْتُ الفضائلَ في محمد عابدٍ ... جُمِعَتْ كَجَمْعِ قِلامه للشَّارِدِ[(٢)]
فَهْمٌ تَراه بكلِّ عِلْمٍ عَارِفاً ... في الدِّين والأبدان شِثْنُ[(٣)] السَّاعِدِ
وله يدٌ في غاية التحقيق مو ... صِلَةٌ إلى زُبَدٍ، لِفَذٍّ ناقِدِ
حَفِظَ الحَدِيْثَ وجَانَبَ الأحداثَ إذ ... تَركوا المقدَّمَ خَلْفَ تالي الوارِدِ

---

(١) مخطوط، ونقل كلامه ابن زبارة في نيل الوطر ٢/٢٨٠.

(٢) شَرَحَ هذا البيت الناظمُ نفسُه، فقال في الحاشية: أي كما أن أقلامه جَمَعَتْ الفوائدَ الشاردة من الذهن، كذلك الفضائل اجتمعت فيه.

(٣) شثن الساعد أي غليظ الساعد، والمراد ضليع قوي في علوم الدين والأبدان، ينظر القاموس المحيط (شثن).

ورأى الأئمةَ في القديم تزاحموا | فَتَلا على الأتباع سُنَّةَ راشِدِ
هذا هو العَلَمُ الذي يَروي عن الـ | مُخْتارِ عن باري البَرَايا الواجِدِ
وبمِنْحَةِ الباري هُدِيْتَ فَخُذْ ولا | تَكُ مُسْتَرِيباً من نِكاية حَاسِدِ
جَمَعَ البخاريَّ في الصحيح مُكَرَّرا | تِ ضَمَّها، لازال أهدى رائدِ
وصَبَا إلى جَمْعِ وَصِيَّةِ عِلْمِه | يدعو إلى ماءِ اليَقين الباردِ
فرأيتُ خادرَها وشَوْكا نيَّها | أهوى إلى صَوْتِ المُجَابِ القاصِدِ
ورأى لك ابنُ عليٍّ[1] الفضلَ الذي | ماشَكَّ في معناه غيرُ الجاحِدِ
لا زِلْتَ بين أُولي النُّهى مُتَطَبِّباً | ما النبضُ دَلَّ على المِزَاجِ الفاسِدِ
ومعلِّماً نَهْجَ الشرائِعِ باذِلاً | فيه النفيسَ ورأسَ مالِ الحامِدِ
أسَلِيْلَ أبناءِ الصُّدورِ وجِبْرَئِيـ | ـلُ السيِّدُ مسنِدُ كلِّ عِلمٍ شارِدِ
إني مُحِقٌّ قُلْتُ هذا لا بما | بَدَعَ الأنامُ عليه غير مساعَدِ

حرَّره لطف الله بن أحمد، عفى الله لهما، شهر صفر ١٢٢١».اهـ

٥- ويقول العلامة الشيخ محمد صابر، أحد العلماء المعتمَدين المعاصرين للشيخ محمد عابد، حين ذكر الشيخ محمد عابد في آخر رسالته: القول السديد بتعليق الوكالة بالتقييد[2]:

«هذا ما حرَّره الفقير، مقِرّاً بقلة العلم، وكثرة التقصير، امتثالاً لأمر الشيخ محمد عابد، الذي في علم القرآن والأحاديث حَبْراً، وفي أقوال

---

(١) يريد الإمام المتوكل إمام صنعاء أحمدَ بنَ علي المنصور، والله أعلم.
(٢) المحفوظة بالمكتبة المحمودية برقم (٨٢) شلبي، ولم أقف له على ترجمة.

الفقهاء والحكماء بحراً». اهـ.

٦- ويقول العلامة المفسِّر الآلوسي الكبير شهابُ الدين أبو الثناء محمودُ بنُ عبدالله صاحب: «روح المعاني»، المولودُ سنة ١٢١٧، والمتوفى سنة ١٢٧٠، وذلك في كتابه: شَهِيُّ النَّغَم في ترجمة شيخ الإسلام عارفِ الحكَم[١]، لما ذَكَرَ إجازةَ الشيخ محمد عابد لعارف حكمت في عِداد مَن أجازه، قال وهو يصف الشيخ محمد عابد:

«ومنهم البحر الرائق، وكَنْزُ الدقائق، ومَن كلامه تنويرُ الأبصار، والدُّرُّ المختار، ذو التأليفات الشريفة، وقُرَّةُ عين الإمام الأعظم أبي حنيفة، العالمُ الزاهد الشيخ محمد عابد، غَمَرَه الله بمزيد العوائد..». اهـ

٧- ويقول العلامة الفقيه المؤرِّخُ الأديب الشيخ الحسن بن أحمد الضَّمَدي الشهير بـ(عاكش)، المولود سنة ١٢٢١، والمتوفى سنة ١٢٨٩[٢]، تلميذُ الشيخ محمد عابد، وذلك في ترجمته له[٣]:

«شيخنا العلامة المحدِّث الحافظ النقَّاد، عالي الإسناد».

* وقال عنه أيضاً:

«وهو إمامٌ نظَّار، وسابِقٌ لا يُشَقُّ له غُبار، يَسْتَحضر متونَ الأحاديث، ويَعْرف عِلَلها، وله في نَقْد الرِّجال يدٌ طولى، وإذا تكلَّم لسعة حفظه، فكأنما يُمْلي من صحيفته إملاءً».

---

(١) ص ٢٠٢.

(٢) له ترجمة في الأعلام ٢/١٨٣، نيل الوطر ١/٣١٤، هِجَرُ العلم ٣/١٢٣٣.

(٣) في كتابَيْه: حدائق الزهر في ذكر الأشياخ وأعيان العصر (مخطوط)، عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر، (مخطوط)، وينظر نيل الوطر ٢/٢٨٠ نقلاً عنه.

* وقال عنه أيضاً:

«مَوْقفُه مَحَطُّ رجال الأعلام، كثيرُ الفوائد».

٨- ويقول العلامة المحدِّث الفقيه الشيخ عبدالغني الدِّهلوي المجدِّدي المدني، تلميذُ الشيخ محمد عابد، المتوفى سنة ١٢٩٦، في إجازته للشيخ عبدالقادر الخطيب الطَّرابُلُسيِّ الشاميِّ، المتوفى سنة ١٣١٦، التي كَتَبَها له على ظهر نسخةٍ من كتاب: حصر الشارد[١]، فإنه لما ذكر روايته عن الشيخ محمد عابد وَصَفَه بقوله:

«قُدْوة المحدِّثين، إمامُ الحرمَيْن، شيخنا الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري» اهـ.

ولعله أراد بقوله: (إمام الحرمين) الإمامةَ في العلم، إذ كانت دروسُه مشهورةً مشهودةً في كلٍ من الحرم المكي والحرم النبوي.

أو يكون المرادُ أنه أمَّ في الحرمين الشريفين، ولكن لم أرَ أحداً ذكر عنه هذا في ترجمته.

٩- ويقول تلميذه العلامة الشيخ يحيى بن محمد بن الحسن الأخفش في بداية شرحه لكتاب الشيخ محمد عابد: «إيجاز الألفاظ» الذي سمّاه: «إدارة الألحاظ»[٢]:

«شيخنا العلامة، الحَبْر الفهَّامة، شيخ الإسلام، وسليل الكرام، أستاذ المحدِّثين، وقُدوة العارفين، مَن رقى أعلى ذِروة الكمال، وخَضَعَتْ له الأكفاء في العصر على كل حال، بدر الدين محمد عابد بن أحمد علي...» اهـ.

---

(١) المحفوظة في مكتبة الحرم المكي، برقم ٧٦٢ عام.

(٢)مخطوط في الخزانة التيمورية بالقاهرة، ميكروفيلم (١٠٤٠٥)..

١٠- ويقول الشاب العلامة المحدِّث البارع الشيخ محمد بن يحيى، المدعو بمحسن التيمي ثم البكري التُّرُّهْتي الهندي، المتوفى تقريباً سنة ١٢٩٣، وهو في حدود الثلاثين من عمره [١]، يقول في الثَّبَت الذي جَمَعَه لشيخه العلامة المحدِّث الفقيه الشيخ عبدالغني الدهلوي تلميذ الشيخ محمد عابد، المسمى: «اليانع الجَنِي في أسانيد الشيخ عبدالغني» عند ذكر حديثٍ يرويه عن الشيخ محمد عابد في ثَبَتَه:

«ويَرْويه شيخُنا الشيخ عبدالغني عن القُدْوة الحافظ الحجة المتقن الورع، محدّث دار الهجرة، وسلالة ذوي آل النُّصْرَة، إمامِ المسلمين، وناصيةِ الفقهاء والمحدِّثين، عَلَمِ الهدى والسُّنَّة، الصابرِ عند البلاء والمِحْنَة، شيخِ الحرم النبوي في حياته، والثاوي بتُرْب طابة بعد مماته، الشيخِ المباركِ محمد المعروف بعابد الأنصاري ثم الخزرجي السندي»[٢]اهـ.

* وقال أيضاً عند ترجمته للشيخ محمد عابد [٣]:

«تذكرة مولانا وقدوتنا الشيخ عابد الأنصاري ثم الخزرجي رحمه الله:

هو العالِم الجامع، والفاضِل البارِع، المحدِّث الحافظ المتقن، والفقيه المتبحِّر الفَطِن، والزاهد المتجافي عن الدنيا وزخارفها، المُعْرِضُ عن مَرَاقِها [٤]ومَعَاطِفها، محيي السُّنَّة حين عَفَت رُسُومُها، وهُجِرت علومُها، مولانا وشيخ مشايخنا محمد عابد بن أحمد علي الأنصاري الخزرجي، ثم أحد بني أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه» اهـ.

---

(١) ينظر لترجمته فهرس الفهارس ٢/١١٦٥، نزهة الخواطر ٧/٤٠٧.

(٢) اليانع الجني ٤ب - ٥أ.

(٣) اليانع الجني ٣٤ب.

(٤) المَرْق هو الإهاب المنتن، والمعاطف جمع معطف، وهو معروف.

١١- ووقفت على نظمٍ لأحدِ تلاميذ الشيخ محمد عابد، لكن لم يصرِّح باسمه، وذلك على ظهر كتاب: منحة الباري، فيه تقريظ للكتاب، وثناء على مؤلِّفه، جاء فيه:

«وافَتْ كمِثْل الأَنْجُمِ الزُّهْر ... حُورٌ غَدَتْ عُلْوِيَّةَ الثَّغْرِ
فأَرَتْكَ وَجْهاً خِلْتَه قَمَراً ... أوْ فاقَها في ليلةِ البَدْر
دارت بكاسات الهَنَاء لنا ... مِن جَمْعِ ذاكَ العالِمِ البَحْرِ
الزاهدِ النِّطِّيْسِ[(١)] والوَرِع ... القَمْقَامِ[(٢)] والمِفْضَالِ والحَبْرِ
المِصْقَعِ[(٣)] اللَّبِقِ الأَديبِ ومَن ... قد طابَ في فَرْعٍ وفي جَذْرِ
فهو المبرِّزُ في الفنون ومَنْ ... قد فاقَ أهلَ العلم في العَصْرِ
سَرَّحْتُ طَرْفي في بدائعه ... فرأيتُ جَمْعاً مُثْلِجاً صَدْري
هو (مِنْحةُ الباري) التي جَمَعَتْ ... ذاك الصحيحَ حَوَتْه بالحَصْرِ
ما في البلاد كمِثْلِها أبداً ... وكذاك في بَحْرٍ وفي بَرِّ
لله دَرُّ الحَبْرِ جامِعِها ... شيخِ الشيوخِ وأوحدِ الدَّهْرِ
لا زال في خَيْرٍ وفي نِعَمٍ ... كلا وفي مَجْدٍ وفي فَخْرِ

قال الحقيرُ هذه الأبيات، لما اطلع على كتاب شيخِه العلامةِ وحيدِ

---

(١) النِّطِّيْس: كـ (سِكِّيْت): المتطبّب، ينظر القاموس المحيط (نطس)، ومعلومٌ أن الشيخ محمد عابد كان طبيباً حاذقاً.

(٢) القَمْقَام: أي السيد، ينظر القاموس المحيط (قمقم) + (قمم).

(٣) المِصْقَع: كـ (مِنْبَر): البليغ، القاموس (صقع).

دهره، وفريد عصره، عِزّ الإسلام محمد عابد أدام الله فوائده، وإن كنتُ ممن لم يَخُضْ في ذلك العَجّ، ولم يَجْرِ في ذلك الميدان». اهـ

١٢- وقال العلامة المؤرِّخ الشيخ عبدالستَّار بن عبدالوهاب الدِّهلوي المكي، المولود سنة ١٢٨٦، والمتوفى سنة ١٣٥٥ في كتابه: «فَيْضُ الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي[(١)]»، بعد أن نَقَلَ ترجمة الشيخ محمد عابد من اليانع الجني، ولم يَعْزُ إليه، ثم زاد عليه بقوله:

«والحقُّ أن الله رَفَعَ به العلمَ ومَنَارَه، وأنه آيةُ الله الباهرة في الحديث والفقه».

١٣- ووصفه العلامة المحدِّث القاضي الشيخ أحمد بن محمد شاكر، المولود سنة ١٣٠٩، والمتوفى سنة ١٣٧٧، في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي[(٢)] بقوله:

«العالم العظيم الشيخ محمد عابد السندي، محدِّث المدينة المنورة في القرن الماضي». اهـ.

١٤- ووصفه المؤرِّخ محمد بن محمد بن زَبَارة الحسني اليمني، المتوفى سنة ١٣٨١، في كتابه: نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر[(٣)] بقوله:

---

(١) ج٣ / لوحة ٥٤، وهو في ثلاث مجلدات، محفوظة بمكتبة الحرم المكي، برقم (٢٨٦٠).

(٢) ص ١٣.

(٣) ٢/٢٧٩.

«الشيخ العلامة الحافظ الرُّحْلة[١]». اهـ.

١٥- وقال العلامة المحدِّث الشيخ محمد عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، تلميذُ بعضِ تلاميذ الشيخ محمد عابد، المولود سنة ١٣٠٥ ـ وقيل ١٣٠٣ ـ، والمتوفى سنة ١٣٨٢، في كتابه فهرس الفهارس[٢]:

«هو محدِّثُ الحجاز ومُسْنِدُه، العالِمُ الجامع المحدِّث الحافظ الفقيه المتبحِّر، الزاهد في الدنيا وزخارفها، محيي السُّنَن حين عَفَت رُسُومُها، وهُجِرَتْ علومُها».

وقال أيضاً[٣]:

«شيخ بعض مشايخنا، محدِّث الحجاز ومُسْنِده، عالِمُ الحنفية به، الشيخ محمد عابد السندي».

رحم الله الشيخ محمد عابد، وأعلى ذِكْره ومَقامَه في الملأ الأعلى، وجَمَعَنا معه في جَنَّة الفردوس مع سيدنا رسول الله ﷺ والأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين، والعلماء العاملين، بفضله ومَنِّه وكرمه. اللهم آمين.

* * * * *

---

(١) ومعنى: الرُّحْلة: بضم الراء: أي الذي يُرْحَل إليه لعلمه وفضله وجاهه و...»، ينظر تاج العروس (رحل).

(٢) ٢/ ٧٢٠.

(٣) فهرس الفهارس ١/ ٣٦٣.

الفصل الثاني

المناصب الرفيعة التي تولاها، ومكانته العالية بين العلماء

لقد أكرم الله تعالى الشيخ محمد عابد بإكرامات كثيرة، وبوّأه منزلة سامية، ورَفَعَه مكانا عَلِيّاً عند خاصة الناس وعامتهم، حتى قال عنه صاحبه وتلميذه الشيخ لطف الله جحاف[1]، بعد أن ذكر له رؤيا مبشِّرة لحاكم صنعاء المنصور بالله قال: «ولهذا الرائي[2] ـ محمد عابد ـ سيادة في الناس ووجاهة» اهـ.

فكان مقدَّماً عند الحُكَّام والأمراء، مع تقوى وصلاح ونزاهة وورع، إذ كان الطبيب الخاص لحاكم صنعاء المنصور بالله، وأستاذاً له في حلقة علمية كانت تُعْقَد في مجلسه.

وكذلك كان حاله عند أولاد المنصور من بعده: المتوكل والمهدي، وقد نال بذلك عِزّاً كبيراً، وجاهاً عظيماً، ومالاً كثيراً صَرَفَه في خدمة العلم وأهله.

كما زوَّجه ابنتَه أحدُ كبار وزراء المنصور بالله، وهو العلامة الشيخ

---

(١) دُرَرَ نحور الحور العين (مخطوط) في حوادث سنة ١٢٢٠.

(٢) وقد تصحّفت هذه الكلمة: (الرائي) إلى (الرأي) في المطبوع من كتاب: حدائق الزهر، لعاكش ص ١٥٣، وأدى هذا التصحيف إلى زيادة الخطأ عند البعض في فهم العبارة مع ما سبقها من العبارات.

علي العمَّاري، لما رأى من فضله ونُبْله وعلمه، كما تقدم.

وقد تولى القضاء مدة طويلة في مدينة زبيد، وكانت آنذاك دارة العلم والعلماء.

وهكذا دام للشيخ محمد عابد هذا العزّ والجاه مدة إقامته في اليمن، ثم زاده الله عزّاً فوق عزٍّ - وكان به حقيقاً - حيث خرج من اليمن إلى المدينة المنورة، فكان رئيساً لعلمائها، من قِبَل والي مصر والحجاز محمد علي باشا [(١)]، وذلك لِمَا وقف عليه ذلك الوالي من كبير فضل الشيخ محمد عابد، وعظيم شأنه، وبقي على ذلك إلى آخر حياته، وهو في طيبة الطيبة.

* أما عن مكانته بين كبار العلماء من القضاة والمفتين ورؤساء الحرمين الشريفين وغيرهم، فكان الشيخ محمد عابد مَرْجِعَهم في المُلِمَّات العلمية، والقضايا المشكِلة في القضاء والفتيا، حيث كانت تُوَجّه إليه الأسئلة من كبار العلماء، يطلبون منه حَلَّها، وكتابة الجواب عنها.

بل كان ركنا علمياً شديداً يأوون إليه، ويفزَعون إلى نُصرته العلمية للردّ على المغالِطين والمشوِّشين، في كشف شُبَهِهم ومغالطاتهم، وبيان الحق والصواب، وهذا قبل أن يكون رئيساً للعلماء في المدينة المنورة، وأما بعد فمن باب أولى.

وأسوق هنا بعضَ الشواهد على ذلك:

١- فها هو الشيخ محمد عابد لما كان في المدينة المنورة سنة ١٢٣٥، أرسل إليه بعض الأفاضل من مكة المكرمة، يُطلِعه على رسالةٍ

---

(١) ينظر اليانع الجني لوحة ٣٥.

كتَبَها أحدُ المغالطين ونَشَرَها، يغالط فيها على الناس، ويشوّش عليهم في مسألة الغناء المصحوب بالمعازف وآلات الطرب، يذكر فيها أن إنكارَ سماعِ الغِناء مخالفةٌ للسُّنَّة، ومخالفةُ السنة كُفْر، والإعراضُ عن سماعه والانتهاء عنه فسق.

ويَستنجدُ هذا الفاضل المرسِل للرسالة بالشيخ محمد عابد ليردّ على مؤلِّفها، وليعيدَ الصواب والحقَّ إلى نصابه، فأجابه الشيخ محمد عابد، وكَتَبَ رداً مطوَّلاً على هذه الرسالة في كتابٍ سمَّاه: كَفُّ الأماني عن سماع الأغاني[1]، مُتَعَقِّباً كلَّ ما ذُكِرَ فيها، مبطِلاً ما ظنَّه كاتبُها دليلاً على مغالطاته وتشويشاته.

٢- ومن الشواهد أيضاً على أن الشيخ محمد عابد كان مَرْجعاً وركناً علمياً شديداً، أن أحد كبار العلماء في اليمن، ممن استقرَّ في الحجاز، وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٢٤٦، وهو العلامة الفقيه الشافعي الشيخ يوسف بن محمد البَطَّاح الأهْدَل، كان يسأل الشيخ محمد عابد ويرجع إليه في مسائل فقهية عديدة، منها حين سأله عن مسألة إخراج زكاة الحبِّ بالقيمة، فكتب له الشيخ محمد عابد رسالةً[2] فيها جواب عن مسألته تلك، جاء في مقدّمتها:

«هذا سؤالٌ سأله مولاي العلامة الفهَّامة السيد يوسف البطاح، حين وَفَد إلى المدينة المشرَّفة زائراً، سنة ١٢٣٦ ما ملخصه:

ما قولكم في إخراج زكاة الحَبِّ، هل يجوز إخراجها بالقيمة أم لا؟

---

(١) (مخطوط) وسيأتي ذكره إن شاء الله ضمن كتبه الفقهية.

(٢) (مخطوطة) وسيأتي ذكرها إن شاء الله ضمن كتبه الفقهية.

وهل...» الخ.

٣- بل كان الشيخ محمد عابد عند القضاة والعلماء بمثابة ما يسمى الآن: رئيس محكمة تمييز الأحكام ونَقْضها، في توجيههم للحكم الصواب ونحو هذا، وهو لم يكن يشغل هذا المنصب، بل كان واقعه العلمي والعملي كذلك، اعتماداً منهم عليه، وثقةً بعلمه وقضائه وخبرته.

ففي مقدمة رسالة الشيخ محمد عابد التي سماها: «غُنية الزّكي في مسألة الوصي»، قال:

«... إنه لما كان صفر سنة ستٍ وثلاثين وألف ومائتين، وأنا بالمدينة المشرَّفة - على مشرِّفها أفضل الصلوات وأكمل التسليمات - وَصَلَتْني من مكة المكرمة ورقةٌ اشتملت على دعوى المدّعي، وشهادةِ الشهود، وفتوى مفتي وَقْتِنا بها[1] - أبقاه الله تعالى، ونَشَر فَيْضه -أخبرني مَن أطلقها عليَّ، أن المفتي عوَّل في تصويب ما حرّر - إن كان صواباً - أو تبيَّن ما فيه إن كان ثمة ما يوجب إصلاحه[2].

فتأمَّلْتُ ما فيها، فرأيت تحريرَ كلامٍ لا غِنى عنه.

---

(١) جاء في وسط الرسالة ذِكْر اسمه، وأنه مفتي الأحناف بمكة المكرمة الشيخ عبدالحفيظ ابن الشيخ درويش العجيمي، وقد ترجم له الميرداد في نشر النور والزهر (المختصر ص ٢٣١)، ووصفه بمسند الحجاز، العالم المحقق المدقق، كان قاضي مكة، والإمام والخطيب والمدرِّس بالمسجد الحرام، وكان يُلقَّب بأبي حنيفة الصغير لشدة فقهه، وله فتاوى في مجلد ضخم، وعدة رسائل، منها رسالة في جواز فعل الإنسان الاستخارة لغيره، وعليها تقاريظ من علماء مكة، توفي رحمه الله بمكة المكرمة سنة ١٢٤٦، وهو في سجود الصلاة بالمحكمة الشرعية.

(٢) هكذا نص المخطوط، وكأن في العبارة سقطاً، والله أعلم.

فسأنقل أولاً صورة ما كان في الورقة أولاً بلفظه، ثم أُعقب ذلك بما فَتَحَ الله علي...» الخ.

ثم كتب الشيخ محمد عابد تصحيحاً لما قضى به القاضي في ذلك، وحرَّر نقولاً كثيرة في المسألة، توضّح له الصواب في ذلك.

٤- ومن ذلك أيضاً، ما ذكره الشيخ محمد عابد في مقدمة رسالته: «القول الجميل في إبانة الفرق بين تعليق التزويج وتعليق التوكيل»[١]، حيث قال:

«... إني كنت في المدينة المشرفة سنة ١٢٣٦ وأرسل إليَّ شيخُ الحرم الرئيس المعظَّم قاسم آغا - وفّقه ربه، وصَرَفَ عنه كل ضَيْر آمين- ورقةً تشتمل على سؤالٍ وجوابٍ لمفتي وقتنا، فالسؤال ما لفظه:

ما قولكم في بِكرٍ بالغةٍ طلب منها بعضُ أقاربها أن توكل زيداً في تزويجها من ابن عَمِّها، فقالت: وكّلتُه إن رَضِيَتْ أمي، فزوَّجها الوكيلُ من ابن عمها قبل أن تُشاوِرَ أمُّها، وأنكرت الشهود التعليق، فهل يصح هذا العقد؟ أم لا بد من تجديد العقد بعد رضاء أمها؟ أفتونا مأجورين.

ولفظ الجواب: ... والله الموفق إلى طريق الحق، كَتَبَه مفتي المدينة المنورة أبو بكر بن عبدالسلام الداغستاني.

قال الشيخ محمد عابد: فلما استكملتُ مطالعتها، وقد أفاد رسولُ شيخِ الحرم أن أكتب تحتها ما يُشعِر بصحة الجواب أو فساده، فكتبتُ:

قد تأمل الحقيرُ ما رَقَمَه النِّحْرِير في جواب السؤال، فوجدتُه ناشئاً عن

---

(١) (مخطوطة) وسيأتي ذكرها إن شاء الله ضمن كتبه الفقهية.

عدم التحقيق بسبب الاستعجال، ولا غَرْو في ذلك، فالله تعالى قد تفرَّد بالكمال، ولما كانت مسألةً دينيةً يترتب عليها التحليل والتحريم، خصوصاً في أمر الفُرُوْج، لم يَسَعْني إلا أن أُنبِّه على المواضع التي مرَّ القلم فيها بغير إمعان النظر، فقوله:...».

وكَتَبَ تصحيحاً لما أفتى به ذلك المفتي ضمن هذه الرسالة التي سماها: «القول الجميل».

وهكذا لو تيسّر تتبع حياته العلمية، ومراسلات كبار العلماء له، لوجدنا الشيءَ الكثير من هذا، وكلُّ ذلك يدل على المكانة العلمية العالية المرموقة، التي أكرم الله تعالى بها الشيخ محمد عابد، والله يعطي الفضل من يشاء.

* * * * *

الفصل الثالث

ذِكْر بعض كبار العلماء المعاصرين للشيخ محمد عابد في المدينة المنورة حين تولى منصب رئاسة العلماء فيها

بعد أن ذَكَرْتُ ما أكرم الله تعالى به الشيخ محمد عابد في المدينة المنورة آخر عمره، من تولِّيه منصبَ رئاسة العلماء فيها، مِن قِبَل والي مصر والحجاز محمد علي باشا، رأيت من المستحسن أن نتعرّف على جملةٍ مِن أسماء مَن وقفت عليه من كبار العلماء والمفتين والقضاة، الذين كانوا في تلك الفترة في المدينة المنورة، حين تولى الشيخ محمد عابد هذا المنصب، من سنة ١٢٤٣ إلى آخر حياته سنة ١٢٥٧ رحمه الله تعالى.

وذلك من خلال تتبعي لكتاب: «قضاة المدينة المنورة» للشيخ عبدالله ابن زاحم، إمام الحرم المدني، ورئيس محاكم المدينة المنورة سابقاً سنة ١٤١٨، حيث جَمَعَ في هذا الكتاب أسماءَ قضاة المدينة المنورة، الذين عَثَر على ذِكْرهم في الوثائق والسجلات المحفوظة في محاكم المدينة المنورة [١].

وعلى هذا أذكر فيما يلي أسماءَ جملةٍ منهم، مع تحديد السنة التي كانوا فيها قضاةً في محاكم المدينة المنورة [٢]:

---

(١) وغالبُ مَن ذَكَرهم لم يقف على ترجمتهم.

(٢) وأشير هنا إلى أنه لم يتيسر لي الوقوف على أسماء غيرهم، مع مطالعتي لكتب تراجم علماء المدينة المنورة المتوفرة، ولا شك أن هناك عدداً كبيراً سوى هؤلاء.

١- الشيخ أحمد نجيب أفندي، كان قاضياً في محكمة المدينة المنورة سنة ١٢٥٢، كما في كتاب قضاة المدينة المنورة ٢/٣٣٣.

٢- الشيخ حسن بن عبده بن السيد مُوْرْسَوِي، كان قاضياً في محكمة المدينة المنورة سنة ١٢٤٩، وسنة ١٢٥٣، كما في قضاة المدينة المنورة ٢/٣٦١.

٣- الشيخ عبدالرحمن الأنصاري، كان قاضياً في محكمة المدينة المنورة سنة ١٢٤٧، كما في قضاة المدينة المنورة ٢/٤٢٤.

٤- الشيخ عبدالله محمد الأمين، كان قاضياً في محكمة المدينة المنورة سنة ١٢٤٧، كما في قضاة المدينة المنورة ٢/٤١٦.

٥- الشيخ السيد محمد أسعد، كان قاضياً في محكمة المدينة المنورة سنة ١٢٤٤، كما في قضاة المدينة المنورة ٢/٥٠٥.

٦- الشيخ محمد أمين بن عبدالسلام الداغستاني، كان قاضياً في محكمة المدينة المنورة سنة ١٢٤٨، كما في قضاة المدينة المنورة ٢/٥٠٧.

وتقدم قبل قليل في نص الشيخ محمد عابد، أن مفتي المدينة سنة ١٢٣٦ هو الشيخ أبو بكر بن عبدالسلام الداغستاني، ولعله أخو الشيخ محمد أمين هذا، والله أعلم.

٧- الشيخ محمد سعيد، كان قاضياً في محكمة المدينة المنورة سنة ١٢٤٧، كما في قضاة المدينة المنورة ٢/٥٠٦.

* * * * *

الباب الرابع

نشأة الشيخ محمد عابد العلمية ورحلاته

وذِكر شيوخه وتلاميذه

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : نشأة الشيخ محمد عابد العلمية .

الفصل الثاني : رحلاته .

الفصل الثالث : صلة الشيخ محمد عابد بحكام اليمن وغيرهم، وعظيم إكرام الجميع له .

الفصل الرابع : شيوخه وآباؤه في العلم .

الفصل الخامس : نشاطه العلمي ، وفيه مبحث خاص عن مكتبته النادرة .

الفصل السادس : تلامذته وأبناؤه في العلم .

الفصل الأول

نشأة الشيخ محمد عابد العلمية

١- لقد كان الشيخ محمد عابد السندي مَطْبوعاً على حُبِّ العلم والاشتغال به، راغباً عما يَعُوق عنه، حيث نشأ منذ نعومة أظفاره في جوٍّ علمي كريم فريد، إذ تربى في حِجْر جَدِّه شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري، وحِجْر والده وعَمِّه، العلماءِ الأعلام، وهكذا ترعرع في أسرة الفضل والعلم والدين، والعبادة والوعظ والأدب المتين، فهذه هي مدرسته الأولى التي تربى فيها، ورضع العلم النافع منها، وانطبع بها.

وهذه الحلقة من حياة الشيخ محمد عابد، هي أهم أطوار حياته، لأن حياة الإنسان كلها، إنما هي نتيجةُ تلك المقدِّمات، ونتيجةُ ذلك الطَّوْر القصير، طورِ الطفولة والنشأة، وهي التي تطبع صاحبَها كلَّ حياته بطابَعها الخاص[١].

فكان لعناية هذه الأسرة العريقة في العلم والدين، العناية التامة به،

---

(١) ينظر نشأة العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحَجْوي المغربي، المتوفى سنة ١٣٧٦، من كلامه هو رحمه الله في كتاب: «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية» ص ١٤١، فقد استقيت منه هنا عبارات كثيرة بتصرف.

وفضلِ توجيههم له بتربيته وتهذيبه، الأثرُ الكبير في طَبْعه على حُبِّ العلم والدين، إذ كانت أفعالُهم وأخلاقُهم كلُّها دروساً عِلْمية تهذيبيةً يَنْتَفع بها، والفكرُ في هذا السن فارغٌ من غيرها، فكانت تَنْقُش فيه نَقْشاً ثابتاً لا يتغير بإذن الله، حتى غَرَسوا في قلبه عِشقَ العلم، والهُيَامَ بحفظ القرآن ودراسته، وتثقّفت عواطفه، ونُقِش في روحه حُبُّ الدين والفضيلة.

* وهكذا كان شيوخه في هذه المرحلة الأولى من حياته هم أسرته جدُّه وأبوه وعمُّه، وعلى رأسهم عمّه الشيخ محمد حسين، حيث كانت وفاة جده وأبيه وهو بعد صغيراً، فكانت أكثر قراءاته على عمه، ومن ذلك قراءتُه عليه القرآن الكريم وإتقانُه له، وتجويدُه وتحقيقه على القراءات السَّبْع من طريق الشاطبية، كما ذكر ذلك في أول كتابه: حصر الشارد.

واستمرَّت قراءةُ الشيخ محمد عابد عليه في فنون العلم، من علوم القرآن والحديث والفقه الحنفي وأصوله، والنحو والصَّرْف، كما أخذ عنه علمَ الطب، حتى فاق فيه ونبغ نبوغاً كبيراً.

ويحدثنا الشيخ محمد عابد نفسه عن طلبه للعلم في هذه المرحلة فيقول[(١)]: «وأنا كنت صرفتُ همَّتي أيام حداثتي في الاشتغال بعلم السنة: قراءةً ومطالعةً وكتابةً وجمعاً لكُتُبها».

٢- وتأتي المرحلة الثانية من حياة الشيخ محمد عابد، بعد تأسيسه العلمي، ونبوغه منذ صغره، وفي هذه المرحلة بدأ يقرأ فيها على كبار علماء الحجاز، من أهل مكة وجُدَّة والطائف، «الذين كانوا رَبيعَ آكامه،

---

(١) في كتابه: «إيجاز الألفاظ»، مخطوط.

وخِصْبَ أهضامه، وزَهْرَ رياضه، وتُرَعَ حِياضه»[(١)]، فاستفاد منهم كثيراً بعد استفادته من والده وعمه الشيخ محمد حسين.

٣- ثم تأتي المرحلة الثالثة من حياة الشيخ محمد عابد، وهي رحلتُه إلى اليمن، وتنقُّله الكثير بين مدنِها وقُرَاها وجبالِها وأوديتِها، بَحْثاً عن العلم والعلماء، «حتى استفاد من علمائها كثيراً، واقتبس من أشعة عظمائها»[(٢)]، وكان يُثْني كثيراً على علماء اليمن، ويقول:

«طفْتُ أكثر البلدان، فلم أرَ مثلَ علماءِ صنعاء في التحقيق للعلوم والأحاديث، والتحرِّي للعمل بما صحَّ به النص»[(٣)].

ومن مشايخه في صنعاء العلامة القاضي الشوكاني، «فقد لازمه، وقرأ عليه في أغلب الفنون العلمية»[(٤)].

* ولكن ينبه هنا أن الشيخ محمد عابد بعد انتهاء المرحلة الثانية من حياته، وهي أخذه وتحصيله على عمه وعلى علماء الحرمين، وقبل رحلته إلى اليمن، وكانت سِنُّه آنذاك في حدود العشرين، كان قد بلغ في آخر تلك المرحلة مبلغاً كبيراً في العلم، وصار عالماً متمكناً في العلوم كلها، وبخاصة في فقه الحنفية وأصولهم، وفي النحو والصرف وغيرها من

---

(١) اليانع الجني ٣٥أ، والأهضام: جمع هَضْم، هو المطمئن من الأرض، وبطن الوادي، والتُّرَع: جمع تُرْعة، وهي الباب، ومفتح الماء حيث يستقي الناس، والمراد بذلك كله المعاني المجازية.

(٢) اليانع الجني ٣٥أ.

(٣) عقود الدرر، حدائق الزهر لعاكش، وعنه ابن زبارة في نيل الوطر ٢/٢٧٩.

(٤) عقود الدرر، حدائق الزهر، وينظر: درر نحور الحور العين.

العلوم، أما في الطب فقد حَلَّق فيه كثيراً، ونَبَغَ فيه نبوغاً ملفتاً للنظر، وهو في هذه السن المبكرة، ولذلك ما أن حَلَّ باليمن، وسَمِع به إمامُه وحاكمه المنصور، حتى استدعاه ليكون طبيبَه الخاص، وكان يعترف له ببراعته وحِذقه بالطب.

ويحكي لنا الشوكاني عن هذا التقدّم العلمي عند الشيخ محمد عابد، وهو في هذه السن المبكرة، حين كان يقرأ عليه في صنعاء سنة ١٢١٣، مع حضور مجموعةٍ من أعيان العلماء، فذكر وهو يصوِّر سَبْقه في العلوم، ونبوغَه فيها، حتى على أولئك الأعيان من العلماء الحاضرين، فقال[١]:

«وصاحب الترجمة - الشيخ محمد عابد - له يدٌ طُولى في علم الطب، ومعرفةٌ متقنةٌ بالنحو والصرف وفقه الحنفية وأصوله، ومشاركةٌ في سائر العلوم، وفَهْمٌ صحيحٌ سريع.

وكان وصولُه إلى صنعاء، وقد طلبه خليفة العصر الإمام المنصور بالله، لاشتهاره بعلم الطب سنة ١٢١٣، وتردَّد إليّ، وقرأ عليَّ في هداية الأبهري[٢]، وشرحها للمبيدي في علم الحكمة الإلهية، وكان يفهم ذلك فهماً جيداً، مع كون الكتاب وشرحه في غاية الدقة والخَفَاء، بحيث كان يحضُر جماعةٌ من أعيان العلماء العارفين بعدة فنون، فلا يفهمون غالبَ ذلك». اهـ.

قلت: هذا وهو شابٌ، فكيف وقد شاب؟ ولا ريب أنه زاد علماً وكمالاً ونُضْجاً.

---

(١) البدر الطالع ٢/٢٢٧.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٤٥ في ذكائه.

تـنـاهَـتْ عـلاءً والشـبابُ رداؤها

فما ظنّكم بالفضل والرأس أَشْيَبُ[١]

* وفي أثناء هذه المرحلة الثالثـة، بـدأ الشـيخ محمـد عابـد بـالإقراء والتصنيف ونَشْر العلم، واستمر في ذلك بجدٍّ ونشاط واجتهاد عجيب إلى آخر حياته رحمه الله تعالى.

٤- ويمكن هنا جعل مرحلة رابعة، وهي مرحلة تلقـي الشـيخ محمـد عابد عن علماءَ ومشايخَ لم يأخذ عنهم من قبل، وذلك خلال رحلاته التي قام بها من اليمن إلى الحجاز مرات، وإلى السند والهنـد ومصـر، وهكـذا إلى أكثر الآفاق، فكان يلتقـي بالعلمـاء، فيَسْـتجيزهم ويَسْـتجيزون منـه، ويأخذ عنهم ويأخذون عنه، ويبـاحثهم ويباحثونـه، شـأنُه في ذلـك شـأنُ العلماء النُّظَّار الكبار.

* * * * *

(١) ينظر تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي، للشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله، ص ١٨٧، فقد استشهد بهذا البيت دون ذكرٍ لقائله.

الفصل الثاني

رحلاته

تقدم أن الشيخ محمد عابد السندي وُلد في السند، في حدود سنة ١١٩٠ هـ، ثم هاجر مع جده ووالده وعمه إلى بلاد الحجاز، وهو طفل صغير السن، وكانت هذه أول رحلة له، وذلك في سنة ١١٩٤، وكان استقرارهم في مدينة جدة، مع تردّدهم إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

ولما توفي جَدُّه سنة ١١٩٨، بقي مع والده وعمّه الشيخ محمد حسين السندي الأنصاري يتنقل في الحجاز، بين مكة والمدينة والطائف وجدة وغيرها، بحثاً عن العلم والعلماء.

وحين توفي والده الشيخ أحمد علي في جدة سنة ١٢٠٢، وهو بعد في حدود الثانية عشر من عمره، يظهر أنه بقي في بلاد الحجاز إلى سنة ١٢٠٨، ثم رحل مع عمه الشيخ محمد حسين إلى بَنْدَر الحُدَيْدَة باليمن، وكان عمه مشهوراً بعلم الطب، مع إتقانه للعلوم الأخرى، كما كان الشيخ محمد عابد له يدٌ طولى في علم الطب، ومعرفةٌ متقنة بالنحو والصرف وفقه الحنفية وأصوله، ومشاركةٌ في سائر العلوم، كما تقدم.

وكان غالب مقامه واستقراره باليمن في مدينة زبيد والحديدة متنقلاً

بينهما، ولكن في زبيد أكثر، «حتى عُدَّ من أهلها، وجَعَلَه الساباطي في فهرسته من علمائها»[١]، كما تولى قضاء زبيد مدة طويلة من الزمن، كما سيأتي.

* وكان مدة إقامته في اليمن كثير التحنّن للحج والعمرة، وقد حجَّ من اليمن مرات عديدة، كان إحداها في السنة التي توفي فيها عمه الشيخ محمد حسين، حيث كانت وفاته في جمادى الأولى سنة ١٢١١ في الحديدة باليمن.

وفي هذه الرحلة حين وصل الشيخ محمد عابد إلى مدينة الطائف، وهو قادم من اليمن إلى الحج، كان العلامة الشيخ محمد طاهر سنبل يدرّس في الطائف، فقرأ عليه فيه، ثم قرأ عليه مرة أخرى أيام الحج في مكة المكرمة، وأجازه إجازة عامة، كان تاريخها سنة ١٢١١[٢].

* وبعد عودته من الحج واستقراره في الحديدة «طلبه خليفة العصر الإمامُ المنصور بالله عليٌّ ابنُ المهديِّ العباس، إلى حضرته العلية من الحُدَيْدَة، لاشتهاره بعلم الطب، فوَصَلَ إلى الحضرة، ومَكَثَ بها بُرهةً يتطبب لإمامها، وانتفع جماعةٌ من الناس بأدويته.

وكان وصوله إلى صنعاء سنة ١٢١٣، وفيها كان يتردد على العلامة الشوكاني، ويقرأ عليه، ثم عاد إلى الحُدَيْدَة في شهر شوال من تلك السنة، بعد أن أحسن إليه الخليفة، وقرَّر له معلوماً نافعاً، وكساه، ونال

---

(١) اليانع الجَني ٣٥، فهرس الفهارس ٢/٧٢٠.

(٢) ينظر فهرس الفهارس ١/٣٦٤، وكذلك ظَهْر نسخة الشيخ محمد عابد من كتابه: حصر الشارد، حيث توجد تراجم موجزة لعددٍ من مشايخه، ومنهم الشيخ محمد طاهر سنبل.

من فائض عطاه.

ثم تكرر وُفوده إلى صنعاء مرةً بعد مرة في أيام المنصور، ثم في أيام الإمام المتوكل، ثم في أيام الإمام المهدي» [١].

وفي هذا يقول تلميذه الشيخ عاكش:

«وقد سكن مدينة صنعاء مدة طويلة، واستفاد دنيا واسعةً من الإمام المنصور علي ابن المهدي العباس، وكان يتنقل في التهايم والجبال اليمنية، بحثاً عن العلم والعلماء» [٢].

* «وقد سمع الحديثَ المُسَلْسَلَ بالأولية باليمن من الشيخ يوسف المزجاجي، في زبيد سنة ١٢١٣» [٣].

«وكان الإمام المنصور يُدْنيه منه، وكان شديدَ المحبة له، وجَمَّل موقفَه به.

وهو مع هذا، إذا وَرَدَتْ أيام الحج، لم يصبِر عن السفر إلى بيت الله الحرام، فحجَّ مدة إقامته بصنعاء نحو ست مرات» [٤].

---

(١) ينظر البدر الطالع ٢/٢٢٧.

(٢) عقود الدرر، حدائق الزهر، وقد نصَّ الشيخ محمد عابد نفسه على تنقّله في جبال اليمن، حيث جاء في آخر رسالةٍ له، فيها جوابٌ عن السؤال الذي وُجِّه إليه عن كرامات الأولياء، والتصديق بها، فقال في آخرها: «وكان الجواب في سنة ١٢٣٤، بعد دخولي الحديدة المحروسة، وعلى ساق العزم بالسفر إلى بعض الجبال» اهـ.

(٣) حصر الشارد لوحة ٢١٣.

(٤) عقود الدرر، حدائق الزهر، درر نحور الحور العين، نيل الوطر ٢/٢٧٩ نقلاً عن عاكش.

* وكانت إحدى هذه الرحلات إلى الحج سنة ١٢١٦ مع صاحبه وتلميذه الشيخ لُطْف الله جحّاف[1]، وفي سَنَتِها أجازه الشيخ صالح الفُلاني في مكة المكرمة، ثم عاد الشيخ محمد عابد إلى اليمن.

* ورحلة أخرى للحج كانت سنة ١٢٢٩-١٢٣٠، فقد قال الشيخ محمد عابد في آخر ترتيبه لمسند الإمام الشافعي:

«وكان الشروع في جَمْعه في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٩ بعد ما ركبْتُ في ساعيةٍ لسفر الحج، وكان تمامُه والفراغُ منه بعد العصر، يوم الخميس، ليلة عشرين من ربيع الأول، سنة ١٢٣٠، وذلك عند رجوعي من أرض الحرمين في مسجد القُنْفُذَة[2] وجامِعِها».

- وفي سنة ١٢٣٢ في جمادى الأولى كان مستقراً في اليمن في بندر المَخَا، حيث إنه في هذا التاريخ أنهى تسويد كتاب: المواهب اللطيفة شرح مسند الإمام أبي حنيفة، كما جاء بخطه في خاتمة كتابه هذا.

* وهكذا بقي الشيخ محمد عابد في اليمن عالِماً معلِّماً قاضياً، طبيباً نافعاً، مقرَّباً إلى خلفاء اليمن وحكّامه، المنصور ثم ولده المتوكل، ثم المهدي.

* وفي أيام الإمام المهدي عبدالله بن أحمد سنة ١٢٣٢، أرسله هذا

---

(١) وقد ألّف الجحاف كتاباً في هذه الرحلة سماه: «قرة العين بالرحلة إلى الحرمين»، ذَكَرَه في كتابه: درر نحور الحور العين، في آخر حوادث سنة ١٢١٨، وذكره مترجموه أيضاً، وقد بحثت عنه كثيراً، فلم أصل إليه.

(٢) القُنْفُذَة بلدةٌ مشهورة في طريق الجنوب من مكة المكرمة إلى اليمن، على بعد حوالي (٤٠٠) كم عن مكة المكرمة.

الخليفة بطريق السفارة إلى والي مصر محمد علي باشا، ومعه هدية، وكان حكام اليمن موالين له وللسلطة العثمانية، فأكرم وِفَادَتَه، وعَرَفَ فضلَه وعلمه وعظيمَ قَدْره.

وفي مصر التقى بالعلماء، وتعرَّف على حال العلم فيها ـ كما سيأتي ـ ثم عاد في ربيعٍ الآخر سنة ١٢٣٣ إلى صنعاء [١].

* وفي سنة ١٢٣٤ كان موجوداً في الحديدة باليمن، كما جاء في آخر جوابه عن السؤال الذي وُجِّه إليه عن كرامات الأولياء وتصديقها.

* ثم رحل في هذه السنة ١٢٣٤ إلى الحجاز، فقد أنهى المجلد الأول من شرحه على مسند الإمام الشافعي في مكة المشرفة، في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٣٤، كما أقام بالمدينة المنورة مدة، فقد وقفت له على جواب عن سؤال وجَّهه إليه العلامة الشيخ يوسف ابن محمد البطاح (ت ١٢٤٦)، كَتَبَ في أوله الشيخ محمد عابد ما نصّه:

«هذا سؤال سأله مولاي العلامة الفهامة السيد يوسف البطاح حين وفَدَ إلى المدينة المشرفة زائراً سنة ١٢٣٤، ما ملخَّصه...» [٢].

* وأيضاً ففي جمادى الأولى سنة ١٢٣٥ كان الشيخ محمد عابد في المدينة المنورة، وذلك حين أجاز الشيخَ عارف حكمت إجازته الثانية، كما هو في نَصِّ إجازته له [٣]، وأنها كانت في الحرم الشريف النبوي بهذا التاريخ.

* وكأن الشيخ محمد عابد في هذه الرحلة الأخيرة إلى المدينة

(١) ينظر نيل الوطر ٢/ ٢٨٠.
(٢) وسيأتي هذا السؤال وجوابه ضمن مصنفاته الفقهية عن إخراج القيمة في زكاة الحَبّ.
(٣) ينظر شهي النغم ص ٢٠٦.

المنورة،لم يرجع إلى اليمن مباشرة، بل جلس مدة من الزمن فيها، حيث أنهى شرح كتاب الصوم والزكاة من «طوالع الأنوار» سنة ١٢٣٦في المدينة المنورة، كما صرَّح بذلك في آخر الجزء الثاني منه.

* وأرَّخ أيضاً رسالته: غُنْية الزكي في مسألة الوصي، في ربيعٍ الثاني سنة ١٢٣٧ وهو بالمدينة المنورة.

* ولعل رحلته الأخيرة هذه إلى المدينة المنورة، هي التي قَصَدها صاحب اليانع الجني [١] حين قال بعد ذِكْر عودة الشيخ محمد عابد من مصر:

«وقد بَلَغَني أنه جاء مرة ليُلْقِي بها - بالمدينة المنورة - جِرَاناً، ويتَّخذ من أهلها جيراناً، فنَزَلَ فيهم يَحْبُوهم ويَنْحَلُهم مما أعطاه الله، ويُقوِّم الأَوَدَ منهم بنُصْحه، ويَسُدُّ الثُّلْمَةَ منهم بوَعْظه، فكأن الناسَ نَقَمُوا منه هذه الخَصْلة، إذ شَقَّ عليهم أن يُفْطَمُوا عن أهوائهم التي دَبَّت في صدورهم دَبِيْبَ النَّمْل، ومَشَت في عروقهم مَشْي الحُمَيَّا، فقاموا عليه، وكالبوه ورَمَوْه عن قوسٍ واحدة، فقوَّض خِبَاءه من فِنائهم، وارتحل إلى حيث وجَّهه مولاه»، فعاد إلى اليمن، بعد أن آذاه أهل البدع والأهواء، ممن كان يساكن أهل المدينة آنذاك.

* ثم إن الشيخ محمد عابد وهو في اليمن، قبل استقراره الأخير في المدينة المنورة سنة ١٢٤٣، «عاوَدَ السفرَ إلى أرض قومه السند، فدخل (لُواري) [٢] بلدةً بأرض السند، مما يلي بندر (الكَرَاصي) [٣] - بندر

---

(١) لوحة ٣٥.

(٢) بضم اللام وإهمال الراء وتخفيف المثنَّاة من تحت، كما في اليانع الجني.

(٣) بفتح الكاف وإهمال الراء، بعدها ألف فصاد مهملة مكسورة، فمثناة مخففة، =

معروف على ساحل السند من مضافات حيدر آباد - وأقام بها ليالي معدودات.

ثم هَزَّه الشوقُ إلى بلاد العرب، فعَطَفَ إليها عِنَانه، وقضَّ إلى عُشِّه جناحيه»[١]، فعاد إلى اليمن.

وفي هذه الرحلة إلى بلاد الهند والسند، كانت إجازته لتلميذه العالم المحدِّث أبي الفضل عبدالحق العثماني المكي المِنَاوي مَدْفناً، المتوفى بمِنى سنة ١٢٨٦، فقد أجازه الشيخ محمد عابد إجازةً عامة بالهند، ثم باليمن[٢].

* ولما رجع الشيخ محمد عابد من هذه الرحلة إلى اليمن، واستقرَّ فيها مدة، زاره شيخُه الشيخ محمد زمان السندي في اليمن، وطلب من الشيخ محمد عابد الإجازة، فأجازه إجازة عامة.

ثم طلب الشيخُ محمد عابد منه الإجازة، فأجازه الشيخ محمد زمان، فتدبَّجا.

وكانت استجازة الشيخ محمد عابد من الشيخ محمد زمان مرتين: مرة في ربيع الأول سنة ١٢٣٨، ومرة في جمادى الأولى سنة ١٢٣٩، في بندر المَخَا[٣] حيث مسكن الشيخ محمد عابد باليمن.

= اليانع الجني.

(١) اليانع الجني لوحة ٣٦أ، أبجد العلوم ٣/١٧١.

(٢) فهرس الفهارس ١/٣٦٨.

(٣) ينظر حصر الشارد ٣٠٦ب، فهرس الفهارس ١/٣٦٩.

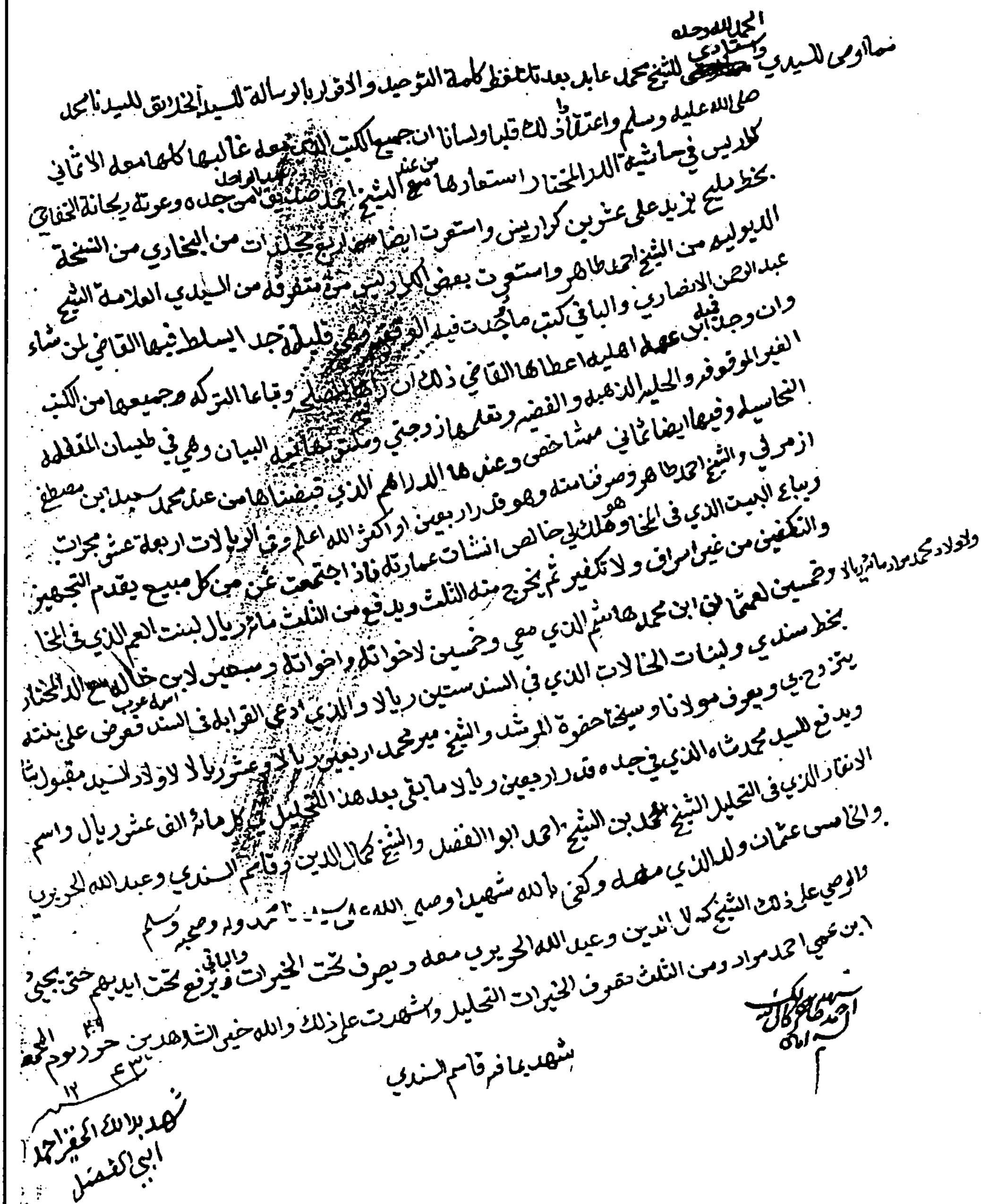
وفي هذا التاريخ سنة ١٢٣٨ أرَّخ الشيخ محمد عابد انتهاءه من رسالة: (فَكّ المِحْنَة) في صنعاء سنة ١٢٣٨، كما هي بخطه.

* وهكذا بقي الشيخ محمد عابد في اليمن، وهو يدعو الله تعالى دائماً، وبإلحاحٍ أن يردّه إلى المدينة المنورة، وأن يجعل له فيها قراراً على أحسن حال، حتى استجاب الله له دعوته، وعاد إليها مع العز والكرامة، والنفع الخاص والعام للمسلمين، حيث تمَّ تعيينه سنة ١٢٤٣ رئيساً للعلماء في المدينة المنورة، من قِبَل محمد علي باشا، إذ كانت بلاد الحجاز تابعة لولايته، كما تقدم في ترجمته.

* وقد رأيتُ بهذا التاريخ سنة ١٢٤٣ قبل مغادرة الشيخ محمد عابد من اليمن، وصيةً له بقلم وصياغة أحد تلامذته من السنديين، وتَظهر فيها لُكْنةٌ واضحة، وجدتها على ظهر نسخة من كتاب: «عمدة القاري» للعيني، من كتب الشيخ محمد عابد، وعليه وقفيته له على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، برقم ٨٦١.

وتتضمن هذه الوصية توزيع بعض ما يملكه الشيخ محمد عابد، والأمرَ ببيع بيته الذي يملكه في بندر المَخَا، وفيها تحديد لدفع قَدْرٍ معيَّن من الريالات، تُوزَّع على بعض أقاربه من أولاد عمومته وخالاته وغيرهم، وعلى الوصية شهادةُ الشهود بما فيها.

وفيما يلي صورة هذه الوصية:



الحمد لله وحده

مما اوصى السيدي ومستندي الشيخ محمد عابد بعد تلفظ بكلمة التوحيد والاقرار بالرسالة لسيد الخلائق لسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم واعتقاد ذلك قلبا ولسانا ان جميع الكتب التي [illegible] غالبها كلها معلم الا ثماني
كراريس في حاشية الدر المختار استعارها مني الشيخ احمد صديق [illegible] من جده وعوته ريحانة الخفاجي
بخط مليح يزيد على عشرين كراريس واستعرت ايضا منه اربع مجلدات من البخاري من النسخة
الديوليه من الشيخ احمد طاهر واستعرت بعض الكراريس [illegible] متفرقة من السيدي العلامة الشيخ
عبد الرحمن الانصاري والباقي كتب ما وجدت فيه الوقف [illegible] فليس لاحد ابطالها القاضي لمن شاء
وان وجد ابن عمه [illegible] اهلية اعطاها القاضي ذلك ان [illegible] وتباع التركة جميعها من الكتب
الغير الموقوف والحلي الذهب والفضة [illegible] زوجتي [illegible] البيان وهي في [illegible]
[illegible]

صورة لوصية الشيخ محمد عابد بتوزيع بعض ممتلكاته باليمن
بخط وصياغة أحد تلامذته السنديين

* وهكذا بلغت هذه الرحلة المجملة الطويلة أكثر من ثلاثين سنة، من حوالي عام ١٢٠٨ تقريباً إلى ١٢٤٣، أمضاها الشيخ محمد عابد في اليمن عموماً، مع خروجه منه في عدة رحلات، إلى الهند والسند ومصر وغيرها من البلاد، حتى قال: «طِفْتُ أكثر الآفاق»[١].

وقد تساءلت متلمِّساً سببَ رحلته أصلاً من بلاد الحجاز، وتَرْكِه بلادَ الحرمين الشريفين، مع حُبِّه الشديد لهما، وذهابِه إلى اليمن بعد أن نَهَلَ من علماء الحرمين الشريفين، واستفاد منهم كثيراً.

بعد بحثٍ كثيرٍ عن السبب في ذلك، لم أجد جواباً لتساؤلي هذا، إلا أنني من خلال دراستي للظروف السياسية لبلاد الحجاز ومكة في تلك الفترة التي كان فيها الشيخ محمد عابد مع عمه الشيخ محمد حسين، رأيت أنها كانت فترةَ أحداثٍ وفتنٍ وقتال على السلطة في بلاد الحجاز، وكانت اليمن إذ ذاك في هدوء وأمن وأمان، وكانت دارة علم مشهورة، ومحطّاً للعلماء، ومأرِزاً للفقهاء والمحدثين واللغويين وغيرهم، وبخاصةٍ مدينة زبيد والحديدة وصنعاء.

ومن هنا - والله أعلم - جاء اختيار الشيخ محمد حسين عم الشيخ محمد عابد بلادَ اليمن، لاستقراره فيها، ومعه ابنُ أخيه الشيخ محمد عابد، وهو في قِمَّة نشاطه العلمي.

وقد وَجَدَ الشيخ محمد عابد هناك أرضاً خِصبةً لإشباع نَهَمِه العلمي، وطاب له العيش والمقام هناك، وكان ما كان من زواجه ببنت وزير اليمن، وأحد فحول علمائها الكبار الشيخ علي العَمَّاري، فقيَّدوه حين زوَّجوه،

---

(١) عقود الدرر، حدائق الزهر لعاكش.

فبقي عندهم يُفيد ويستفيد.

ثم كانت صلته بإمام اليمن المنصور بالله، الذي كفاه مؤونة الرزق، فتفرّغ الشيخ محمد عابد للعلم بالكلية، واجتمع له الدين والعلم، وأقبلت عليه الدنيا، لكنه زَهِدَ فيها، وسخّرها للعلم والتعليم، وكَتَبَ الله له العزَّ والجاه والسيادة، وكان أحقَّ بذلك، وأهلاً له.

* وبعد انتقاله من اليمن واستقراره في المدينة المنورة رئيساً لعلمائها، وهو في غاية ما يكون من العز والكرامة، فإنه لم يزل مجتهداً في العبادة، وفي نَشْر العلم: تأليفاً وتعليماً وإحياءً لسنة رسول الله ﷺ في جَنَبَات المسجد النبوي الشريف.

* وهو مع توطّنه في المدينة المنورة، كان يتردَّد إلى مكة المكرمة[١] وجدة، فقد وقفتُ على تاريخ انتهائه من جزءٍ من كتابه: طوالع الأنوار، من أول كتاب الحج إلى الجنايات، وذلك سنة ١٢٤٣ في مدينة جدة.

وانتهى من كتاب الصوم من طوالع الأنوار في ١٦ شوال سنة ١٢٤٤ بالمدينة المنورة، كما أنهى آخر جزء من طوالع الأنوار في المدينة المنورة سنة ١٢٤٧.

ورأيت بخطه نسخةً من كتاب: «حاشية الطحطاوي على الدر المختار»، وتاريخ نسخه له سنة ١٢٤٥ بالمدينة المنورة، وهو من محفوظات المحمودية برقم ٩٨٦.

أما وقفياته لكُتُبه التي وقفها على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة،

---

(١) كما ذكر تلميذه عاكش في عقود الدرر، وحدائق الزهر، وعنه ابن زبارة في نيل الوطر ٢/٢٧٩.

فكانت سنة ١٢٤٩، وتجد هذا كثيراً على ظهور كتبه في المحمودية.

* وفي تاريخ ٢٨ شعبان سنة ١٢٥١ انتهى من نَسْخ كتاب «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو نازلٌ بمدينة (مَسْتورة)، متجّهٌ منها نحو مدينة (رابغ) إلى مكة المكرمة، للاعتمار في شهر رمضان(١).

وانتهى من الجزء الثاني من شرح مسند الإمام الشافعي، وبخطه سنة ١٢٥٥ بالمدينة المنورة.

وهكذا بقي بالمدينة المنورة عالماً معلِّماً، إلى أن وافاه الأجل فيها سنة ١٢٥٧ بعد هذه الرحلات الطويلة التي طاف بها أكثر الآفاق.

رحم الله الشيخ محمد عابد رحمةَ الأبرار الأصفياء، وجزاه عن الإسلام والعلم خير الجزاء.

* * * * *

(١) كما جاء في نهاية الجزء الأول من هذه النسخة من «لسان الميزان» المحفوظة بالمكتبة المحمودية، برقم ٣٨٠، ٣٨١.

الفصل الثالث
صلة الشيخ محمد عابد بحُكَّام اليمن وغيرهم
وعظيم إكرام الجميع له

تقدم أن الشيخ محمد عابد حين استقرَّ باليمن، كان له اتصالٌ بحكامه، بعد أن تزوَّج بنت وزير إمام اليمن الشيخ علي العماري، «وكان يتكرر وُفُوده من الحُدَيْدة إلى صنعاء مرةً بعد مرة في أيام الإمام المنصور، ثم في أيام الإمام المتوكل، ثم في أيام الإمام المهدي، وهو الذي أرسله إلى مصر بطريق السفارة إلى الباشا محمد علي بهدية منه، أرسلها على يديه، وكان ذلك سنة ١٢٣٢»[(١)].

ومن هنا كانت المعرفة والاتصال بين الشيخ محمد عابد والباشا محمد علي والي مصر والحجاز آنذاك، وتمَّ وقوف الباشا على شيء من فضله ونُبْله، وأشرف على بعضٍ من عظيم شأنه، وزادت شهرته عنده مع الأيام، وكان ما كان من تعيينه له فيما بعد رئيساً لعلماء المدينة المنورة سنة ١٢٤٣[(٢)].

* وكانت المحبةُ والمودة متبادلةً بين الشيخ محمد عابد وبين حكام اليمن، وقد وقفتُ على نص للشيخ محمد عابد يدل على وفائه لهم،

---

(١) البدر الطالع ٢/٢٢٧، اليانع الجني لوحة ٣٥.

(٢) ينظر اليانع الجني لوحة ٣٥.

ودعائه وابتهاله لبقاء دولتهم وسيادتها.

فإنه حين ترجم الشيخ محمد عابد للشيخ أبي الحسن السندي الصغير في كتابه: تراجم شيوخه وشيوخ شيوخه [(١)] قال:

«وكان من عادة الشيخ أبي الحسن السندي الصغير، أنه يكتب صحيحَ البخاري بخطه في مجلَّد واحد لطيف، مع حُسْن الخط والضبط، فعند تمامها يتنافس فيها الناسُ، ويَبْلُغُ ثمنُها إلى مائة ريال.

وبخطه نسخةٌ موجودة في خِزانة إمام اليمن أَيَّد الله تعالى دولتَه، وأبَّد خلافَتَه، وألهمه العدل في الرعية. آمين» اهـ.

* ولما وقفتُ على عُمْق صِلَته بحكام اليمن، الإمامِ المنصور وأولادِه من بعده، والتي كانت بدايتها بتطبيبه للإمام المنصور، ثم وقفت على دعائه الكريم لهم، تساءلتُ في نفسي مدةً عن سبب هذه المحبة العظيمة، والأُلفة الشديدة بينه وبينهم، إلى أن وقفت على نصٍ مُجْمَل نَقَله ابنُ زَبَارة في نيل الوطر[(٢)] عن تلميذِ وصاحب الشيخ محمد عابد، وهو لُطْف الله جَحَّاف في كتابه: «درر نحور الحور العين» قال فيه:

«وفي آخر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٠، وَصَلَ كتابٌ من الشيخ محمد عابد السندي إلى سَيْف الإسلام أحمد ابن المنصور علي، يتضمَّن رؤيا للإمام الخ ما ساقه جحّاف في درر نحور الحور العين» اهـ، هكذا ولم يُتمّ ابنُ زبارة النقل.

ثم يسَّر الله لي تصوير مخطوطة كتاب: «درر نحور الحور العين»،

---

(١) مخطوط.

(٢) ٢/٢٨٠.

ووقفت فيه على نص هذه الرؤيا، التي عَرَفْتُ من خلالها سبباً من أسباب عُمْق الصلة بين الشيخ محمد عابد وحكام اليمن.

وهي رؤيا صالحة طويلة، رأى فيها الشيخ محمد عابد النبيّ ﷺ، وفيها بشارة عظيمة للإمام المنصور، حين خرج عليه الشريف حمود، وما كان بينهما من الفتن، التي انتهت بخذلان الشريف حمود، ونصرة الإمام المنصور.

ومضمون الرؤيا يدل على صلاح ومكانة هذا الإمام المنصور المكانة العالية، مما جعل الشيخ محمد عابد يزداد به صلةً وإعجاباً، فلم يَبْقَ للرجل الصالح من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة، يراها أو تُرَى له.

وقد قال لطف الله حجاف عقب إيراده لهذه الرؤيا: «وأوردتُ الرؤيا لجلالة الرائي، وعِلمي بتحرِّيه الصدق» اهـ.

* كما كان للشيخ محمد عابد اتصال كريم بأئمة نجد وأمرائها في الدولة السعودية الأولى، حيث كانوا يُجلّونه ويُقدِّرونه أتمّ التقدير، فإنه حين تولى قضاء مدينة زبيد سنين طويلة[1]، كانت زبيد - وجانب عظيم من اليمن[2] - مدةً غير قصيرة تابعة لإمارتهم ودولتهم، وبقي فيها الشيخ محمد عابد قاضياً، وذلك لما رأوا من علمه وفضله ونُبْله، وسيأتي ذكر صلته بعلماء الدولة السعودية الأولى، إذ من مشايخه الذين يروي عنهم، الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي التميمي.

---

(١) ففي فهرس الفهارس ٧٢١/٢ نقلاً عن التحفة المدنية أنه تولى قضاء زبيد مدة طويلة.

(٢) الأعلام ٢٥٧/٦.

وهكذا نرى أن الشيخ محمد عابد كان محبوباً مقدَّماً مقدَّراً عند كلِّ مَن عَرَفَه من الخاصة والعامة، من الحكام والأمراء والعلماء وسائر الناس، لما وَهَبَه الله تعالى من مزايا وخِصال، وهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء.

* وأذكِّر هنا للمناسبة، أن للشيخ محمد عابد رسالةً تتعلق بالسياسة الشرعية، تكلم فيها عن وجوب طاعة الإمام الحاكم المسلم فيما ليس بمعصية، وحدود تلك الطاعة، سمّاها: «إلزام عساكر الإسلام بالاقتصار على القَلَنْسُوة طاعةً للإمام»، وستأتي ضمن كتبه ورسائله الفقهية إن شاء الله تعالى.

* * * * *

الفصل الرابع

شيوخه وآباؤه في العلم

تقدم أن الشيخ محمد عابد رَحَلَ إلى أكثر الآفاق، بحثاً عن العلم والعلماء، وكان من المتوقع نتيجة ذلك أن يكون عددُ مشايخه الذين تلقى عنهم كبيراً، وبخاصة أنه تلقى العلم قبل سفره إلى اليمن على علماء الحجاز: مكة والمدينة والطائف وجدة، وكانت بلاد الحجاز آنذاك تغصُّ بالعلماء الأعلام، ما عدا العلماء القادمين إلى الحرمين الشريفين في مواسم الحج والعمرة.

وأيضاً فإنه لما رحل إلى اليمن وأخذ عن علمائها، كانت اليمن إذ ذاك دارة علم كبيرة، وقد طاف الشيخ محمد عابد مدن اليمن وجبالها وسهولها وتهايمها.

كل هذا يجعل الباحثَ المفتِّش عن مشايخه مترقباً لوقوفه على عددٍ كبيرٍ لهم، والواقع أنني لم أقف له إلا على ثمانية عشر شيخاً.

ولعل السرَّ في ذلك أن الشيخ محمد عابد، كان مهتماً بالكيف لا بالكَمّ، ولا شك أن هذا هو الغاية الأولى المرجوّة من لُقيا العلماء والأخذ عنهم، وهذا هو واقع الشيخ محمد عابد، فقد كان مليئاً بالعلم مفنَّناً متقِناً، صاحبَ أدب ودين وخُلُق، حصَّل ما حصَّل عن طريق هذا

العدد القليل من العلماء، وازداد علماً بجهده ونشاطه ومطالعته الذاتية، بعد توفيق الله له، وتيسير الأمور والأسباب.

وهناك احتمال آخرُ واردٌ جداً، وهو أن يكون له مشايخ آخرون أخذ عنهم، ولم نقف على أسمائهم، حيث لم يُهْتَمَّ بتدوينهم، وقد صرَّحَ الشيخ محمد عابد في كتابه: حصر الشارد، أنه لم يذكر فيه كلَّ مروياته رَوْماً للاختصار.

وقد جمعت أسماء مشايخه من خلال تتبعي لمروياته في كتابه: حصر الشارد، وإجازاته، وكذلك كتابه: تراجم مشايخه ومشايخ مشايخه، وغيرها من كتبه وكتب المترجمين له.

* وأسرد فيما يلي ما وقفت عليه من أسمائهم، مرتِّباً لهم على حسب حروف المعجم، مع ذكر الأوصاف العلمية التي وَصَفَهم بها الشيخ محمد عابد نفسه، وذكر نبذةٍ عن حياتهم إن تيسَّر ذلك.

١- الشيخ العارف الكبير الشريف أحمد بن إدريس أبو العباس العرايشي الحسني المغربي[1]، من ذرية الإمام إدريس بن عبدالله المَحْض ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، المتوفى سنة ١٧٧.

ولد الشيخ أحمد بن إدريس بفاس سنة ١١٧٢، وتعلَّم فيها، ثم

---

(١) له ترجمة مطوَّلة نفيسة في حدائق الزهر لعاكش ص ١١٩، النَّفَس اليماني ص ١٦٠، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٣٣٨، وسماه: أحمد بن محمد، الأعلام ١/٩٥، هدية العارفين ١/١٨٦.

كان له أَثَرٌ كبير في المغرب، وبعدها انتقل إلى مكة المكرمة سنة ١٢١٤، فأقام فيها نحو ثلاثين سنة، ثم رَحَلَ إلى اليمن سنة ١٢٤٤، فسكن مدينة (صَبْيَا)، إلى أن مات سنة ١٢٥٣، رحمه الله تعالى.

وهو جدّ الأدارسة، وكانت لهم إمارة في تهامة عسير واليمن.

وله إجازات كثيرة في الحديث النبوي الشريف، تُنْظر في «النَّفَس اليماني» للأهدل.

وقد ذَكَرَه الشيخ محمد عابد في كتابه: «المواهب اللطيفة شرح مسند الإمام أبي حنيفة» في أوله، لوحة ١١، وذَكَرَ أنه استفاد منه فائدة في شرح حديث: «إنما الأعمال بالنيات»، وأنه لم يَذْكر هذه الفائدة أحدٌ من الشُّرَّاح، ووَصَفَه بالعارف الكبير، وقد التقى به في مكة المكرمة، وأخذ عنه، كما أخذ عنه في اليمن (١).

ومع هذا فلم يُجْرِ له الشيخ محمد عابد ذِكْراً في «حصر الشارد»، كما أنه لم يذكر شيخه العلامة الشوكاني، وهذا مما يؤكد أنه لم يستقص في «حصر الشارد» كلَّ مشايخه وأسانيده ومروياته، كما صرَّح بهذا في آخره حيث قال: «وقد أعرضتُ عن بعض أسانيد الكتب والمسلسلات التي ذكرتُها، وأسانيد بعض الكتب التي لم أذكرْها، رَوْماً للاختصار». اهـ

٢ - الشيخ السيد أحمد بن سليمان بن أبي بكر الهَجَّام.

---

(١) فهرس الفهارس ٢/٧٢١.

ذكره الشيخ محمد عابد في أكثر من موضع في «حصر الشارد»[١]، وذكر روايته عنه، ووَصَفَه بقوله: «العلامة ولي الله تعالى، العارف الرباني، صفيّ الإسلام والدين».

ووَصَفَه على ظهر نسخته من «حصر الشارد» بأنه: «سيد الجهابذة الأعلام، ولي الله تعالى العارف، ذو الكرامات».

وهو من مشايخه في زبيد باليمن.

ولم أقف له على ترجمة، وقد ذكره عاكش في حدائق الزهر[٢] ضمن مشايخ العلامة الشيخ السيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، صاحب «النَّفَس اليماني».

٣- الشيخ حسين بن علي المغربي، الإمام الجليل، والفهَّامة النبيل، مفتي المالكية بمكة المكرمة، المتوفى سنة ١٢٢٨[٣]، رحمه الله تعالى.

وهو من مشايخه بمكة المكرمة.

٤- الشيخ السيد حمد بن عبدالله مقبول.

وقد أخذ عنه الشيخ محمد عابد إجازةً بدعاءٍ يُقال من أجل الرزق

---

(١) مثل ١٠/ب، ١٠١/أ، ٣٠٧/ب، وغيرها من المواضع.

(٢) ص ٧٢.

(٣) له ترجمة في مختصر نشر النَّوْر والزَّهَر ١/١٤٣، وينظر ظهر نسخة الشيخ محمد عابد من «حصر الشارد»، وفهرس الفهارس ١/٣٦٣ حيث ذكره من شيوخه.

بالأولاد والذرّية.

وقد رأيت هذه الإجازة بخط الشيخ محمد عابد، على غلاف نسخته من «حصر الشارد»، حيث كتب بخطه:

«بسم الله الخالقِ الباري المصوِّرِ العزيز، أستغفر الله العظيم، ربِّ لا تذَرْني فَرْداً، وأنتَ خيْرُ الوارِثين.

يقرأ الرجل ثلاث مرَّات حال كونه بين شُعَبها الأربع قبل الإيلاج، ثم يولج للأولاد.

أجازنيه السيد حمد بن عبدالله مقبول في الدِّرَيْهمي(١)». اهـ.

وهو من مشايخه في اليمن، ولم أقف له على ترجمة.

٥- الشيخ صالح بن محمد بن نوح بن عبدالله بن عمر بن موسى العُمَري الفُلاّني المكي المدني، من ذرية العلامة الحافظ عليم بن عبدالعزيز الأندلسي الشاطبي، بني أخي سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الإمام المحدث الحافظ المسند الأصولي، فخر المالكية، ومنهم مَن جزم ببلوغه رتبة الاجتهاد، وكان ديّناً صالحاً، ذا أسانيد عالية.

---

(١) الدِّرَيْهمي بلدة تهامية على ساحل البحر الأحمر بالغرب الشمالي من بيت الفقيه، بمسافة ٣٢ كم، وبالجنوب من الحديدة بمسافة ٢٢كم.

ينظر تعليقات المحققَيْن لكتاب: نزهة رياض الإجازة ص ١٣٣، هِجَر العلم ٦٢٧/٢، وتنظر خريطة اليمن في أول هذه الدراسة ص ٤٣.

وُلد سنة ١١٦٦، وهو عُمَرِيٌّ، نسبةً إلى سيدنا عمر رضي الله عنه، وأما الفُلاّني، فهي نسبة إلى (فُلاّن)[١]، وفُلاَّنة بضم الفاء وتشديد اللام، قبيلة وأمّة من السودان ولادة ومنشأً، وكان قد نزل بها بعضُ أسلافه.

وقد رحل الشيخ صالح في طلب العلم إلى بلادٍ عدة، ثم دخل بلاد الحجاز سنة ١١٨٧، واستقرَّ فيها، متردداً بين مكة والمدينة، إلى أن توفي بالمدينة المنورة سنة ١٢١٨ يوم الخميس، الخامس من جمادى الآخرة[٢]، وله من العمر ٥٢ سنة، رحمه الله تعالى.

ومن كتبه: «قطف الثمر في أسانيد المصنَّفات في الفنون والأثر» مطبوع، وله: «إيقاظ هِمَم أولي الأبصار للاقتداء بسيّد المهاجرين والأنصار ﷺ» مطبوع.

وقد أكثر الشيخ محمد عابد من الرواية عنه، فأخذ عنه في مكة

---

(١) للتعريف بالفُلاّنيين أو الفلاّتيين ينظر رسالة: «تعريف العشائر والخِلاّن بشعوب وقبائل الفُلاّن»، للعلامة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بألْفَا هاشم الفوتي المدني، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣٤٩ رحمه الله تعالى.

(٢) له ترجمة في اليانع الجني لوحة ٦أ، فهرس الفهارس ٢/٩٠١، الأعلام ٣/١٩٥، وذكره لطف الله جحّاف في كتابه: درر نحور الحور العين (مخطوط) في أواخر سنة ١٢١٨، ووصفه (بالمجتهد الحافظ الحجة، إمام الحرمين، وأنه كان عالماً عاملاً حافظاً يعرف الفنونَ أجمعها، ذا سُنَّة ظاهرة يعمل بالدليل، متعفّفاً زاهداً، لو أراد الدنيا لانثالت عليه، ولكن كان راغباً عنها، ثم قال: وقد أتيتُ على أحواله مبسوطة في كتابي: «قُرّة العين بالرحلة إلى الحرمين» وذكرتُ فيها خروجَه من بلده، وذكرت مَن لقي من الشيوخ) اهـ.

المكرمة، والتقى به كثيراً.

وحلاّه في «حصر الشارد» بأوصاف عالية جداً، منها:

«أستاذ المحققين، ومسنِد المحدِّثين، والعلامة الذي فاق في الآفاق فضلُه».

كما وصفه بأنه «خاتمة المحدثين، ومُلْحِق الأصاغر بالأكابر»، وأنه «الإمام الذي لا يُجَارى، والفهامة الذي لا يُمَارَى».

٦- الشيخ العلامة صدّيق بن علي المِزجاجي الزَّبِيدي الحنفي، محقِّقٌ في علوم كثيرة، لاسيما في الحديث والفقه الحنفي، وكان ذكياً فَطِناً متواضعاً، قويَّ الإدراك، وقد تصدَّر للتدريس في بندر (المَخَا) باليمن.

وكانت ولادته سنة ١١٥٠، ووفاته سنة ١٢٢٩[١]، رحمه الله تعالى.

وهو من مشايخه اليمنيين[٢]، وهو أخو الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي، صاحب «نزهة رياض الإجازة المستطابة».

٧- الشيخ عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل الشافعي، مفتي زبيد، وهو أشهر وأعلم مشايخه اليمنيين، وقد حلاّه الشيخ محمد عابد في «حصر الشارد»، في مواضع كثيرة، بأوصاف

---

(١) له ترجمة في البدر الطالع ١/٢٩٢، نيل الوطر ٢/١٤، هجر العلم ٤/٢٠٣٧.
(٢) كما في فهرس الفهارس ١/٣٦٤.

عالية جداً، فوَصَفَه بالعلامة الجليل، والإمام العظيم، وإمام أهل التحقيق، وإمام الأئمة، ومقتدَى الأمة، وإمام السنة، ومقتدى الأئمة، وإمام المحدِّثين، وإمام عصره، وحجة الله في دهره، وخاتمة المحدِّثين، وإمام الحُفَّاظ، ووليّ الله تعالى العارف، ومولاي العلامة، مَن لا يماثله ولا يدانيه غيره في عصره.

وكانت ولادته بزبيد سنة ١١٧٩، وتوفي بها سنة ١٢٥٠، رحمه الله تعالى.

ومن تصانيفه المطبوعة: «النَّفَس اليماني والرَّوح الريحاني في إجازة القضاة الثلاثة بني الشوكاني»، ألَّفه إجازةً لأولاد العلامة الشوكاني محمد ابن علي، وهم قضاة ثلاثة: جمالُ الإسلام علي، وعزُّ الإسلام أحمد، وشرفُ الإسلام يحيى، وهو كتابٌ نفيس، من كتب الأثبات والإسناد والتراجم، وله جزء جمع فيه وصايا النبي ﷺ [١].

ومع التزامه بالمذهب الشافعي، وكان مفتي زبيد، لكن كان يدعو إلى الأثر، والأخذ بالدليل [٢].

٨- الشيخ عبدالرزاق البكَّاري، صاحب (القطيع)، المدفون بها، كما هو في «حصر الشارد» [٣].

---

(١) حصر الشارد ٧٤ أ.

(٢) له ترجمة في البدر الطالع ١/٦٨، ضمن ترجمة والده، فهرس الفهارس ٢/٦٩٥- ٦٩٨، نيل الوطر ٢/٣٠-٣١، الأعلام ٣/٣٠٧.

(٣) في مواضع كثيرة، وينظر فهرس الفهارس ١/٣٦٤.

وهو من مشايخه في اليمن، ولم أقف له على ترجمة.

٩- الشيخ عبدالله بن محمد بن إسماعيل الصنعاني، الإمام الحافظ الكبير[١]، وهو ابن الأمير الصنعاني صاحب «سبل السلام شرح بلوغ المرام».

وقد روى عنه الشيخ محمد عابد كتاب: «العُدَّة حاشية شرح العمدة»[٢] لوالده الأمير.

وكانت ولادته حوالي سنة ١١٦٠، ووفاته سنة ١٢٤٢، رحمه الله تعالى، وهو من مشايخه في اليمن.

١٠- الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي التميمي، الفقيه الحنبلي المشهور، وقد خَلَفَ أباه في مؤازرة آل سعود، أئمةِ وأمراء نجد، وكان مرجع قضاة الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، وابنه سعود، وحفيدِه عبدالله بن سعود، رحمهم الله تعالى، وله مؤلفات كثيرة.

روى عنه الشيخ محمد عابد كتاب: «القِرى لقاصِدِ أُمِّ القُرَى» للمحب الطبري المكي أحمد بن عبدالله، المتوفى سنة ٦٩٤.

---

(١) له ترجمة في البدر الطالع ١/٣٩٦، النفس اليماني ص ١٨٠، نيل الوطر ٢/٨٧، الأعلام ٤/١٣١.

(٢) أما شرح العمدة: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، فهو لتقي الدين ابن دقيق العيد محمد بن موسى، المتوفى سنة ٧٠٢، وأما العمدة، فهو كتاب في أحاديث الأحكام، وتمام اسمه: «عمدة الأحكام من كلام خير الأنام ﷺ» للحافظ عبدالغني المقدسي، المتوفى سنة ٦٠٠، رحمهم الله جميعاً.

وكانت ولادته سنة ١١٦٥ بالدِّرْعِية، ووفاته بمصر سنة ١٢٤٢، رحمه الله تعالى[١].

ولعله التقى به، وروى عنه في بلدة الدرعية بنجد، أو أنه التقى به في الحُدَيْدة أو زبيد، حيث كانت تلك المدن تحت إمرة الدولة السعودية الأولى، قبل مجيء محمد علي باشا، وكان كثيراً ما يصحبه أمراء نجد في فتوحاتهم.

١١- الشيخ عبدالملك بن عبدالمنعم بن محمد تاج الدين القِلْعي[٢] المكي، المتوفى سنة ١٢٢٨[٣]، رحمه الله تعالى.

وهو من مشايخه بمكة المكرمة، وقد روى عنه كتاب أبيه: «حَلُّ الرَّمْز عن مَتْن الكنز»، لشيخ الإسلام مفتي بلد الله الحرام الشيخ عبدالمنعم القلعي، كما في «حصر الشارد»[٤]، المتوفى سنة ١١٧٤.

وأما جده محمد تاج الدين بن عبد المحسن القلعي، فكان قاضي مكة المكرمة، وله: أوائل القلعي[٥].

١٢- الشيخ علي بن عبدالخالق بن علي المزجاجي.

---

(١) له ترجمة في الأعلام ٤/١٣١، علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/١٦٩.

(٢) القِلعي: بكسر القاف نسبة لـ(قِلعيّة) من قلاع الروم، كما في: النفح المسكي في شيوخ أحمد المكي، لأبي الخير أحمد المكي العطار (ت ١٣٢٨) مخطوط.

(٣) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ٣٢٩. طبعة عالم المعرفة.

(٤) ٨٣أ.

(٥) فهرس الفهارس ١/٩٧.

ذكره الشيخ محمد عابد في حصر الشارد في المسلسلات، ضمن المسلسل بحرف العين[١].

وقد ترجم له والده الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي في: «نزهة رياض الإجازة»[٢]، وأثنى على علمه كثيراً، وأنه أحاط بعلمٍ واسعٍ كثيرٍ، في فنونٍ كثيرة، ولم أقف على سنة وفاته.

١٣- الشيخ أبو القاسم بن سليمان الهجَّام، وهو أخو الشيخ أحمد ابن سليمان الهجام، المتقدم ذكره، وهو من مشايخه اليمنيين[٣]، ولم أقف له على ترجمة.

١٤- الشيخ محمد بن علي الشوكاني، ثم الصنعاني، الحافظ القاضي العلامة النظّار المشهور، صاحب: «نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار»، المولود سنة ١١٧٣، والمتوفى سنة ١٢٥٠، رحمه الله تعالى[٤].

وقد تقدم أن الشوكانيَّ نفسَه، ذَكَرَ في البدر الطالع[٥] قراءة الشيخ محمد عابد عليه في صنعاء، وأثنى عليه كثيراً.

---

(١) لوحة ٢٧٢.

(٢) ص ٣٥٠.

(٣) فهرس الفهارس ١/٣٦٤.

(٤) ترجم الشوكاني لنفسه في البدر الطالع ٢/٢١٤-٢١٥، وينظر فهرس القهارس ٢/١٠٨٢، الأعلام ٦/٢٩٨، وهِجَر العلم ٤/٢٢٥١-٢٢٨٧، وقد خصّه تلميذه الشِّجْني بترجمة واسعة في كتابه: «التقصار»، وهو مطبوع باليمن.

(٥) ٢/٢٢٦-٢٢٧.

كما ذكر عاكش [١] «أن الشيخ محمد عابد لازم الشوكاني، وقرأ عليه في أغلب الفنون العلمية، وأن الشيخ محمد عابد كان يُثْني على علماء صنعاء في تحقيقهم للعلوم، والاشتغال بالحديث، والتحرِّي في العمل بما صحَّ به النص، وأنه كان يَخُصُّ بالثناء شيخَ الإسلام البَدْرَ الشوكاني».

ولم يذكره الشيخ محمد عابد في «حصر الشارد»، وسبق أنه لم يذكر أيضاً شيخَه أحمد بن إدريس العرايشي، مما يؤكد أن الشيخ محمد عابد، لم يستقص ذكر مشايخه وأسانيده لكل الكتب، طلباً للاختصار، كما صرَّح بهذا في آخر حصر الشارد.

١٥- الشيخ محمد حسين ابن شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري السندي، عمُّ الشيخ محمد عابد وصِنْوُ أبيه، وهو أخصُّ شيوخه، وقد انتفع به كثيراً في الحجاز وفي اليمن، وبه تخرّج.

أثنى عليه الشيخ محمد عابد كثيراً كثيراً، ووصفه في مواضع عديدة بأوصاف علمية عالية، كما تقدم ذلك في ترجمته المفصلة، عند ذكر أسرة الشيخ محمد عابد.

١٦- الشيخ محمد زمان الثاني بن محبوب الصمد بن محمد زمان الأول السندي، ولي الله تعالى، العارف بالله.

وقد وصفه الشيخ محمد عابد في «حصر الشارد» في أكثر من موضع بأوصاف عالية، فكان يقول فيه: لم ترَ عيني مثلَه قط، ذو

---

(١) في كتابيه: عقود الدرر، حدائق الزهر.

الفيوضات السنية، والعلوم الوَهْبية.

وكانت ولادته في (لُوَاري) بالسند سنة ١١٩٩، وتعلم فيها، وترقّى حتى كان من كبار علماء السند، وأولياء الله الصالحين، وكان تقياً ورعاً زاهداً، متَّبعاً للكتاب والسنة في أقواله وأفعاله، مشهوراً بتفقد الفقراء والمساكين.

وقد سافر من السند إلى الحرمين الشريفين مرتين: الأولى سنة ١٢٢٨، والثانية سنة ١٢٣٨، وفي كل مرة كان يمرّ باليمن، ويلتقي بعلمائها، ويتبادل معهم الإجازة.

وهو من مشايخه في السند، حين رحل إليها الشيخ محمد عابد من اليمن، قبل استقراره في المدينة المنورة، ولما زار الشيخ محمد زمان اليمن، استجاز من الشيخ محمد عابد، فتدبّجا [١].

وكانت وفاته سنة ١٢٤٧، عن ٤٨ سنة، رحمه الله تعالى [٢].

١٧- الشيخ محمد طاهر ابن الشيخ المحدِّث محمد سعيد بن محمد سنبل المكي، المُسْنِد الشهير، العلامة الفقيه الحنفي الكبير [٣]، ووالده هو صاحب الأوائل السنبلية [٤]، وكانت وفاة والده سنة ١١٧٥.

وللشيخ محمد عابد إجازةٌ خاصة من الشيخ محمد طاهر سنبل في

(١) كما في حصر الشارد، لوحة ٣٠٦ ب، وينظر فهرس الفهارس ١/٣٦٩.

(٢) له ترجمة في تذكرة مشاهير السند للوفائي ٣/١٢٠.

(٣) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ١/١٨٣، الأعلام ٦/١٧٢.

(٤) ينظر فهرس الفهارس ١/١٠٠.

صحيح البخاري، وإجازةٌ عامة، وذلك في مكة المكرمة سنة ١٢١١[١]، حين قدم حاجاً من اليمن.

ورأيت على ظهر نسخة الشيخ محمد عابد من كتابه: حصر الشارد، ترجمةً لبعض مشايخه، وذَكَرَ منهم الشيخ محمد طاهر سنبل، المتوفى سنة ١٢١٨، رحمه الله تعالى، فقال:

«حضرتُ في ذي القعدة سنة ١٢١١ في الطائف، في مجلس الشيخ محمد طاهر سنبل ابن الشيخ محمد سعيد سنبل، وهو يقرأ في كتاب الجهاد من صحيح البخاري، ثم بعده حضرت في مكة المشرفة، في أيام الحج، في حال تدريسه في كتاب الحج من الصحيح المذكور، وطلبت منه الإجازة في جميع مَقْروءاته ومسموعاته، وما أُجيز له فيه من مشايخه الأعلام، وأساتذته الفِخَام، فأجازني إجازة عامة، وفي صحيح البخاري على سبيل الخصوص، فقد أخذتُ بعضَه منه سماعاً، وبعضَه إجازة» اهـ.

١٨- الشيخ يوسف بن محمد بن علاء الدين المِزْجاجي الزبيدي الحنفي، العلامة المسند الحافظ، المبرِّز في علوم الرواية والدراية، صَدْرُ الأماثل، ونُخْبَة العلماء الأفاضل، وكانت عليه مدار الفتوى في مذهب السادة الحنفية.

وقد سمع الشيخ محمد عابد عليه الحديثَ المسلسلَ بالأولية باليمن في زبيد، سنة ١٢١٣[٢]، ووَصَفَه الشيخ محمد عابد في «حصر

---

(١) ينظر فهرس الفهارس ١/٣٦٤.

(٢) حصر الشارد لوحة ٢١٣.

الشارد» بقوله: «العلامة إمام المحققين، مَن جمع العلوم حتى فاق الأقران».

وترجمه الشيخ محمد عابد في كتابه: «تراجم مشايخه ومشايخ مشايخه»، فأثنى عليه كثيراً، وخاصة في التحقيق.

ووَصَفَه في إجازته للشيخ عارف حكمة بقوله:

«... أرويه عن مولاي العلامة، مَن سارت بفضله الركبان، وفاق في دهره على الأقران الشيخ يوسف...».

وكانت ولادته سنة ١١٤٠، ووفاته بزبيد سنة ١٢١٣[(١)]، رحمه الله تعالى، وهو من مشايخه في اليمن.

* وهكذا أخذ الشيخ محمد عابد عن هؤلاء العلماء الأعلام، فنونَ العلم وأصوله وفروعه، حتى أتقنها وبرَّز فيها، مع حِذْق وبراعة فيها، وصار من كبار العلماء، والأئمة المشهورين.

* * * * *

---

(١) له ترجمة في النَّفَس اليماني ص ١٠٩، البدر الطالع ٣٥٦/٢، نيل الوطر ٤٢٤/٢.

إجازات مشايخه له

إن من سنن الخير والبركة، ما جرى عليه السادة العلماء وطلاب العلم، من استجازة أساتذتهم ومشايخهم، وطَلَبِ وَصْلِهم بأسانيدهم المتصلة بالقرّاء أو المحدِّثين أو أهل العلم عموماً، حيث إن الإسناد من الدين.

وهكذا كانت الإجازات منها ما هو في القرآن الكريم، أو في حديث النبي الأمين ﷺ، أو في كُتُب العلم وما فيها من العلوم أو....

وهذه الإجازات - في الأصل - إنما هي بمثابة شهادات علمية موثَّقة من كبار العلماء، تَشْهد لحاملها بالعلم، وتتضمن الإذن له بتبليغه ونَشْره، وفيها شرفُ الاتصال بعلماء الإسلام، وغير هذا من الفوائد الكثيرة.

وقد كان للشيخ محمد عابد من هذا حظٌ وافر، فقد قال السيد محمد عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس[(١)]:

«وله مجموعةٌ من إجازات مشايخه له وأسانيدهم، نظماً ونثراً، وقفتُ عليها بين كُتُبه بالمدينة المنورة، ولم يتيسر لي تلخيصها، وإني أسِفٌ على ذلك كثيراً» اهـ.

وقال أيضاً في موضع آخر[(٢)]:

(١) ٢/٧٢٢.

(٢) فهرس الفهارس ١/٣٦٥.

«قد وقفتُ على مجموعة إجازات الشيخ محمد عابد من مشايخه، بين كتبه الموقوفة منه على المسجد النبوي بالمدينة المنورة» اهـ.

وقد فتَّشت كثيراً عن هذه الإجازات في مكتبة المسجد النبوي الشريف، والمكتبة المحمودية وغيرها، فلم أظفر بشيء منها، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً، إنه أكرم الأكرمين.

عُلُوُّ إسناده

ومما يتصل بالكلام عن مشايخه، وذكر إجازاتهم له، واتصال سنده بسندهم، التنويهُ هنا إلى أن الشيخ محمد عابد قد حظي وتفرَّد بإسنادٍ عالٍ جداً، لم يَحْظَ به كبار العلماء المعاصرين له، بل ولا كثيرٌ من السابقين له بعدة قرون.

فقد كان بينه وبين الإمام البخاري صاحب الصحيح تسعة رجال، وهو في هذا الزمن المتأخِّر، ولذا كان يقول فيما رواه عنه الكتاني بسنده المتصل:

«لمِثْلي فَلْيُسْعَ، لأن بيني وبين البخاري تِسْعَة»[(١)].

وذكر هذا الشيخ محمد عابد في «حصر الشارد»[(٢)]، فإنه بعد أن ذكر طُرُقه في الإسناد إلى الإمام البخاري رحمه الله، وإجازة مشايخه له بصحيحه، قال:

---

(١) فهرس الفهارس ٢/٧٢٢.

(٢) لوحة ١٣٠.

«... فعلى هذا روايتي عن الشيخ صالح الفُلاَّني عن محمد بن سِنَّة[١] عن الشيخ أحمد بن محمد العجل عن قطب الدين عن أبي الفتوح أحمد بن عبدالله الطاوسي عن بابا يوسف الهَرَوي - المعمَّر ثلاثمائة سنة - عن محمد بن شَاذْ بَخْت الفَرْغاني عن أبي لقمان الخَتْلاني المعمَّر - وكان عمره مائةً وثلاثاً وأربعين سنة - عن الفِرَبْرِي عن البخاري: عاليةٌ جداً، لأنه يكون بيني وبين الحافظ البخاري تسعة أنفس.

وهذه الطريقة لم تَصِلْ إلى الحرمين إلا مع أشياخ مشايخنا، كالشيخ المعمَّر عبدالله بن سعد الله اللاضوري.

وهذه الطريقة لم تَبْلُغ الحافظَ ابنَ حجر ولا السيوطيَّ، لأنهما كانا بمصر، والحافظُ أبو الفتوح من رجال الثمانمائة، كان بـ (أبرقوة) مدينة بخراسان العَجَم، وكان موصوفاً بالصلاح، ذكره الشيخ عبدالخالق في نزهته المستطابة». اهـ

* وذكر الشيخ محمد عابد أيضاً في كتابه: «تراجم شيوخه وشيوخ شيوخه» بعد أن ساق كلام الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي، وهو يترجم للشيخ عبدالرحمن بن محمد الذهبي الدمشقي، قال - يعني الشيخ عبدالخالق - [٢]:

«وهذا أعلى ما يوجد الآن عن الحافظ – يعني ابن حجر – وبينه وبين البخاري سبعة، فإذا ضمَمْنا ستة إلى سبعة كانت ثلاثة عشر.

قال – يعني المزجاجي -: فيكون بيننا وبين البخاري ثلاثة عشر رجلاً

---

(١) بكسر المهملة وتشديد النون، كما ذكر هذا الشيخ محمد عابد في مقدمة شرحه لمسند الإمام الشافعي، حين ذكر سنده إلى الإمام الشافعي.
(٢) ينظر نزهة رياض الإجازة المستطابة للشيخ عبدالخالق ص ١٢٧.

من طريق الحافظ.

قلت – يعني الشيخ محمد عابد –:

وأعلى من هذا روايتي عن الشيخ صالح الفلاّني عن شيخه محمد بن سَنَة عن مولاي الشريف محمد بن عبدالله عن محمد بن أركماس الحنفي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، فكان بيني وبين الحافظ أربعة، فإذا ضمَمْنا خمسة إلى سبعة كان اثني عشر رجلاً، فيكون بيني وبين البخاري اثني عشر رجلاً من طريق الحافظ.

فالحمد لله على عُلُوِّ سندي مع بُعدي من زمان الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي رحمه الله تعالى.

وهذا الكلام كله، إنما هو في علو السند من طريق الحافظ، وإلا فلنا إلى البخاري ما هو أعلى من هذا بكثير، كما قدَّمناه في سند البخاري» اهـ.

* * * * *

الفصل الخامس

نشاطه العلمي

لقد كانت حياة الشيخ محمد عابد رحمه الله مليئةً عامرةً بالجدّ والاجتهاد في العلم والعمل، وفي نفع العباد والبلاد، ما بين قراءة وإقراء وتأليف ونَسْخٍ للكُتب، وسفر ورحلات في طلب العلم ونشره، وخدمةٍ للإسلام والمسلمين، وسعي في نحو ذلك، فتراه لا يضيّع وقتاً من الأوقات، حتى أوقات الراحة في السفر كان يملؤها بالعلم.

وهكذا كأن الشيخ محمد عابد نَذَرَ لله تعالى أن يملأ أنفاسَ حياته بالعلم، ولا شك أن هذه هي الحياة الحقيقية، ولذا قالوا:

«ليس الحياةُ بأنفاسٍ تردِّدُها إن الحياةَ حياةُ الفِكْرُ والعَمَلِ»[1]

فكان رحمه الله عَجَباً في ذلك كله، وسبحان الفتاح الوهاب، الذي يهب ما يشاء لمن يشاء.

وسأذكر فيما يلي ما وقفت عليه من أخبار تتعلق بنشاطاته العلمية، والتي سنرى من خلالها همته العالية التي كانت تسامي الجوزاء، وكم في ذلك من الفوائد، والعبر والدروس، والقدوة الحسنة.

١- فمن ذلك قيام الشيخ محمد عابد بترتيب مسند الإمام الشافعي واختصاره وتهذيبه في طريق السفر، أوقات نزوله للراحة والاستقاء، فقد قال في ختام كتابه هذا:

---

(١) ثلاث رسائل في الدعاء ص ٢٠.

«... وكان الشروع في جَمْعِه في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٩، بعد ماركِبْتُ في ساعيةٍ لسفر الحج، وكان تمامُه والفراغُ منه بعد العصر، يوم الخميس، ليلة عشرين من ربيعٍ الأول سنة ١٢٣٠، وذلك عند رجوعي من أرض الحرمين في مسجد القُنْفُذَة وجامعها.

وما كان يُمكنني كتابتُه إلا في السَّواقي والمنازل [(١)]، وما هذا إلا نعمةٌ من الله تعالى، حيث شَغَلَني بالسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحيَّة، في أوقاتٍ لا تَسْمح لمثل هذا العمل، لا أُحصي ثناءً على الله، هو كما أثنى على نفسه، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات، وآله أولي السعادات، وصحبه ذي الكرامات». اهـ.

ومعلوم كيف كان حال السفر في تلك الأزمان، وحال رواحلهم ومنازلهم، لكنها الهمة التي تطاول السماء، بعد توفيق الله وعونه.

٢- ونحو هذا الخبر عن نشاطه العلمي أوقات نزوله للراحة في طريق السفر، ما سجَّله هو في نهاية الجزء الأول من نسخةٍ بخط يده من كتاب «لسان الميزان» [(٢)] للحافظ ابن حجر العسقلاني، حيث قال:

«تمَّ الجزء الأول في ٢٨ شعبان سنة ١٢٥١، ونحن نازلون بمستورة، شادُون [(٣)] إلى رابغ للاعتمار في رمضان إن شاء الله تعالى، ويتلوه الجزء الثاني: عبدالواحد...». اهـ

---

(١) حيث يقف المسافرون في طريق السفر لاستقاء الماء، والمنازل هي أماكن استراحتهم، بعد قطعهم مراحل معينة من السفر.

(٢) المحفوظة بالمكتبة المحمودية برقم ٣٨٠، ٣٨١.

(٣) يقال: شدا شَدْوَه: نحا نحوَه، فهو شادٍ، وهم شادون، ينظر القاموس المحيط.

وهذه العمرة كانت من المدينة المنورة، وقد جاوز الستين من عمره، وكانت تستغرق ذهاباً فقط عشرة أيام فأكثر، ولولا رؤيته أن الاشتغال بنسخ الكتب من أعظم العبادات، لما ملأ به وقت راحته في السفر.

وهكذا نشاط على نشاط، وهمة في السعي للعبادة والنُّسُك، وحرصٌ على إعمار أنفاس عمره بالعلم النافع، حتى وهو في طريق السفر للاعتمار.

٣- ومن نشاطه العلمي في نَشْره للعلم، وتدريسه وإقرائه، أنه «كان يُدرِّس بالحرم المكي والنبوي»[١] باستمرارٍ ومثابرة وصبر عجيب، فمن ذلك ما حكاه السيد الكتاني في فهرس الفهارس[٢] حيث قال:

«فكان مدة مُقامه بالمدينة المنورة، مثابِراً على إقراء كُتُب السُّنَّة، حتى إنه كان يختم الكتب السِّتَّة في سِتَّة أشهر، بل حدَّثني المسندُ الخطيبُ السيد أبو جِيْدة بنُ عبدالكبير الفاسي أنه حدَّثه شيخُه المعمَّر العلامة الشيخ حسن الحُلْواني المدني أنه سمع على الشيخ محمد عابد الكتب السِّتَّة في شهر، وأَخَذَها عنه دِرايةً في ستة أشهر، وهذا الصبر عجيب عن المتأخرين». اهـ.

ولا ريب أن هذه القراءات المتكررة، ستزيد العالِم علماً ودقةً وعمقاً في علمه، وتجعله إماماً حافظاً متقناً، دائمَ الذكر لما يحفظ بإذن الله تعالى.

ولو أحصينا عددَ المرات التي قرأ فيها الشيخ محمد عابد كُتُبَ السنة المطهرة، وبخاصة الكتب الستة، في مرحلتي التعلّم والتعليم في حياته،

---

(١) عاكش في كتابيه: حدائق الزهر، عقود الدرر.

(٢) ٢/٧٢٢.

وكذلك من خلال نَسْخِه لها، أو نَسْخِها له، ومقابلته لها بأصولها، ومن خلال مؤلفاته وشروحه لمتون كتب السنة النبوية، لرأينا العَجَبَ العُجَاب، وهذا ولا شك إكرامٌ من الله تعالى، ومنحةٌ منه جلَّ وعلا، والله يعطي الفضل من يشاء.

وقد ذكر الشيخ محمد عابد هذه المنَّة من الله عليه في أول شرحه على مسند الإمام الشافعي، الذي ابتدأ بتأليفه سنة ١٢٣١، فقال:

«... لما منَّ الله عليَّ - بفضله - الاشتغالَ بالحديث في غالب الأوقات، ومطالعة كتبه خصوصاً الغريبة منها في أكثر الحالات، وذلك بعد قراءتي في الكتب المشهورة من المسانيد والأمهات على المشايخ الثقات، والعلماء الأثبات، وإجازتهم لي فيها وفي الكتب التي يَنْدُر وجودُها...» اهـ.

* وينبه هنا أن الشيخ محمد عابد قد تربّى منذ طلبه للعلم على هذه الخصلة العلمية المهمة جداً في حياة العالِم، وهي صبره وتكراره المستمر لما يقرأ ويتعلم، هذا مع شدة ذكائه وفطنته، مما جعل تلك الحافظة العجيبة لأحاديث رسول الله ﷺ تنمو عنده وتزداد، والتي تجعلنا لا نستغرب ما روي عنه من قوة حفظٍ وإتقانٍ ودقة.

* ومن نماذج تكراره للعلم، وتثبيته له، ما حدثنا به هو حين ذكر أَخْذَه للقراءات السَّبْع عن عمه الشيخ محمد حسين السندي الأنصاري في أول «حصر الشارد»، فقد ذكر أنه قرأ ذلك مراراً متعددة، قراءةَ تحقيقٍ وبيان وتجويد.

وكذلك فإنه حين ذَكَـرَ في «حصـر الشـارد»(١) كتـابَ عمـه: «التبيـان للزجر عن شرب الدخان» قال:

«قد قرأتُه على عمي مِراراً متعددة».

مع أن الواحد منا اليوم يستغرب أن يُقرأ مثل هذا الكتـاب، وفي مثـل هذا الموضوع، على مؤلِّفه أكثر من مرة، لكن هكـذا دُرِّب وعُلِّـم الشـيخ محمد عابد على هذه الخصلة، ليكون حافظاً متقنـاً ضـابطاً مجـوِّداً، وفي كل مرة يفتح الله عليه من الفُهُوم، ما لا يفتحه عليه في مرات سابقة، وهذه المزية العلمية قد انحسرت في زماننا هذا تمامَ الانحسار إلا مانَـدَر، وهـذا من الأسباب المهمة للضعف العلمي العام، الذي يشهده الجميع (٢).

* وبمناسبة ذكر تدريسه وإقرائه لكتب السنة النبوية في الحرم النبـوي الشريف، فإنه ينبه هنا إلى أن الشيخ محمـد عابـد لم يكـن مقتصـراً علـى تدريس كتب السنة فقط، بل كانت لـه دروس أخـرى مشـهودة عـامرة في التفسير والفقه وغيرها من العلوم، ومن ذلك ما ذكره هو في خاتمة كتابـه: «طوالع الأنوار» أنه كان يقرؤه على الطلبة.

وكان «ممن جاوَرَه ولازَمَه، وسَمِعَ عليه الحـديث والفقـه وغيرهمـا، تلميذه العلامة الشيخ عبدالجليل بَرَّادة»(٣).

---

(١) لوحة ٤٤.

(٢) ينظر كتاب صفحات من صبر العلمـاء ص ١٩٧-١٩٩، حيـث ذكـر طائفـةً مـن أخبار العلماء السابقين، وحالهم في كثرة تكرار القراءة للكتاب الواحد، حتى إن منهم من قرأ الكتاب ألف مرة، ومنهم سبعمائة مرة، وخمسمائة مرة، و٢٨٠ مرة، وهكذا.

(٣) فهرس الفهارس ١/ ٣٧٠.

٤- ومن صور نشاطه العلمي أيضاً: أنه كان ذا هِمةً عالية جَبَّارة في طلب العلم وتعليمه ونَشْره، وفي قراءة الكتب وتصحيحها، وما إلى ذلك، مع دأب شديد لا يَعْرِف المَلَلَ ولا السّآمة.

فإنه لما استنسخ الكتبَ الحديثيّة الستَّة: (البخاريَّ ومسلماً والترمذي والنسائي وأبا داود والموطأ) في مجلدٍ واحد في (٥٧٥) لوحة، بخط دقيق، وكان في صنعاء آنذاك، فقد تمَّ له استنساخها ومقابلتها بأصولها في مدة وجيزة جداً، لا تتم لغيره إلا بتوفيقٍ من الله.

إذ بدأ الناسخ ينسخ في الموطأ في ١١ رمضان سنة ١٢٢١، وأتمّ مقابلته الشيخ محمد عابد في ٢٢ رمضان ١٢٢١، أي بعد أحد عشر يوماً.

وأتمَّ مقابلة النصف الثاني من صحيح مسلم في ٢٤ شوال سنة ١٢٢١.

وأتمَّ مقابلة النسائي في ١٠ ذي القعدة سنة ١٢٢١.

والترمذيِّ في ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٢١.

وأتمَّ مقابلة أبي داود في صفر سنة ١٢٢٢.

والنصفِ الأولِ من مسلم في ٢ ربيع الأول سنة ١٢٢٢.

وأتمَّ مقابلة البخاري في ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٢٢.

وهكذا كانت مدة مقابلته لهذه الكتب الستة بالأصول التي نُسخت عنها، في سبعة أشهر إلا سبعة أيام، من ١١ رمضان سنة ١٢٢١، إلى ٤

ربيع الثاني سنة ١٢٢٢[1].

وكتب على الموطأ ما يفيد أن مقابلته كانت في جامع صنعاء.

ولا ريب أن هذا كله، كان مع انشغاله ببقية أعماله، ولقياه بالناس وقضائه وتصنيفه وغير هذا، فسبحان الله المعطي الوهاب.

٥- ويذكر تلميذه الشيخ عاكش شَذْرةً من نشاطه العلمي، واستفادته من وقته تمام الاستفادة، حتى في طريق السفر، فيقول:

«اتَّفَقْتُ به في بَنْدر (جازان)، وترافَقْنا في سفر البحر إلى مكة، وأمليتُ عليه ونحن في البحر حصةً وافرةً من صحيح البخاري، واستفدتُ منه كثيراً، وذاكَرْتُه في كثيرٍ من العلوم، وانتفعتُ به.

وكانت له العناية التامّة بكتب الأحاديث، والتطلّعُ على معارفها الوريقة، والبحثُ والوقوفُ عن رياض معانيها الأنيقة.

هذا مع اطلاعه على فقه الحديث، ومعرفة ما قاله الشارحون على ذلك.

ومَكَثْتُ بين يديه في الحرم المكي مدةً، ورافَقْتُه في السفر إلى الحرم المدني، ولم أزَلْ أترَدَّدُ عليه في منزله بالمدينة المنورة، وأستضيء بنور علومه، وأستمدُّ من صائب فهومه.

وأمليتُ عليه شمائِلَ الحافظ الترمذي في الروضة الشريفة بين القبر

(١) ينظر مقدمة تحقيق الشيخ أحمد شاكر لسنن الترمذي ص ١٣، إذ نقل هذه التواريخ من واقع النسخة المخطوطة لهذه الكتب الستة.

المنوَّر والمنبر.

وكان له الشَّغَف الكلي بكتب الحديث، وله اختصاص بمعرفة صحيح البخاري»[(١)]اهـ.

٦- ومن نشاطه العلمي في مواسم الحج: لقياهُ بعلماء المسلمين القادمين للموسم من مشارق الأرض ومغاربها، ومن كل فجٍّ عميق، للاستفادة منهم، بمباحثاته العلمية معهم.

ومن ذلك ما ذكره الشيخ محمد عابد في كتابه «طوالع الأنوار»[(٢)] في مسألة تحديد أوقات الصلوات في البلاد التي لا يَنْتَظِمُ فيها مَشْرِقُ الشمس ومَغِيبُها، وتُفْقَد عندهم أوقات صلواتٍ بسبب ذلك، كأهل (بُلْغار)، فبعد أن تكلَّم عن هذه المسألة بطولٍ قال:

«وقد لقيتُ من بعض بلاد البُلْغَار جماعةً من العلماء وَصَلُوا للحج، وكنتُ سألتُهم، فأفادوني أن الفاصلة ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر، ربما بلَغَتْ أربعاً من الساعات...» اهـ.

وهكذا كان الشيخ محمد عابد لا يفوِّت هذه المنافع والثمرات، التي تُجنى في هذا الموسم العظيم موسم الحج، شأنه في ذلك شأن العلماء الحريصين على التقاط الفوائد العلمية ماوجدوا إلى ذلك سبيلاً.

٧- ومن نشاطه العلمي المهم، متابعتُه الجادَّة السريعة لما يصدر من مؤلفاتٍ للعلماء المعاصرين له، فما أن يسمع بصدور شيءٍ لهم، إلا

---

(١) حدائق الزهر، عقود الدرر.

(٢) ٤٦١/١ أ مخطوط.

ويسعى باستنساخه، والاطلاع عليه، والاستفادة منه.

وقد ساعده على ذلك كثيراً اتصاله المستمر بالحرمين الشريفين حين كان باليمن، ثم استقراره فيهما آخر حياته، رئيساً للعلماء بالمدينة المنورة، حيث إن مواسم الحج بالنسبة للعلماء، إنما هي مع حجهم، بمثابة منتدىً علمي كبير، يتناقلون فيه أخبار العلم وأهله.

وقد ساعده على ذلك أيضاً وَجاهته ومكانته في اليمن، مع ما يسَّر الله له من سعةٍ في الرزق، الذي سخّره في خدمة العلم.

فكل هذا من أسباب تحقيق أمنياته العلمية، وطموحاته ورغباته، بعد توفيق الله عز وجل.

وعلى سبيل المثال عن متابعاته لما يصدر من مؤلفات جديدة للعلماء، أن الإمام الفقيه ابن عابدين صاحب الحاشية المشهورة، كان من أشهر العلماء المعاصرين له في دمشق الشام، وقد توافقت في الزمن نيةُ كلٍّ من ابن عابدين والشيخ محمد عابد لشرح كتاب «الدر المختار» للحصكفي، فكان الشيخ محمد عابد يترقّب عملَ الإمام ابن عابدين، فما أن يصدر منه شيء، إلا وتراه بعد مدة وجيزة جداً منسوخاً عند الشيخ محمد عابد، ليطّلع عليه ويستفيد منه.

فقد نَقَل عنه في شرحه «طوالع الأنوار»، وكان يصرّح بنقله عنه، كما هو في مواضع عديدة منه[1].

ولذا نجد أن تاريخ انتهاء الإمام ابن عابدين من الجزء الثاني من

---

(١) ينظر على سبيل المثال: طوالع الأنوار ج١ لوحة ٦٧٢، ٦٦٥، ٦٦٠ وغيرها.

حاشيته، من آخر كتاب الحج، كان سنة ١٢٤٢ [١]، في حين أن الشيخ محمد عابد انتهى من شرح أول كتاب الحج إلى بعض الجنايات في جدة سنة ١٢٤٣، وقد نقل عن ابن عابدين في هذا الجزء.

٨- ومن نشاطه العلمي العملي: تسلّمه القضاء مدة مديدة في مدينة زبيد باليمن [٢]، تلك البلدة الشهيرة العريقة بالعلم والعلماء آنذاك.

ومعلومٌ كم في القضاء من نشاطٍ وجهدٍ كبيرٍ في التطبيق العملي للعلم، وكم فيه من وقتٍ طويل يمضي مع المتخاصِمين والمدَّعِين، وعدم راحة بالٍ لما يَلقى من الناس.

٩- ومن صور نشاطه العلمي، الذي لا يَنْشَطُ له أيُّ عالم - بل قد لا يتيسر له ذلك -: أسفاره ورحلاتُه العلمية الطويلة، وتَطْوافه في أكثر الآفاق، بحثاً عن العلم ولقيا العلماء، ومعلوم كم في ذلك من الفوائد، التي لا يَجْنيها العالم بدون هذه الرحلات.

وما أصدق قول الإمام الشافعي [٣] رحمه الله:

تغرَّبْ عن الأوطان في طلبِ العُلا ... وسافِرْ ففي الأسفار خمسُ فوائدِ
تفرُّجُ هَمٍّ واكتسابُ معيشةٍ ... وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ

---

(١) كما هو في آخر الجزء الثاني من طبعة مصطفى البابي الحلبي، دون طبعة بولاق.
(٢) فهرس الفهارس ٧٢١/٢ نقلاً عن التحفة المدنية.
(٣) فيض القدير للمناوي ٨٢/٤، قال: ومما عُزي للشافعي، ثم أورد هذين البيتين، وهما في ديوانه ص ٤١، نقلاً عن مرآة الجَنان وعبرة اليقظان لليافعي ٢٦/٢، وهما فيه، وقد نسبهما للإمام الشافعي رحمه الله.

وسَبَق ذِكْر فصلٍ خاص عن رحلاته وأسفاره.

١٠- ومن أعظم نشاطه العلمي: مؤلفاتُه ومصنَّفاته العديدة في فنونٍ مختلفة، وبخاصة في علم الحديث الشريف، وعلم الفقه، مع نَفَسٍ علمي طويل، وتحقيقٍ وتدقيقٍ، وسيأتي ذكر مصنَّفاته في باب خاصٍ بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

* ويُشار هنا إلى أن نشاطه هذا في التصنيف، كان في سنٍّ مبكرةٍ من عُمُره، فقد أَلَّف كتاب: «شرح تيسير الوصول» لابن الدَّيْبع الشيباني، وهو صغيرٌ في مقتبل عمره [1]، ووصل فيه إلى كتاب الحدود من حرف الحاء، وهو شرحٌ مطوَّل مبسوط.

* وهذا التوفيق من الله تعالى للشيخ محمد عابد في خدمة العلم، وبخاصة في الحديث النبوي الشريف وعلومه، وتَوَجُّهه للتصنيف فيه، كان قد بُشِّر به في رؤيا منامية طويلة صالحة، رأى فيها رسولَ الله ﷺ، والشيخ محمد عابد فيها خادمٌ للنبي ﷺ، ويحمل شيئاً مما يَخُصُ النبيَّ ﷺ وهو العصا، ثم استيقظ ومؤذِّنُ الفجر ليلة الجمعة ينادي بالأذان، وذلك سنة ١٢٢٠، وهو باليمن.

وقد ذكر هذه الرؤيا صاحبه وتلميذه لُطْفُ الله جحَّاف [2]، وقال عقب إيراده لها: «وأوردتُها لجلالة الرائي، وعلمي بتحرّيه الصدق».اهـ

* * * * *

(١) كما نصَّ على ذلك في حصر الشارد لوحة ٦٠، اليانع الجني لوحة ٣٥ب.

(٢) درر نحور الحور العين، في حوادث سنة ١٢٢٠.

مكتبته النادرة

١١- ومن نشاطه العلمي الكبير: مكتبتُه الخاصة التي جَمَعَها ونمَّاها، حتى كانت من المكتبات القيمة النادرة، التي قلَّ أن يوجد لها نظيرٌ عند أحد.

فقد كان له حُبٌّ وولع شديد بالكتب، وشَغَفٌ ونَهَمٌ عجيب، حريصٌ كلَّ الحرص على جَمْع الكتب وشرائها واستنساخها مهما كلفه ذلك، فقد بَذَلَ في سبيلها المال الكثير النفيس، وكان لوجاهته دورٌ كبير في تحصيل ما يريد منها، حتى تكوّنت عنده مكتبة عظيمة، تشتمل على غالب كتب الحديث والتفسير والفقه على المذاهب الأربعة - وبخاصة كتب المذهب الحنفي - وكتبِ أصول الفقه، واللغة العربية وعلومها، وكُتُبِ علم الطب، وغيرها من الفنون.

وقد وَرِثَ الشيخ محمد عابد هذا الحب العجيب في جمع الكتب من أسرته العلمية: جدِّه وعمِّه وأبيه، - (والوُدُّ متوارث) - فقد نشأ وترعرع الشيخ محمد عابد في مدينة (جدة) عند جَدِّه الشيخ محمد مراد الأنصاري، وكانت تحت نَظَارته مكتبة وخزانة عظيمة عامرة بالكتب النفيسة، قد وقفها مع المسجد والرباط الوزيرُ (ريحان)، كما تقدم.

وذكر الشيخ إبراهيم الحوثي في ترجمة عمِّ الشيخ محمد عابد ووالده أنهما «اشتغلا بتحصيل العلوم والتفنن فيها، وجَمْع الكتب...».

وتمتاز مكتبة الشيخ محمد عابد الضخمة الفخمة، بأن فيها من نوادر الكتب الشيء الكثير، حتى قال السيد محمد عبدالحي الكتاني - وهو مَن

هو في معرفة الكتب ونوادرها ونفائسها -:

* «وفيها نفائسُ وأصولٌ عتيقة، عليها سماعاتُ أعلام الحُفَّاظ، ومن أهمِّها وأغربها وأنْفَسِها: سِفْرٌ واحد اشتمل على الموطأ والكتب الستة، وعلوم الحديث لابن الصلاح، مقروءة مهمَّشةً بخط واضح، وهو سِفْر لا نظير له فيما رأيتُ من عجائب ونوادر الآثار العلمية، على كثرتها في أطراف الدنيا» (١).

* ومن هذه النفائس أيضاً، ما ذكره الشيخ محمد عابد في آخر ترتيبه لمسند الإمام الشافعي رحمه الله، حيث قال:

«نقلتُ ذلك من نسخةٍ مرَّت عليها أقلام العلماء المتقدمين، وحَضَرَت في مجالسهم المتعددة، والغالبُ عليها الصحة المُفْرِطة». اهـ

* ومن نفائس مكتبته أيضاً، ما حكاه المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله عن نسخةٍ نفيسةٍ من الكتب الستة في مكتبة الشيخ محمد عابد، وهي عبارة عن «مجموعةٍ في مجلدٍ واحد ضخم، حوى الكتب الحديثية الستة: صحيحَ البخاري، وصحيحَ مسلم، وسننَ الترمذي، وسننَ النسائي، وسننَ أبي داود، والموطأ.

عدد أوراقه (٥٧٥) ورقة، وتفصيلها كالتالي:

الموطأ (٥٠)، البخاري (١٥٤)، مسلم (١٢٠)، أبو داود (٦٤)، الترمذي (٩٩)، النسائي (٨٨)، وذلك غير ما فيه من الأوراق البيضاء والفهارس، وبعضِ فوائدَ وأسانيد، وطول الورقة من أوراقه

---

(١) فهرس الفهارس ٢/ ٧٢٢.

(٣١,٥)سم، وعرضها (٢١)سم.

وهو مكتوبٌ بخطوطٍ مختلفة دقيقة، وكلُّها مصحَّح مقابَل على أصولٍ معتمدة، قابلها الشيخ محمد عابد بنفسه، وكان آنذاك في اليمن في صنعاء، ما بين ١١ رمضان سنة ١٢٢١، إلى ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٢٢، فكان الناسخون يكتبون في وقتٍ واحد تقريباً في هذه الكتب، وكلَّما أتمّوا شيئاً، قابله وصحَّحه الشيخ محمد عابد»[1].

وقد اعتمد الشيخ أحمد محمد شاكر في تحقيقه لسنن الترمذي على عدة نسخ، ولكنه جَعَل عُمْدتَه الأولى - وهي أصح النسخ - نسخةَ الشيخ محمد عابد السندي.

* ومما وقفت عليه من نوادر مكتبته أيضاً، مما يُظْهِر تفنّنَه في نَسْخ الكتب، ليَسْهل حملها والاستفادة منها، نسخة كاملة من كتاب: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله، استنسخها لطرفه الشيخ محمد عابد في مجلد واحد، بخط دقيق جداً، مع أن النسخة المطبوعة الآن من فتح الباري تقع في (١٤) مجلد كبير.

وقد جاء عدد سطور كل صفحة من لوحات هذا المجلد (٨٢) سطراً، وكان الفراغ من نَسْخ مقدمة فتح الباري: «هدي الساري» أول نهار السبت ثاني عشر من جمادى الأولى، من شهور سنة اثني عشر مائة وخمس وعشرين (١٢٢٥).

---

(١) ينظر كلام الشيخ أحمد شاكر في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي ص ١٣-١٤، ولا أدري هل النسخة التي ذكرها الكتاني، هي النسخة التي امتلكها الشيخ أحمد شاكر أم غيرها؟

ثم كتب الشيخ محمد عابد بخطه في حاشية النسخة:

«الحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، وقد كَمُلت لنا بحمد الله تعالى وعنايته، فصحَّت المقدّمة من أولها إلى آخرها في ٢٣ شعبان سنة ١٢٢٦». اهـ.

وتوجد هذه النسخة من المقدمة (هدي الساري) في المكتبة المحمودية برقم (٥٦٨)، وعدد لوحاتها (٦١) لوحة.

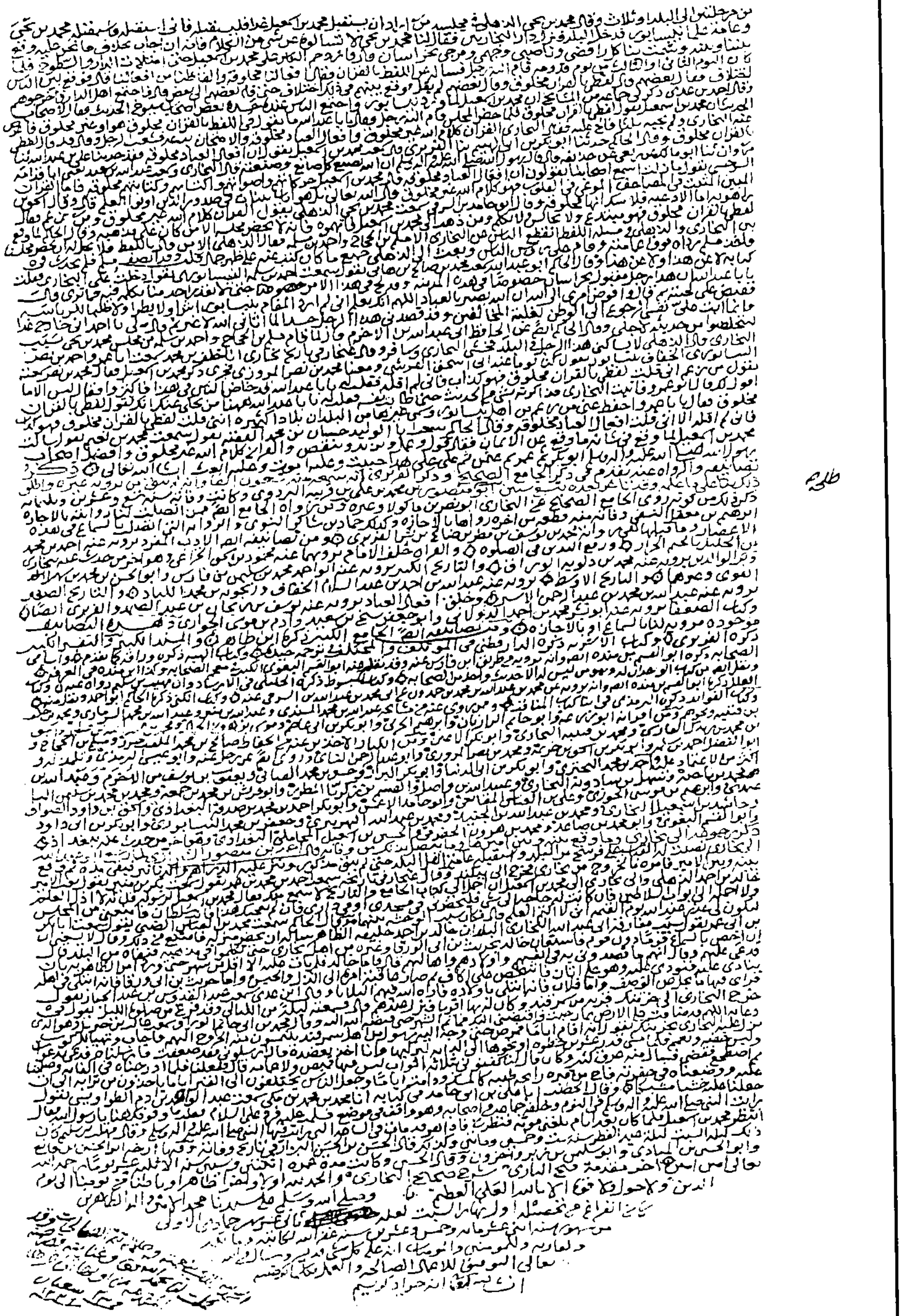
وفيما يلي صورة عن الصفحة الأخيرة منها، لنرى تفاني العلماء، وتفنّنهم في خدمة العلم والدين.

* وقد تقدم أن الشيخ محمد عابد لما أتمَّ نسخ كتاب: «فتح الباري» في مجلد واحد، جَمَعَ الأعيانَ من أهل العلم والشأن في ذلك، وأظهر فرحاً وسروراً، لكمال نَسخها وإنجازها.

كما فعل هذا حين أتمَّ نَسْخَ الكتب الستة الحديثية في مجلد واحد.

* وعلى شاكلة نسخة فتح الباري، توجد في مكتبة الشيخ محمد عابد نسخة من كتاب: «مجمع الزوائد» للهيثمي، في مجلد واحد، وفي كل صفحة من لوحاته (٨٢) سطراً، وقد أتمَّ مقابلتها سنة ١٢٢٨.

* * * * *



صورة للصفحة الأخيرة من نسخة الشيخ محمد عابد من كتاب «هدي الساري» مقدمة «فتح الباري» لابن حجر

١٢- ويشار هنا ـ وهذا نموذج من نماذج نشاطه العلمي أيضاً ـ أن غالب هذه الكتب التي هي في مكتبته ـ إن لم أقل كلها ـ قد زُيِّنت بحواشٍ كثيرةٍ بخط يده، مليئةٍ بالفوائد النادرة التي يُرحل إليها، كما خَدَمَها بفهارس بخطه، تكشفُ عن محتواها، وتيسِّر الوصول إلى فوائدها، وهذا شيء كثير جداً، يَلْحظه كلٌّ مَن وقف على كتبه في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة، وسواء كان الكتاب كبيراً كمصنَّف ابن أبي شيبة، أو متوسطاً أو صغيراً.

تنويه المترجِمين للشيخ محمد عابد بنفاسة مكتبته :

لفتت هذه المكتبة العظيمة للشيخ محمد عابد أنظار مترجميه، فذكروها منوِّهين بضخامتها، ونُدْرة ونفاسة محتواها، وقد وقفها الشيخ محمد عابد على المكتبة المحمودية (١) بالمدينة المنورة سنة ١٢٤٩، كما

---

(١) سميت المكتبة المحمودية بهذا الاسم، نسبة للسلطان العثماني محمود خان الثاني، المولود سنة ١١٩٩، والذي تولى السلطنة سنة ١٢٢٣، إلى أن توفي سنة ١٢٥٥ رحمه الله تعالى، وقد تقدمت ترجمته في مقدمة هذا البحث.

وأصل هذه المكتبة مدرسةٌ عظيمة تسمى مدرسة قايتْبَاي، بناها سلطانُ الديار المصرية في دولة المماليك: الملك الأشرف قايتباي سنة ٨٨٦، وذلك عَقِب حريق المسجد النبوي، ووَقَفَ فيها خزانة كتب، وجَعَلَ لهذه المدرسة أوقافاً عظيمة.

ثم جدَّد بناءها السلطان محمود خان سنة ١٢٣٧، ووقف عليها خزانة كتب أخرى، ضُمَّت لسابقتها، وكان موقعها في الجهة الغربية من المسجد النبوي بباب السلام، ثم نُقلت إلى مجمّع مكتبات المدينة المنورة العامة، ثم استقرَّ بها المقام أخيراً في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة في مبناها المعروف اليوم، غربي باب السلام.

ينظر للتعريف بالمكتبه المحمودية كتاب: مكتبة الملك عبدالعزيز ص ٦١.

هو مدوَّن بخطه في وقفياته على ظهور كتبه.

فهذا تلميذه الشيخ عاكش [١] يقول عنها:

«وله خزانةٌ من الكتب، أطلعني عليها، قلَّ أن يوجد نظيرها مع أحد، وذَكَرَ أنه قد وقفها على الحرم المدني؛ لينتفع بها علماء المدينة، وقد اشتملت على غالب كتب الحديث والتفاسير، وغيرها من العلوم». اهـ

ويقول الشيخ عبدالستار الدهلوي:

«وكُتُبُ الشيخ محمد عابد مقرُّها بالمدينة المنورة دارِ الهجرة بالمدرسة المحمودية» [٢] اهـ.

وقال صاحب اليانع الجني [٣]:

«ومن صالحاته الباقيات: ما وقَفَه من كتبه المستجادات، من كُتُبِ الحديث المشهورة والغريبة، ونوادرِ شروحها، ومن أحاسن كتب التفسير قديمِها وحديثِها، ومن طرائف الكتب الفقهية على المذاهب الأربعة وغيرها، ومما يطول ذكرها من سائر الفنون.

وهي على كثرتها بهجةٌ لقلوب الطالبين، ونزهةٌ لعيون الناظرين، وقد نَفَعَ الله بها كثيراً ممن أراده بالنفع، وإيَّاي خاصة نفعاً عظيماً.

---

(١) حدائق الزهر، عقود الدرر.

(٢) فيض الملك المتعالي ٣ / لوحة ٥٤ (مخطوط).

* وأنبّه هنا أن ابن زبارة في نيل الوطر ٢ / ٢٨٠ قال: «وأوقف جميع كتبه على الحرم المكي». اهـ، وكأن هذا سَبْق قلمٍ منه، والله أعلم.

(٣) لوحة ٣٥.

ولله دَرُّه حيث أبقى فنوناً من الخير، تبقى إن شاء الله على ممرِّ الأيام والليالي» اهـ.

* وقد صدر حديثاً فهرسٌ لمخطوطات كتب الحديث النبوي الشريف، المحفوظة في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، والتي تضم عدة مكتبات، ومن أعظمها المكتبة المحمودية، التي فيها كتب الشيخ محمد عابد.

وقد أخبرني صانعه الأستاذ الكريم الباحث (عمار سعيد تُمالت) بأن الغالب الأعظم من هذه الكتب، هي كتب الشيخ محمد عابد.

* هذا مع أن كثيراً من كتب المكتبة المحمودية خلال الأزمنة الماضية، صار لها أجنحة وطارت، فمنها ما نزل في مكتبة متحف طوب قابي سراي، في تركيا باسطنبول، وهو قسم كبير، وقد رمزوا لها برمز ( ) إشارة إلى المدينة المنورة، وغالبها من كتب الشيخ محمد عابد السندي.

وقسم آخر منها – لكنه قليل – وصل إلى المملكة المغربية في الخِزانة الملكية بالرباط.

كما توجد مجموعة كبيرة جداً من مخطوطات المدينة المنورة، تبلغ (٦٠٠) مخطوط ـ وقيل أكثر ـ، وفيها نفائس، قسم منها من كتب الشيخ محمد عابد، وقد بيعت هذه المجموعة كلها لهولندا، ثم تفرَّقت في مكتبات أوربا وأمريكا [(١)].

---

(١) ينظر لخبر هذه المخطوطات كتاب: «المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ» ص =

كما وَجَدْتُ قسماً آخر من كتب الشيخ محمد عابد، وعليها وقفيته على المكتبة المحمودية وبخطه، محفوظة في دار الكتب المصرية، ومنها ما هو في الإسكندرية بمصر، ومنها..... .

* وأذكّر هنا أيضاً «بأن الشيخ جعفر فقيه [1] ذَكَرَ أن محتويات المكتبة المحمودية جرى نقلها إلى دمشق، ووُضعت في تَكيَّة السلطان سليم، وفاض عليها نهرُ (بردى)، فأصاب جزءاً منها، ثم أُعيدت إلى المدينة المنورة بعد ذلك»[2].

* * * * *

٥٥و٦٢، وكتاب: مكتبة الملك عبدالعزيز ص ٢٨.

(١) وهو من أعيان المدينة المنورة ووجهائها، وكان مديراً عاماً لمكتبات المدينة المنورة عام ١٣٨٢، المتوفى سنة ١٤١١ رحمه الله تعالى.

(٢) مكتبة الملك عبدالعزيز ص ٦٣.

اقتداء تلاميذ الشيخ محمد عابد به في وقف مكتباتهم

إن هذا العمل العظيم الذي قام به الشيخ محمد عابد، وهو وقفه لمكتبته الخاصة على مكتبة عامة مشهورة في المدينة المنورة، وهي المكتبة المحمودية، كان من أعظم الأعمال التي يُقتدى بها، ويُسار على سيرها، وذلك لتُحفظ فيها، وليَعُمَّ نفعها، ولئلا تضيع بعده، وتتفرق شَذَر مَذَر، كما هو حال كثير من مكتبات العلماء في بلادٍ شتى، التي لم توقف على مثل هذا المحل، حيث يضيّعها الورثة، ويبيعونها رخيصةً بسعرٍ زهيد، بعد أن أفنى مورِّثهم عُمُرَه في جَمْعِها، وبذَلَ في سبيلها روحَه ومالَه، وكلَّ غالٍ ونفيس.

وما أصدق قولَ أحدهم:

كتابيَ يا خِلُّ حصَّلْتُه وعانيتُ فيه إلى أنْ حَصَلْ
أخاف عليه إذا مِتُّ أن يُباع الكتابُ بسعر البَصَلْ[(١)]

ولذا يُستحسن الوقف على مثل هذه المكتبات، بل يتأكد إن لم يكن للعالم مِن ذريته مَن يَرِث علمَه.

---

(١) هذان البيتان وُجدا على ظهر كتاب، كان يباع على الأرض (البسطة) عند الجامع الأزهر، وبِيْعَ فعلاً كما تفاءل صاحبه رخيصاً بسعرِ البصل، كما حدَّث بهذا صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب حفظه الله بخير وعافية ذُخراً للإسلام والمسلمين.

وهكذا ففي عمل الشيخ محمد عابد هذا، ووقْفِه لمكتبته درسٌ عظيم، وعِبرةٌ للعلماء أصحابِ المكتبات الصغيرة أو الكبيرة، ليقتدوا بفِعاله، وليكون وقفُهم لها حسنةً جارية لهم بعد موتهم، وعلماً يَنتفع به الخاصةُ والعامة.

ومما يَحُثّ ويشجع على مثل هذا الوقف، أن يُنظر إلى الآثار العظيمة لمكتبة الشيخ محمد عابد في المكتبة المحمودية اليوم وفيما مضى، فكم كان لها من نفعٍ كبير، وبخاصة كونها في أحد الحرمين الشريفين اللذَيْن يَفِدُ إليهما الناسُ عامة، والعلماءُ خاصة من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم.

وستبقى مكتبة الشيخ محمد عابد - بإذن الله - ذُخْراً للعلم والعلماء، وفَخْراً من مفاخر المدينة المنورة على ممرّ الأيام.

* وقد حذا حَذْوَ الشيخ محمد عابد في وقفه لمكتبته، كلٌّ من تلميذَيْه: شيخِ الإسلام عارف حكمة، ومكتبتُه كبيرة مشهورة جداً في المدينة المنورة، وكانت في مبنى خاصٍّ، قريب جداً من باب الحرم جهة الجنوب الشرقي، وهي حالياً ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

وتلميذِه الآخر الشيخ صافي بن عبدالرحمن الجِفْري، ومكتبتُه أيضاً من المكتبات الوقفية ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

* **وأقترح هنا** - وأنا أتكلم عن مكتبة الشيخ محمد عابد -، والحال أن غالب كتب المكتبة المحمودية هي من وقفيات الشيخ محمد عابد، أقترح أن يُجْعل لمكتبته عنواناً خاصاً، فيُكتب هكذا على لوحة بارزة: (مكتبة الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، المتوفى سنة ١٢٥٧، رحمه الله تعالى، المحفوظة ضمن المكتبة المحمودية)، وذلك إحياءً لِذكره،

واعترافاً بجميله، ووفاءً وبرّاً بما أحسن وقدَّم.

هذا مع أن هناك مَنْ هو دونه بكثير في علمه وفضله وسعة مكتبته، قد أُفرد لمكتبته الموقَفَة مكان خاص، وكُتِب عليها اسمُ واقفها.

* * * * *

مبحث
الأسباب التي أدَّت إلى نبوغ
الشيخ محمد عابد، وتقدمه العلمي

بعد كلٍّ ما تقدم، يمكن أن نتلمس ونقف على أسباب نبوغ الشيخ محمد عابد، وتقدّمِه العلمي وإمامته، والتي أستطيع إجمالها حسب ما لاحظته في النقاط التالية:

١- ما هيأ الله تعالى فيه من ذكاءٍ مُفْرِط، وحافظة عجيبة.

٢- ما وهَبَه الله تعالى من هُيام وعِشق للعلم وأهله، وما ورَّث هذا في نفسه من نشاط علمي متوقّد.

٣- نشأته وترعرعه في أسرة علمية متدينة فريدة، مما كان له الأثر الكبير في غرس القواعد الأساسية لشخصيته العلمية والدينية.

٤- ما حظي به من أساتذة ومشايخ أصحابَ رُتبةٍ عالية في العلم، قدّاحين للهِمم، نابِهِين منبِّهين، مفتِّحين له مفاتح العلم، مما ورّث فيه لمعان نور عقله وفطنته، وبروز مواهبه ومزاياه.

٥- ما حباه الله من أصولٍ كريمة عريقة، فهو من سلالة وأَحفاد مَن تشرّف ونال بركة ضيافة سيدنا رسول الله ﷺ، وهو الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فقد عادت بركاته على أحفاده وذريته، وانتفع الأبناء بصلاح الآباء ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ .

٦- تَفرُّغه للعلم تماماً، وعدم انشغاله بكَسْب لقمة العيش، فقد أغناه

الله، وسهَّل له الأسباب، فكفاه أئمة اليمن وحُكامه مؤونة ذلك.

* وهذه الكفاية أمرٌ مهم جداً لطالب العلم، فكم من طلابٍ للعلم ضاعوا، وضاع علمهم بانشغالهم في تحصيل لقمة عيشهم، وكم ازدهر العلم والدين، والعباد والبلاد، حين أُكرم أهل العلم، وهُيِّئت لهم سُبُله وأسبابه، والكل بتقدير الله وتوفيقه.

٧- تسخير الشيخ محمد عابد فائضَ مارزقه الله، لخدمة العلم، والرحلة في طلبه، والسعي في نشره، واستنساخ الكتب وشرائها ونحو هذا، فقد بذل في سبيل ذلك الغالي والثمين، ولم يجمع ذلك للدنيا وما فيها.

٨- وجودُ مكتبة عامرة زاخرة نادرة، تمَّ له جَمْعُها خلال عمره العامر، وهذا أمرٌ له الأثر العظيم في تقدّم العالم وبروزه وبراعته.

٩- ما قدَّر الله تعالى له من عدم بقاء ذرية له، وذهابهم في صغرهم، فكان هذا من الأسباب المساعدة له على عدم انشغاله بهم، ولا ريب أنهم من المشاغل الكبيرة للإنسان، ووجودهم خير كثير، لكن هذا ما قدّره الله تعالى له.

١٠- حرصه الشديد على استغلال الوقت، وعدم تضييع أي لحظة منه في حِلّه وترحاله.

١١- كثرة رحلاته العلمية في الآفاق، وهذا مما يزيد في العالِم النابِه سعة أُفُقِه واطلاعه وانفتاحه، ويجعله جامعاً لقدرٍ كبير من علومِ وحِكَم العلماء في مشارق الأرض ومغاربها.

١٢- اختياره لسكنى المدن العامرة بالعلم والعلماء، كالحرمين الشريفين، وصنعاء وزبيد والحديدة والمَخَا ونحوها، وهذا يجعل العالم

يعيش في دائرة علمية واسعة، تضفي عليه سعةً علميةً، وبخاصة مع هـذا النشاط والذكاء المتّقد.

١٣- ملازمته الشديدة للعلماء في بدء طلبه للعلم، بدءاً بعمـه الشـيخ محمد حسين، وغيره من العلماء الذين لازمهم واستفاد منهم.

١٤- تكراره للعلوم التي كان يقرؤها أو تُقْرأ عليه، مرات بعد كرّات، ولاشك أن هذا يورِّث عالماً حافظاً، متقناً عميقاً في علمه وفهمه.

١٥- صلاحه وتديّنه، وعمله بما يعلم، فقد عادت عليه بركة ذلـك، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ .

وهذا السبب الأخير، مع إخلاصه، بعد توفيق الله، هو - والله أعلم - الذي ورّث له البركة في أوقاته وعلمه ومصنفاته ودروسه، مع أشغاله الكثيرة من قضاءٍ، وتطبيبٍ للناس، ورحلاتٍ كثيرة، ومشاركاتٍ اجتماعية ونحو ذلك.

* * * * *

الفصل السادس

تلامذته وأبناؤه في العلم

لقد أمضى الشيخ محمد عابد السندي رحمه الله عُمُره المبارك في التعلّم والتعليم، ونَشْر العلم، وبثّ الخير والفضائل بين الناس، «ولم يَزَلْ مجتهداً في نُصْح الأُمَّة، وخَفْضِ جناحه لهم، وإقامة السُّنَن، والصَّبْرِ على جَفَاء أبناء الزمن، حتى وافاه الأجل، ولقي الله تعالى»[١].

فقد قام الشيخ محمد عابد بالتدريس ونشر العلم في بلاد اليمن نحواً من ثلاثين سنة، حين كان مُقامه هناك، كما درّس في كلٍّ من الحرم المكي والحرم المدني مدة طويلة، وذلك قبل استقراره آخر عمره في المدينة المنورة، فكان يدرس فيهما أيام مجيئه للحج والعمرة والزيارة، ثم درَّس فيهما آخر حياته، حين استوطن المدينة المنورة، فكان يُقْرِئ الكتبَ الحديثية الستة في الحرم المدني في كل شهر رواية، ويُقرئها دِرايةً في كل ستة أشهر، وهكذا مرات بعد كرّات.

فكان رحمه الله مُحْيِياً للسنة النبوية في ربوع المدينة المنورة وجَنَبَاتها، مع تردّده إلى الحرم المكي كل مدة، وقيامه بالتدريس ونشر العلم فيه.

وأيضاً فإنه كان بلا شك ينشر العلم في رحلاته الكثيرة، التي قام بها إلى البلاد الأخرى، من السند والهند ومصر وغيرها، حيث طوَّف أكثر

---

(١) اليانع الجني ٣٥ (مخطوط).

الآفاق برحلته، والتقى بالكثير من طلاب العلم وأهل العلم، فأخذوا عنه، وأخذ عنهم.

وهكذا فإنه يغلب على الظن، أنه استفاد منه خلق كثير جداً، من بلاد شتى وأقطارٍ عديدة، وبخاصة في دروسه في الحرمين الشريفين، اللذَيْن يأتيهما الناس من كل فج عميق، بل يمكن أن يقال: إنه ما من طالب علم في الحرمين الشريفين في زمن مقام الشيخ محمد عابد فيهما، إلا وهو غالباً من طلابه وتلاميذه، لِمَا كان عليه من مكانةٍ علمية مرموقة عالية.

ولذا فإن حَصْر تلاميذه عدداً وتسميةً، أمرٌ عسير لا يمكن ضبطه، وسأذكر فيما يلي مَن وقفت عليه منهم، وذلك للتعريف بهم، ولبيان أثرٍ عظيم من آثار الشيخ محمد عابد رحمه الله تعالى، حيث تخرّج به علماء كبار، وأئمة عظام، كان لهم دور كبير في سَيْر حركة العلم قبل وبعد وفاة شيخهم.

وقد سجَّل العلامة السيد محمد عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس[1] ستاً وعشرين من كبار تلامذته، وذلك حين ذكر طرق أسانيده في روايته لكتاب (حصر الشارد) للشيخ محمد عابد، فقال: أرويه من طريق ٢٦ رجلاً من كبار تلاميذه، ثم عدَّهم.

وقد زدْتُ عليهم ثمانية عشر تلميذاً، فصار عدد مَن وقفت عليه منهم أربعةً وأربعين تلميذاً، وهم على ترتيب حروف المعجم كما يلي:

١- الشيخ إبراهيم ابن السيد حسين المخلص.

---

(١) ٣٦٥/١.

له إجازة[١] من الشيخ محمد عابد، في ربيع الأول سنة ١٢٤٤، وقد وَصَفَه فيها بقوله: «... مولانا العلامة الفهّامة، سُلالة العلماء العاملين، ونُخْبة الفضلاء المحققين السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص...» اهـ، ولم أقف له على ترجمة.

٢- الشيخ إبراهيم بن عبدالقادر الرياحي[٢].

العلامة الفقيه المالكي، عالم الديار التونسية، وأصله من المغرب، وقد ولد فيها سنة ١١٨٠، وتوفي رحمه الله بتونس سنة ١٢٦٦، بعد أن ولي رئاسة الفتوى فيها، وله عدة مؤلفات.

٣- الشيخ إبراهيم بن محمد سعيد الفَتَّة المكي، الفقيه الحنفي الكبير، والعالم الشهير، والناظم الأديب، أحد قضاة مكة المكرمة، وله عدة مؤلفات، منها: إكمال حاشية الشيخ محمد طاهر سنبل على مناسك الدر المختار، من باب الحج عن الغير، المولود سنة ١٢٠٤، والمتوفى سنة ١٢٩٠ رحمه الله تعالى[٣].

٤- الحاج أحمد بن عثمان خوجة.

---

(١) محفوظة في مكتبة الحرم المكي، ضمن مجموع برقم ٤٢٦٤/٥ عام، وبرقم ٤٢١٠/٥ ميكرو فيلم، وقد حصلت على صورة عنها.

(٢) ذكر العلامة السيد محمد عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس ٣٦٦/١ أن له إجازة من الشيخ محمد عابد بحصر الشارد، وتنظر ترجمته في الأعلام ٤٨/١، فهرس الفهارس ٣٦٦/١.

(٣) نصَّ الكتاني في فهرس الفهارس ٦٩٢/٢ على تلمذته على الشيخ محمد عابد، وله ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ٥١، نظم الدرر ص ١١٠ (مخطوط)، الأعلام ٧١/١،

وقد وقفتُ على رسالتين للشيخ محمد عابد بخط هذا التلميذ، الأولى: «شفاءُ قلبِ كلِّ سؤول»[1] وقد قال في آخرها بعد ذكر اسمه، وأنه نَسخَها بالمدينة المنورة في ٢٦ محرم سنة ١٢٤٧، قال: «قاله أستاذنا الحجة خاتمة الحفاظ سَنَدنا الشيخ محمد عابد أمدّه الله بأسراره، وحفَّه بأنواره».

والرسالة الثانية هي: «إلزام عساكر الإسلام» وفي آخرها قال: «كتبه الفقير إلى الله سبحانه: الحاج أحمد ابن المرحوم عثمان خوجة من خط شيخنا المذكور، أدامه الله، بالمدينة المنورة ببيتي في حارة العينية سنة ١٢٤٧، في ٢٥ محرم الحرام».

٥- حاكم اليمن الإمام المتوكل على الله سيف الإسلام أحمد ابن الإمام المنصور بالله علي، وتقدمت ترجمته في مقدمة البحث.

وقد ذكر تلمذته عليه العلامة لطف الله جحاف [2]حيث قال:

«ورأيت سيف الإسلام يُدْنيه منه، ويُقِرّ له بالمعرفة الخارقة في الطب، واستمع عليه سيف الإسلام صحيحَ أبي عبدالله البخاري في جماعة» اهـ.

٦- الشيخ القاضي ارتضى علي خان ابن الشيخ أحمد مجتبى العُمَري الصفوي المِدراسي الهندي، وقد أجاز له الشيخ محمد عابد عامة بمؤلفاته[3].

ذكره المرداد في نشر النَّوْر والزهر[4]، ووَصَفَه بالعالم المحدّث،

---

(١) سيأتي إن شاء الله ذكر هاتين الرسالتين في رسائله وكتبه الفقهية.

(٢) درر نحور الحور العين، في حوادث سنة ١٢٢٠.

(٣) كما في فهرس الفهارس ١/٣٦٩.

(٤) المختصر ص ٣١٧.

وسماه محمداً، الملقب بـ: (ارتضى)، كما وَصَفَه في موضع آخر[١] بمحدِّث الهند، ووصفه الكتاني[٢] بالعلامة المسند المحدث القاضي.

وله رسالة سمّاها: «مدارج الإسناد»، المشتملة على رواية كتب الحديث والتفسير والفقه وغيرها [٣]، وله مؤلفات أخرى في فنون عديدة.

له ترجمة مطولة في عشر صفحات، كتبها أحد تلاميذه، طبعت في آخر رسالةٍ للمترجم، وهي: المنحة السراء، توفي سنة ١٢٧٠، رحمه الله.

٧- الشيخ أشرف علي بن سلطان العلي الحسيني الحيدر آبادي، وقد أجاز له الشيخ محمد عابد [٤]، ولم أقف له على ترجمة.

٨- الشيخ جمال بن عبدالله ابن الشيخ عمر المكي، مفتي الحنفية بمكة المكرمة، ورئيس المدرِّسين الكرام ببلد الله الحرام، المحدِّث المفسِّر الواعظ، العالم العامل الورع، له عدة مؤلفات، منها: الفتاوى الجمالية، المولود بمكة المكرمة، والمتوفى فيها سنة ١٢٨٤[٥] رحمه الله تعالى.

وقد أجاز له الشيخ محمد عابد [٦]، وعنه يروي الكتاني ثَبَتَه.

---

(١) المختصر ص ٣٧٩.

(٢) فهرس الفهارس ١/٤٢٣.

(٣) ذكرها المترجم الشيخ ارتضى في إجازته للشيخ عبدالله البخاري الشهير بكوجك، وتوجد من هذه الإجازة مصوَّرة محفوظة في جامعة الملك سعود بالرياض، في مجموع برقم ١٥٣٦ لوحة ١٧، وعندي صورتها.

(٤) كما في فهرس الفهارس ١/٣٦٨.

(٥) له ترجمة في نظم الدرر ص ١١٨، مختصر نشر النور والزهر ١/١٢٣، الأعلام ٢/١٣٤، وفيه صورة لإحدى إجازاته.

(٦) كما في فهرس الفهارس ١/٣٦٦.

٩- العلامة الشيخ حسن الحلواني المدني، من كبار تلاميذ الشيخ محمد عابد المدنيين، وقد لازم درسَ الشيخ محمد عابد في المدينة المنورة في الكتب الحديثية الستة، فسَمِعَها عليه مراراً، روايةً ودِرايةً، وله منه إجازة.

ويروي عنه الكتاني عن الشيخ محمد عابد، كما في فهرس الفهارس[١]، ولم أقف له على ترجمة.

١٠- الشيخ الحسن بن أحمد بن عبدالله الضَّمَدي اليمني، الملقَّب بـ(عاكِش)، الحافظ القاضي، العالم المبرِّز في الفقه والتفسير والقراءات وغيرها، الأديب الشاعر المؤرِّخ.

وهو ممن لازم الشيخ محمد عابد مدةً طويلة في اليمن وفي مكة والمدينة، وقد قرأ عليه صحيحَ البخاري، وقرأ عليه في الروضة النبوية الشريفة شمائلَ الترمذي.

وقد ترجم لشيخه الشيخ محمد عابد في كلٍّ من كتابيه: عقود الدرر، وحدائق الزهر، وله مصنفات أخرى.

وله إجازة من الشيخ محمد عابد، ويروي السيد الكتاني[٢]عنه عن الشيخ محمد عابد.

ولد سنة١٢٢١، وتوفي سنة ١٢٨٩، وقيل ١٢٩٢ [٣]، رحمه الله تعالى.

---

(١) ٣٦٦/١، وينظر ٧٢٢/٢.

(٢) فهرس الفهارس ٣٧٠/٢.

(٣) له ترجمة في نيل الوطر ٣١٤/١، الأعلام ١٨٣/٢، هِجَر العلم ١٢٣٣/٣، وينظر مقدمة محقق كتاب: حدائق الزهر، تحقيق الدكتور إسماعيل البشري.

١١- الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين بن عامر الأزهري المالكي المكي، المغربي الأصل، المتبحّر في العلوم العقلية والنقلية، مفتي المالكية في مكة المكرمة، صاحب كتاب: «توضيح المناسك» وغيره من المصنفات، المولود سنة ١٢٢٢، والمتوفى بمكة المكرمة سنة ١٢٩٢ رحمه الله تعالى.

وقد ذكر روايتَه عن الشيخ محمد عابد السندي الشيخ محمد ياسين الفاداني رحمه الله في كتابه: «الأربعون البلدانية»[(١)].

١٢- الشيخ داود بن سليمان البغدادي الخالدي النقشبندي الشافعي، المشهور بابن جِرْجِيْس، الفقيه الأديب الشاعر، البارع في المنطوق والمفهوم، والمحيط بهما، من أهل بغداد، قام برحلات عدة إلى الحجاز والشام، وأقام بمكة نحو عشر سنوات، وله عدة مصنفات.

ولد ببغداد سنة ١٢٣١، وتوفي بها سنة ١٢٩٩ رحمه الله تعالى[(٢)].

وقد أجازه الشيخ محمد عابد، ويروي عنه عن الشيخ محمد عابد صاحبُ فهرس الفهارس[(٣)].

وفي الأعلام للزركلي[(٤)] صورة من إجازةٍ بخطه، وفيها يقول: «كما في ثَبَت شيخِنا: حصر الشارد...».

---

(١) ص ٥، وله ترجمة في نظم الدرر ص ١١٩، مختصر نشر النور والزهر ١/١٤١، الأعلام ٢/٢٣٠.

(٢) له ترجمة في حلية البشر ١/٦١٠، الأعلام ٢/٣٣٢.

(٣) ١/٣٦٧.

(٤) ٢/٣٣٢.

١٣- الشيخ المعمَّر داود بن عبدالرحمن حَجَر مقبول الأهدل الزَّبيدي، المتوفى سنة ١٣١٤. رحمه الله تعالى.

وهو يروي عامة عن الشيخ محمد عابد [١]، ولم أقف له على ترجمة.

١٤- الشيخ سليمان الشَّوْبري الجُدَّاوي، الخطيب والإمام بالحرم النبوي، وقد ذكر روايته عن الشيخ محمد عابد: الشيخ محمد ياسين الفاداني في رسالته: النفحة المسكية في الأسانيد المتصلة بالأوائل السنبلية[٢]، ولم أقف له على ترجمة.

١٥- الشيخ المعمَّر الناسك أبو البركات السيد صافي بن عبدالرحمن الجِفْري المدني، وقد روى عنه السيد محمد عبدالحي الكتاني حديث المسلسل بالأولية عن شيخه الشيخ محمد عابد، حيث قال: «والسيد الجفري المذكور آخرُ مَن كان بقي في الدنيا ممن رواه عنه [٣]».

وقال أيضاً: «ذلك أن الشيخ محمد عابد قد أجاز في آخر ثبته لكافة مَن أدرك حياتَه إجازة عامة، وذلك بتاريخ ١٢٤٠، فشملت بالخصوص مَن له عليه سماع، وكان له به اتصال، كشيخنا أبي البركات صافي الجفري المدني، سمع منه حديث الأولية»[٤] اهـ.

ولم أقف له على ترجمة، ولم أعرف سنة وفاته، لكنَّ تاريخ وقفه لمكتبته الخاصة في المدينة المنورة كان سنة ١٣٣٧، وهي تحوي (٢٠٢)

---

(١) فهرس الفهارس ١/٣٦٩.

(٢) ص ٤، وينظر فهرس الفهارس ١/٣٦٨.

(٣) فهرس الفهارس ١/٨٥.

(٤) فهرس الفهارس ١/٣٧٠.

مخطوطاً، و(٦٨٨) مطبوعاً، وهي حالياً ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

وكان صاحب هذه المكتبة السيد صافي الجفري يقوم في عهد السلطان عبدالحميد بخدمة الحرم النبوي الشريف، من إضاءة القناديل وغيرها[١].

وقد لقَّبه السيد محمد عبدالحي الكتاني بالرئيس الشيخ صافي[٢]، ولعله أراد رئاسته لهذه الوظيفة، والله أعلم.

١٦- الشيخ صدّيق بن عبدالرحمن بن عبدالله كمال الحنفي المكي، المحدث المفسِّر المدرِّس بالمسجد الحرام، أخذ عن كبار علماء مكة[٣]، وروى عن الشيخ محمد عابد السندي[٤]، وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٢٨٤ رحمه الله تعالى.

١٧- الشيخ عارفُ الله بن حِكمة الله التركي[٥] الحنفي الحسيني، الشهير بـ: (عارف حكمة)، شيخُ الإسلام بالآستانة، القاضي الشاعر، صاحب المكتبة الوقفية الشهيرة بالمدينة المنورة باسم: مكتبة عارف حكمة.

---

(١) مكتبة الملك عبدالعزيز ص ١٤٤.

(٢) فهرس الفهارس ١/ ٨٥.

(٣) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ١/١٧٩.

(٤) كما في «إتحاف المستفيد بفريدات الأسانيد»، للشيخ محمد ياسين الفاداني ص٤٥.

(٥) فهرس الفهارس ١/٣٦٦.

والاسم الكامل له هو: أحمد عارف حكمة بن إبراهيم بن عصمة الله ابن إسماعيل رائف باشا[1].

وكان من كبار القضاة، وقد تقلَّب في قضاء تركيا والقدس ومصر والمدينة المنورة، ثم صار بوظيفة (شيخ الإسلام) في الآستانة سنة ١٢٦٢، وله عدة مصنفات.

وكانت ولادته في تركيا سنة ١٢٠٠، وتوفي في الآستانة سنة ١٢٧٥، وقيل: ١٢٧٢، رحمه الله تعالى.

وقد وَصَفَه الشيخ محمد عابد السندي في إجازته له في ربيع الآخر سنة ١٢٣٥ بقوله: «العلامة الفهامة، مَن ساد أهل الفضل والاستقامة، وفاق أهلَ عصره، وسَمَا في فَخْره، سيدنا الشيخ أحمد عارف: خير عارفٍ بدقائق العلوم العقلية، وأجلُّ عالمٍ بالقوانين النقلية، وأفضل حافظٍ للأحاديث النبوية...»[2] اهـ.

---

(١) كما في الأعلام ١/١٤١ وفيه صورة عن خطه، وكتب اسمه: أحمد عارف حكمة، وذكر الزركلي أيضاً، أن اسمه المنقوش في خاتَمَه الذي كان يصدّر به كُتُبَه الموقوفة في المدينة المنورة هو: أحمد عارف حكمة الله.

وينظر مقدمة تحقيق شهي النغم ص ٣٧، فهرس الفهارس ٢/٧٢٢، وللمفسِّر شهاب الدين محمود الآلوسي كتابٌ خاصٌ في ترجمته سماه: شَهيُّ النَّغَم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحِكَم، مطبوع محقّق، في ٣٥٠ صفحة.

ورأيت في مخطوطات مكتبة عارف حكمة برقم ٩٠٠/١٠١ رسالة خاصة بترجمته أيضاً، تقع في (٨٠) صفحة من القطع الصغير، اسمها: (الدرُّ المنتظَم في مناقب عارف الحِكَم)، لم يُذكر اسم مؤلفها على الغلاف، ولا في داخلها.

(٢) شهي النغم ص ٢٠٣.

ووَصَفَه أيضاً في إجازة أخرى لـه، في جمـادى الأولى سـنة ١٢٣٥، بقوله: «مولاي العلامة الفهامة، رأسُ أئمة أهل الفضل والاستقامة، أجـلُّ مَن فاق في فخره، وسَمَا في نَفْح مِسْك فضله ونَشره، مولانا الشيخ أحمد عارف، لا زال أحمدَ عارفٍ لأسرار المعارف»(١).

وقال عنه السيد محمد عبدالحي الكتاني: «هو أعلم علماء الآستانة في القرن المنصرم»(٢).

١٨- الشيخ بهاء الـدين عبـدالجليل بـن عبدالسـلام بـن عبـدالله بـن عبدالسلام بَرَّادة، من أهل المدينة المنورة، ممن سمع من الشـيخ محمـد عابد، وكان له به اتصال، وجاوره ولازَمه، وسَمِعَ عليه الحـديثَ والفقـه وغيرهما، وشملَتْه الإجازة العامة التي كَتَبَها الشيخ محمـد عابـد في آخـر ثَبَته: «حصر الشارد» لكافة مَن أدرك حياتَه، إجازةً عامة سنة ١٢٤٠، وعنه أخذ الإجازة السيد محمد عبدالحي الكتاني(٣).

ولد الشيخ عبدالجليل سنة ١٢٤٣، وقيـل ١٢٤٢ بالمدينـة المنـورة، وعاش فيها، وهو مغربي الأصل، حيث هاجر والدُ جـدِّه عبدالسـلام مـن فاس إلى المدينة المنورة سنة ١١٤٥.

وكان الشيخ عبدالجليل من المدرِّسين بالحرم الشريف النبوي، وكـان عالماً علامةً مشاركاً في العلوم الشـرعية كلـها، مـاهراً في العلـوم العربيـة والأدبيـة، وانتـهت إليـه الرئاسـة في ذلـك بـبلاد الحجـاز، فكـان شـاعر

---

(١) شهي النغم ٢٠٥.

(٢) فهرس الفهارس ٢/٧٢٣.

(٣) ينظر فهرس الفهارس ١/٣٧٠.

الحجاز، كما وصفه بذلك كله العلامة عبدالحفيظ الفاسي [(١)]، بل وَصَفَه الكتاني في فهرس الفهارس[(٢)] بأديب الحجاز، الشاعر المِفْلَق.

وقد لجأ إلى مكة المكرمة مدةً من الزمن، ثم توفي في الطريق وهو راجع منها، ونُقِل إلى المدينة، ودُفِن في البقيع، وذلك سنة ١٣٢٧، وقيل ١٣٢٦ رحمه الله تعالى [(٣)].

١٩- الشيخ عباس بن جعفر بن عباس بن محمد بن صديق الصدّيقي، الفتّني أصلاً، المكي وطناً، المفسِّر الفقيه، صاحب ثَبَت (النبراس)، المولود بمكة المكرمة سنة ١٢٤١، والمتوفى بها سنة ١٣٢٠، رحمه الله تعالى[(٤)].

وقد روى بالإجازة العامة عن الشيخ محمد عابد، كما صرّح هو في إجازته[(٥)] للشيخ عبدالستار الدهلوي المكي، حيث يقول: «... وأيضاً الفقير يروي بالإجازة العامة عن محدِّث دار الهجرة مولانا الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري الحنفي، بما اشتمل عليه ثبته المسمى

(١) معجم الشيوخ ١/٦٣.

(٢) ١/٨٨.

(٣) له ترجمة في معجم الشيوخ ١/٦٣، الأعلام ٣/٢٧٥، وفيه صورة من خطه بإجازته للشيخ عبدالحفيظ الفاسي، وفيها ذَكَرَ أنَّ سندَه متصلٌ بحصر الشارد.

(٤) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ٢٢٨، سير وتراجم ص ١٩٥، فهرس الفهارس ٢/٦٨٦.

(٥) المحفوظة بمكتبة الحرم المكي، ضمن مجموعة إجازات للشيخ عبدالستار الدهلوي، في أوراق متفرقة، جُمعت برقم (٤٢٦٤/٧)، ورقم ميكروفيلم (٤٢١٠/٧).

بـ حصر الشارد...». اهـ

٢٠- الشيخ عبدالحق ابن الشيخ محمد فضل الله المحمدي العثماني، البَنَارِسي الهندي المكي، المِنَاوي مَدْفَناً، العالم المحدِّث الأَثَري [(١)].

ولد في الهند في قرية (نيوتيني) من أعمال (موهان) سنة ١٢٠٦، وقرأ على أبيه وعلى غيره من العلماء، ثم سافر إلى دِهلي، فقرأ على علمائها.

ثم سافر إلى مكة المكرمة للحج، وصَدَرَ عنه بمكة بعضُ مالا يليق بشأن الأئمة المجتهدين، فحَبَسه الوُلاة، ثم أطلقوه، فرجع إلى الهند، وأقام بها زماناً.

ثم سافر إلى الحجاز ثانية، فلما وصل إلى المدينة المنورة بعد الحج، تكلَّم في بعض المسائل الخلافية على عادته، وتفوَّه في حق الأئمة المجتهدين، ورمى بالضلال أصحابَ المذاهب من الأحناف والشافعية، فوُشِي به إلى القاضي، فلما عَلِم ذلك الشيخ عبدالحق، خرج من المدينة مختفياً.

ثم رحل إلى صنعاء، ولقي بها العلامة الشوكاني والقاضي عبدالرحمن البَهْكَلي والشيخ محمد عابد السندي وغيرهم، وكلُّهم أجازوه إجازة عامة سنة ١٢٣٨، ومنهم الشيخ محمد عابد، وذكر السيد الكتاني أن «الشيخ محمد عابد أجازه إجازة عامة بالهند، ثم باليمن»[(٢)].

ثم عاد إلى الهند، وسافر إلى الحجاز سَبْعَ مرات، كان آخرها سنة

---

(١) له ترجمة واسعة في نزهة الخواطر ٧/٢٦٦-٢٧٢، وينظر فهرس الفهارس ٣٦٨/٩.

(٢) فهرس الفهارس ١/٣٦٨.

١٢٧٦، فتوفي مُحْرِماً في مِنى، ودُفِن فيها، ولذا قالوا في لقبه: المِنَاوي مَدْفناً، وقيل توفي سنة ١٢٨٦. رحمه الله تعالى.

وألَّف رسالة في أسانيد الشيخ محمد عابد، ذَكَر أولها صاحبُ نزهة الخواطر(١)، وفيها ذِكْرٌ لبعض شيوخ الشيخ محمد عابد السندي.

٢١- الشيخ عبدالرحمن ابن الإمام الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالرحمن الكُزْبَري الشافعي، محدِّث الديار الدمشقية، المولود سنة ١١٨٤، والمتوفى بمكة حاجاً سنة ١٢٦٢، رحمه الله تعالى، وهو صاحب الثَّبَت المشهور(٢).

وقد ذكر تلمذته وروايته عن الشيخ محمد عابد، الإمامُ اللَّكْنَوي في ظفر الأماني(٣)، ولم أجد ذكراً للشيخ محمد عابد ضمن مشايخ الكزبري في ثبته المطبوع، ولعله لم يستقص أسماءَهم.

٢٢- الشيخ عبدالرحمن وجيه الدين أبو العباس ابن العلامة الشيخ محمد حسين السندي الأنصاري المدني، وهو ابن عم الشيخ محمد عابد وتلميذه، وقد صرَّح بتلمذته عليه هو نفسُه، فيما خطَّه بيده من رسالة عمه الشيخ محمد عابد، وهي: «كَفُّ الأماني عن سماع الأغاني» في شعبان سنة ١٢٣٥ بالمدينة المنورة، ولم أقف له على ترجمة.

٢٣- الشيخ عبدالغني ابن الشيخ العارف الكبير أبي سعيد ابن الشيخ الصَّفِيّ العُمَري المجدِّدي الدِّهْلوي المدني الحنفي، أحد العلماء

---

(١) ٢٦٩/٧.

(٢) له ترجمة في حلية البشر ٢/٨٣٣، الأعلام ٣/٣٣٣.

(٣) ص ٣١٠.

الربانيين، الإمامُ العالم العامـل، المحـدث العـارف، بهجـةُ المحـدثين، وزينةُ المسنِدين، من ذرية الشيخ العارف أحمد بـن عبدالأحـد الفـاروقي السَّرَهَنْدي، المتوفى سنة ١٠٣٤.

ولد الشيخ عبدالغني بدهلي سنة ١٢٣٥، وهاجر إلى المدينة المنـورة سنة ١٢٤٩، وتـوفي بهـا سـنة ١٢٩٦، رحمـه الله تعـالى، بعـد أن صـار المحدِّثَ بين لابتَيْها.

وقد خرَّج له أسانيدَه تلميذُه الشاب المحـدِّث البـارع العلامـة محمـد يحيى، المدعو بالمحسن التُّرُّهْتِي الهندي، المتـوفى بالمدينـة المنـورة في حدود سنة ١٢٩٣، وهو في الثلاثين من عمره تقريباً. رحمه الله تعالى.

وقد أجاز الشيخ محمد عابد للشيخ عبدالغني الدهلوي، بعد أن سمع عليه مسلسلات ثَبَته: «حصـر الشـارد» في المدينـة المنـورة، وذلـك سـنة ١٢٥٠، وهو إذ ذاك ابنُ خمسَ عشرة سنة، وكَتَبَ له إجازةً حافلة، توجد صورةٌ منها عند السيد محمد عبدالحي الكتاني، كما قرأ على الشيخ محمد عابد صحيحَ البخاري.

وللشيخ عبدالغني عدة مؤلفات، منها: حاشية على سنن ابن ماجه [١].

٢٤- الشـيخ عبـدالله أمكنـة ابـن العلامـة الشـيخ محمـد، الشـهير بـ(كوجك) البخاري المكي الحنفي، العالم الفاضل الجليل، العلامة النبيه النبيل، الصالح المتواضع.

ولد ببخارى، ونشأ فيها، ثم رحل إلى المدينة المنـورة سـنة ١٢٥٦،

---

(١) ينظـر فهـرس الفهـارس ٧٥٨/٢، ٧٦٣، نزهـة الخـواطر ٣٢٠/٧، آخـر اليـانع الجني، مقدمة أوجز المسالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.

وحَضَرَ درسَ الشيخ محمد عابد السندي في صحيح البخاري، وأجازه بسائر مروياته [١].

ثم قَدِمَ مكة المكرمة، وتصدى للتدريس في حرمها، وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٢٩٧، رحمه الله تعالى [٢].

وقد وَصَفَه الشيخ محمد عابد في إجازته له بقوله: «... رَغِبَ لذلك الفاضل الجليل، العلامة النبيل، المكرَّم المحترم، إنسان عين الدهر، ومقتدى أهلِ العصر، أفخر مَن سَمَا ونَمَا، وفي تحصيل المعالي رَقَى، أجلُّ مَن شمَّر عن ساعد الجد في تحصيل أحاديث جَدِّه المختار، والمتتبع لأخباره والآثار: السيد عبدالله ابن المرحوم قدوة العلماء وزبدة الفضلاء السيد محمد أمكنة البخاري، المشهور بـ(كوجك)، فحضر في قراءة البخاري وسماعه في المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، عند الحقير الضعيف، وصار يلتقط فرائد الحديث المحمدي...».

ووصفه أيضاً الشيخ محمد أرتضى العمري الصفوي الهندي - وهو ممن يروي عن الشيخ محمد عابد كما تقدم - حين استجازه الشيخ عبدالله أمكنة، فقال عنه في إجازته له:

(١) توجد نسخة من هذه الإجازة في مكتبة جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) بخط الشيخ حسن بن عبدالرحمن العجيمي، في أربع صفحات، ضمن مجموعٍ برقم ١٥٣٦، وهي الرسالة الثالثة منه، (١٧ب-١٩أ)، وعندي صورتها.

(٢) ينظر مختصر نشر النور والزهر ص ٣١٦، نظم الدرر ص ١٣٥، فهرس الفهارس ٣٦٧/١.

«... إن السيد الصالح، ذا المجد والمفالح، وحيدَ العصر، فريدَ الدهر، العالم العلامة والفاضل الفهامة، مولانا السيد عبدالله ابن السيد المرحوم المبرور السيد محمد كوجك، وفَّقه الله سبحانه للتقوى، وجعل آخرته خيراً من الأولى، طلب مني الإجازة لرسالتي المسماة بـ(مدراج الإسناد) المشتملة على رواية كتب الحديث والتفسير والفقه والأدعية وغيرها...» [١]اهـ.

٢٥- الشيخ عبدالله بلال.

وقد وجدت هذا الاسم على طُرَّة نسخةٍ مخطوطة من ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة[٢] رحمه الله، للشيخ محمد عابد، نُسِخت سنة ١٢٧٣، كتب عليها:

«أقول أنا الفقير إلى الله تعالى عبدالله بلال: إني أروي مسندَ الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى إجازةً من شيخي العلامة المحدث الكبير، والمحقق الشهير الشيخ محمد عابد، وهو يروي إجازة عن شيخه الشيخ صالح الفلاني...».

ولم أقف له على ترجمة.

٢٦- الشيخ عليم الدين ابن الشيخ العارف رفيع الدين العُمَري القُنْدهاري الحيدر آبادي، المتوفى سنة ١٣١٦، رحمه الله تعالى.

وقد روى عنه السيد محمد عبدالحي الكتاني عن الشيخ محمد عابد

(١) هذه الإجازة منسوخة مع إجازة الشيخ محمد عابد لتلميذه (كوجك) في المجموع السابق المذكور في الصفحة السابقة حاشية (١).

(٢) وهي من محفوظات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، في ١٥٨ ورقة.

كتابَ «حصر الشارد»[(١)]، ولم أقف له على ترجمة.

٢٧- المولوي غلام حسنين ابن المولوي حسين علي ابن الشيخ العلامة عبدالباسط القَنُّوجي، واسمه التاريخي (غلام عليم)، ولد في قَنُّوج سنة ١٢٢١، وتتلمذ على علمائها، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، واستجاز بالمدينة المشرفة من الشيخ محمد عابد، فأجازه بكتب الصحاح والسنن المشهورة، وتوفي سنة ١٣١٢ في بومبي بالهند، رحمه الله تعالى[(٢)].

٢٨- القاسم ابن إمام اليمن المتوكل على الله أحمد ابن إمام اليمن المنصور بالله علي بن العباس المهدي.

ولد سنة ١٢١١، ونشأ في حِجْر الخلافة نشواً طاهراً، فلما قارب سنَّ البلوغ قرأ (بلوغ المرام) للحافظ ابن حجر العسقلاني، على الشيخ محمد عابد السندي، عند وفوده إلى حضرة أبيه، ثم حفظه عن ظهر قلب، وأسمعه للعلامة الشوكاني، وكان يقرأ على الشوكاني أيضاً صحيح البخاري ومسلم، وله بالسنة المطهرة شَغَف عظيم»[(٣)].

وحين ترجم له الشوكاني كان عمر هذا الشاب نحو سبع عشرة سنة، ثم توفي بصنعاء في شبابه سنة ١٢٣٩، عن ٢٨ سنة، رحمه الله تعالى.

٢٩- الشيخ قطب الدين بن محيي الدين الأحراري الدهلوي المكي الحنفي، العالم العلامة المحدِّث، ولد ببلدته دهلي، وبها نشأ وتعلم، وبرع في العلوم ودرَّس، ثم قَدِم مكة المكرمة للحج سنة نيفٍ وخمسين

---

(١) ينظر فهرس الفهارس ١/٣٦٨، ٢/٦٩٣.

(٢) كما في أبجد العلوم ٣/٢٦٥.

(٣) ينظر البدر الطالع ٢/٤٠، ونيل الوطر ٢/١٧٥.

ومائتين وألف، وجاور بها، وأخذ عن علمائها، وروى عن الشيخ محمد عابد، وبقي في مكة المكرمة مستمراً على العبادة والتدريس في الحرم المكي، إلى أن توفي بها سنة ١٢٨٩ رحمه الله تعالى [١].

٣٠- الشيخ لُطْفُ الله بن أحمد بن لُطْفِ الله بن أحمد بن لُطْفِ الله بن أحمد جَحَّاف، العلامة البارع في جميع العلوم، المؤرِّخ الشاعر الأديب، المولود في صنعاء اليمن سنة ١١٨٩، والمتوفى بها سنة ١٢٤٣، رحمه الله تعالى.

كان صاحباً وتلميذاً للشيخ محمد عابد، وتقدم تقريظه وثناؤه على الشيخ محمد عابد، في ثناءات العلماء عليه.

وكان له حظ وافر، وصلة وثيقة بحُكَّام اليمن وأئمته: المنصورِ بالله علي بن العباس، ثم ولدِه المتوكلِ على الله أحمد بن علي المنصور، ثم المهدي، ولكن دون اتصاله بأبيه، ثم غَضِبَ عليه وسَجَنَه مدة، ثم أفرج عنه بشفاعة العلامة الشوكاني له.

وله عدة مصنفات منها: «دُرَر نحور الحور العين في سيرة المنصور علي، وأعلام دولته الميامين» مخطوط في مجلد ضخم كبير، في مكتبة عمر سميط بتَريم، وتوجد صورة عنه في مكتبة جامعة الملك سعود

---

(١) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ٣٩٤، أعلام المكيين ١/٤٤٢.

وقد ذكر روايته عن الشيخ محمد عابد: الشيخ محمد ياسين الفاداني في رسالته: النفحة المسكية في الأسانيد المتصلة بالأوائل السنبلية ص ٤.

وقد اقتصر مترجموه في اسمه على: قطب الدين الدهلوي، لكن وجدت بقية اسمه كما أثبتُّ في رسالة: الأسانيد العلية المتصلة بالأوائل السنبلية للأنصاري، ص ٢٦٠.

بالرياض، وله «العباب في تراجم الأصحاب»، و«قرة العين بالرحلة إلى الحرمين»، وذلك سنة ١٢١٦-١٢١٧، وكان في هذه الرحلة بصحبة الشيخ محمد عابد السندي [١].

٣١- الشيخ محمد بن خليل بن إبراهيم القاوُقْجِي الحسني الطرابلسي الشامي الحنفي، العلامة المحدث المفسّر، الفقيه المسند [٢].

ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٢٤، وتلقى العلوم فيها، ورحل إلى مصر، ودَرَس في الأزهر، وبقي هناك ٢٧ سنة، ثم عاد إلى بلده طرابلس، وقد تكررت حَجَّاته، وكان آخرها سنة ١٣٠٥، فتوفي فيها، ودفن بمكة المكرمة، رحمه الله تعالى.

قال السيد محمد عبدالحي الكتاني:

«وعلى الشيخ محمد القاوقجي هذا مدار الإسناد في غالب بلاد مصر والشام والحجاز، وقد أخذ العلم عن كثيرين، ومنهم الشيخ محمد عابد، وله نحو مائة مصنَّف، ما بين مطوَّل ومختصر، وغالبُها في علوم السنة النبوية، منها: شرح الحصن الحصين، وشرح الأربعين النووية، والجامع الفيَّاح لجوامع الكتب الصحاح، وكواكب الترصيف فيما للحنفية من تصنيف» اهـ.

وقد وجدت على نسخة الشيخ محمد عابد من «حصر الشارد»،

---

(١) تقدمت مصادر ترجمته في باب ثناء العلماء على الشيخ محمد عابد ص ١٥٢.

(٢) له ترجمة في نظم الدرر ص ٢٠٨ (مخطوط)، فهرس الفهارس ١/١٠٤-١٠٦، ١/٣٦٧، الأعلام ٦/١١٨.

ومعنى كلمة (قاوقجي): أي الذي يصنع القاووق، وهو مثل الطاقية، توضع على الرأس، وتُلَفُّ فوقها العمامة. كما في موسوعة حلب للأسدي ٦/١٤٠.

والتي هي بخطه، المحفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، وجدت عليها تملكاً كُتِب فيه:

«محمد بن خليل المشيشي الحسني نسباً، القاوقجي لقباً، الطرابلسي الشامي مولداً ومنشأ، في رَوَاق الشوام من الجامع الأزهر وطناً، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وأصحابه. آمين. صفر في سنة ١٢٥٥» اهـ.

فلا أدري كيف آلت هذه النسخة للشيخ محمد القاوقجي تلميذ الشيخ محمد عابد، وعليها هذا التاريخ قبل وفاة الشيخ محمد عابد بسنتين، ثم عادت إلى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة؟!.

٣٢- الشيخ محمد بن عبدالله بن علي بن عثمان بن حُميد النجدي الحنبلي، الشهير بابن حُمَيد، العلامة الفقيه الأديب المؤرّخ المسنِد، المولود في عُنَيْزَة بالقصيم سنة ١٢٣٦، وسافر إلى مكة واليمن والشام والعراق ومصر، واستقرَّ مفتياً للحنابلة بمكة المكرمة.

له حاشية على شرح المنتهى في الفقه الحنبلي، وله في تراجم الحنابلة: السُّحُب الوابلة على ضرائح الحنابلة، وغير هذا، توفي بالطائف سنة ١٢٩٥، رحمه الله تعالى (١).

وهو يروي عن الشيخ محمد عابد بالإجازة العامة (٢).

٣٣- الشيخ الشريف محمد بن ناصر الحازمي الحسني التهامي الضمدي، العلامة المحدث المحقق، المتفنن في جميع العلوم.

---

(١) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ٤٢٣، فهرس الفهارس ١/٥١٩، الأعلام ٦/٢٤٣، علماء نجد ٦/١٨٩.

(٢) مختصر طبقات الحنابلة ص ١٦١ وغيره.

ولد في ضَمَد من بلاد تهامة باليمن، وتعلم على علمائها، حتى تقدم في العلوم كلها، وقَدِم زَبِيْد سنة ١٢٧٣، ودرَّس فيها، وأظهر علماً كثيراً.

وهو ممن أجازه الشيخ محمد عابد، ويروي عنه الكتاني عن الشيخ محمد عابد كتابَ «حصر الشارد»، وكانت وفاته سنة ١٢٨٣، رحمه الله تعالى(١).

٣٤- الشيخ محمد أشرف علي الدكَّني.

ذكره العلامة الشيخ عبدالحفيظ الفاسي في معجم الشيوخ(٢) ضمن سندٍ يروي فيه عن الشيخ محمد عابد السندي، ولم أقف له على ترجمة.

٣٥- الشيخ محمد أمين الحسيني النويني الشَّرْواني النقشبندي.

ذكره السيد محمد عبدالحي الكتاني(٣) فيمن يروي عن الشيخ محمد عابد قال: «ولا أدري هل بالإجازة العامة أو بنوع خاص؟».

قال: «وقد أجاز الشيخُ محمد أمين هذا ابنَ عزوز سنة ١٣١٩ بالآستانة، قال: وسافر إلى بلاده سنة ١٣٢٠، وبعده بسنتين أو ثلاث، توفي رحمه الله تعالى». اهـ، ولم أقف له على ترجمة.

٣٦- الشيخ محمد أمين بن عمر بالي زاده الحنفي المدني، مفتي الحنفية بالمدينة المنورة.

---

(١) له ترجمة في نيل الوطر ٢/٣٢٢، وممن ذكر روايته عن الشيخ محمد عابد أيضاً الفاسي في معجم الشيوخ ٢/١٧.

(٢) ١/١١٨.

(٣) فهرس الفهارس ١/٣٧٠.

ذكره الكتاني في فهرس الفهارس[١] فيمن روى عن الشيخ محمد عابد، وذكر تاريخ وفاته سنة ١٣٠٤.

ولم أقف له على ترجمة، لكن وجدت في معجم المؤلفين[٢] ترجمةً باسم: (محمد بن عمر البالي المدني الحنفي، فاضل من آثاره: «سُبُل السلام في حُكْم آباء سيد الأنام»، فَرَغَ من تأليفه في ٢١ رمضان سنة ١٢٨٥) اهـ. فلعله هو، والله أعلم.

٣٧- الشيخ محمد برهان الحق بن محمد نور الحق ابن الشيخ أحمد أنوار الحق الأنصاري اللكنوي الهندي، أحدُ عباد الله الصالحين.

ولد ونشأ ببلده لكنهؤ، وقرأ العلم على والده وعلى غيره من العلماء، وسافر إلى الحرمين الشريفين مرتين، مرة سنة ١٢٥٢، ومرة سنة ١٢٦١، وأقام بالحرمين الشريفين ثلاثة أعوام، وأخذ الحديث عن الشيخ محمد عابد السندي، وكانت وفاته سنة ١٢٨٦، رحمه الله تعالى[٣].

قال الكتاني في فهرس الفهارس[٤]: «اجتمع بالشيخ محمد عابد، واستكتب ثَبَتَه «حصر الشارد»، واستجازه فيه، فكَتَبَ له إجازة بخطه على ظهر ثَبَتَه، والنسخة موجودة بـ(فرنكي مَحَل) من الهند». اهـ

٣٨- الشيخ محمد حسين بن محمد صالح جمل الليل المكي.

---

(١) ١/ ٣٧٠.

(٢) ١١/ ٧٨.

(٣) له ترجمة في نزهة الخواطر ٧/ ١١١. وسماه برهان الحق بدون اسم: محمد، لكن في فهرس الفهارس ١/ ٣٦٧ سماه: محمد برهان الحق.

(٤) ١/ ٣٦٧.

ذكره الكتاني[١] ممن يروي عن الشيخ محمد عابد عامة، وسمَّاه الشيخ عبدالله غازي في نظم الدرر[٢]: (حسيناً) بدون (محمد) فقال: «السيد حسين جمل الليل بن صالح بن سالم، الشافعي المكي الخطيب والإمام بالمسجد الحرام، كان عالماً فاضلاً أديباً كاملاً لطيفاً، حَسَنَ المفاكهة، ناظماً للشعر.

ولد بمكة المشرفة، ونشأ فيها، وأخذ العلم عن أفاضل أهلها، وتولى منصبَ مشيخة الخطباء والأئمة بمكة المكرمة سنة ١٢٩٩، إلى أن توفي بها سنة ١٣٠٥ وقد قارب التسعين، رحمه الله تعالى.

وكان كثير التزوج، فقد تزوج ما ينوف عن التسعين امرأة» اهـ.

٣٩- الشيخ محمد حيدر بن المنلا محمد مبين الأنصاري الحيدر آبادي الهندي، الفاضل أحد الفقهاء الحنفية، ولد ونشأ في لكنهؤ، وقرأ على والده، ثم تصدّر للتدريس.

ثم سافر إلى مكة المباركة سنة ١٢٤٠، وأخذ عن علمائها، ثم سافر إلى المدينة المنورة قبل الحج، وأسند الحديث بها عن الشيخ محمد عابد السندي وغيره.

ثم رجع إلى مكة، وكان قد حفظ القرآن في أثناء السفر، فقرأه في التراويح بالمسجد الحرام.

ثم عاد إلى حيدر آباد، وطابت إقامته فيها مكرَّماً معزَّزاً، وله عدة

---

(١) فهرس الفهارس ١/٣٦٩.

(٢) ١٧٣ (مخطوط)، وينظر مختصر نشر النور والزهر ص ١٧٧.

رسائل، وتوفي سنة ١٢٥٦ بحيدر آباد، رحمه الله تعالى[١].

٤٠- الشيخ محمد زمان السندي، وهو في الوقت نفسه من مشايخ الشيخ محمد عابد، فهو مجيز ومجاز، وتقدَّمت ترجمته في شيوخه[٢]، والثناءات العالية عليه من الشيخ محمد عابد.

٤١- الشيخ الحاج محمد مبارك.

أجازه الشيخ محمد عابد في بندر الحديدة، سنة ١٢٢٣، وهذه الإجازة محفوظة بالمحمودية بخط الشيخ محمد عابد، ضمن مجموع رقمه (٢٦٥٢)، وهي الرسالة الثالثة منه.

وقد جاء في مقدمتها: «... وبعد: فإن مُحِبَّنا الفاضل الأكمل الحاج محمد مبارك، قد قرأ عليَّ في أوائل الأمهات الست، وقرأ بعض المسلسلات أيضاً، وأراد مني الإجازة فيما قرأ وما لم يقرأ...» ثم ذكر إجازته له.

٤٢- الشيخ مصطفى إلياس الحنفي المدني.

وهو ممن يروي عنه الكتاني[٣] عن الشيخ محمد عابد كتابَ: حصر الشارد، ولم أقف له على ترجمة.

٤٣- الشيخ هاشم بن شيخ الحبشي الباعلوي المدني، أحد خطباء

---

(١) له ترجمة في نزهة الخواطر ٧/١٦٩-١٧٠، وذكر أخذه عن الشيخ محمد عابد، كما ذكر هذا أيضاً الشيخ عبدالحفيظ الفاسي في معجم الشيوخ ١/١٢٠.

(٢) ص ٢٠٣.

(٣) فهرس الفهارس ١/٣٦٩.

المسجد النبوي الشريف، وقد ذكر روايته عن الشيخ محمد عابد: الشيخ محمد ياسين الفاداني في رسالته: النفحة المسكية[١]، ولم أقف له على ترجمة.

٤٤- الشيخ يحيى بن محمد بن الحسن الأخفش لقباً، العلوي الفاطمي نسباً، من تلاميذ الشيخ محمد عابد باليمن، وقد شَرَح كتاب شيخه الشيخ محمد عابد: «إيجاز الألفاظ لإعانة الحُفَّاظ»، وسمَّاه: «إدارة الألحاظ لحَلِّ إيجاز الألفاظ».

وشَرْحُه هذا واسع يدل على نَفَس علمي رصين، ولم أقف له على ترجمة.

* وهكذا فهذه شَذْرةٌ من أسماء تلامذة الشيخ محمد عابد السندي، لا تُعَبِّر عن عددهم إطلاقاً، وإنما تُعبِّر عن نموذجٍ للمستوى العلمي الرفيع، الذي نَهَضَ به الشيخ محمد عابد، وخلَّفه في أبنائه من أهل العلم.

وهؤلاء المذكورون غالبهم من كبار تلاميذه، كما قال الكتاني في فهرس الفهارس[٢].

ولو تيسّر تَتَبُّع كتبِ التراجم في القرن الثالث عشر، مما كُتِب في تراجم المكيين والمدنيين واليمنيين والمصريين والسنديين والهنديين وغيرهم، لوَجَدْنا عدداً كبيراً جداً من تلامذة الشيخ محمد عابد، هذا مع الإشارة إلى أن أصحاب التراجم لا يترجمون لكل أحد، وإنما يذكرون في الغالب المشاهير فقط.

* ويُلْحَظ هنا بالنظر إلى هذا العدد القليل، الذي وقفنا عليه من

(١) ص ٤، وينظر فهرس الفهارس ١/٣٦٦.

(٢) ١/٣٦٥.

تلامذته، التعدد الكثير للأقطار والبلاد التي ينتمي إليها هؤلاء التلامذة، شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، فتجد المكيَّ والمدنيَّ والتونسيَّ والمغربيَّ والبخاريَّ والهنديَّ والسنديَّ واليمنيَّ والبغداديَّ والتركيَّ والطرابلسيَّ والشاميَّ، وغيرهم.

فهؤلاء من آثار الشيخ محمد عابد غير المكتوبة، وهي أكثر من أن تُحصى كما تقدم، فكان له في كل بلد إسلامي عدد من التلاميذ، أخذوا عنه، وجلسوا بين يديه متعلِّمين ومستفيدين، فكان يعلّمهم بحاله ومقاله وحُسْن سيرته، فَغَدَوْا علماء صلحاءَ بمجالسته ومجالسة أمثاله، فهم من آثاره الزاكيات، وأعماله الصالحات الباقيات إن شاء الله تعالى.

وسبحان مَن أوجد للشيخ محمد عابد ذِكراً حسناً في هذه البلاد كلِّها، يذكرونه بالخير والفضل والعلم، ويُسْندون من طريقه حديث رسول الله ﷺ، ويترحَّمون عليه، فهنيئاً له على ما قدَّم وادَّخر.

* * * * *

الباب الخامس

العلوم التي برع فيها

وبيان مصنَّفاته وآثاره

الفصل الأول :

إتقانه للقرآن الكريم وعلومِه ،

ومصنفاته فيها

الفصل الثاني :

براعته في الحديث النبوي الشريف وعلومِه ، ومصنفاته فيها

الفصل الثالث :

إبداعه في علم الفقه وأصوله ، ومصنفاته الفقهية

الفصل الرابع :

تقدّمه في علوم اللغة العربية وفنونها ، ومصنفاته فيها

الفصل الخامس :

إمامته في علم المناظرة

الفصل السادس :

حِذْقه في علم الطب ، ومصنفاته فيه

تمهيد

العلوم التي برع فيها وبيان مصنفاته وآثاره

لقد كان الشيخ محمد عابد السندي من أشد العلماء غراماً بالعلم وتحقيقِه ونشرِه، والتأليف والتدوين فيه، فقد قضى عُمُرَه الشريفَ كلَّه في العلم النافع: تعلماً وتعليماً وتصنيفاً، وكانت حياته عامرةً حافلةً بجهوده العلمية وإفاداته السَّنِيَّة، حيث دَبَّجت يراعتُه عشرات المجلدات من التصنيفات الزاكيات.

وقد تنوَّعت تآليفه في فنون عديدة: في القرآن الكريم وعلومه، وفي السنة النبوية الشريفة وشروحها، وفي تراجم الرجال والأسانيد، وفي الفقه عموماً وخصوصاً، وفي اللغة العربية وعلومها، وفي علم الطب والتداوي، مع إجماع مترجميه وعارفيه بأنه كان مبرِّزاً في العلوم كلها.

فقد قال العلامة الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحوثي في تقريظه لمنحة الباري: «وقرأ الشيخ محمد عابد على عمه وغيره في العلوم، وأحرز فنونَها، وحقَّق أصولَها وفروعَها، من نحوٍ وصَرْفٍ وبيانٍ ولغةٍ وفقهٍ وأصولٍ وحديثٍ وتفسيرٍ وطب، وبرَّز في كل فنٍ منها، واشتهر بالحديث والطب». اهـ.

وقال عنه العلامة الشوكاني، وقد خَبَرَه بعد أن لازمه الشيخُ محمد عابد مدة غير قصيرة: «وصاحب الترجمة - محمد عابد السندي - له يدٌ

طولى في علم الطب، ومعرفةٌ متقنة بالنحو والصرف، وفقه الحنفية وأصوله، ومشاركة في سائر العلوم، وفهم صحيح سريع».اهـ.

وهكذا جاءت مصنفاته في علوم مختلفة، منها ما هو مبسوط كلَّ البسط المحمود، ومنها ما هو مختصرٌ مفيد، ومنها ما هو بين ذلك، وكلُّها محرَّرةٌ نافعةٌ، يُسْعَى ويُرْحَل إليها.

وقد كَتَبَ الله لها القبول، وانتشرت في حياته قبل موته، فاستنسخها العلماء، وتداولوها على ضخامة حجم بعضها، وما ذاك إلا لعلوِّ شأنها، ورِفْعة مكانتها.

* وكانت تتجلى في ثناياها شخصيتُه العلمية البارزة، ومواهبُه اللطيفة السامية، حيث قَنَصَ في كتبه الفوائد الشواردَ وحَصَرَها، وجَمَعَ المسانيد النُّعمانية ورتّبها، وطَلَعَ على الناس بطوالع الأنوار البهية على الدرر المختارة الحنفية.

كما أتحفهم بما منَّ به الباري عليه من مِنَحٍ ربانية سَنِيَّة، وصَعِدَ بطالب العلم الألمعيِّ المهذَّبِ مُرْتَقَىً عَلِيّاً، حين حلَّ له عويصات المسند الشافعي المرتَّب بما هو معتمَد، وسهَّل طرق الوصول إلى تيسير الوصول، وبلَّغ الآمال بشرح بلوغ المرام، وبيَّض الوجوه بتنوير صحائف التفسير البيضاوي، وشَفَا قلبَ كلِّ سَؤول تعلَّق بطاعة وحُبِّ النبي الكريم الرسول ﷺ.

وهكذا كَشَفَ الباسَ عن مرويات ابن عباس، وسَرَدَ أوجز الألفاظ النبوية لإعانة الحَفَظَة الذكية، وهيَّأ روضاً نديّاً للناظرين، ليَرْتعوا فيه، وليُشَنِّفوا أسماعَهم بأخبار العلماء العاملين، حتى تنزل عليهم الرحمات بذكر الصالحين.

وفي كل ذلك دقَّق الأبحاث بالحظ الأوفر الأوفى، وأنال الرجاء والمُنَى، ونَفَعَ الخلق فطبَّبَهم في دينهم وأبدانهم، وفَكَّ المِحْنَةَ عنهم، وذلك بعد أن دعا الناس وعساكر الإسلام لطاعة الحاكم المسلم الإمام، ورجا من الله الفوز في الدارين له ولهم ولجميع الأنام، فأصابهم من ذلك كله خيرٌ كثير عام، أجرى الله لصاحبه ثوابه، ورَفَعَ به مقامَه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

* وبعد هذا العرض السريع لغالب أسماء كُتُبه ومصنفاته، بصيغةٍ نثريةٍ متداخلةٍ متصرَّف فيها، آتي لذكْر علومه التي بَرَعَ وأبدع فيها، ونال بها ذِكراً حَسَناً جميلاً، وأُعقب كلَّ علمٍ ذكرته له، ببيان ما صنَّف فيه بالتفصيل، مستعيناً بالله القوي الجليل.

* * * * *

الفصل الأول

إتقانه للقرآن الكريم وعلومه ومصنفاته فيها

لقد كان الشيخ محمد عابد من قُرّاء القرآن الكريم المبرّزين، المُتْقِنين لقراءته على القراءات السبع المشهورة، قراءةَ تحقيقٍ وبيان وتجويد، وكان من البارعين في علم التفسير، وما يتصل به من علوم، ولم يكن مشتهراً بهذا الجانب، كاشتهاره في الحديث والفقه.

إتقانه للقراءات المشهورة:

إن علم القراءات هو من أول العلوم التي حصَّلها وأتقنها على عمِّه الشيخ محمد حسين الأنصاري السندي، ولذا نرى الشيخ محمد عابد يتحدّث بنعمة الله عليه في ذلك، وبما منَّ الله به عليه في هذا الجانب، فيقول في أول كتابه: «حصر الشارد»:

«ولما كان كتابُ الله تعالى مقدَّماً، لم يَسَعْني إلا أن أَذْكُرَ أسانيدي في بعض القراءات، ثمَّ رتَّبْتُ الباقي على حروف المعجم.

فأقول: قد منَّ الله تعالى عليَّ - وله الحمد - بقراءة القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته، على قراءة الأئمة السبعة المشهورين برُوَاتهم الأربعة عشر، المحصورة من طرقهم المشهورة وهم... وذلك بما تضمَّنَتْه المنظومة المعروفة بالشاطبية، قراءةَ تحقيقٍ وبيان وتجويد، مراراً متعددة

على شيخي العلامةِ الفهَّامةِ، زينةِ دهره، وقدوةِ عصره، الحاوي لعلم الأديان والأبدان، الجامعِ للفنون العقلية والنقلية، والموضِّحِ لها بأحسن بيان: عَمِّي وصِنْوِ أبي الشيخ محمد حسين بن محمد مراد الأنصاري الخزرجي الأيوبي نسباً، السنديِّ بلداً، النقشبنديِّ طريقة، والحنفيِّ مذهباً، رحمه الله تعالى، وبوَّأه دار كرامته.

قال شيخنا: قرأتُ بها على والدِنا وشيخِنا الحافظِ الإمامِ المحقِّقِ، وليِّ الله تعالى، العارفِ الشيخ محمد مراد بن محمد يعقوب بن محمود الأنصاري السندي.

قال: قرأتُ بها جميعَ القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته على شيخِنا الإمام الهُمَامِ مُقْتَدَى الأنام الشيخ محمد هاشم بن عبدالغفور بن عبدالرحمن السندي التَّتَّوي.

قال: قرأتُ بها على جماعةٍ أجلِّهم: علامةِ دهره، حجةِ الله على أهل عصرِه الشيخ عبدالقادر بن أبي بكر بن عبدالقادر الصدّيقي نسباً، المكي بلداً، الحنفي مذهباً، مفتي الحنفية بمكة المشرفة.

قال: قرأتُ بها على ولي الله تعالى العارف، عُمدةِ القرَّاء، وقُدْوةِ الحفاظ أبي البقاء حسن بن علي العجيمي...» الخ السند.

* وممّن ذكر الشيخَ محمد عابد، ضمن سند المسلسل بالقرَّاء: العلامة المسنِد الشيخ محمد ياسين الفاداني رحمه الله في كتاب: «المقتطَف من إتحاف الأكابر بأسانيد المفتي عبدالقادر [1]» يعني ابنَ أبي

(١) ص ٢٠٧، والأصل: «إتحاف الأكابر» هو من تخريج الشيخ محمد هاشم بن عبد الغفور السندي التتوي تلميذ الشيخ عبد القادر الصديقي.

بكر الصدّيقي المكي الحنفي.

يُسند هذا المسلسل بالقراء الشيخ محمد ياسين الفاداني عن الشيخين عمر حمدان، ومحمد عبدالباقي اللكنوي المدني، كلاهما عن السيد علي ابن ظاهر الوَتَري عن عبدالغني الدهلوي عن محمد عابد السندي المدني عن عمه الشيخ محمد حسين الأنصاري، إلى تمام سند الشيخ محمد عابد.

براعته في علم التفسير، ومصنفاته فيه:

* إن مما يشهد على براعة الشيخ محمد عابد في علم التفسير، وتقدّمه فيه، وإتقانه له: ما كَتَبَه هو من شرحٍ مطوَّل محرَّر، مليء بالفوائد الأوابد، على قطعةٍ من تفسير الإمام القاضي البيضاوي، كَتَبَها قبل وفاته بثلاثة أعوام تقريباً، أي في سنٍّ كمال نُضْجه العلمي.

فقد وقفت على مجلدٍ ضخمٍ بخطه، في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، برقم (١٦٤)، جاء على طُرَّته ما يلي:

«هذا من شرحٍ على تفسير البيضاوي، لكاتبه محمد عابد بن أحمد علي الأنصاري الخزرجي السندي، شَرَعَ في تحريره يوم الجمعة ١٧ ذي القعدة، سنة ١٢٥٢ في المدينة المشرفة، أعانه الله تعالى على إتمامه من الأول والآخر، وجَعَلَه ينتفع به الخاص والعام، في كل مَحْفَل ومَقَام...».

وهذه القطعة التي وقفت عليها، في هذا المجلد الضخم، تبدأ بتفسير آية رقم (٥١) من سورة المائدة، من ربع الحزب الأخير من الجزء السادس، إلى بداية ربع الحزب الأخير من الجزء التاسع، أي من قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ، إلى

تمام سورة المائدة، ثم تأتي سورة الأنعام كاملة، ثم سورة الأعراف إلى تمامها.

وعلى هذا، فقد شملت هذه القطعة تفسير ثلاثة أجزاء من كتاب الله عز وجل.

وأما قَدْر ما شَرَحَه الشيخ محمد عابد من تفسير البيضاوي، فهو من صفحة ١٢٣ إلى صفحة ٢٣٣ من الطبعة العثمانية (سنة ١٣٢٩)، والتي صوَّرتها دار الجيل فيما بعد، مع ملاحظة أن هذه الطبعة قد وُضِع في وَسْط الصفحة منها نصُّ القرآن الكريم، وجُعِل التفسير في حاشية الصفحة، وتقدر هذه القطعة لو ضُمَّت سطورها المتفرقة إلى بعضها البعض بحدود (٥٠) صفحة.

وأما قدر كتابة الشيخ محمد عابد على هذه الخمسين صفحة من تفسير البيضاوي، فقد جاءت في مجلد ضخم، عدد أوراقه (٤٣٤) لوحة كبيرة، أي (٨٦٨) صفحة، وفي كل صفحة من لوحاتها (٤١) سطراً، كلُّها بخطه الدقيق الوسط.

ولا ريب أن هذا قَدْرٌ كبير جداً في شرح هذه القطعة اليسيرة من تفسير البيضاوي.

ويَحْسُن هنا ملاحظة أن الشيخ محمد عابد لا يكتب في هذه القطعة تفسيراً لسورة الفاتحة والبقرة، التي جرَت عادة المفسرين الإطالة فيهما، ثم تَضْعُفُ الهِمَم غالباً عن السير على تلك الخطة الطويلة في تفسيرهم، إنما هو يفسِّر سورة المائدة والأنعام والأعراف.

* وكان زمن انتهاء الشيخ محمد عابد من شرح هذه القطعة من تفسير البيضاوي، في أول يوم من ذي الحجة، سنة ١٢٥٤ في المدينة الشريفة

النبوية، على مشرِّفها أفضل الصلوات والتسليمات وأكمل التحية، كما جاء في آخرها، ثم قال:

«ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لإتمامه من الأول والآخر، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم» اهـ.

وقد عاش الشيخ محمد عابد بعد هذا التاريخ ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر ونصف، فلا أدري هل كَتَبَ شيئاً غير هذا أم لا؟.

* وليُعلَم عظيمُ قَدْرِ عمل الشيخ محمد عابد في شرحه هذا، فإنه لابد من معرفة القدر الكبير لتفسير البيضاوي، وما حواه هذا التفسير من علوم كثيرة، وما يحتاجه مَن يقوم بشرحه من العلوم والفُهوم، ولذا أذكر هنا تعريفاً مختصراً به، أنوِّر به المقام، ليكون القارئ على بيِّنةٍ من الأمر.

* أما تفسير البيضاوي فاسمه: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للقاضي الإمام العلامة ناصر الدين أبي سعيد عبدِالله بن عمر البيضاوي الشافعي، المتوفى بتبريز سنة ٦٨٥، وقيل ٦٩١.

وتفسيره هذا كما قال صاحب كشف الظنون[١]: «كتاب عظيم الشأن، لخَّص فيه من (الكشَّاف) ما يتعلّقُ بالإعراب والمعاني والبيان، ومن (التفسير الكبير) ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن (تفسير الراغب) ما يتعلق بالاشتقاق، وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات، وضمَّ إليه ما وَرَى زِناد فكره من الوجوه المعقولة، والتصرفات المقبولة، فزاد في العلم

---

(١) ١٨٧/١.

بَسْطَةً وبصيرة.

وقد اعترفوا له قاطبةً بالفضل المطلَق، وسلَّموا إليه قَصَب السَّبْق، فكان تفسيره يحتوي فنوناً من العلم وَعِرَة المسالك، وأنواعاً من القواعد مختلفة الطرائق.

وقد كَتَبَ الله تعالى لهذا التفسير ـ تفسيرِ البيضاوي ـ حُسْنَ القَبُول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكَفُوا عليه بالدَّرْس والتحشية، فمنهم مَن علَّق تعليقةً على سورةٍ منه، ومنهم مَن حشَّى تحشيةً تامة، ومنهم مَن كَتَبَ على بعضِ مواضعَ منه» اهـ.

* ثم عدَّ صاحبُ (كشف الظنون) حوالي خمسين عملاً علمياً قام على هذا التفسير، وذكر البغداديُّ المذيِّل على (كشف الظنون) في(إيضاح المكنون)[1] واحداً وسبعين عملاً علمياً، ولم يذكر عملَ الشيخ محمد عابد السندي.

وبهذا تلحظ براعة الشيخ محمد عابد في علم التفسير، وما يتصل به من علوم، بعد أن عَرَفنا حالَ تفسير البيضاوي، وما تضمَّنه من علومٍ وعلوم، وما كُتِب عليه من حواشٍ وتعليقات، حتى جاد قلمُ الشيخ محمد عابد في شرح خمسين صفحة منه بـ(٨٦٨) صفحة مخطوطة، في كلٍ منها (٤١) سطراً، التي لو طُبعت بمثل حجم صفحات تفسير البيضاوي، لبلغت على الأقل حوالي (٢٠٠٠) صفحة.

* وأذكِّر هنا بما يُشترط توافره في المفسِّر لكتاب الله تعالى، من أنواعٍ من العلوم والمعارف، التي لابد من تحصيلها وإتقانها، حتى يكون أهلاً

---

(١) ١/١٣٨-١٤٢.

للتفسير [١]، وأهمها:

١- معرفة اللغة العربية ومفرداتها ومدلولاتها وعلومها، من نحوٍ وصرفٍ واشتقاق.

٢- معرفة علوم البلاغة، مِن علم المعاني والبيان والبديع.

٣- معرفة الفقه وعلم أصول الفقه، وذلك لمعرفة الخاص والعام، والمُجْمَل والمفصَّل، ليُعْرَف وجهُ الاستدلال على الأحكام حال الاستنباط.

٤- معرفة أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ.

٥- معرفة علم القراءات.

٦- معرفة أصول الدين والتوحيد.

٧- علم الموهبة، وهو علم يُورثه الله تعالى لمن عَمِل بما عَلِم.

وقد تقدمت شهادةُ العلماء، وثناؤهم العظيم على الشيخ محمد عابد، بتقدّمه في هذه الفنون المذكورة وغيرها، وأنه كان من المبرّزين فيها، فلا عَجَبَ أبداً أن يكون الشيخ محمد عابد ممن أبدع وبَرَع في علم التفسير، وسبحان المعطي الوهاب.

* وفيما يلي صورةٌ لصفحتين من مخطوطة تفسيره السابق الذكر.

* * * * *

(١) ينظر لهذه الشروط الإتقان للسيوطي ٢/٢٣١-٢٣٢.



صورة للصفحة الأولى من شرح تفسير البيضاوي للشيخ محمد عابد



صورة لإحدى صفحات شرح تفسير البيضاوي للشيخ محمد عابد

الفصل الثاني

براعته في الحديث النبوي الشريف وعلومِه ومصنفاته فيها

أجمع كلُّ مَن ذَكَرَ الشيخ محمد عابد السندي على تقدمه والثناء عليه في علم الحديث، رواية ودراية، وعلى اطلاعه الواسع جداً فيه، كما أجمعوا على شَغَفَه وحبه الشديد لكتب الحديث، وذلك منذ رَيْعان شبابه، وهكذا حتى كان محدِّثَ الحجاز ومُسْنِدَه بلا منازع.

وأذكر فيما يلي ما تفرَّق ذكره من ثناء العلماء عليه، فيما يخص تقدُّمَه وبراعته في الحديث النبوي الشريف وعلومه، وبعدها أُبيّن مصنَّفاته وآثارَه في هذا الفن.

١- قال العلامة المحدث الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لكتاب منحة الباري:

«وبالجملة فإن هذا المؤلَّف قد دلَّ مؤلِّفُه على حفظٍ باهرٍ للسنة النبوية، ورسوخِ مَلَكةٍ في استحضار الأحاديث المرويَّة» اهـ.

٢- ويصفه تلميذه العلامة الشيخ عاكش[1] بقوله:

---

(١) حدائق الزهر، عقود الدرر.

«العلامة المحدِّث الحافظ النقَّاد، عالي الإسناد، وكان يستحضر متونَ الأحاديث، ويعرف عِلَلها، وله في نَقْد الرجال يدٌ طولى، وإذا تكلم لِسَعَة حفظه، فكأنما يُمْلي من صحيفته إملاءً» اهـ.

٣- ووصفه رئيس علماء مكة المكرمة الشيخ عبدالله سراج[١]، بالمحدِّث الحافظ.

٤- ويصفه تلميذه العلامة المحدث الشيخ عبدالغني الدهلوي بقوله: «قُدْوة المحدثين»[٢].

٥- ويقول تلميذه وصاحبه لُطْفُ الله جحَّاف حين حجَّ معه[٣]:

«حججت معه سنة ١٢١٦، فلاقينا الشيوخ، واستجزنا إمامَ الحرمين صالح محمد الفُلاَّني المغربي، وأجازني وإياه إجازة عامة، ورأيت إمامَ الحرمين يُجِلُّه ويُدْنيه من مَجْلِسه، لشَغَفِه بالكتب الحديثية، واشتغال رفيقنا هذا بصحيح البخاري، وتحرِّيه لاتباع الدليل» اهـ.

وكان عُمُره آنذاك حوالي ست وعشرين سنة.

٦- ويصفه صاحب اليانع الجني بقوله:

«الحافظ الحجة المُتْقِن، محدِّثُ دار الهجرة، وناصيةُ الفقهاء والمحدثين، عَلَمُ الهدى والسُّنَّة».

ووصفه أيضاً بقوله:

---

(١) فيما كتبه على غلاف نسخة من طوالع الأنوار.

(٢) اليانع الجني.

(٣) درر نحور الحور العين. (مخطوط).

«المحدِّثُ الحافظ المتقن، محيي السنة حين عَفَتْ رسومُها، وهُجِرَت علومُها».

٧- ويقول الشيخ صديق حسن خان:

«وكان الشيخ محمد عابد السندي الحافِظُ معروفاً بدَرْس الحديث»(١).

٨- ويقول عنه الشيخ عبدالستار الدهلوي(٢):

«إنه آية الله الباهرة في الحديث والفقه».

٩- ويقول العلامة المحدث السيد محمد عبدالحي الكتاني:

«هو محدِّث الحجاز ومُسْنِدُه، العالِم الجامع المحدِّث الحافظ، محيي السنة حين عَفَتْ رسومُها، وهُجِرت علومُها» (٣).

وقال أيضاً: «إن عليه المدارَ اليومَ في صناعة رواية الحديث، وهو إمامُ أَهْلِها» (٣).

١٠- ويقول عنه الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي:

«محدِّث المدينة المنورة في القرن الماضي».

* وتقدم الكلام عن اهتمامه الشديد بالإسناد، وانفراده بإسنادٍ عالٍ جداً، وأنه كان يقول: «لمثلي فليُسْعَ، لأن بيني وبين البخاري تِسْعَة».

---

(١) أبجد العلوم ٣/١٧١.

(٢) فيض الملك المتعالي (مخطوط).

(٣) فهرس الفهارس ١/٣٧١.

* وسبق كلام السيد الكتاني في نشاطه العلمي حيث قال:

«وكان مدة مقامه بالمدينة المنورة، مثابراً على إقراء كتب السنة، حتى إنه كان يختم الكتب الستة في ستة أشهر، بل حدثني المسند الخطيب السيد أبو جِيدة بن عبدالكبير الفاسي أنه حدَّثه شيخُه المعمَّرُ العلامةُ الشيخُ حسن الحلواني المدني أنه سمع على الشيخ محمد عابد الكتب الستة في شهر، وأخذها عنه دراية في ستة أشهر» اهـ.

كما وقفنا على كلام تلميذه الشيخ عاكش - أيضاً في نشاطه العلمي - «بأنه التقى به في بندر (جازان) قال: وترافقنا في سفر البحر إلى مكة، وأمليتُ عليه ونحن في البحر حصةً وافرةً من صحيح البخاري، وكانت له العناية التامة بكتب الأحاديث، والتطلع على معارفها الوريقَة، والبحث والوقوف عن رياض معانيها الأنيقَة.

هذا مع اطلاعه على فقه الحديث، ومعرفة ما قاله الشارحون على ذلك.

وأمليتُ عليه شمائلَ الحافظ الترمذي في الروضة الشريفة، بين القبر المنوَّر والمنبر، وكان له الشَّغَف الكلي بكُتُب الحديث، وله اختصاص بمعرفة صحيح البخاري» اهـ.

وهكذا الأخبار تترى عن الشيخ محمد عابد السندي في إمامته وبراعته في الحديث النبوي وعلومه، ونشاطه العجيب في جمع كُتُبه واستنساخها وإقرائها، مما تقدم ذكره في نشاطه العلمي، وفي الكلام عن مكتبته العامرة.

* * * * *

مصنفاته في الحديث الشريف وعلومه

سأعرض فيما يلي مصنفاته وآثاره التي كَتَبَها في فن الحديث النبوي الشريف وعلومه، لتكون شهادة واقعية على إمامته في هذا الفن، تؤكد بيقين شهادات وثناءات العلماء عليه.

هذا، وليقف عليها مَن يريد الاستفادة من علومه ومواهبه، فيكون ذلك حافزاً له على خدمتها ونشرها، ليعمَّ نفعُها، ولتبقى ذِكْراً حسناً، وعلماً نافعاً يجري ثوابه لصاحبه رحمه الله تعالى، وأجزل له الأجر والعطية.

وقد تنوَّعت مؤلفات الشيخ محمد عابد في علم الحديث، فمنها ما اتصل بالحديث النبوي الشريف من ناحية المتون وروايتها، ومنها ما يتعلق بشرح الأحاديث وفقهها، ومنها ما هو في فن مصطلح الحديث، وأخرى في الأسانيد وتراجم الرجال، وهكذا.

وفيما يلي بيان لتلك المصنفات، بدءاً بمؤلفاته المتصلة بمتون الأحاديث النبوية وشرحها، ثم مؤلفاته المتصلة بمصطلح الحديث، ثم المتصلة بالأسانيد والتراجم.

* * * * *

أ ـ مصنفاته في متون الأحاديث النبوية وشرحها

١- منحة الباري في جَمْع روايات صحيح البخاري.

هكذا جاء اسم الكتاب على طرة نسخة المؤلف، وكذلك في مقدمته، في حال أن تلميذه الشيخ عاكش [١] سماه: «منحة الباري بمكررات البخاري»، متابعاً للطف الله جحاف [٢]، ثم تابعهما على ذلك ابن زبارة والزركلي [٣].

ويقع الكتاب في مجلد كبير، بخط المؤلف الدقيق في (٤٨٣) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٨) سطراً، وهذه النسخة محفوظة في المكتبة المحمودية برقم (٦١٠)، وتاريخ كتابتها سنة ١٢٢٠.

فقد جاء في آخرها بخط تلميذه وصاحبه لُطْف الله جحاف مايلي:

«الحمد لله. أَمَرَني مؤلِّفُ هذا السِّفر الجليل... الشيخ محمد عابد السندي، أن أحرِّر تاريخَ فراغه من إنجاز هذه المسودة، وأنها فرغت في آخر جمادى الأولى، من سنة ١٢٢٠هـ، وكتَبَه الحقير: لطف الله أحمد جحاف، غفر الله له». اهـ.

* وليتبيَّن القارئ موضوعَ الكتاب وطريقة عرضه، والعملَ العظيم الذي قام به الشيخ محمد عابد، وأهميتَه الحديثية، ومهمّته الفقهية الكبيرة في استنباط الأحكام، وفائدة جمع روايات صحيح البخاري متتالية

---

(١) حدائق الزهر.

(٢) درر نحور الحور العين (مخطوط).

(٣) نيل الوطر ٢/٢٧٩، الأعلام ٦/١٨٠.

متتابعة، لهذا كله أسوق مقدمة المؤلف، مع بعض تقريظات العلماء للكتاب، والتي فيها بيانٌ لميزته وخصائصه، وإن كان في ذلك بعضُ طول، لكن لتتم الفائدة.

أما مقدمة الكتاب، فقد جاء فيها:

(... أما بعد: فيقول محمد عابد السندي:

لما كان مصنَّفُ الإمامِ الحُجَّةِ، مقتدَى الأُمَّة، الحافظِ أبي عبدالله محمدِ بن إسماعيل البخاري أولَ ما صُنِّف في جَمْع الصحيح، واشتهر بالتهذيب والتنقيح، ورعايةِ التعديل والتجريح، حتى كان أصحَّ من كتاب مسلم عند الجمهور، على ما هو الصحيح، بل قال النووي: إنه الصواب.

وكان مصنِّفُه رحمه الله تعالى أجلَّ العلماء قدراً، وأعظمَهم فَخْراً، وأنورَهم بَدْراً، وأرفعَهم خَطَراً، إذا غاص في بحار المشكلات استخرج الدُّرَرَ العظيمةَ منها، وإن بَحَثَ عن خبايا الكنوز الدقيقة، نبَّه على جواهِرِها وما فيها.

صَرَفَ عُمُرَه في تحصيل السُّنَّة الغرَّاء، وأذهب دَهْرَه في استنباط الأحكام منها، فما [جاء أحدٌ][1] بفضله، - دَرِّي لله - ما صيَّر كتابَه نزهةً للناظرين، وجَلوة عروسٍ للمستبصِرِين.

غَرَفَتِ الأنام مِن وابل خَيْره العام، ورَضَعَتْ العلماءُ من ثَدْي علومه، حتى تعسَّر لهم الفِطَام.

إلا أنه لما كان في صَدَدِ استنباط الأحكام، شتَّت طرق الحديث الواحد

---

(١) جملة: (جاء أحدٌ) قدّرتها من عند نفسي، لأن مكانها بقدر كلمتين مقطوع من المخطوط.

في أمكنةٍ متعددة، بألفاظٍ مختلفة، وذلك إنما هو رعاية لما استُنْبِط لأجله، وتنبيهاً على جلالة قَدْر مصنِّفه، وعظيمِ فضله، حتى أورد كثيراً منها في غير مَظِنَّتها، فربّما تَعسَّر على القاصد الاستدلالُ برواياته، والكشفُ عن دقائق استنباطاته، لأنه قد يأتي بلفظٍ من روايات حديثٍ في موقف الاستدلال، وعند إلحاح الخصم لا يتيسَّر له إخراج ذلك اللفظ منه، إلا بعد مشقة عظيمة، ومِحنةٍ جسيمة، في تتبع الروايات على وجه الكمال.

* فاستخرتُ الله تعالى، واستعنتُ به في تأليف كتابٍ يَجْمَع روايات كلِّ حديث، بإثبات لفظِ كل رواية منها في محلٍ واحد، ليسهل الاغتراف منه لكل صادرٍ ووارِد، فتصديتُ لذلك، والتزمتُ جَمْعَ الروايات فيما هنالك، ولو كانت الرواية الواحدة بحسب المعنى موافقة لِلَفْظِ الأخرى، فالمكرَّر أحلى، ورعاية الالتزام أحرى.

* وأما إذا تكررتْ لفظاً ومعنى، فإنها لا تخلو عن أمور:

- إما أن يتكرَّر جميعُ ألفاظ الرواية في باب واحد، فالاكتفاءُ على الواحدة من دأب هذا الكتاب.

- أو في بابَيْن مختلفَيْن، كما إذا وجدتُ روايةً كانت في كتاب النكاح، وفي كتاب اللباس، فسأقول: وكذلك في ذلك الباب.

- أو يتكرر أولُ ألفاظِ الرواية، مع اختلاف ألفاظِ آخرها، فسأحذف المكرَّر، وآتي بالباقي منها.

إلا أن الروايات المختصرة، إذا تخلَّلت بين الروايات المطوَّلة، فالفرق بينها وبين ما حُذِف مكرَّرُه وآتي بباقيه: أن المختَصَرة تكون بلفظ: (وفي روايةٍ عنه)، والمكررة بلفظ: (وفي رواية)، فسيتضح بهذا: المختصَرُ من المكرَّر فيما سآتيه إن شاء الله تعالى.

- أو تتكرر آخرُ الرواية مع اختلاف أوَّلها، فسأسرد الروايةَ من أولها إلى موضع التكرار، فأقول: (الخ فيها).

- وحيث ما كان نحوَه أو مثلَه أو الحديث، فإنما ذلك من المصنِّف لا منِّي.

- وإذا اتَّفَقَتْ الروايتان في اللفظ والمعنى، إلا في لفظٍ أو لفظين منها، فسأقول: وكذلك في روايةٍ في الباب الفُلاني، إلا أنها فيها كذا، بَدَلَ كذا، أو لم يكن كذا فيها.

* والتزمتُ أيضاً عزوَ كلٍّ رواية إلى بابها، فإن خَلِيت عن العزو، فإنها تنوبُ الروايةُ السابقة عنها، كما إذا كانت في النكاح روايتان، فتكون السابقةُ منهما معزوَّةً، واللاحقةُ خاليةً، إلا إذا كانت في الابتداء، فإنها في الباب الذي ذَكَرْنا من كتابنا هذا.

* والتزمتُ أيضاً ذِكْرَ ألفاظ الأداء الواقعة من الصحابة كـ:

(قال: قال رسول الله ﷺ) أو: (سمعت رسول الله ﷺ) أو: (عنه عن النبي ﷺ).

فإن خَلِيَت روايةٌ من لفظ الأداء، فلفظُ أدائها: لفظُ أداءِ السابقة عليها.

* والتزمتُ أيضاً إتْيانَ المعلَّقات، مع التنبيه عليها، ما لم تكن موجودة في المُسْنَدات، وما لم تكن مصدَّرة بـ(يُذكر) أو (يقال) وغيره من صِيَغ التمريض في ابتدائها، فإن العلماء لم يُقِرّوا حينئذ لصحتها[١].

---

(١) في إطلاق عدم إقرارهم نظر، يراجع كلام الحافظ ابن حجر في النكت على ابن الصلاح ١/٣٢٥.

* فإذا تحقَّقْتَ ما قلْتُه، وأجريتَ خيولَ فِكرك فيما رقَمْتُه، وجدتَ المحكومَ عليه بالصحة من البخاري مجتمِعاً في هذا الكتاب، خالياً عن غير الصحيح بلا شك ولا ارتياب.

* ولما كان مصنَّفُ البخاريِّ قد تَلقَّتْه العلماء بالقبول، وكان كتابُنا حاوِياً لكتابه، مُغْتَرِفاً من بحاره، كان ذكرُنا للأسانيد خالياً عن الفائدة، مع أنه رحمه الله، وتغمَّده بالرحمة العظمى، قد فَرَغَ منه وأغنانا عنه.

* وسيَحْمَد كتابي هذا مَن فاقَتْ في علم الحديث معرفتُه، وطابت سجيَّتُه، وتنزَّهت عن الحِقد والحسد سريرتُه، وسمَّيتُه بـ: (منحةُ الباري في جَمْعِ روايات البخاري).

وأرجو من كلِّ ناظرٍ فيه إصلاحَ ما وَقَعَ من الزَّلَل، وتسديلَ ما حصل من الخَلَل، فإنْ تَرَ ما يَشِين، فَوَارِه كرماً، وإنْ تَرَ ما يَزين فأَفْشِه، واللهَ أسألُ التوفيقَ والهداية إلى سواء الطريق، والاعتصامَ بالكتاب والسنة من سائر أنواع البِدَع المُضِلَّة، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول.

* وقد استفتحتُ بما استفتَحه المصنِّف رحمه الله تعالى تيمُّناً وتبرُّكاً.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلّ امرئٍ ما نَوى، فمَن كانت هجرتُه إلى دنيا يُصِيبُها أو إلى امرأةٍ يَنْكِحها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه.

ـ وفي روايةٍ في الحِيَل: قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئٍ ما نَوَى، فمن كان هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومَن هاجر إلى دنيا يُصِيْبُها أو امرأةٍ يتزوّجها فهجرتُه... إلخ.

- وفي روايةٍ في الأَيْمان والنذور: قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إنما الأعمال... إلخ، إلا أنَّ فيها: (ومَن كانت هجرتُه إلى دنيا... إلخ).

- وفي روايةٍ في الإيمان: (أن رسول الله ﷺ قال: الأعمال بالنية، ولكل امرئٍ... إلخ)، إلا أن فيها: (لدُنْيا) بدل (إلى دُنيا).

- وفي روايةٍ في العِتق: (عنه عن النبي ﷺ قال: الأعمال بالنية، ولامرئٍ... إلخ).

- وفي روايةٍ في النكاح: (قال: قال النبي ﷺ: العمل بالنية، وإنما لامرئٍ ما نَوَى، فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ﷺ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصِيبُها، أو امرأةٍ ينْكِحها...الخ).

- وفي رواية في الهجرة: قال سمعتُ النبي ﷺ يقول:

الأعمال بالنية، فمَن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) اهـ من منحة الباري.

ثم بدأ المصنِّف الشيخ محمد عابد يذكر روايات كتاب الإيمان والإسلام من صحيح البخاري وهكذا، بعد أن استفتح بحديث: «إنما الأعمال».

* * * * *

*** ثناء العلماء على كتاب منحة الباري :**

وفيه بيانٌ لمزايا الكتاب وفوائده العظيمة.

لقد تلقى العلماء العارفون كتابَ: (منحة الباري) بقبولٍ حَسَن تام، كما قال مؤلِّفه الشيخ محمد عابد في مقدمته: «وسيَحْمَد كتابي هذا مَن فاقت في علم الحديث معرفتُه، وطابت سَجِيَّتُه، وتنزَّهَتْ عن الحقد والحسد سريرتُه».

ومن هذه الثناءات على الكتاب:

١- ما قاله صاحبه وتلميذه الشيخ لطفُ الله جحّاف: «وللمترجَم - الشيخ محمد عابد - معرفةٌ بصحيح البخاري كاملة، فإنه ألَّف في مكرَّراته مؤلَّفاً بديعاً حَسَناً، تلقَّاه الناس بالقبول، وسمَّاه: بمنحة الباري بمكررات البخاري، وتناقله الناس في حياته»[1] اهـ.

٢- ويقول العلامة المحدث المفنَّن الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن إسماعيل الحوثي الحسيني، فيما كَتَبَه على غلاف نسخة المؤلف من منحة الباري، تقريظاً له:

«وبعدُ: فإني وقفتُ على هذا المؤلَّفِ الجليل، والمصنَّفِ الذي ليس له في بابه مثيل، والمجموعِ الذي لم يُؤلَّف - فيما علمتُ - على مثاله، ولم يُنْسَج في القديم والحديث على مِنْواله، جَمَعَ ما فرَّقه أبو عبدالله

---

(١) درر نحور الحور العين (مخطوط)، ونقل العبارة نفسها الشيخ عاكش في حدائق الزهر، وفي عقود الدرر، ولم يعزها لجحاف.

البخاري رضي الله عنه من روايات الأحاديث على الأبواب، وضَبَطَها عن الانتشار، ليسهُل أَخْذُها من ذلك الكتاب، مع التنبيه على المواضع التي خرَّجها فيها ذلك الإمام، والإشارةِ إلى فائدة التكرير الذي قَصَدَ به استنباط الأحكام، لعَزْوه كلَّ رواية إلى بابها، فتَبْرُزُ للعالِم مُخَدَّرات الأحكام عن حِجَابها، وتتجلَّى له أوجهُ الاستنباطات بكَشْف نِقَابِها.

ولم يفُتْ من صحيح البخاري إلا طرقَ الأسانيد فقط، وهي مستغنى عنها بالنسبة إليه، لاتفاق أئمة الحديث على أنه أصحُّ كتاب بعد كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه.

* وإنَّ في جَمْع رواياته فوائد عديدة:

- كتفسير بعضِ الروايات لبعض، وتقييدِ مُطْلَقها، وتبيينِ مُجْمَلِها، وتخصيصِ عامِّها، وتوضيحِ مُشْكِلِها، وترجيحِ أحدِ محتملاتِها، وإظهارِ ما خَفِيَ منها، ونحوِ ذلك مما يُفيد العالِمَ سهولةَ الاستنباط، ويكفيه مؤونة البحث الشديد، ليعمل بالاحتياط.

* وهذه الفوائد غيرُ موجودة في كُتُب الأطراف التي وَضَعَها الحُفَّاظ، كأطراف ابنِ عساكر والمِزِّي وابن حجر وغيرهم.

- أما أولاً: فلأنها لا يستفيد منها إلا الحافظُ الكبير الذي يحفظ مِئين الألوف من متون الأحاديث، بشرط أن يكون حافظاً لأسماء الصحابة الذين رَوَوْها، وإما التابعين الذين أخذوها منهم، فإذا كان كذلك، سَهُلَ عليه البحثُ في الأطراف، للاطلاع على جميع الطرق لذلك الحديث.

- وأما ثانياً: فلأن متونَ الأحاديث بكمالها، غير موجودة في الأطراف، وإنما يشيرون إليها فيها بنحو لفظة أو لفظتَيْن.

- وأما ثالثاً: فلأنها غير مرتبة على الأبواب المعروفة، وإنما هي مرتبةٌ

على حروف المعجم في أسماء الصحابة، فلا يستفيد منها إلا مَن يعرف اسمَ الصحابي الذي رواه.

* وبالجملة: ففائدتُها قليلة جداً لمن هو بصدد العمل واستنباط الحكم، واستخراج الفقه الذي هو المقصود من كُتُب الحديث وتدوينِها وجَمْعِها، على اختلاف أنواعها.

إذِ القَصْدُ من كتب الأطراف، إنما هو جمع طرق الحديث، ومعرفة تشعُّب الرواة في الأسانيد من الصحابة إلى الحُفَّاظ.

* وأما القصدُ بهذا التأليف، فهو جَمْع الأحاديث والروايات من أبوابها في موضعٍ واحد يَليق بها، مع المحافظة على ذِكْر جميع ألفاظها، وعدمِ الإخلال بحرفٍ واحد منها، والتزامِ عزوها إلى أبوابها.

* ولعَمْري إن هذه الطريقة هي الغرض الذي حام حولَه جماعةٌ من الحُفَّاظ، والمعنى الذي كانوا يشيرون إليه بمختلف الألفاظ، غير أنهم لم يَقِفوا مِن حَوْمهم على العَيْن، ولا كشَفَوا عن المعنى حِجابَ الرَّين، وقد اختصر صحيحَ البخاري بعضُ المتقدِّمين، فلم يكن إلا كمختصَر صحيح مسلم، ومختصَر مسند أبي داود، من الاكتفاء بروايةٍ واحدة أو روايتين.

وكذلك الذين جَمَعوا بين الصحيحين، والذين جَمَعوا بين الأمهات، كجامع الأصول لابن الأثير رحمه الله، فإنهم لم يذكروا جميعَ الروايات، ولا البابَ الذي أخرجه ذلك الإمامُ فيه.

ولقد أخلَّ صاحبُ جامع الأصول برواياتٍ عديدة، يُسْتَنبط منها أحكاماً، وتُسْتَخرج منها فوائد، ولا يَسَعُ المجتهدَ الغفولُ عنها، فربما عَمِل العاملُ بمُطْلَق رواية في جامع الأصول، وهي مقيَّدةٌ بروايةٍ أخرى لم يَذْكُرْها ابنُ الأثير، وهكذا في سائر مسالك الاجتهاد.

* وبالجملة: فإن هذا المؤلَّف قد دلَّ مؤلِّفُه على حفظٍ باهرٍ للسنة النبوية، ورسوخِ مَلَكةٍ في استحضار الأحاديث المروية.

ولا غَرْوَ، فهو من بيتٍ مشهورٍ بالفضل، معمورٍ بالعلم، إذ هو من ذرية أبي أيوب الأنصاري...» الخ مما يتعلق بترجمة الشيخ محمد عابد رحمه الله تعالى.

٣- وقال العلامة النِّحرير الفقيه المالكي الأمير الصغير: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد السَّنْبَاوي الأزهري، المتوفى بعد سنة ١٢٥٣[١]، وهو ابن العلامة الشهير الأمير الكبير، صاحب الثَّبَت المشهور، المتوفى سنة ١٢٣٢، فقد قال في تقريظه لكتاب منحة الباري، كما هو موجود على ظهر نسخة المؤلف الشيخ محمد عابد:

«أما بعد: فقد سَرَح ناظري، وانشرح خاطري، بما وقفتُ عليه من هذا المصنَّف الشريف، والمؤلَّف اللطيف، فلم أرَ مَن نَسَجَ على مِنوالـه، ولم تسمَحْ قَريحةُ غيرِ مؤلِّفه بمِثاله.

جَمَعَ الصحيحَ من الآثار والأخبار، ولاحَتْ على جُمَله الأنوار، كاد أن يكون في بابه معجزة، حيث جَمَعَ ما تفرَّق من عبارات موجَزة، نَظَمَ فيه ما تشتَّت في كثير من المواضع، فكان في بابه ونوعه أحسن جامع». اهـ

وبهذا كله ظَهَرَت للقارئ حقيقة كتاب منحة الباري، ومكانتَه العظيمة، وقَدْرَه الكبير، وما فيه من مزايا وفوائد.

* * * * *

---

(١) له ترجمة في عجائب الآثار ٣/٥٧٥، الأعلام ٧/٧٢.

٢- ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة برواية الحَصْكَفي :

هذا المسند الذي رتَّبه الشيخ محمد عابد على الأبواب الفقهية، هو مسند الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، صاحب المذهب رحمه الله تعالى، من رواية الإمام القاضي العلامة المحدِّث موسى بن زكريا الحَصْكَفي، المتوفى سنة ٦٥٠ [١] رحمه الله تعالى.

يقول الشيخ محمد عابد في مقدمة ترتيبه لهذا المسند:

«... لما كان مسند الإمام الأعظم، والهُمَام الأَقْدَم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، من رواية الحصكفي مرتَّباً على أسماء شيوخه، بحسب ما روى عنهم رحمهم الله تعالى، وكان استخراج الحديث منه مُشْكِلاً، وخصوصاً لمن لا يَدْري شيخَ الإمام في ذلك الحديث، أردتُ أن أرتِّبه على الأبواب الفقهية، ليَسْهُل البحث فيه، مستعيناً بالله، إنه مُفِيضُ الخير والجُوْد» [٢].

وتوجد نسخة مخطوطةٌ من هذا المسند المرتَّب، في جامعة الملك

---

(١) وقد اختصره الحصكفي من المسند الكبير الذي جَمَعه الإمام عبد الله بن محمد ابن يعقوب الحارثي (٣٤٠) هـ، ينظر: الإمام علي القاري ص ٣٢٩.

(٢) مقدمة ترتيب المسند، من الطبعة التي معها شرح تنسيق النظام ص ٢.

وممن رتب المسند أيضاً الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا الساعاتي، المتوفى سنة ١٣٧٨، وسمّاه: «هداية المكتفي بترتيب أحاديث الحصكفي»، ينظر: الإمام علي القاري ص ٣٣٦.

سعود في الرياض، في ١٥٨ ورقة، وتاريخ نسخها سنة ١٢٧٣.

وقد طبع في كراتشي بباكستان هذا المسند المرتَّب، مع شرحٍ له اسمه: «تنسيق النظام في مسند الإمام» للعلامة الفقيه المحدث الشيخ محمد حسن السَّنْبَهلي، المولود سنة ١٢٦٤، والمتوفى سنة ١٣٠٥ رحمه الله تعالى، كما طُبع مفرَداً عدة طبعات.

* * * * *

٣- المواهب اللطيفة في شرح مسند الإمام أبي حنيفة :

واسمه الكامل كما سماه مؤلفه: «المواهب اللطيفة في الحرم المكي على مسند الإمام أبي حنيفة من رواية الحصكفي».

وهو شرحٌ لكتابه السابق الذكر: ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة.

وأذكر هنا مقدمة المؤلف الشيخ محمد عابد، ليُعْلَمَ عظيمُ عمله في هذا الشرح الكبير الحافل، وما قام به من جهد جليل نادر، فقد قال رحمه الله تعالى:

«... وبعد: فإني لما رَوَيْتُ عن مولاي العلامة، وشيخي الفهَّامة أستاذِ المحققين، وسَنَدِ المحدِّثين، الشيخ صالح الفُلاَّني، مُسْنَدَ الإمام أبي حنيفة رحمه الله، الذي كان من رواية الحصكفي إجازة، كما رويتُ عنه جامعَ مسانيد الإمام الأعظم لمحمود الخُوَارزمي، ولم أجد من كلٍ منهما إلا نسخةً غير مرضية في الصحة، بل كان الغالبُ عليها التحريفَ والتصحيف.

وكنتُ عَثَرْتُ على شرحٍ لمنلا علي القاري على رواية الحصكفي، وكان أيضاً كثير الغلط، ولعله شَرَحَ على نسخةٍ غيرِ سالمةٍ من الغلط الفاضح، وذلك لأنه شَرَحَ ذلك الكلام كما وَجَدَه، ويؤوله بالتأويلات الغير المرضية(١)، كما سيأتي التنبيه عليها في شرحي هذا، إن شاء الله تعالى.

---

(١) وكذلك نبَّه إلى هذا الشيخ السنبهلي في مقدمة تنسيق النظام حيث قال: «وشرح القاري قد استعجل فيه غاية الاستعجال، حتى فَرَط منه ما فَرَط، من سَبْق اليَراع، =

فلما كان كذلك أفرغتُ وُسْعي في ترتيبه على الأبواب الفقهية، ثم في حَلِّ ما اشتمل عليه ذلك المسنَد من رواية الحصكفي من الأحاديث، وتوضيحِ مُشْكِلِها، ورَفْعِ مُرْسَلِها، ووَصْلِ مُنْقَطِعِها، وبيانِ مَن أخرجها من الأئمة المشهورين بالضبط والإتقان، كأصحاب الكتب الستة وغيرهم من الأئمة الحُفَّاظ النُّقَّاد، ذوي التصانيف المشهورة، التي يعتني بأَخْذها المشايخ، كمسند الشافعي وأحمد والدرامي وموطأ مالك وسننِ الدارقطني والبيهقي، والمعاجم الثلاثة للطبراني ومسند البزار وأبي يعلى الموصلي، وغيرها من المسانيد المشهورة.

وقد بالغتُ في إيراد المتابِع للإمام في كل حديثٍ ظَفِرتُ به، حتى لا يُتَوَهَّم بأن الإمام رحمه الله تعالى قد تفرَّد برواية هذا الحديث عن شيخه.

ومهما لم أظفر بالمتابِع، ووجدتُ ذلك الحديثَ المرويَّ موجوداً في أحد الدواوين المذكورة، نبَّهتُ عليه، وأوردتُ ما ظَفِرتُ به من الشواهد في حديث الباب.

وتكلَّمتُ في المسائل الفقهية بقَدْر طاقتي، والله تعالى ولي التوفيق.

ولما كان ابتداء شروعي له في مكة المشرفة، سمَّيته: بـ«المواهب اللطيفة في الحرم المكي على مسند الإمام أبي حنيفة من رواية الحصكفي»

جَعَلَه الله من الأعمال المقبولة بين يديه، إنه ذو الفضل العظيم). اهـ.

* وقد ألّفه الشيخ محمد عابد قبل سنة ١٢٣٥، ففي إجازته للشيخ عارف حكمة بتاريخ ربيع الأول سنة ١٢٣٥ قال:

لاسيما في معرفة الرواة والرجال، على ما ترى وتجد في الاستقبال...».

«... فقد تمَّ له سماع ذلك... مع سماعٍ أول صحيح مسلم إلى كتاب الصلاة... وسماعِ أولِ شرحي على مسند أبي حنيفة...» اهـ.

* ومن ثناءات العلماء على هذا الشرح ما قاله صاحب اليانع الجني[1]، بعد أن ذكر عمل الشيخ محمد عابد فيه، قال: «وهو كتاب نفيس، فيه أشياء يكثر نفعها للفقيه والمحدث». اهـ.

* ولعمري هو شرحٌ عظيم نادر، فلمَ يَحْظَ مسند الإمام أبي حنيفة ـ حسب اطلاعي ـ بمثل هذا الشرح، فقد ملئ الكثير من جواهر ودُرَر الفوائد الحديثية والفقهية وغير ذلك.

وقد تقدم كلام المصنِّف في أهمية هذا الشرح من الناحية الحديثية، لكنه أَجْمَلَ الكلامَ عن أهميته من الناحية الفقهية.

والحق أن العمل الفقهي فيه جليل جداً، لا يقل أبداً عن عمله الحديثي فيه، بل إن العمل الحديثي فيه مسخَّر لخدمة الفقه، واستنباط الأحكام، وتقوية الأدلة والحُجَج.

مزايا وخصائص «المواهب اللطيفة» فقهياً:

يتجلى عظيم قدر العمل الفقهي في هذا الشرح، ببيان مزاياه وخصائصه، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١- لما كان مؤلِّفُ هذا الشرح هو الشيخ محمد عابد، وكان محدِّثاًحافظاً بارعاً، له اليد الطولى في الحديث، وكان له اهتمامٌ بالغٌ بالأدلة والبراهين على المسائل الفقهية، فقد أضفى ذلك كلُّه على ما يذكره

---

(١) لوحة ٣٦ب.

من المسائل الفقهية المستنبطة من الأحاديث المذكورة في هذا المسند ميزةً تحلّى بها، قلَّ أن تجدها عند غيره من الشُرَّاح.

فإنه حين يذكر خلافَ الفقهاء في المسألة المستنبطة من الحديث، يتوسَّع كثيراً بإيراد الروايات المختلفة للحديث المستدَل به على هذه المسألة، مع تخريج تلك الروايات، وبيان درجتها، ويدعمها بالمتابعات والشواهد، مما يجعل الحديثَ قوياً صالحاً للاستدلال به، مع أن الناظر في الحديث لأول الأمر، يرى أن الحديث ضعيف لا يَقْوَى على معارضة غيره من الأدلة[١].

٢- يمتاز كلام المؤلف عن فقه الحديث، وما اشتمل عليه من أحكام فقهية، أنه كان على المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة المعتمدة، ولم يقتصر على مذهب صاحب المسند، مذهب السادة الحنفية.

٣- يهتم المؤلف بتحرير الأقوال الفقهية التي ينقلها في المسألة، ولا يذكر إلا المعتمد منها، المفتى به.

وعلى سبيل المثال، فإنه حين تكلم عن مسألة حكم القليل غير المسكر المتَّخذ من غير العنب[٢]، وهي مسألة مشهورة عند الحنفية، فبعد أن ذَكَرَ قولَ الإمام وصاحبه أبي يوسف في حِلِّ ذلك، وذكر قولَ محمد

---

(١) ينظر كمثال على ذلك المواهب اللطيفة ج١ لوحة ١٢٤.

وأنبه هنا إلى أن الأمثلة كثيرة على الفقرة الأولى هذه، وكذلك الفقرات التالية، ولا أريد الإطالة بذكر مثال لكل منها، وإنما هي إشارات تتضح لكل مَن وقف على الكتاب، وقد أطلت في بعضها لدعاء الحاجة إلى ذلك.

(٢) المواهب اللطيفة ج٢ لوحة ١٩١-١٩٢.

ابن الحسن، موافقاً للجمهور في عدم حِلِّه، فإنه بعد هذا، أتى بنقول كثيرة عن أئمة فقهاء الحنفية المعتَمَدين، بأن المفتى به في المذهب في هذه المسألة، هو قول محمد بن الحسن، الموافِق لقول غيرهم في عدم حِلّه، وأنه يحرم القليل منه والكثير.

وبهذا يتفق الحنفية في المفتى به عندهم مع الجمهور، وهو ما قرره الشيخ محمد عابد، في حين أن كثيراً ممن كَتَب في هذه المسألة، ينسب للحنفية قولاً واحداً، وهو حِلّ ذلك، ولا يحرِّرون المعتمد في المذهب الذي أوقفنا عليه الشيخ محمد عابد، جزاه الله عن العلم وأهله خيراً.

٤- ومما يمتاز به الشيخ محمد عابد رحمه الله في شرحه هذا، كما هي عادته، أنه يهتم بأمر التوثيق، والعَزْوِ الصحيح لما يذكره من أقوال، ولا يذكر إلا ما وقف عليه بنفسه، وهذا أمر مهم جداً في العالِم، أن يكون متثبتاً من كل ما يكتبه وينقله.

وعلى سبيل المثال، فإنه حين جاء لذكر الأدعية التي تُقال عند المشاعر في الحج قال [١]:

«واستَحَبَّ بعضُ العلماء أدعيةً كثيرة، ولما لم أجِدْها فيما كان عندي من كتب الحديث، لم أذكُرْ شيئاً». اهـ.

٥- يُعتبر هذا الكتاب (المواهب اللطيفة) من أعظم كتب شروح أحاديث الأحكام، حيث إن نَفَسَ المؤلف طويل في تناول الحديث بالشرح من كل النواحي، مع التنسيق والترتيب، فقد جاء حجم الكتاب في (١٠٠٠) لوحة، أي نحواً من سبع مجلدات، بحسب الطباعة الحديثة

---

(١) المواهب اللطيفة ج١ لوحة ٥١٥.

التي نعيشها اليوم.

ولذا يضاف هذا الشرح إلى كتب المكتبة الإسلامية في أحاديث الأحكام وشروحها، ويُعَدُّ رافداً مهماً لها في هذا الباب.

٦- إن الناظر في الكتاب بدقة، والمطَّلع عليه اطلاعَ دراسةٍ وبحثٍ، ليَعْجَب من ناحية جَمْعِ المؤلف لروايات الحديث، ورَبْطِ بعضها ببعض، والتوفيقِ بينها، ما أمكنه لذلك سبيلاً، لإزالة التعارض الظاهر بينها، وهذا أمرٌ مهم جداً بالنسبة للفقيه والمستنبِط للأحكام، وفي هذا دُرْبَةٌ غالية مهمة لطالب العلم، الدارس لهذا الكتاب، لينمِّي في شخصيته العلمية هذه المَلَكَة.

٧- لما كان المؤلف الشيخ محمد عابد ضليعاً باللغة العربية، متقناً لعلومها وفنونها، كان أثر ذلك واضحاً جداً في بيان اللغويات التي يحتاج إليها المقام في شرح الحديث، وما يترتب على ذلك من أحكام فقهية، نتيجةً للمعنى اللغوي لهذا اللفظ الوارد في الحديث.

٨- يتفرّد المؤلف بذكر فوائد كثيرة، لم يُسْبَق إليها من شُرَّاح الأحاديث، ويكثر نفعها للمحدِّث والفقيه، كما قال صاحب اليانع الجني.

٩- بل يعتبر هذا الكتاب «المواهب اللطيفة» من كتب الفقه المطوَّلة، التي يُحال إليها، ويُعتمد عليه فقهياً، وبخاصة من ناحية الاستدلال، حيث حقق فيه الشيخ محمد عابد كثيراً من المسائل الفقهية بتحقيقات مبسوطة نفيسة نادرة.

ولذا نجد المؤلفَ نفسَه في مواطن كثيرة من كتابه: «طوالع الأنوار شرح الدر المختار»، ذلك الكتابِ الفقهي العظيم، البالغِ عشرة آلاف لوحة، نراه يعزو فيه إلى كتابه هذا: «المواهب اللطيفة»، حيث أَلَّفه قبل طوالع الأنوار، وتوسَّع فيه، فهو يُحيل عليه لمن أراد التوسع والازدياد.

والأمثلة على هذا كثيرة، أسوق بعضَها للفائدة:

أ - ففي طوالع الأنوار(١) حين تكلَّم عن مسألة وقت السُّحور، في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «متى كنتم تتسحَّرون؟»، قال الشيخ محمد عابد رحمه الله:

«وقد ذكرتُ ذلك مفصَّلاً في شرح مسند أبي حنيفة، مع فوائد زوائد، فإن شئتَ فراجِعه». اهـ.

ب - وفي طوالع الأنوار(٢) في مسألة قول الزيدية في أذانهم: (حيَّ على خير العمل)، ذكر الشيخ محمد عابد أن هذا من شعار الزيدية والإمامية، وأن السامع لا يجيب مؤذِّنَهم في ذلك، لأنه بدعة، ثم قال: «وقد حقَّقت في ذلك بحثاً شافياً في شرحي على مسند أبي حنيفة، وأجبتُ عن أدلتهم في ذلك». اهـ.

ج - وفي طوالع الأنوار (٣) في مسألة استحباب الإسفار بالفجر، بعد أن ذكر أقوالَ الفقهاء وأدلتَهم فيها، قال: «وقد ذكرتُ أجوبةً مفصَّلة في شرح مسند أبي حنيفة، فراجِعه إن شئت» اهـ.

والحق أنه أتى بتحقيق نفيس في هذه المسألة، مما يُرحَل إليه.

د - وفي طوالع الأنوار (٤) في مسألة رفع اليدين عند الركوع، ومناظرة الإمام الأوزاعي للإمام أبي حنيفة في ذلك، قال: «وقد حققت أدلةَ كلٍّ من

---

(١) ج١ لوحة ٤٦١أ.

(٢) ج١ لوحة ٥١١.

(٣) ١/ ٤٦٢ أ، وينظر المواهب اللطيفة ١/ ١٨١-١٨٢.

(٤) ج١ لوحة ٤٦٦ أ.

الجانبين في شرحي على مسند أبي حنيفة [١] بأكمل الاستيفاء، فلا حاجة إلى إطالة البحث هنا» اهـ.

وقد تكلم عنها في شرح المسند بقَدر عشر لوحات كبار، فيها من التحقيقات والفوائد الشيء الكثير.

هـ - وفي طوالع الأنوار [٢] في مسألة الأذان، وبيان حُكمه وألفاظه قال:

«وقد أوضحت البحثَ مفصلاً في شرحي على مسند أبي حنيفة، فإن شئت فراجِعه». اهـ.

والأمثلة كثيرة، وكلها تؤكّد أهمية هذا الشرح من الناحية الفقهية، بل تؤكد اعتباره من الكتب الفقهية، وتبيّن هذه الأمثلة ما فيه من تحقيقات نفيسة، وفوائد نادرة، لا يستغني عنها الفقيه الباحث.

١٠- كما يمتاز هذا الشرح أيضاً بالتنسيق والترتيب في شرح الحديث، فيبدأ المؤلف أولاً بإيراد الحديث، ثم يترجم للصحابي الراوي له، ثم يتكلم عن رجال سنده، ثم يشرح غريب ألفاظه، ثم يبدأ ببيان روايات الحديث المذكور، ويوضح مشكلَها، ويحاول رَفْعَ مرسَلِها، ووَصْل منقطعها، مع إيراد المتابعات للحديث، ويتوسع في بيان من أخرج تلك الروايات للحديث.

وبعد هذا يشرع في بيان فقه الحديث، وما يستنبط منه، مع ذكر خلاف الفقهاء، وأدلة كل فريق، مع المناقشة والتوجيه، والتوفيق والجمع بين الأدلة ما استطاع.

---

(١) وهو في المواهب في ج١ لوحة ٢٢١-٢٣٠.

(٢) ج١ لوحة ٤٩٣.

ولذا يعتبر هذا الشرح من الكتب المنهجية المرتَّبة المنسَّقة، الصالحة لتدريسها في مادة أحاديث الأحكام وشروحها.

١١- هذا الشرح العظيم هو من أهم شروح مسند الإمام أبي حنيفة، برواية الحصكفي(١)، إذ أن شرح الإمام علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٤، مختصر جداً، بل هو بمثابة حاشية أو تعليقة، وعليه أيضاً بعض المآخذ والملاحظات، وقد سبَق تنبيه الشيخ محمد عابد عليها، وكذلك تنبيه صاحب تنسيق النظام، ثم هو على المسند غير المرتَّب، واسم شرحه: مَسْنَد الأنام في مُسْنَد الإمام(٢).

---

(١) مع التذكير بأن هناك عدة أعمال علمية، من شروح ومختصرات على مسند الإمام أبي حنيفة، كشرح القونوي محمد بن أحمد (ت ٧٧١) هـ: «المستنَد» على مختصر المسند، الذي قام هو باختصاره، وسماه: «المعتمد»، وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق (٣١٣ حديث عثمانية)، وكشرح قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩) هـ: «الأمالي على المسند» في مجلدين ضخمين، وقد قام أولاً بترتيب المسند برواية الحارثي على أبواب الفقه، ثم عمل عليه الأمالي، وهو من محفوظات مكتبة الأوقاف ببغداد (١٨٧ حديث)، و«التعليقة المنيفة على مسند أبي حنيفة» للسيوطي (ت ٩١١) هـ، وغيرها.

ينظر كشف الظنون ٢/١٦٨٠، مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدثين ص ٥٠٧، الإمام علي القاري ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) هكذا جاء اسمه على طرة النسخة المخطوطة المحفوظة في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم (٨٥) ضمن مجموعة (قَرَه باش)، وتاريخ نسخها (١٠٣٠) بمكة المكرمة، وهي مقابلة على نسخة المؤلف، الذي انتهى منه سنة (١٠١٢)، وتقع في(١٨١) ورقة.

وقد ضبط الناسخ العنوان، فوضع فتحةً على الميم الأولى (مَسنَد)، وضمةً على الميم الثانية (مُسند).

=

أما شرح الشيخ محمد عابد فهو على المسند المرتّب، الذي عَمِلَه أولاً، وهو بهذا البَسْط في الشرح، وسعة التخريج لأحاديثه، مع المزايا المتقدمة الذكر، يعتبر عملاً لا مثيل له، بل لم يأت من بعده إلى هذا الزمان -حسب اطلاعي- أحدٌ قام بمثل عمل الشيخ محمد عابد.

* وقد قام أيضاً بشرح هذا المسند الذي رتبه الشيخ محمد عابد، عالمٌ متأخِّر عنه هو الإمام العلامة الفقيه المحدث الشيخ محمد حسن السَّنْبَهلي، المولود سنة ١٢٦٤، والمتوفى سنة ١٣٠٥ رحمه الله تعالى، وسمَّى شرحه: تنسيق النظام في مسند الإمام، وهو مطبوع في كراتشي بباكستان على الطباعة الحجرية.

ويظهر من مقدمته، ومن خلاله، أن مؤلِّفه لم يطَّلع على شرح الشيخ محمد عابد.

وهو شرح نفيس، لكنه بمثابة حاشية متوسطة على المسند، وقد قدَّم تراجمَ رجالِ أسانيده في ١٢٣ صفحة من القطع الكبير، فجعلها في مقدمة شرحه، أما الشرح فجاء في ٢٣٥ صفحة من الحجم نفسه.

وقد وَصَفَ هذا الشرح العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة [١] رحمه الله

وأما الشيخ محمد عبدالرشيد النعماني فسمَّاه في كتابه: مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث ص ٣٥ باسم: سَنَد الأنام في شرح مُسند الإمام.

أما النسخة المطبوعة منه في بيروت، دار الكتب العلمية، ط١/١٤٠٥، فكتبوا عليه هكذا: «شرح مسند أبي حنيفة» فقط، وهي طبعة مليئة بالتحريف والأسقاط.

وتوجد نسخة أخرى مخطوطة من شرح ملا علي القاري، في متحف طوب قابي سراي، برقم (٢٥٤٠).

(١) في تعليقاته على كتاب: قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص ٦٧.

تعالى فقال:

«هو كتاب عظيم للغاية، ومقدمته في ١٢٣ صفحة من القطع الكبير الهندي، حُشيت بأغلى الدرر والنفائس». اهـ.

ومع هذا يبقى عمل الشيخ محمد عابد أعظم وأنفس وأوسع منه بكثير.

* ولتُعْرف طبيعة وميزة كلٍّ من هذه الشروح الثلاثة: شرح ملا علي القاري، وشرح الشيخ محمد عابد، وشرح السنبهلي، أنقل فيما يلي شرحَ حديثٍ واحد من أحاديث المسند، من كلٍ من هذه الشروح الثلاثة، كنموذجٍ مقارن بينها، مكتفياً به خشية الإطالة.

* * * * *

نموذج مقارن
بين شروح مسند الإمام أبي حنيفة الثلاثة

شرح حديث: «أنت ومالُك لأبيك» مقارناً بين شروح مسند الإمام أبي حنيفة الثلاثة: شرح علي القاري، ومحمد عابد السندي، والسنبهلي.

روى الإمام أبو حنيفة في كتاب الأدب -من ترتيب المسند للشيخ محمد عابد - عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنت ومالُك لأبيك».

١- شرح ملا علي القاري [1]:

(بضم اللام، وهو الرواية، وهو أخص منه إذا كان بفتح اللام.

والحديث بعينه رواه ابنُ ماجه عن جابر، والطبرانيُّ عن سمرة وابنِ مسعود، ورواه أبو داود وابنُ ماجه من حديث عَمْرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مالاً ووالداً، وإن والدي يحتاج إلى مالي، فقال: «أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من كَسْبكم، فكلوا من كَسْب أولادكم» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن.

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : «إن أطيب ما أكل الرجل من

---

(١) مَسْنَد الأنام في مُسند الإمام ص ٢١٥.

كَسْبه، وولدُه من كَسْبه».

وفيه تنبيهٌ على أن الأب يأخذ من مال ابنه نفقتَه بلا رضاه، لصيانة نفسه) اهـ.

٢- شرح المواهب اللطيفة [١] للشيخ محمد عابد :

(الحديث الأول: (أبو حنيفة) تابعه يوسفُ بن إسحاق السَّبِيْعي عند ابن ماجه، وبَقِيٍّ بن مَخْلَد، والطحاويِّ، وهشامُ بن عروة عند البزَّار من رواية محمد بن يحيى بن عبدالكريم الأَزْدي ثنا عبدالله بن داود عن هشام.

ثم قال البزَّار: إنما يُروى هذا الحديث عن هشام عن ابن المنكدر مرسَلاً.

ورواية المرسَل أخرجها الشافعيُّ عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ لي مالاً وعيالاً، وإن لأبي مالاً وعيالاً، يريد أن يأخذ مالي فيُطْعِمَه عيالَه، فقال رسول الله ﷺ: «أنتَ ومالك لأبيك».

قال الشافعي: ومحمدُ بن المنكدر غايةٌ في الثقة والفضل والدين والورع، ولكنَّا لا ندري من قِبَل هذا الحديث[٢].

قال البيهقيُّ في سُنَنه: هو منقطع، قال: وقد رُوي من أوجه أخرى موصولاً، لا يَثْبُت بمثلها.

قال ابنُ المُلَقِّن في تخريج أحاديث شرح الرافعي: قد ثَبَتَ بعضُها كما

---

(١) ٣٤٦/٢ أول كتاب الأدب.

(٢) هكذا النص في المخطوط ؟.

سلف، يعني من رواية هشام بن عروة، ويوسف بن إسحاق السَّبِيعي كلاهما عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً.

قلت: وقد تابعهما الإمام في الاتصال والرفع معاً.

قال البيهقي في المعرفة: إن ذِكْرَ جابرٍ فيه خطأ.

قلت: وهذا تجاسرٌ عظيم في الحكم بالخطأ، من غير أن يَبْحَثَ عن طُرُق الحديث، ولا يسوغ الحكمُ بمثل ذلك إلا بعد جَمْع الطُّرُق، والنظر إلى مَن روى مرسَلاً، ومَن روى موصولاً مرفوعاً، فإن كان أحدُهما أحفظَ من الآخر، أو أرجحَ منه عدداً، حُكِم على مَن روايته مرجوحةٌ بالشذوذ والإنكار.

وهاهنا الأمر على خلاف ذلك، كما لا يخفى على مَن له أدنى لُبٍّ رُزِق الإنصافَ، وجانَبَ التعصب والاعتساف.

* على أنه قد روي هذا الحديث من عدة طرق:

- منها: ما أخرجه ابنُ حِبَّان في صحيحه عن عائشة: أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ يخاصم أباه في دَيْنٍ عليه، فقال نبيُّ الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك».

وعند أحمد وأصحاب السنن وابنِ حِبَّان والحاكم عنها مرفوعاً: «إنَّ أَطْيَبَ ما أكلتم من كَسْبكم، وإن أولادكم من كسبكم».

وفي لفظ: «وَلَدُ الرجل مِن كَسْبه، فكلوا من أموالهم».

وفي رواية للحاكم: «إن أولادكم هبةُ الله لكم، يَهَبُ لمن يشاء إناثاً، ويَهَبُ لمن يشاء الذكور، وأموالُهم لكم إذا احْتَجْتُم إليها».

وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين.

وزيادة: «إذا احتجتم إليها» قال أبو داود: إنها منكَرَة، وقال البيهقـي: ليست بمحفوظة.

- ومنها: ما أخرجه الطبراني في الصغير والكـبير عـن حمـاد بـن أبي سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود أن الـنبي ﷺ قـال لرجـل: «أنت ومالك لأبيك».

وفي إسناده: معاوية بن يحيى، وهو ضعيف.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: إنما هو حماد عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها، بلفظ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ابنه من كسبه»، فأخطأ فيه إسناداً ومتناً. انتهى.

وحديث الأسود أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم.

وروى ابن أبي حاتم في العِلَل من طريقٍ أخـرى عـن عائشـة مرفوعـاً: «إنما أنت ومالك سهمٌ من كِنَانَته»، ونَقَلَ عن أبيه أنه منكَر.

- ومنها: ما أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال: جـاء رجـل إلى النبي ﷺ يتعدّى على والده، قال: إنه أَخَذَ مني مالي، فقال النبي ﷺ: «أمَا علمتَ أنك ومالَك من كسب أبيك».

وعن سمرة أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله. إن أبي احتـاج مالي. قال: «أنت ومالك لأبيك».

- ومنها: ما أخرجه أحمد وأبو داود وابنُ ماجـه والبـزار مـن حـديث عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أن رجلاً أتـى النبي ﷺ فقال: إن أبي يريد أن يأخذ مالي، فقال: «أنت ومالك لأبيك».

ثم قال: هذا الحديث لا نعلمه يُروى عن عَمْرو إلا هكذا من هذا الوجه.

وقد رواه غيرُ واحد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

- ومنها: ما أخرجه البيهقي من طريق قيس بن أبي حازم قال: حضرتُ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال له رجل: يا خليفة رسول الله، إن هذا يريد أن يأخذ مالي كله ويجتاحه، فقال له أبو بكر: إن لك من ماله ما يكفيك، فقال يا خليفة رسول الله، أليس قال رسول الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»؟ فقال أبو بكر: ارْضَ بما رضي الله.

وفي إسناده: المنذر بن زياد الطائي: متروك.

* (عن محمد بن المنكدر عن جابر) بن عبدالله الأنصاري.

قد علمتَ فيما سبق أن هذا الحديث قد رواه أيضاً من الصحابة عائشةُ وابنُ عمر وسَمُرةُ وعَمْرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وابنُ مسعود وعمرُ ابن الخطاب وأبو بكر الصديق.

قال العُقَيْلي بعد تخريجه من حديث سمرة: وفي الباب أحاديث، وفيها لِيْن، وبعضُه أحسنُ من بعض.

قلت: وأصحُّها كما عرفتَ حديثُ عائشة وحديثُ جابر.

* (قال: قال رسول الله ﷺ: أنت ومالك لأبيك).

ولم يذكر الإمامُ رحمه الله قصةً لهذا الحديث، وقد ذَكَرها غيرُه ممن قدَّمناه في حديث جابر، أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي مالاً ووالداً، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال: «أنت ومالك لأبيك».

يعني: أن أباك كان سببَ وُجودِك، ووجودُك سببَ وجود مالك، فصار له بذلك حقاً، كان به أولى منك بنفسك، فإذا احتاج فله أن يأخذ منه بقَدْر حاجته.

فليس المراد إباحةَ ماله على وجهٍ يستأصله بلا حاجة.

قال ابن حبان في صحيحه: معنى الحديث: أنه ﷺ زَجَرَ عن معاملة أباه بما يعامل به الأجانب، وأَمَرَه ببرِّه والرِّفق به في القول وفي الفعل معاً، إلى أن يَصِلَ إليه مالُه، فقال له: أنت ومالك لأبيك، لا أن مال الابن يَمْلِكه أبوه في حياته من غير طِيْبِ نفسٍ من الابن.

وقال البيهقي في سننه: مَن زعم أن مال الولد لأبيه، احتَجَّ بظاهر هذه الأحاديث، ومَن زعم أن له من مال ولده ما يكفيه إذا احتاج إليه، فإذا استغنى عنه لم يكن للأب شيء من ماله، احتجَّ بالأخبار التي وردت في تحريم مال الغير، وأنه لو مات وله ابن، لم يكن للأب من ماله إلا السدس، ولو كان الأبُ يملك مالَ ابنه، لحازه كلَّه.

قال: ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ أحدٍ أحق بماله من والده وولده والناس أجمعين»، ثم ساقه بإسناده إليه.

وقال صاحب المَطْلَب في كتاب النفقات: لم يذهب أحدٌ من الفقهاء إلى إباحة المال لوالده بغير سبب فيما يُعْلَم.

وقال عبدالحق في أحكامه: ذكر أبو بكر البزار وغيره أن هذا الحديث منسوخ بآية الميراث. فافهم. انتهى) اهـ من المواهب اللطيفة.

٣- شرح تنسيق النظام في مسند الإمام [1]:

وضع الشارح على هذا الحديث ثلاثَ حواشٍ كما يلي:

(١) معناه مما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس،

---

(١) ص ٢٠٨.

والطبراني في معجمه الكبير، والبزار في مسنده، وأحمد وأبو داود وابنُ ماجه عن ابن عمر، وسمرة بن جندب، والبزار في مسنده عن عمر، والبيهقي عن أبي بكر.

(٢) أخرجه ابنُ ماجه وبَقِيٌّ بن مَخْلَد والطحاويُّ من طريق هشام بن عمار بن عيسى بن يونس ثنا يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق عن ابن المنكدر عن جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله. إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال:... الخ.

قال الدارقطني: غريب من حديث يوسف، تفرّد به عيسى بن يونس.

ورواه البزار عن هشام بن عروة عن ابن المنكدر. انتهى.

وسماعه من جابر معلوم.

(٣) قوله: «ومالك لأبيك» الخ.

قال القاري: بضم اللام هو الرواية، وهو أخص منه إذا كان بفتح اللام.

والحديثُ بعينه رواه ابن ماجه عن جابر، والطبراني في الكبير عن سمرة وابن مسعود، ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مالاً وولداً، وإن والدي يحتاج إلى مالي، فقال: «أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم».

ورواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن.

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه.

وفيه تنبيه نبيه على أن للأب أن يأخذ من مال ابنه بغَيْبته بلا رضاه،

لصيانة نفسه. اهـ

ورواه جماعة من الصحابة: عمرُ بن الخطاب، أخرج حديثَه البزار في مسنده عن سعيد بن المسيب عنه.

وجابرٌ، أخرج حديثَه الطبراني في الصغير، والبيهقي في دلائل النبوة مطوّلاً عن محمد بن المنكدر عنه، وفيه: «أنت ومالك لأبيك».

وسمرةُ بن جندب، أخرج حديثَه البزار في مسنده، والطبراني في معجمه عن الحسن عنه نحوه.

وابنُ مسعود، أخرج حديثه الطبراني في معجمه عن علقمة بن قيس عنه نحوه.

وابنُ عمر، أخرج حديثَه أبو يعلى في مسنده عن أبي إسحاق عنه نحوه.

وعائشةُ، أخرج حديثَها ابنُ حبان في صحيحه عن عطاء عنها نحوه، كذا في البناية للعيني.

ثم حديث ابن ماجه مرويٌّ بسند صحيح. نصَّ عليه ابنُ القطان والمنذري. كذا قال ابن الهمام، ثم نقل الحديثَ الطويل لجابر من دلائل النبوة والمعجم الصغير.

ثم قال: وروي حديث جابر الأول من طرق كثيرة) اهـ من تنسيق النظام.

* وهكذا لو قارنّا نماذجَ أخرى من هذه الشروح الثلاثة لمسند الإمام أبي حنيفة، لرأينا الجهد الكبير الفريد الذي قام به الشيخ محمد عابد في شرحه: (المواهب اللطيفة)، مع فوائد غوالي، مما لا نجده في غيره، وبالجملة ففي كل شرحٍ ما لا يستغنى به عن غيره.

* * * * *

النسخ الخطية لكتاب (المواهب اللطيفة) :

١- توجد النسخة الأصلية بخط المؤلف رحمه الله في مجلدين ضخمين في مكتبة الشيخ محبّ الله شاه الراشدي في قرية (بيرجَنْدو) ببلاد السند، القريبة من مدينة كراتشي.

وتوجد صورة ورقية عن هذه النسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في جزأين، الأول منهما برقم (٣١٧٤) و(٤٠٠٠) مكرر، ضمن المكبرات الورقية، وعدد صفحاته (٥٩٠) أي (٢٩٥) لوحة، وفي كل صفحة ٣٢ سطراً، وقد سقطت الصفحة الأخيرة منه، وينتهي بنهاية شرح كتاب الحج.

والجزء الثاني منهما برقم (٣١٧٥) و(٤٠٠٣) مكرر، ضمن المكبرات الورقية، وعدد صفحاته (٤٩١)، أي (٢٤٦) لوحة، وفي كل صفحة ٣٢ سطراً.

وهذه الصورة السابقة الذكر غير واضحة تماماً، وبخاصة في بعض اللوحات.

* وقد انتهى مؤلفه الشيخ محمد عابد من تسويده سنة ١٢٣٢ في بندر (المخا) في اليمن.

٢- وتوجد صورة عن الجزء الأول من نسخةٍ أخرى للكتاب، في مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مصوَّرة عن أصلٍ محفوظ في المكتبة الشرقية للمخطوطات بحيدر آباد (الآصفية)،

وتاريخ نسخه سنة ١٣٢٦.

ويقع هذا الجزء في (٥٦٧) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٥) سطراً، وفي كل سطر (١٤) كلمة، وبه ينتهي شرح آخر كتاب الحج من المسند المرتَّب، واسم ناسخه: إسماعيل بن محمد.

٣- وتوجد صورة عن الجزء الثاني من الكتاب، من نسخة ثالثة، يبدأ بكتاب النكاح، وينتهي بآخر المسند، محفوظة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مصوَّرة عن أصلٍ محفوظ أيضاً بالآصفية، ولكن تاريخ نسخه سنة (١٢٥١) أي في حياة المؤلف.

ويقع هذا الجزء في (٤٤١) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢١) سطراً، وفي كل سطر (١٥) كلمة.

وناسخه هو: نور علي بنجابي، نَسَخَه من نسخة المؤلف، بسعاية الشيخ عظمة الله هندي دهلوي، وتمَّ مقابلته بأصله في الحرم النبوي الشريف.

وقد حصلتُ على صورة عن هذين الجزأين، وإليهما كان عزوي في حواشي هذا البحث.

٤- كما توجد صورة عن الجزء الثاني من نسخة رابعة، يبدأ من كتاب النكاح، محفوظة في مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مصوَّرة عن أصلٍ محفوظ في مكتبة خُداي بَخْش في الهند، ويقع هذا الجزء في (٢٢٥) ورقة، بدون تاريخ نسخ.

٥- وهناك قطعة من نسخةٍ خامسة خطية أصلية في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، برقم (٥٩٠)ً، كُتِب عليها: شرح مسند الحارثي، تقع في (١٧١) ورقة.

وهي عبارة عن أوراق مبعثرة غير مرتبة من هذا الكتاب (المواهب اللطيفة)، ضُمَّت بعضها إلى بعضها، بدون تنسيق ولا ترتيب، حيث تبدأ الأوراق بكتاب النكاح إلى آخر كتاب الجهاد، ثم تأتي أوراق من كتاب الإيمان وكتاب العلم، ثم معظم كتاب الطهارة، وهكذا، فهي تحتاج إلى مقابلة مع أصل سليم ليتم تنسيقها وترتيبها.

* وتوجد صورة ميكرو فيلمية عن هذه النسخة غير المرتبة، في مخطوطات مكتبة الحرم المكي المصورة، برقم (٣١٦٠) ميكرو فيلم.

٦- وتوجد قطعة مخطوطة من أول هذا الشرح، في المكتبة المحمودية، ضمن مجموع برقم (٨٩٦) أصول فقه، وهي الرسالة الثالثة في هذا المجموع، تبلغ (٦٠) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاتها ٢٨ سطراً، وتنتهي بشرح حديث رقم ٢٤، في تفسير قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾، من كتاب الإيمان والإسلام، بترتيب الشيخ محمد عابد.

٧- وتوجد نسخة في جزأين في متحف طوب قابي سراي بتركيا مأخوذة من المدينة المنورة، رقم الأول منهما (٢٥٤١)، والثاني برقم (٢٥٤٢).

٨- وذَكَر أصحابُ الفهرس الشامل الصادر عن جامعة آل البيت بالأردن ٣/١٦٣٤ عدةَ نسخ أخرى للكتاب، وأن من أهمها نسخة متحف طوب قابي سراي، وتاريخ نسخها سنة ١٢٣١، هكذا، مع أن تاريخ انتهاء المؤلف من تسويد الكتاب سنة ١٢٣٢ كما تقدم؟!.

٩- وذكروا أيضاً أن نسخة أخرى من الكتاب توجد في جامعة قار يونس ١/١١٠، تاريخ نسخها سنة ١٢٦٦.

١٠- وتوجد نسخة في باتنه بالهند ١/ ٥٤، برقم ٥٣٨، كما ذكر هذا الأخ الفاضل الدكتور الشيخ خليل إبراهيم قوتلاي في كتابه: الإمام علي القاري، ص ٣٣٥ في الحاشية.

* * * * *

٤- ترتيب مسنَد الإمام الشافعي.

ذَكَرَ هذا الكتاب مؤلِّفُه الشيخ محمد عابد في حصر الشارد [(١)]، عند ذكره لمسند الإمام الشافعي، فقال:

«وأما مسنَدُ الإمام الشافعي، فهو عن الأحاديث التي أسندها الشافعيُّ، مرفوعها وموقوفِها، الواقعةِ في مسموعِ أبي العباس محمد بن يعقوب الأَصَمّ [(٢)] التي كان انفرد بروايتها عن الربيع بن سليمان (ت ٢٧٠) من كتاب الأُم والمبسوط، إلا أربعة أحاديث من الجزء الأول، رواها الربيع عن البُوَيْطي عن الشافعي، التقطها بعضُ النيسابوريين، وهو أبو جعفر محمد بن جعفر بن مطر [(٣)] من الأبواب.

ويقال: بل جرَّدها الحافظُ أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر لأبي العباس الأصم.

وقيل: بل جرَّدها الأصمُّ لنفسه.

---

(١) لوحة ١٧٣.

(٢) الإمام المحدث المسند الثقة، المولود سنة ٢٤٧، والمتوفى سنة ٣٤٦ رحمه الله تعالى، له ترجمة في تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠، سير أعلام النبلاء ١٥/٤٥٢.

(٣) محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري، الإمام القدوة العامل المحدث المزكي شيخ العدالة، وهو الذي انتقى الفوائد على أبي العباس الأصم، فأحيا الله علم الأصم بتلك الفوائد، توفي سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى، عن خمس وتسعين سنة، كما في سير أعلام النبلاء ١٦/١٦٢.

* ولم يرتِّب الذي جَمَعَ أحاديثَه على المسانيد، ولا على الأبواب، بل بالتقاطها كيفما اتفق، فلذلك وَقَعَ فيها تكرارٌ في كثير من المواضع.

وقد وفّقني الله تعالى، فرتَّبْتُه على الأبواب الفقهية، وحذَفْتُ منه ما كان مكرَّراً لفظاً ومعنى، ووقع إتمامه في سنة ١٢٣٠.

ثم شرحت نصفاً منه، وأسأل الله تعالى أن يكمِّله، ويجعله خالصاً لوجهه، وينتفع به الخاص والعام» اهـ.

* وقال في مقدمة ترتيبه هذا:

«... وبعد:... لما فَرَغْتُ من ترتيب مسند الإمام الأقدم، والهُمَام الأعظم أبي حنيفة النُّعمان بن ثابت، وكان مسند الإمام الشافعي الذي رواه القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن الربيع بن سليمان عن مقتدى الأُمَّة إمامِ الأئمة أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وبوّأه دار كرامته، غيرَ مرتَّب على الأبواب الفقهية، ولذلك كان يُشْكِل البحثُ فيه على الطالب، خصوصاً عند إيراده للحديث في غير مظانِّه، أو تكراره للحديث في مواضع متفرِّقة من كتابه، استخرتُ الله تعالى في جَمْعه وترتيبه وتهذيبه وتبويبه، فانشرح صدري لذلك، وشَرَعْتُ مستعيناً بالله تعالى فيما هنالك، إنه مفيضُ كلِّ خيرٍ وجُوْد، وإليه يفتقر كلُّ موجود، جعله الله تعالى من خالص الأعمال، ينتفع به الخاص والعام في كل الأحوال. آمين». اهـ.

* وختم الشيخ محمد عابد ترتيب المسند بقوله:

«قال جامعه: وهذا ما أردتُ من ترتيب مسند الإمام المجتهد، زينةِ الأوائل محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله وبوّأه دار كرامته، وكان الفراغ من ذلك بعد العصر يوم الخميس، ليلة عشرين من ربيع الأول سنة ١٢٣٠.

ونقلتُ ذلك من نسخةٍ مرَّت عليها أقلامُ العلماء المتقدِّمين، وحضَرَتْ في مجالسهم المتعددة، والغالبُ عليها الصحة المُفْرِطة، إلا أن بعض المواضع وجدتُ فيها ما لا ينبغي الاعتماد عليها، ولكن لما كانت النسخة التي استعنتُ بها ـ والحديثُ يراعى فيه الرواية ـ ما وَسِعَني إلا الجمود على ما وجدت، وسأُنبِّه إن شاء الله تعالى في هامش الكتاب على تلك المواضع، وإن وفّقني اللهُ تعالى على شرحه، فسيأتي التحقيق التام فيه.

وكان الشروع في جَمْعه في شهر ذي القعدة، سنة ١٢٢٩، بعد ما ركبتُ في ساعيةٍ لسفر الحج، وكان تمامه في اليوم المذكور سابقاً، عند رجوعي من أرض الحرمين، في مسجد القُنْفُذَة وجامعِها.

وما كان يمكنني كتابتُه إلا في السّواقي والمنازل، وما هذا إلا نعمةٌ من الله تعالى، حيث شَغَلني بالسُّنَّة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية، في أوقاتٍ لا تَسْمَحُ لمِثْل هذا العمل، لا أُحصي ثناءً على الله، كما هو أثنى على نفسه، والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيدِ السادات، وآله أولي السعادات، وصحبه ذي الكرامات» اهـ.

وهكذا أتمّ الشيخ محمد عابد هذا الترتيب والتهذيب على أكمل نظام، وأحسن انسجام، «وكان هذا المسند الجليل يَنْقُصُه هكذا حُسْنُ التبويب، فيَحُوْل ذلك دون استثمار فوائده بأيسر نظرة، وقد قيَّضَ الله لخدمته المحدِّثَ المُسنِدَ الشيخَ محمد عابد السندي، فإنه عُنِي بترتيبه وتهذيبه أنفعَ ترتيب، وأمتعَ تهذيب، فكان أجْرُ مَلء هذا الفراغ مَدْخوراً له، ليضاعفَ الله سبحانه حسناته، ويرفع درجاته»[1].

---

(١) ص ٦-٧ من تقديم الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله لترتيب المسند.

وما قام به الشيخ محمد عابد من ترتيبٍ لهذا المسند، هو ما كان يرجو أن يفعله الإمام السيوطي رحمه الله، كما جاء في خاتمة حاشيته: «شافي العي»، ولعله رحمه الله أدركته المنيّة قبل وقوع ذلك، كما قال الشيخ محمد عابد في أول شرحه على مسند الإمام الشافعي.

* وَصْف النسخة المطبوعة من كتاب: ترتيب مسند الإمام الشافعي:

طبع هذا الترتيب محقَّقاً سنة ١٣٧٠، وقد جاء على صفحة عنوان الكتاب ما يلي: «تولَّى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله الشيخ السيد يوسف علي الزواوي الحسني، من علماء الأزهر الشريف، والأستاذ البحاثة السيد محمد عزة العطار الحسيني، مؤسسُ ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة.

كما قام بتصحيحه اللغوي الأستاذ الشيخ حامد مصطفى، المدرس بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية.

وعرَّف بالكتاب، وترجم للمؤلف العلامة المحدِّث الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، وكيلُ المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً» اهـ.

وقد انتهت تعليقات وتصحيحات الأستاذ الشيخ حامد مصطفى بانتهاء الجزء الأول، أما الجزء الثاني فعلق عليه صاحب الفضيلة الشيخ محمد عيسى منّون، من علماء الأزهر الشريف ومدرّسيه.

وكان اعتمادهم في إخراجه على عدة نسخ خطية، منها نسختان بدار الكتب المصرية برقم (١٨٣٢) و(٢٣٥٢).

* وقد جاء الكتاب مطبوعاً بعنوان:

ترتيب مسند الإمام المعظَّم والمجتهد المقدَّم أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، المتوفى سنة ٢٠٤، رحمه الله تعالى.

وهو في جزأين: الأول منهما ينتهي بآخر كتاب الحج، في (٣٩٤) صفحة، وفيه (١٠١٢) حديثاً، والجزء الثاني يبدأ بالنكاح إلى آخر الكتاب، وهو في (٢٥٧) صفحة مع الفهارس، وعدد الأحاديث (٧٠٩).

وعلى هذا يكون مجموع أحاديث المسند كلها (١٧٢١) حديثاً.

وقد أعادت تصويرَه دارُ الكتب العلمية ببيروت.

* وينبه هنا إلى أن مُحَقِّقَيْ الكتاب لم يقوما بوَصْف النُّسَخَ الخطية التي اعتمداها، لنرى هل منها نسخة المؤلف أم لا؟ وبماذا عَنْوَنه هو؟ الخ.

وقد وقفت في مكتبة الحرم المكي على مصوَّرة للكتاب، برقم (١٠١٩) أصلها محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة، برقم ١٨٣٢، وتاريخ نسخها سنة ١٢٨٩، واسم ناسخها محمود بن داود طيبة، وهي إحدى النسخ التي اعتمدها محققا الكتاب.

وقد جاء عنوان المخطوط هكذا: (مسند الإمام الشافعي المرتَّب)، لا كما أُثبت على المطبوع.

* * * * *

٥- مُعْتَمَد الألمعيِّ المهذَّب في حَلِّ مسنَد الإمام الشافعي المُرَتَّب[1].

وهو شرح لكتابه السابق الذكر: «ترتيب مسند الإمام الشافعي»، وأولُه يبدأ بقول المصنِّف: «الحمد لله الذي شهدت لوحدانيته الآيات، البينةُ في الأرض والسموات، وقامت على ربوبيته الدلالات...».

وقد تقدم النقل عن «حصر الشارد» من كلام المؤلف الشيخ محمد عابد أنه شَرَحَ نصفَه، وقال: «وأسأل الله تعالى أن يكمِّله»، وكان ذلك سنة ١٢٤٠ هـ.

وقد عاش المؤلِّفُ الشيخ محمد عابد بعد هذا النص سبعة عشر عاماً، وحقَّق الله تعالى له حظّاً وافراً مما رجاه، فوَصَل في شرحه إلى نصف النصف الثاني من الكتاب، وبذا يكون قد شرح ثلاثة أرباع المسند تقريباً.

إذ ترتيب المسند يبدأ بكتاب الإيمان، ثم الاعتصام بالكتاب والسنة، ثم الطهارة، وهكذا إلى آخر كتاب الحج، وهو القسم الأكبر من مطبوع المسند المرتب، والذي جاء حجمه في المطبوع في (٣٩٤) صفحة، وبه

---

(١) هكذا جاء اسم هذا الشرح في فهرس مخطوطات قصر (طوب قابي سراي) في تركيا، وهو فيه برقم (٢٥٤٧)، وعنه أخذ أصحاب الفهرس الشامل ٣/١٥٢٧ فسمّوه بهذا الاسم: «معتمد...»، في حين أن محقق «ترتيب المسند» سمّاه فيما علّقه ص ٢٠٠ باسم: «مِصْعَد الألمعي المهذب»، والصواب هو الأول الذي أثبتُّه، كما هو في صورة مخطوطته التي يسّر الله لي الحصول عليها من تركيا ولله الحمد، بسعاية الأخ الكريم الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور سعد الدين أونال جزاه الله خيراً.

ينتهي الجزء الأول، وهو النصف الأول.

ثم يبدأ الجزء الثاني بكتاب النكاح إلى آخر المسند، وحجمه ٢٠٠ صفحة من المطبوع.

وهكذا شَرَحَ الشيخ محمد عابد نصفَ الكتاب، إلى آخر كتاب الحج سنة ١٢٣٤، وهو بمكة المشرفة، كما جاء في خاتمة الجزء الأول منه، ثم في سنة ١٢٥٥ وهو بالمدينة المنورة، شَرَحَ من كتاب النكاح - الذي يأتي بعد الحج - إلى آخر الحدود، ثم إلى آخر كتاب الجهاد، حتى وصل إلى أول كتاب البيع، ولم يتيسر له إتمامه.

وكتاب البيع في المطبوع من «ترتيب المسند» في الجزء الثاني صفحة (١٣٩)، أي ما يعادل نصف الجزء الثاني، بل أزيد.

* وقد أتمّ شرحَ المسند، من المكان الذي وقف عنده الشيخ محمد عابد إلى الأخير: العلامةُ المحدِّث الفقيه الشيخ يوسف بن عبدالرحمن السَّنْبَلاويني الشرقاوي المصري ثم المكي الشافعي، المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٢٨٥ [1]، ويغلب على الظن أنه من تلاميذ الشيخ محمد عابد، حسب قرائن الزمان والمكان.

وقد ذكر هذه التتمة للشيخ السنبلاويني صاحبُ نشر النَّوْر والزهر، ثم يسَّر الله تعالى حصولي على صورةٍ عنها، إذ هي من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة، برقم (٣٦٠٥٣) ميكروفيلم، من أول هذا الميكروفيلم إلى لوحة ١٤٠، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٥) سطراً.

---

(١) له ترجمة في نشر النور والزهر (المختصر) ص ٥٢٠، وهي الترجمة قبل الأخيرة من الكتاب، نظم الدرر ص ٥٤.

وتبدأ هذه التتمة من شرح أول كتاب البيوع إلى آخر المسند، وفي مقدِّمتها يصرِّح الشيخ السنبلاويني أن هذه تكملة لشرح مسنَد الإمام الشافعي، وأنه سار فيها على منوال ما فَعَله الشيخ محمد عابد السندي.

وفي آخرها أي لوحة (١٤٠) كُتِب ما يلي: (تمَّت التكملة على يد الشيخ يوسف ابن الشيخ عبدالرحمن الشيخِ المشهورِ بالسَّنْبَلاويني، الشافعي مذهباً، النسبة بكرياً، العقيدة أشعرياً، الطريقة أحمدياً، بمكة المكرمة يوم الاثنين ٥ شهر صفر الخير، الذي هو من شهور سنة ١٢٧٨). اهـ

ثم قال الناسخ: (وكان الفراغ من نَقْل هذه التكملة يوم الجمعة، ٢٧ ربيع الثاني، سنة تاريخه - ١٢٧٨ - على يدِ ناقِلِها إبراهيم اسكندراني، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين أجمعين. آمين يارب العالمين، وذلك أيام مجاورته بمكة المشرفة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم). اهـ

* أما عن مخطوطات شرح الشيخ محمد عابد على مسند الإمام الشافعي (معتمد الألمعي المهذَّب)، فيوجد شرح النصف الأول من المسند إلى آخر الحج، في تركيا في متحف طوب قابي سراي، برقم ٢٥٤٧[(١)]، وتاريخ نسخها سنة ١٢٣٤، وعدد لوحاته ٣٦٧، وعدد سطور صفحاتها ٣٧ سطراً، وهي نسخة المؤلف الشيخ محمد عابد، وبخطه، وعليها وقفيته لهذا الجزء على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة سنة ١٢٤٩.

وأما بقية شرحه من النكاح إلى المكان الذي وصل إليه، فقد

---

(١) فهرس مخطوطات طوب قابي سراي ١٠٩/٢، وعنه أصحاب الفهرس الشامل ١٥٢٧/٢.

وقفتُ على قطعةٍ كبيرة منه في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، برقم (٥٤٥) بخط المؤلف، وعدد أوراقها (١٤٠)، وفي كل صفحة من لوحاتها (٣٦) سطراً، لكنها مبتورة من الأخير.

وتبدأ هذه القطعة بشرح أول كتاب النكاح، وتنتهي مكان بترها عند الحديث قبل الأخير من الباب الثالث من كتاب الحدود من المسند، وعنوانه: فيما جاء في قُطَّاع الطريق، وحُكْم مَن ارتدَّ أو سَحَرَ، وأحكامٌ أُخَرَ.

وهذا الحديث يقع في المطبوع من ترتيب المسند ص ٨٩، مع ملاحظة أن المسند المرتَّب ينتهي ص ٢٠٠.

* وقد كتب الشيخ محمد عابد على طُرَّة نسخته هذه ما يلي:

«هذه من شرح مسند الإمام الشافعي، شرعتُ في تسويده يوم الأربعاء (١٠) صفر سنة (١٢٥٥)، وقد أصابني في ذلك اليوم إسهالٌ وحُمَّى، فأسأل الله تعالى العافية، وتمامَ هذا على أحسن عبارة، وأشرحِ إشارة. آمين». اهـ

وعلى هذا يكون بين تاريخ شرحه للنصف الأول، وتاريخ شرحه لهذه القطعة من النصف الثاني (٢١) سنة، وكأنه توفي رحمه الله قبل إتمامه، وذلك لأن أهل التراجم نصُّوا على أن الشيخ السَّنبلاويني قد أتمَّه.

وأيضاً فإنني حين رأيت بداية تتمة الشيخ السنبلاويني، قد جاءت من كتاب البيوع، جعلني هذا أقول: إن الشيخ محمد عابد وَصَلَ في شرحه إلى أول البيوع، والله أعلم.

* وتوجد نسخة أخرى من هذه القطعة التي كتبها الشيخ محمد عابد

من كتاب النكاح، بخط إبراهيم اسكندراني بتاريخ يوم السبت ١٩ جمادى الثانية، سنة ١٢٧٨ بمكة المكرمة، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية في الميكروفيلم السابق الذكر، والذي فيه تتمة الشيخ السنبلاويني، برقم (٣٦٠٥٣)، وتبدأ هذه القطعة من لوحة (١٤٠) إلى آخره، لوحة (٣٥٣).

وتشمل هذه النسخة من أول النكاح إلى قبل كتاب الحدود تماماً، وكُتِب في آخرها: (وبعده كتاب الحدود، وهو الرُّبُع الرابع).

وقد قابلتُ شيئاً من هذه النسخة مع النسخة التي هي بخط الشيخ محمد عابد، فرأيتهما متطابقتين.

* وينبه هنا أنه كُتِب على صفحة معلومات هذا الميكروفيلم العنوان التالي: (شرح الألمعي المهذب لمسند الإمام الشافعي رحمه الله. اسم المؤلف: محمد عابد السندي، ٣٥٣ ورقة). اهـ

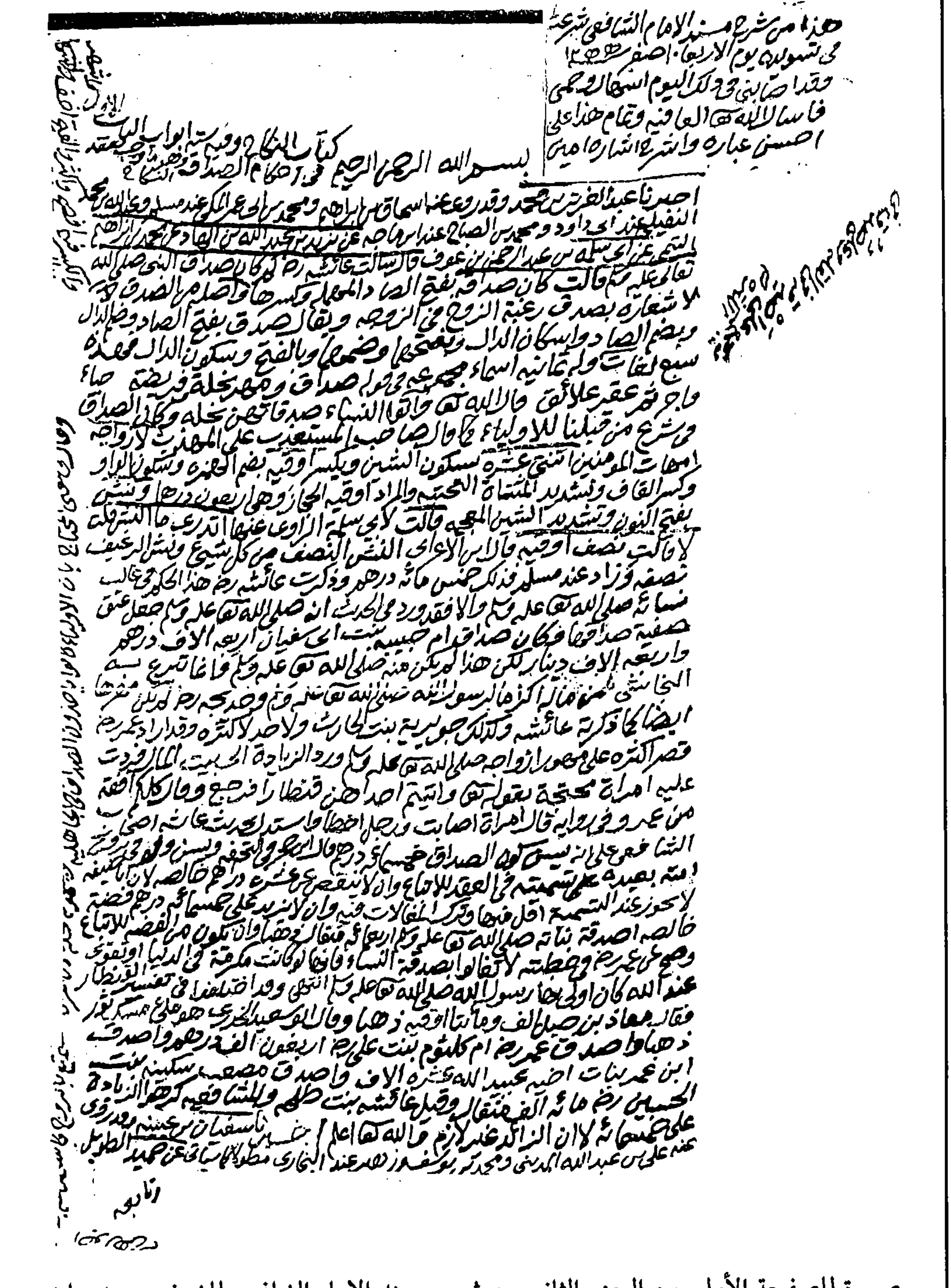
وقد بيَّنت أن أول (١٤٠) لوحة منه هي تتمة السنبلاويني، والباقي إلى ٣٥٣ هي من كتاب النكاح إلى الحدود، من تأليف الشيخ محمد عابد.

* وفيما يلي صورة للصفحة الأولى من أول شرح الشيخ محمد عابد لمسند الإمام الشافعي المرتَّب، وصورة للصفحة الأولى من الجزء الثاني من هذا الشرح، من كتاب النكاح.

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن وكن رب يسر وتمم بالخير

الحمد لله الذي شهدت لوحدانيته الآيات البينة في الأرض والسموات وقامت على ربوبيته
الدلالات ودلت على عظمته عنايته بالأحياء والأموات والصلاة والسلام على سيدنا منبع البركات
الخيرات صاحب المعجزات وعلى آله أولي السعادات وصحبه ذوي الكرامات وبعد فيقول
أفقر عباد الله تعالى إلى رحمته وأحوجهم إلى رضوانه ومغفرته محمد عابد بن أحمد علي السندي مولدا
الأنصاري نسبا أنه لما من الله تعالى علي بفضله الاشتغال بالحديث في غالب الأوقات ومطالعة
كتبه خصوصا الغريبة منها في أكثر الحالات وذلك بعد قراءتي في الكتب المشهورة من المسانيد
والأمهات على المشايخ الثقات والعلماء الأثبات وإجازتهم لي فيها وفي الكتب التي يندر
وجودها وكان من جملة ذلك مسند الإمام أبي حنيفة ومسند الإمام الشافعي رضوان الله
تعالى عليهما فلما أمعنت نظري عليهما وجدتهما غير مرتبين على الأبواب الفقهية وكان
ذلك سببا لمشقة البحث فيهما خصوصا لمن ليست له في ذلك أهلية فاستخرت الله تعالى أولا
في ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة رحمه الله فلما كمل لي ذلك شرعت في شرحه على وجه يوضح
مقاصد الحديث ويبين اختلاف العلماء في القديم والحديث وما استدل به كل واحد منهم
على مدعاه فلما كمل لي تسويده شرعت في ترتيب مسند الإمام الشافعي رحمه الله تعالى
فرتبته في حال ارتحالي إلى أرض الحرمين فكمل لي ذلك بحمد الله تعالى في سفري ذلك وكنت
كثير البحث والتفتيش عن شروحه فلم يتيسر لي من ذلك إلا حاشية للسيوطي صغيرة
جدا سماها الشافي العي عن مسند الشافعي ونقل في أولها عن الرافعي أنه قال أردت أن أضع
لمسند الشافعي شرحا بسيطا يتعلق كلامه بأحوال الرواة والغريب والمعاني
وأورد لي شرحا بطريق متوسط والزيادات في إملائه بعد البلغاء في رجب الواقع في
العام الثاني بعد ستمائة عام قال السيوطي هذا كلام الرافعي قال السيوطي وجاء بعده
الإمام مجد الدين ابن الأثير فألف لهذا المسند شرحا سماه المنضد ينقل فيه كلام الرافعي
ويزيد زيادات ولم يضع أحد عليه شيئا سوى هذين إلى الآن إلى أن قال الحسيني عمل كتابه
التذكرة في رجال العشرة فأدخل هذا المسند في جملتها وهي الكتب الستة والموطأ وهذا
المسند ومسند أبي حنيفة ومسند أحمد انتهى قال شيخي العلامة النحرير والمحدث الكبير
والمحقق الشهير خاتم الحفاظ الشيخ صالح الفلاني ومسند الشافعي عبارة عن الأحاديث
التي أسندها الشافعي مرفوعها وموقوفها الواقعة في مسموع أبي العباس محمد بن
يعقوب الأصم الذي كان انفرد بروايتها عن الربيع بن سليمان من كتاب الأم والمبسوط
الذي ... أحاديث من الجزء الأول رواها الربيع عن البويطي عن الشافعي لتقطعها
بعض

صورة للصفحة الأولى من أول شرح مسند الإمام الشافعي للشيخ محمد عابد



هذا من شرح مسند الإمام الشافعي شرعت في تسويده يوم الاربعاء ... صفر ...
وقد اصابني في ذلك اليوم اسهال وحمى فاسال الله تعالى العافية وتمام هذا على احسن عبارة واشرف اشارة امين

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب النكاح وفيه ابواب الباب الاول في احكام الصداق ...

اخبرنا عبد العزيز بن محمد ... ومحمد بن ابي عمر المكي عند مسلم وعبد الله بن محمد النفيلي عند ابي داود ومحمد بن الصباح عند ابن ماجه عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال سالت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان صداقه بفتح الصاد المهملة وكسرها واصله من الصدق لاشعاره بصدق رغبة الزوج في الزوجة ويقال صدقة بفتح الصاد وضم الدال وبضم الصاد واسكان الدال وبفتحها وضمها وبالفتح وسكون الدال فهذه سبع لغات ...

صورة للصفحة الأولى من الجزء الثاني من شرح مسند الإمام الشافعي للشيخ محمد عابد

ميزة هذا الشرح وقيمته العلمية :

جاء هذا الشرح «معتمد الألمعي المهذَّب» من الشيخ محمد عابد السندي، على غِرار كتابه الآخر: «المواهب اللطيفة في شرح مسند الإمام أبي حنيفة»، وذلك من الناحية الحديثية والفقهية، فقد اعتنى بشرح مسند الإمام الشافعي وحَلِّ عويصاته ومشكلاته الحديثية والفقهية، على الطريقة نفسها في المواهب اللطيفة، وبنَفَسٍ متوسط في التخريج، مع دراسة حال رواة الأحاديث، ومع ذِكْره لخلاف الفقهاء وأدلتهم، وما إلى ذلك، وفيه من الفوائد الغالية مالا تجده في غيره.

وما قلتُه سابقاً في المواهب اللطيفة من قيمة علمية يقال هنا أيضاً، وبخاصة من الناحية الفقهية، فهو شرح مطوَّل لكتابٍ من كتب أحاديث الأحكام، المهمة المتصلة بمذهب السادة الشافعية.

* ومما يدل على توسّعه وبَسْطه في المسائل الفقهية فيه، أنه كان كثيراً ما يحيل في كتابه الموسوعي: «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» للتوسع في مسألةٍ ما إلى شرح مسند الإمام الشافعي.

ومن ذلك ما جاء في طوالع الأنوار [١] في مسألة حكم الصلاة النافلة وقت الاستواء قال: «أباحه أبو يوسف يوم الجمعة، لما في مسند الشافعي [٢]: أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس

---

(١) ج ١ لوحة ٤٧٠ أ.

(٢) ١٣٩/١.

إلا يوم الجمعة».

ثم قال: «وقد بَسَطْتُ ذلك في شرح مسند الشافعي[1]، وبيَّنت ثَمَّةَ ما في سند الحديث» اهـ

وقد قال المؤلف الشيخ محمد عابد في خطبة شرحه هذا:

«... وقد كان بعض الألِبّا ـ نُخبة الفضلاء الأُدَبا، أَجَلُّ مَن فاق دهرَه، العلامة الفهامة السيد عبد الله ابن السيد علوي المحجَّب ـ أَكْثَرَ عليَّ من تأليف شرحٍ على هذا المسند، ليس بالطويل المملِّ، ولا بالاختصار المخِلِّ، يُنَبِّه على النّكات الحديثية، وإيضاح المسائل الفقهية، ويبيّن حالَ الرواة بالقول الوجيز، ويُظهر تخريج مَن أخرج ذلك الحديث من الكتب المشهورة.

فصِرْتُ أقدِّم رِجْلاً وأؤخر أخرى، إذ لم أكن من فرسان هذا الميدان، ولا ممّن له في السباحة يَدان، فاستخرت الله تعالى، فانشرح الخاطر، فشرعتُ في ذلك مستعيناً بالملك القدير، يوم السبت لرابع ذي الحجة سنة ١٢٣١، وسمّيته: «مُعتَمد الألمعي المهذَّب في حلِّ مسند الإمام الشافعي المرتَّب»، وأسأل الله تعالى أن يعجِّل إتمامه على أحسن الأحوال..» اهـ.

وذَكَر قبل هذا أنه كان كثير التفتيش عن شروح مسند الإمام الشافعي، فلم يتيسر له من ذلك إلا حاشية للسيوطي صغيرة جداً.

* * * * *

(١) ج١ لوحة ١٥٩.

نموذج من شرح مسند الإمام الشافعي

مسألة حكم الكلام ومؤذِّن الجمعة (أو المؤذنون) يؤذِّنون بين يدي الخطيب :

شرح ما رواه الإمام الشافعي في مسنده[(١)] عن «مالك عن ابن شهاب عن ثعلبة بن أبي مالك أنه أخبره أنه كانوا في زمان عمر بن الخطاب يوم الجمعة يصلون حتى يخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإذا خرج الإمام وجلس على المنبر، وأذّن المؤذّن، جلسوا يتحدثون، حتى إذا سكت المؤذنون، وقام عمر سكتوا، فلم يتكلم أحد».

قال الشيخ محمد عابد في شرحه لهذا الأثر في كتابه: معتمد الألمعي المهذّب في حلِّ مسند الإمام الشافعي المرتب[(٢)]:

« (مالك) وقد أخرجه في موطئه[(٣)]، وروى عنه أيضاً محمد بن الحسن الشيباني (عن ابن شهاب عن ثعلبة بن أبي مالك) المدني القرظي إمام بني قريظة، يُكنى بأبي جعفر، وقيل: بأبي مالك، وقيل: بأبي يحيى، واسم أبيه: عبد الله الزبيري، وسِنُّه سنّ عطية القرظي، وقصته كقصته، يعني أنه لما وجدت عانته [ليس] فيها الشعر، ترك عن القتل، ولذلك قال ابن معين: رأى النبيَّ ﷺ، وقد روى له البخاري.

---

(١) ١٣٩/١.

(٢) ج١ لوحة ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣) كتاب الجمعة ١/١٠٣.

(أنه أخبره أنه كانوا في زمان عمر بن الخطاب يوم الجمعة يصلون حتى يخرج عمر بن الخطاب) يعني: فيقفون عن صلاتهم، (فإذا خرج الإمام) يعني: عمر رضي الله عنه، (وجلس على المنبر، وأذّن المؤذّنون، جلسوا يتحدثون) يعني: فما كانوا يرَوْن أن خروج الإمام مانعٌ لهم عن الكلام.

(حتى إذا سكت المؤذنون) ثبت هكذا بلفظ الجمع في رواية الموطأ، وهذا يقتضي أن عمر رضي الله عنه كانوا يؤذّنون له في خلافته بين يديه يوم الجمعة جماعةٌ بصوت واحد.

ويؤيده ما عند البخاري[1] في حديث السقيفة في كتاب الحدود، حيث ثبت هناك أيضاً بلفظ الجمع.

* وهذا شيء قد غَفَل عنه العراقيُّ وابنُ الملقّن وقبلهما ابنُ سيد الناس، وتبعهم الحافظ، حتى عدّوا أن اجتماع المؤذّنين خصوصاً بين يدي الخطيب بدعة، ولم يكن ذلك في زمن الخلفاء الراشدين، وفي حديث الباب ردٌّ عليهم.

(وقام عمر) أي للخطبة، (سكتوا، فلم يتكلم أحدٌ) وعُرف بهذا أنهم كانوا يرَوْن وجوب الإنصات حال الخطبة، وأما قبلها فكانوا يرون إباحة الكلام.

... وهذه الأحاديث تمسّك بها الشافعي في إباحة الكلام قبل أن يشرع الخطيب في الخطبة، وإليه جَنَح أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى» اهـ من معتمد الألمعي المهذّب.

* * * * *

---

(١) في صحيحه (مع الفتح) ١٢/ ١٤٤.

فائدة: في ذكر شروح مسند الإمام الشافعي:

بمناسبة ذكري لشرح الشيخ محمد عابد على مسند الإمام الشافعي، أذكر ما وقفت عليه من شروحٍ لهذا المسند، مع بيانٍ لطيف لميزة كلٍ منها:

١- شَرْح الإمام ابن الأثير المبارك بن محمد، مجد الدين أبي السعادات الشيباني الجزري ثم الموصلي، صاحبِ «جامع الأصول»، و«النهاية في غريب الحديث»، المتوفى سنة ٦٠٦، رحمه الله تعالى، وقد سمّى شرحه هذا: «الشافي في شرح مسند الشافعي» [١].

ويظهر من القطعة التي وقفت عليها من هذا الشرح ضمن مخطوطات

---

(١) كما جاء في مقدمة كتابه (مخطوط)، وينظر وفيات الأعيان ٤/١٤١، وسماه صاحب كشف الظنون ٢/١٦٨٣: شافي العِيّ، وهو اسم لشرح السيوطي، لا شرح ابن الأثير.

ولم يزل هذا الشرح مخطوطاً لم يُنْشَر بعد، لكن يعمل على إخراجه الأستاذ الدكتور الشيخ خليل ملا خاطر. يسَّر الله تعالى له ذلك.

* وأنبّه هنا أنني استغربت ما ذكره الإمام السيوطي في مقدمة حاشيته على مسند الإمام الشافعي: «الشافي العي»، حيث قال بعد أن ذكر شرحَ الرافعي: «... وقد جاء بعده الإمام مجد الدين ابن الأثير فألف لهذا المسند شرحاً سمّاه: (المنضَّد) ينقل فيه كلام الرافعي، ويزيد زيادات...» اهـ.

والشيء الغريب: أولاً: أن ابنَ الأثير توفي سنة ٦٠٦، والرافعي بدأ شرحه سنة ٦١٢، فكيف يقول: وقد جاء بعده ابنُ الأثير...؟.

وثانياً: سمَّى السيوطي شرحَ ابن الأثير: المنضَّد؟! مع أن ابن الأثير نفسه سماه في مقدمته، باسم: الشافي.

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي في مجلدين برقم (٤٤٢٩ + ٤٤٣٠ مكبرات) أن نَفَسَ المؤلِّفِ فيه طويل، وقد صرَّح بهذا في مقدّمته للكتاب، وأنه سيتكلم عن الحديث سنداً ومتناً من وجوه كثيرة.

* كما ذكر أنه رتَّب أحاديث المسنَد في شرحه هذا على الأبواب الفقهية المتداولة، لأن أصلَ المسنَد غيرُ مرتب، حيث جاءت الأحاديث فيه على حسب ما ذكرها الإمام الشافعي رحمه الله في كتبه.

وبهذا يتبيّن أن الإمام ابن الأثير لم يُفْرِد ترتيبَ المسند بمؤلَّف خاص، يسهِّل الوقوف على أحاديثه، كما فعل الشيخ محمد عابد السندي، ولذا كان ترتيب الشيخ محمد عابد حسنةً مخبأة له، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

* ثم إن الإمام ابن الأثير ذكر في شرحه هذا، أنه بعد إيراده للحديث وشرحه، قد أضاف أحاديث مرفوعة أخرى ليست من المسند، مما عَرَفَه من روايات الإمام الشافعي في كتبه القديمة والجديدة، مما لم يُذْكَر في المسند، ليعلم الواقفُ عليها أن ما تضمَّنه المسنَد بالنسبة إلى ما لم يتضمَّنْه من الأحاديث التي رواها الشافعي: قليل.

مع ملاحظة أن الذي أضافه ابن الأثير من هذه الأحاديث بالنسبة إلى ما لم يَذْكُر أقل.

كما بيّن في مقدمته أيضاً أنه لم يشرح هذه الأحاديث المضافة، إذ غرضه الأول هو شرح أحاديث المسند.

وبهذا البيان اللطيف يظهر الفرق بين هذا الشرح، وشرح الشيخ محمد عابد، حيث لكلٍّ وِجهةٌ وطريقة.

٢- ومن شروح مسند الإمام الشافعي: شرحُ الإمام الرافعي القَزْويني

عبدِالكريم بن محمد، صاحبِ: «العزيز شرح الوجيز» في فقه السادة الشافعية، المتوفى سنة ٦٢٣، رحمه الله تعالى.

وقد أملى شرحَه هذا سنة ٦١٢، كما جاء في مقدّمته [١].

والرافعيُّ وابنُ الأثير متعاصران، وكأنهما توافقا في زمنٍ مقارِب في فكرة شرح هذا المسند، إذ كلٌّ منهما صرَّح في مقدمته أنه لم يَبْلُغْه - فيما وقف عليه - أن أحداً شَرَحَ هذا المسند، مع ملاحظة أن ابن الأثير في بلاد العراق، والرافعي في بلاد قزوين شمالي شرق تركيا.

أما عن حجم شرح الرافعي، فقد صرَّح في مقدمته أنه يريد وضع شرح متوسط [٢].

ولم يذكر الرافعي في مقدمته شيئاً عن ترتيب المسند، ولم أقف على مخطوطة الكتاب لأصف واقعه وحاله.

٣- وممن شرح مسند الإمام الشافعي أيضاً الأمير سَنْجَر بن عبدالله الجاولي، المتوفى سنة ٧٤٥، وقد قارب المائة، رحمه الله تعالى.

فقد قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في الدرر الكامنة [٣]:

«وكان مُحِبّاً في العلم، خصوصاً علم الحديث، وشَرَحَ مسندَ الشافعي شرحاً حافلاً، وحكى فيه من نصوص الشافعي شيئاً كثيراً، وعاوَنَه عليه

---

(١) التي نقلها الإمام السيوطي في شرحه على المسند: الشافي العِيّ (مخطوط).

(٢) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٥٣ أنه في مجلَّدين، وأنه تَعِب عليه، وكذلك ذكر صاحب كشف الظنون ٢/١٦٨٣ أنه في مجلدين.

(٣) ٢/١٧١-١٧٢.

جماعةٌ من الأكابر في عصره، وحاصله أنه جَمَعَ بين شرحي الرافعي وابن الأثير بلَفْظهما، فإن كان الحديث في الموطأ، نَقَل كلامَ ابن عبدالبر في التمهيد، وإن كان في صحيح مسلم، نَقَل كلامَ النووي من شرحه». اهـ

وذَكَر صاحبُ كشف الظنون [1] أن «الأمير سَنْجَر رتَّبه، وشَرَحَه في مجلدات» اهـ.

قلت: لعل ترتيب الأمير سنجر مأخوذ من ترتيب ابن الأثير، المنشور في شرحه كما تقدم، والله أعلم.

٤- وممن شَرَحَ هذا المسند أيضاً الإمام جلالُ الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١، رحمه الله تعالى، وسمَّاه: «الشافي العِيّ على مسند الشافعي»، وهو تعليق لطيف، كتعاليقه على الكتب الستة والموطأ وغيرها، لخَّصه من شرحَيْ الرافعي وابن الأثير، مع ما ضمَّه إليهما من زيادات فوائد، كما صرَّح بهذا في مقدمته.

وتوجد من هذا الشرح نسخة مصوَّرة في مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، برقم (٩٩٩) ميكروفيلم، ورقم (٢٥٦٤) مكبرات ، وهو في (٨٦) ورقة.

ومن هذه النسخة أيضاً صورة في مكتبة الحرم المكي، برقم (١١١٩) مصوّرات.

* * * * *

---

(١) ١٦٨٣/٢.

٦ - شرح تيسير الوصول :

كتاب «تيسير الوصول» هو مختصرٌ لجامع الأصول، لابن الأثير المبارك بن محمد، المتوفى سنة ٦٠٦ رحمه الله تعالى، اختصره الإمام ابنُ الدَّيْبَع الشيباني عبدالرحمن بن علي الزَّبيدي الشافعي، المتوفى سنة ٩٤٤ رحمه الله تعالى.

وقد ذكر هذا الكتاب (شرح تيسير الوصول) الشيخ محمد عابد في كتابه: «حصر الشارد»[(١)] عند ذكره لكتاب: «تيسير الوصول»، حيث قال:

«ولي عليه شرحٌ مبسوط إلى كتاب الحدود من حرف الحاء، علَّقْتُه في صِغَري، واستوهبه مني بعض سادات (المنيرة) بقرب (الزيدية) [(٢)] فوهبتُ له المسوَّدة، وإلى الآن [(٣)] لم يبيَّض منه شيٌ، أسأل الله التوفيقَ لإتمامه وتهذيبه، إنه على ذلك قدير» اهـ.

وحين ذَكَر هذا الكتاب صاحب اليانع الجني [(٤)] قال:

«... وكان ألَّفه في رِيقِ من عمره، واستوهبه بعضُ سادات (المنيرة) بقرب (الزيدية)، فوهب المسودة له، ولذلك لم نقف عليه» اهـ.

وعلى هذا فالكتاب جارٍ على سُنَّة المؤلِّف وعادته في بَسْط الكلام

(١) لوحة ٦٠.

(٢) المنيرة والزيدية بلدتان صغيرتان من مدن اليمن شمال الحديدة، قريبتان من ساحل البحر.

(٣) سنة ١٢٤٠ وقت تأليفه لكتاب: حصر الشارد.

(٤) لوحة ٣٦ أ.

وعدم الاختصار، والمتوقع أن يكون البسط فيه من الناحية الحديثية والفقهية، كسائر شروحه.

وإن نصَّ الشيخ محمد عابد على تأليفه له في الصغر، مما يشهد على تقدّمه علمياً في سنٍ مبكرة من عمره، كما أقرَّ له بذلك مشايخه وغيرهم.

* أما عن مقدار ما شَرَحه الشيخ محمد عابد من «تيسير الوصول»، فهو رُبُع الكتاب، إذ هو مطبوع في أربعة أجزاءٍ، في مجلدين، وكتاب الحدود هو بداية الجزء الثاني من المجلد الأول.

وقد جمعتُ عددَ أحاديث هذه القطعة المشروحة، فبلغت (١٥٨٣) حديثاً، وهو لاشك قَدْرٌ كبير، وعليه فالمتوقع أن يكون هذا الكتاب (شرح تيسير الوصول) كبير القَدْر والمقدار.

ويشمل هذا المجلد الأول من (تيسير الوصول) على كتاب الإيمان والإسلام، والأمانة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأسماء والكنى، والآنية، وكتاب البِرّ، والبيع، والبُنْيان، والتفسير وتلاوة القرآن، وتعبير الرؤيا، والثناء والشكر، والجهاد، والحج والعمرة.

ويُلحظ في هذا تنّوع موضوعات الكتاب، إذ هي مرتبة على حروف المعجم.

* * * * *

٧ - شرح بلوغ المرام :

كتاب «بلوغ المرام من أحاديث الأحكام»، هو للحافظ الشهير ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢، وهو مجلد لطيف.

وقد ذكر غيرُ واحد من مترجمي الشيخ محمد عابد السندي، أن له شرحاً على بلوغ المرام، فهذا صاحب اليانع الجني [١] يقول: «وقال لي بعض مَن أثق به: إنه رأى له شرحاً لمختصر ابن حجر في الأحكام، المسمى ببلوغ المرام، غير أنه لم يُكْمِلْه».

وذكره الزِّرِكْلي في الأعلام [٢]، «وأن قطعةً منه في المدينة المنورة» اهـ.

وقد بحثتُ عنه كثيراً في مكتبات المدينة المنورة للمخطوطات، وكذلك فيما تيسر لي من فهارس مخطوطات المكتبات المشهورة، فلم أظفر بشيء.

* وأنبه هنا إلى أنه يصلح أن يضاف هذا الكتاب إلى قائمة كتبه ومصنفاته في الفقه، وكذلك شرحه على مسند الإمام أبي حنيفة، وشرحه على مسند الإمام الشافعي، وشرحه على تيسير الوصول.

* * * * *

---

(١) لوحة ٣٦ب، وينظر فهرس الفهارس ٧٢١/٢، إيضاح المكنون ١٩٦/١، وغيرهم.

(٢) ١٨٠/٦.

٨ - كَشْفُ البَأْس عما رواه ابنُ عباس مشافهةً عن سَيِّد الناس ﷺ :

ذكر هذه الرسالة الزِّركلي في الأعلام [١]، ووضع صورة عن جزءٍ من صفحتها الأولى، وفيها عنوان الرسالة بخط المؤلف، وذكر أنها محفوظة في الخزانة التيمورية [٢] بمصر.

ثم يسَّر الله تعالى لي تصويرَها، فوجدتُ على صفحة عنوانها أيضاً إجازةً بخط الشيخ محمد عابد لشيخ الإسلام عارف حكمة، بتاريخ سنة ١٢٣٥.

والرسالة تقع في خمس لوحات ونصف، بخط الشيخ محمد عابد، وفي كل صفحة من لوحاتها (٢٧) سطراً، وقد جاء في مقدّمتها:

(... إني لما اطَّلعتُ على ما ذَكَرَه الحافظُ ابنُ حجر في «تهذيب التهذيب»، في ترجمة عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، فائدةً قال فيها:

«روى غُنْدَر أن ابن عباس لم يسمَعْ من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلا تسعةَ أحاديث، وعن يحيى القطان: عشرةً، وقال الغزالي في المستصفى: أربعة.

قال الحافظ: وفيه نظر، ففي الصحيحين عن ابن عباس مما صرَّح فيه بسماعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أكثرُ من عشرةٍ، وفيها مما شَهِدَ فِعْلَه نحو ذلك، وفيهما مما له حُكْم الصريح نحو ذلك، فضلاً عما ليس في الصحيحين» انتهى.

فتَتَبَّعتُ تلك الأحاديث في الصحيحين، وما عداهما من السنن

---

(١) ٦/١٨٠.

(٢) ينظر فهرس الخزانة التيمورية ٢/٣١٣ قسم الحديث.

والأجـزاء، فوجـدتُ مـن ذلـك قَـدْراً نافعـاً، مـع أني لم أدَّع الحَصْـرَ والاسـتيفاء، فـأردتُ أن أجمعهـا في كراسـة ؛ لِيَسْـهُلَ الوقـوفُ عليهـا، وسمَّيتُ هذه الرسالة: كَشْف الباس عما رواه...) اهـ.

وقد بلغ عدد الأحاديث التي ذَكَرَهـا الشـيخ محمـد عابـد - بتعـداده هو - (٧٧) حديثاً، ولم يختم الرسالة، وكأنه كان كلَّما وَجَدَ حديثاً أضافه في أوراق تلك الرسالة.

* وهذا العدد الكبير الذي وقف عليـه الشـيخ محمـد عابـد في هـذه الرسالة، يضاف كشـاهد آخـر علـى أدلـة تبحّـره في اطلاعـه علـى كتـب الأحاديث والأجزاء، الذي شهد له به كلُّ مَن ترجم له.

- وقد اعتنى الحافظ ابـن حجـر قبلـه بجمعهـا، فقـد قـال في «فـتح الباري»[(١)]، بعد أن ذكر أن ابن عباس رضي الله عنه عنهما كان من صـغار الصحابة رضي الله عنهم، وأنه كان من المكثرين في رواية الحـديث، وأن هذه الأحاديث التي يرويها، منها ما رواها عن الـنبي ﷺ بواسـطة، وهـي الأكثر، ومنها ما سمعه من النبي ﷺ بنفسه مباشرة، وصرَّح بسـماعها مـن النبي ﷺ، وهي قليلة، ثم قال:

«وقد اعتنى العلماء بعَدِّ هذه القليلة، فمنهم مَن جعلها عشرة أحاديث، ومنهم مَن جَعَلها تسعةً...، وقد اعتنيتُ بجَمْعها، فزاد على الأربعين ما بين صحيح وحسن، خارجاً عن الضعيف، وزائداً أيضاً على ما هو في حُكْم السماع، كحكايته حضورَ شيءٍ فُعِل بحضرة النبي ﷺ» اهـ.

* وفيما يلي صورة لصفحة عنوان الرسالة، وأخرى للصفحة الأولى منها.

---

(١) ١١/ ٣٨٣.


كشف الباس عما رواه ابن عباس مشافهة عن سيد الناس صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم لمحمد عابد بن احمد علي الانصاري السندي عفا الله تعالى له ولوالديه ورضي عنهم رضاء لا سخط بعده تفضلا منه وكرما امين

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة لصفحة عنوان رسالة «كشف الباس» بخط الشيخ محمد عابد،

وفيها إجازته للشيخ عارف حكمة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا رافع السما بغير عمد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خصه الله تعالى بالفضائل العظيم والمناقب الجسيم وجعله سيد ولد آدم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما دامت الأئمة الدين تحقق في الأقطار وتستمر على مرور الأعصار

وبعد فيقول أفقر عباد الله تعالى إلى رحمته وغفرانه وأحوجهم إلى رضوانه محمد عابد بن أحمد علي الأنصاري نسبا السندي مولدا أني لما اطلعت على ما ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فائدة قال فيها روى غندر أن ابن عباس لم يسمع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلا تسعة أحاديث وعن يحيى القطان عشرة وقال الغزالي في المستصفى أربعة قال الحافظ وفيه نظر ففي الصحيحين عن ابن عباس مما صرح فيه بسماعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من عشرة وفيهما مما شهد فعله نحو ذلك وفيهما ما له حكم الصريح [illegible] ذلك فضلا عما ليس في الصحيحين انتهى فتتبعت تلك الأحاديث في الصحيحين وما عداهما من السنن والآثار وقد [illegible] مع أني لم أدع الحصر والاستيفا فأردت أن أجمعها في كراسة ليسهل الوقوف عليها [illegible] وسميت هذه الرسالة كشف الباس عما رواه ابن عباس مشافهة عن سيد [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم ولنقدم قبل ذلك حديثا كالمقدمة للأحاديث التي نوردها حيث اشتمل على فضيلة ابن عباس مع إفادته لمشافهة الأخذ [illegible]

١ أبو نعيم بسنده عن عبد الله بن بريدة عن ابن عباس قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا [illegible]

٢ البخاري من طريق عبد الوارث قال نا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال ضمني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم علمه الكتاب وفي لفظ له قال ضمني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى صدره وقال اللهم علمه الحكمة [illegible]

٣ أيضا من طريق ورقاء عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الخلاء [illegible]

٤ [illegible] فقهه في الدين [illegible] عن طاوس عن ابن عباس قال دعاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح على ناصيتي وقال اللهم علمه الحكمة

صورة للصفحة الأولى من رسالة «كشف الباس» بخط الشيخ محمد عابد

٩ - سُلافَة الألفاظ في مسالك الحُفَّاظ :

ذكر هذا الكتاب معزواً للشيخ محمد عابد صاحبُ هدية العارفين [١].

ومعنى كلمة: سُلافَة أي خلاصة.

ولم أقف على هذه الرسالة أو عن شيء عنها، لكن كأن الشيخ محمد عابد يبيّن فيها مناهجَ وطُرُقَ الحُفَّاظ المحدِّثين في تآليفهم المختلفة، والله أعلم.

١٠- إيجاز الألفاظ لإعانة الحُفَّاظ :

ذكر هذا الكتاب وأنه من كتب الشيخ محمد عابد شارحُه العلامة الشيخ يحيى بن محمد بن الحسن الأخفش لقباً، العلوي الفاطمي نسباً، من تلاميذ الشيخ محمد عابد باليمن، حيث شرَحه في كتابٍ سمَّاه: «إدارة الألحاظ لحَلِّ إيجاز الألفاظ»، وقد نقلتُ منه - باختصار - مقدّمةَ الشيخ محمد عابد لكتابه هذا، وفيها ذِكْرٌ لسبب تأليفه له، وبيانٌ لموضوع الكتاب، وطريقة جمعه وعرضه، التي لم يسبقه إليها أحد، حيث قال: «... أما بعد:

لما قلَّ في زماننا حُفَّاظ الحديث، وصار الغالبَ على أهل عصرنا روايتُه من الدفاتر، وكان ذلك خِلافَ ما عليه السَّلَف، فقد كان فيما مضى مَن يحفظ آلافَ من الحديث، كحفظهم لسورة الإخلاص، وما كان ذلك

---

(١) ٢/ ٣٧٠.

فيهم إلا لأنهم حَفِظوا حُرمة الله تعالى، وكانوا أشدَّ توقيراً للشريعة المطهَّرة، وزمانُنا لما كان الغالبَ على أهله الانهماكُ في الشهوات، والتعرّضُ للمعاصي، والاتباعُ للأهواء: سَلَبَهم الله ذلك النور الذهني، أعاذنا الله من بوائق العصيان.

وأنا كنت صَرَفتُ همَّتي أيام حداثتي في الاشتغال بعلم السُّنَّة: قراءةً ومطالعةً وكتابةً وجَمْعاً لكُتُبها، وكنتُ مبتلى بالنسيان الذي هو ثمرة العصيان.

[وقد] استخرتُ الله في جَمْع أحاديث ذوات العدد، يَشملها إسناد واحد، ليسهُلَ الحفظُ لها، ويَهُونَ الحَصْر لها، فانشرح الصدر لذلك، وأسأل الله التوفيق فيما هنالك، وسمّيته: «إيجاز الألفاظ لإعانة الحُفَّاظ».

وشَرَعتُ أولاً بأسانيد الإمام أبي حنيفة النعمان، ثم مالك، ثم الشافعي، ثم أحمد بن حنبل، ثم البخاري، ثم مسلم، ثم أتبعتُ ما أمكنني من الأسانيد بغير مراعاة للمتقدّمين من المصنِّفين، واللهَ أسأل أن يجعل فائدة ما جَمَعْتُه عامة على العلماء.

ولما كان وَضْع الكتاب لأجل حفظ السند على غير قاعدة المصنِّفين في ترتيب الأحاديث في أبوابها، فلا بدَّ أن أذكر إن شاء الله تعالى لكل حديث باباً يليق به».اهـ من مقدمة الشيخ محمد عابد.

ثم ذكر أول حديث وهو حديث جبريل عليه السلام، بسند أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله بن مسعود.

* والذي دلَّني على شرح كتاب الشيخ محمد عابد هذا، وهو «إدارة الألحاظ» هو فهرسُ الخزانة التيمورية ١٧٣/٢، ثم يسَّر الله تعالى تصوير القطعة الموجودة منه في دار الكتب المصرية بالقاهرة، ضمن مجموعٍ برقم (١٠٤٠٥) ميكروفيلم، من صفحة (٣٠٥) إلى آخر الفيلم، وهي عبارة

عن (٢١) لوحة، وفي كل صفحة (٣٧) سطراً.

وقد شملت هذه القطعة من بداية الشرح، وفيها شرح لمقدمة الشيخ محمد عابد للكتاب، مع شرح اثني عشر حديثاً من أحاديث الإمام أبي حنيفة رحمه الله، بالسند المتقدم الذكر، وبه تنتهي هذه القطعة.

* وقد كشفَتْ لنا هذه القطعة عظيم حقيقة كتاب الشيخ محمد عابد، وتفرّده بهذه الطريقة اللطيفة في التأليف، التي «جاد بها، ولم يُسْبَق إلى مثلها» كما قال الشارح الأخفش، بل كما قال الشيخ محمد عابد نفسه «على غير قاعدة المصنِّفين في ترتيب الأحاديث».

* وقد أثنى عليه الشارح - بعد ثنائه الكبير على شيخه الشيخ محمد عابد - فقال: «وكان مختصر شيخنا - إيجاز الألفاظ - مختصراً من أحسن المختصرات، ومؤلَّفاً من أجلِّ المؤلفات». اهـ

ويبدو أن الشارح كتب هذا الشرح في حياة شيخه الشيخ محمد عابد حيث قال بعد ذكره له: «تولى الله مكافأته، وأطال مدّته».

كما يظهر أن حجم الكتاب لا بأس به، إذ شملت هذه القطعة لسندٍ واحد فقط من أسانيد الإمام أبي حنيفة اثني عشر حديثاً، مع احتمالِ وجود أحاديث أخرى لهذا السند، فكيف ببقية أسانيده، وكذلك أسانيد الإمام مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم، وهكذا...؟.

وعسى بفضل من الله تعالى أن ييسر الوقوف على تمام هـذا الكتـاب، لإظهار هذه التحفة النادرة التي أهداها الشـيخ محمـد عابـد لأهـل العلـم عامةً، ولطلاب الحديث الشريف وحُفّاظه خاصة.

* * * * *

١١ - مجالس الأبرار:

رأيت في مجموع [١] غالبُه للشيخ محمد عابد بخطه، جاء في آخره ثلاثُ لوحات، كُتِبَ في إحداها: هذا المجلس الثلاثون من مجالس الأبرار، وعلى اللوحة الأخرى كُتِب: مجلس الأبرار، بدون رقم.

ويبدأ كلٌّ من هذين المجلسين بحديث نبوي من كتاب: «مصابيح السنة»[٢]، ثم يعقبه شرحٌ لهذا الحديث، مع فوائد فقهية وحديثية ولغوية، وتسجيل أسئلةٍ فقهية يُسأل عنها الشيخ، فيجيب عنها.

وخطُّ هذه المجالس قريب جداً من خط الشيخ محمد عابد، وكأنه مكتوب في المجلس على عَجَل، وأيضاً أسلوب الكتاب، وقوة العلم والفوائد فيها، كأسلوب الشيخ محمد عابد وقوته، وعلى هذا يغلب على ظني أن هذَيْن المجلسَيْن من مجالس العلم التي كان يعقدها لشرح هذا الكتاب، والتي سماها: مجالس الأبرار.

* * * * *

---

(١) في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة برقم ٨٢ شلبي.

(٢) للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي الفرّاء، صاحب: (شرح السنة)، المتوفى سنة ٥١٦، وقيل: ٥١٠.

ب - مصنفاته في علم مصطلح الحديث

١- شرح ألفية السيوطي في المصطلح:

أصل ألفية وعمل الإمام جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ رحمه الله تعالى، هو أن الإمامَ أبا عمرو ابنَ الصلاح عثمان بنَ عبدالرحمن، المتوفى سنة ٦٤٣، صنَّفَ كتابَه المشهور المتداول: «علوم الحديث»، الذي عكَفَ عليه الناس، فمِن ناظِمٍ له، ومختصِرٍ، ومستدرِكٍ، وشارِحٍ و.... .

وكان ممن نَظَمَه وزاد عليه الإمام الحافظُ العراقي زينُ الدين عبدُالرحيم بنُ الحسين، المتوفى سنة ٨٠٦، رحمه الله تعالى، وذلك في ألفيته في مصطلح الحديث [١]، وعليها شروحٌ، له ولغيره.

ثم جاء الإمام السيوطي، فكَتَبَ ألفيتَه في مصطلح الحديث، التي حاذى بها ألفيةَ العراقي، وزاد عليها نُكَتاً غزيرة، وفوائدَ جَمَّة [٢]، وسمّاها: «نظم الدرر في علم الأثر»، وله عليها شرح، سمّاه: «البحر الذي

---

(١) أنبه هنا إلى أن ألفية العراقي في المصطلح سمّاها الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٢١٥: «نظم الدرر في علم الأثر»، وكأنه سَبْق قلم منه، فهذا هو اسم ألفية السيوطي، كما جاء في مقدمة شرحه لها (مخطوط في المحمودية برقم ٢٥٦)، أو أن اسمهما واحد.

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٢١٥.

زَخَرَ في شرح ألفية الأثر»، ولم يتم، وقد طُبع مؤخراً سنة ١٤٢٢[1].

* ثم جاء الشيخ محمد عابد فكتب شرحاً على ألفية السيوطي هذه، ولم أقف عليه، لكن ذكره بنفسه في إجازته للعلامة الشيخ إبراهيم بن السيد حسين المخلص، وذلك عند ذكره لبعض مؤلفاته التي أَذِنَ له بروايتها عنه.

والإجازة هذه محفوظة في مكتبة الحرم المكي، برقم (٤٢٦٤) مخطوط، ورقم (٤٢١٠) ميكروفيلم، وسيأتي ذكرها ضمن إجازاته لتلاميذه إن شاء الله تعالى.

وأما عن حجم هذا الشرح، فإنه يغلب على الظن سعته، وأنه بنَفَسٍ طويل، إذ هو شرحٌ لنظمٍ ضمَّ ألف بيت، في فنٍّ خَبَره الشيخ محمد عابد وأتقنه أيما إتقان.

* وبمناسبة ذكر شرح الشيخ محمد عابد لألفية السيوطي، أُذكِّر بأنه ممَّن شَرَحَ هذه الألفية شيخُ الإسلام الإمام المحدِّث عمر بن عبدالوهاب العُرْضي، المتوفى سنة ١٠٢٤ رحمه الله تعالى، الفقيه الكبير، مفتي الشافعية بحلب الشهباء، صاحب التآليف الكثيرة المفيدة[2].

وممَّن شَرَحَ هذه الألفية أيضاً العلامة المقرئ الفقيه الشافعي المحدِّث

---

(١) ينظر كشف الظنون ٢/١٩٦٣، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية، لإياد خالد الطباع ص ٣٢٥، ومن هذا الشرح نسخة في المحمودية بالمدينة المنورة برقم (٢٥٦)، وتاريخ نسخها ١٢٣٩، وعدد أوراقها (٤٦٠)، من وقفيات الشيخ محمد عابد، وهي ليست بخطه، لكنه قابلها بأصولها.

(٢) كما في إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٦/١٩٥.

المسنِد الشيخ محمد محفوظ بن عبدالله التِّرْمِسِي الجاوي ثم المكي، المولود سنة ١٢٨٥، والمتوفى سنة ١٣٣٨، رحمه الله تعالى[١].

وقد سمّى شرحه هذا: (منهج ذوي النَّظَر شرح منظومة علم الأثر) للسيوطي، وهو شَرْحٌ متوسط، مطبوع عدة طبعات، الأولى منها في حياة المؤلف، سنة ١٣٣٢، في (٤٠٨) صفحات، والثالثة منها سنة ١٣٧٤، في مطبعة مصطفى البابي الحلبي، في (٣٠٠) صفحة.

وقد ابتدأ بشرحه غرة ذي الحجة عام ١٣٢٨، وانتهى منه في ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٩، أي في أربعة أشهر وأربعة عشر يوماً، كما جاء ذلك في خاتمة الشرح.

* أما ألفية الإمام السيوطي فقد طبعها الشيخ أحمد محمد شاكر، سنة ١٣٣٢ في القاهرة، بتوزيع مكتبة المنار، بحجمٍ وسط في ٧٩ صفحة، ثم تلتها طبعات عديدة.

كما طبعها الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، وعلَّق عليها تعليقاً مفيداً.

* * * * *

(١) وله مصنَّفات أخرى عديدة في الفقه والأصول والقراءات، له ترجمة في فهرس الفهارس ١/٥٠٣، الأعلام ٧/١٩، سير وتراجم لعمر عبدالجبار ص٢٨٦، وله ترجمة أيضاً في آخر ثبته المطبوع: كفاية المستفيد لما علا من الأسانيد، كتبها مصحِّحه والمعلق عليه العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني رحمهما الله تعالى.

ج - مصنفاته في الأسانيد والتراجم

١ - حصر الشارد من أسانيد محمد عابد :

هكذا جاء اسم الكتاب بخط المؤلف على طرة نسخته [١] المودَعة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة.

وهو ثَبَتٌ في مجلد ضخم، جَمَعَ فيه أسانيده في غالب الكتب المعتبرة، حيث افتتحه بذِكْر أسانيده في القراءات السبع، التي قرأ بها القرآن الكريم، وأخذ بها الإجازة من عمه الشيخ محمد حسين الأنصاري السندي.

ثم ذكر «أسانيدَ غالب الكتب المعتبرة التفسيرية والحديثية والفقهية والصرفية [٢] والنحوية والبيانية والمنطقية والطبية وغيرها، مُجْمَلاً ومفصَّلاً، مرتِّباً أسماء الكتب على حروف المعجم» [٣].

---

(١) وسمّاه تلميذه الشيخ عاكش في حدائق الزهر، وفي عقود الدرر بغير هذا، فقال: «وقد أجازني بما حواه ثبته: قنص الشارد بأسانيد محمد عابد!!»، وكأنه سَبْق قلم منه. والله أعلم.

(٢) (الصرفية) هكذا في الإجازة الآتي ذكرها، نسبة لعلم الصرف، وفي فهرس الفهارس١/ ٣٦٤: (الصوفية)، وواقع «حصر الشارد» أنه حوى أسانيد هذه وهذه.

(٣) وهذا الوصف لحصر الشارد، إنما هو من كلام الشيخ محمد عابد في إجازته لتلميذه عبدالله البخاري (كوجك)، وينظر حصر الشارد لوحة ٢١٢، فهرس الفهارس ٣٦٣/١.

ثم سَرَدَ في آخر الثَّبَت أسانيدَه في المسلسلات كلـها، بأنواعهـا العديـدة الكثيرة، التي أُجيز بها من مشايخه، والتي بلغ عددها ١٦٨ حديثاً مسلسلاً.

* وقد بلغ عدد الكتب التي ذَكَرَ أسانيده إلى مؤلفيها، وأجازه مشايخه بها - فيما أحصيتُه فيه - نحواً من (١٣٠٠) كتاب، مع أنه لم يستوعب كلَّ الكتب، ولا كلَّ أسانيده.

فقد خَتَم كتابَه بقوله: «وهذا آخر ما يسَّر الله تعالى من جَمْعِه في هـذه الأوراق القليلة للأسانيد الجليلة، وقد أعرضتُ عن بعض أسـانيد الكتـب والمسلسلات التي ذكرتُها، وأسانيدِ بعض الكتب التي لم أذكُرْهـا ؛ رَوْمـاً للاختصار، وفيما جمعتُه إن شـاء الله تعـالى كفايـةٌ تامـة، ومنفعـةٌ عامـة، للخاصة والعامة، ولولا تَشَوُّشُ البال، وكثرة العوائـقِ والأشـغال، لكنـتُ أطَلْتُ المقال، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب...».

ثناء العلماء على كتاب حصر الشارد :

لقد نال هذا الثَّبَت العظيم القبولَ التامَّ عند العلماء، وأَثْنَوا عليـه كـثير الثناء، فقد وَصَلَ فيه الشيخ محمد عابد سنده وسـند غـيره مـن معاصـريه وممن جاء بعدهم، فكان لهم اتصالٌ في المسلسلات بصاحب المعجـزات ﷺ، وبوُرّاث النبوة والسـادات، وفي الكتـب المعتـبرة بأصـحابها الأئمـة الثقات، وكان سبباً لتيسير ذلك كلِّه على طالبي الإجازات.

ومن جملة الثناءات التي امتُدح بها هذا الكتـاب، مـا قالـه عنـه عـالم الجزائر ومُسْنِدُها المعمَّر أبو الحسن علي بـن أحمـد بـن موسـى[1]: «هـو الثَّبَتُ الحافِلِ، الذي لم يوجد له في الدنيا نظيرٌ ولا مماثِل».

---

(١) فهرس الفهارس ١/٣٦٤ نقلاً عنه، إذ هو من مشايخ السيد الكتاني.

- وقال عنه محدِّثُ الحجاز ومُسْنِدُه أبو الحسن علي بن ظاهر الوَتَري المدني الحنفي، المتوفى سنة ١٣٢٢ رحمه الله تعالى، تلميذ المحدث الشيخ عبدالغني الدهلوي:

«هذا الفهرس لا يوجد على ما نعلم أوسع منه وأصح»(١).

- وقال العلامة المؤرخ الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي المكي، المتوفى سنة ١٣٥٥ رحمه الله تعالى، عن هذا الثبت بعد أن اعتبره ثَبَتَيْن:

«وهما كتابان نفيسان، لم يسَمْح الزمانُ بمِثْلِهما»(٢).

- وقال عنه المحدِّث العلامة السيد محمد عبدالحي الكتاني، وهو ابن بَجْدة فنِّ الأثبات والأسانيد، المتوفى سنة ١٣٨٢ رحمه الله تعالى:

«وعلى الشيخ محمد عابد المدار اليوم في هذه الصناعة، وهو إمام أهلها، وناهيك بحصر الشارد الذي لم يُدَوِّن أحدٌ في جِيله ما يشبهه أو يقاربه في الجَمْع والتفنُّن والجِرْم، فجازاه الله عن السنة وأهلها خيراً»(٣).

- وقال العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، المتوفى سنة ١٣٧١ رحمه الله تعالى:

(وله «حَصْر الشارد» من أنفع وأوسع الأثبات المؤلَّفة في القرن الهجري السابق) (٤).

---

(١) فهرس الفهارس ١/٣٦٤ نقلاً عنه، إذ هو من مشايخه.

(٢) فتح الملك المتعالي ج٣ لوحة ٥٤، وسيأتي ص٣٦٧ التنبيه على خطأ من جعل للشيخ محمد عابد ثبتين اثنين.

(٣) فهرس الفهارس ١/٣٧١.

(٤) في تقديمه لترتيب مسند الشافعي ص ٧.

النُّسّخُ الخطية لكتاب حصر الشارد :

١- توجد نسخة المؤلف بخطه في المكتبة المحمودية ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم (٣٦٥) محمودية، وتاريخ نسخها وانتهاء المؤلف منها سنة ١٢٤٠، في بندر المَخَا باليمن، وتقع في (١٥٤) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاتها (٢٩) سطراً.

وتوجد صورة ورقية عنها في مكتبة الحرم النبوي الشريف، برقم الحاسب الآلي (٥٤١٨)، والرقم الخاص (٢١٣,٧/٤).

٢- كما توجد نسخة خطية أخرى، نُسخت عن نسخة المؤلف، وقوبلت عليها، في مكتبة عارف حكمت، ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم تصنيف (٢٣١/٣٨).

وتاريخ نسخها سنة ١٣٢٣، وتقع في (٣١٤) لوحة، ولم يذكر الناسخ اسمه، وهي التي عزوتُ إليها في الحواشي.

وتوجد صورة ورقية عنها في مكتبة الحرم النبوي، برقم الحاسب الآلي (٥٤١٩)، والرقم الخاص (٢١٣,٧/٤).

٣- وفي مكتبة الحرم المكي برقم (٧٦١ عام) توجد نسخة خطية ثالثة، تتكون من جزءين في مجلد واحد، ينتهي الجزء الأول منها بآخر حرف السين من أسماء الكتب، ويقع في (١٧٠) صفحة، ويبدأ الجزء الثاني بأول حرف الصاد، وينتهي بآخر الكتاب، ويقع في (٢٩٣) صفحة، فيكون عدد صفحات هذه النسخة (٤٦٣) صفحة، أي (٢٣٢) لوحة.

وتاريخ نسخها عصر يوم الأربعاء المبارك، في ٦ ذي القعدة الحرام، سنة ١٣٢٢، ولم يذكر الناسخ اسمه، لكن ذكر أنه نسخها من نسخة

المؤلف الشيخ محمد عابد السندي.

٤- وهناك نسخة رابعة خطية ناقصة في مكتبة الحرم المكي، برقم (٧٦٢)، تنتهي بآخر حرف الياء من الكتب، وليس فيها ذكر المسلسلات، ولم يذكر فيها تاريخ النسخ، ولا اسم الناسخ، وكأنها نسخةٌ مؤلَّفة من جزءين، وهذا هو الجزء الأول منها، والله أعلم.

وهذه النسخة كانت ملكاً للشيخ عبدالقادر ابن الشيخ أحمد الخطيب الطرابلسي الشامي، خطيب المسجد النبوي، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣١٦[١].

وعلى غلاف هذه النسخة إجازة من تلميذ الشيخ محمد عابد الشيخ عبدالغني المجددي الدهلوي بثَبَتِه: «اليانع الجني بأسانيد الشيخ عبدالغني»، أجاز بها مالكَ نسخة حصر الشارد، الشيخ عبدالقادر الطرابلسي، وتاريخ الإجازة سنة ١٢٨٢.

وعلى النسخة حواش مفيدة بخط الشيخ عبدالستار الدهلوي.

٥- وتوجد نسخة خطية خامسة في دار الكتب المصرية، في الخزانة التيمورية، برقم (٣١٠) مصطلح، وفيلم برقم (٤٦٢١٩)، وتقع في (٣٤٥) ورقة.

٦- واستفدت من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

(١) وله عدة مصنفات، منها رسالة في تحرير المقادير الشرعية من المكاييل والموازين على المذاهب الفقهية الأربعة، مطبوعة، وهو غير الشيخ عبدالقادر بن توفيق الشلبي الطرابلسي المدني، الشهير بالشلبي، المولود سنة ١٢٩٥، والمتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣٦٩، رحمه الله تعالى، والثاني هو تلميذ للأول.

بالرياض، أنه توجد نسخة من حصر الشارد في مكتبة أحمد بن حسن العطاس، في مدينة (حريضة) باليمن برقم (٣٢٩).

٧- وفي الفهرس الشامل ٢/٧٣١ ذِكْرٌ لنسخةٍ من حصر الشارد في مكتبة رضارامبور ١/٥٩٦.

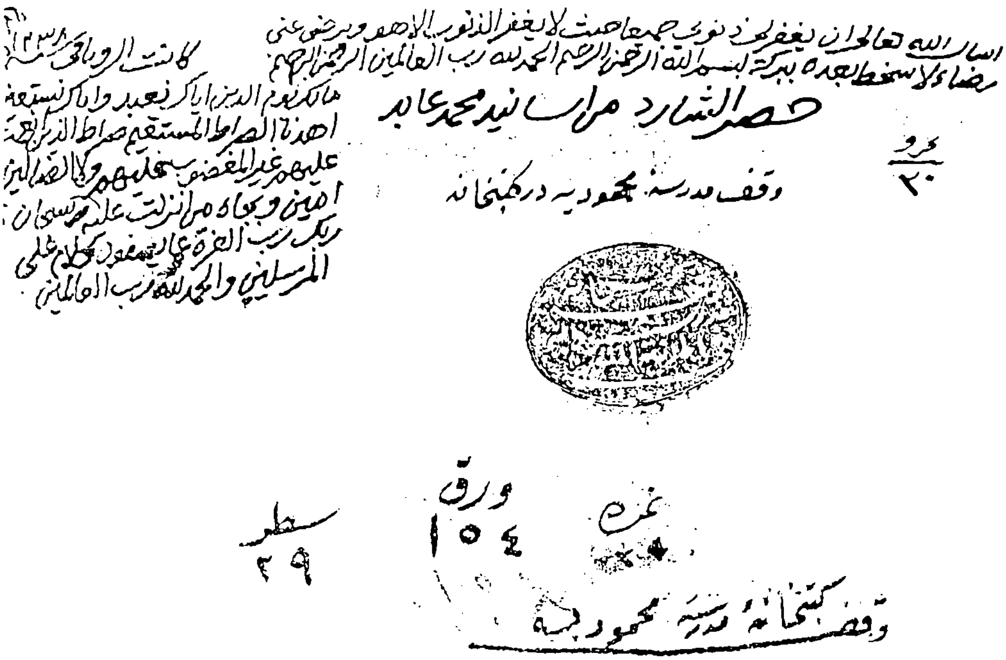
٨- ونسخة ثامنة أيضاً محفوظة في مكتبة بيرجَنْدو في السند، نُسخت عام (١٣٥٥) عن نسخة بتاريخ ١٣٠٦.

* وهناك نُسَخٌ أخرى في اليمن وغيرها، ولم أُرد استقصاء ذِكْرها، وإنما أردت الإشارة إلى كثرتها، وأن الكتاب نال حظاً وافراً من الاعتماد والقبول عند العلماء، حتى استُنسخت منه هذه النُّسَخَ الكثيرة في مشارق الأرض ومغاربها.

* ويُنبَّه هنا أن بعضهم جرَّد مسلسلات حصر الشارد في كتاب مستقل[١].

* وفيما يلي صورة عن صفحة الغلاف مع الصفحة الأخيرة من نسخة المؤلف:

(١) ينظر فهرس الفهارس ٢/٦٦٤.


حصر الشارد من أسانيد محمد عابد

وقف مدرسة محمودية دركتبخانه

وقف كتبخانه مدرسه محموديه

صورة لصفحة الغلاف من كتاب «حصر الشارد» بخط الشيخ محمد عابد

١٥٣

وفيما جمعته ان شاء الله تعالى كفاية تامة ومنفعة عامة للخاصة والعامة ولولا تشوش
البال وكثرة العوائق والاشغال لكنت اطلت المقال وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه
انيب واسأل الله تعالى ان يصلي ويسلم على خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين
وحبيب رب العالمين وصفوة عباد الله اجمعين سيدنا محمد الشفيع المشفع يوم
الدين وعلى آله واصحابه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون صلوة وسلاما
تنشرح بها صدورنا وتتنور بها قلوبنا وتغفر بها ذنوبنا وتمحى بها سيئاتنا وتبدل
بها حسنات انه مفيض كل خير وجود ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله
تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وقد اجزت كافة من ادرك حياتي من المسلمين
ان يرووا عني جميع ما اشتمل عليه هذا السفر الكريم بالاسانيد التي ذكرتها بشرطه
المعتبر عند ائمة الحديث والنقل والسنة والاثر وارجو من كل من طالع فيه ان لا ينساني
من الدعاء بالمغفرة من الذنوب فقد ارتكبت منها ما لو ظهر لبعض ادناها ريحها
لانتن العالم ولا يسعني الا ان اقول بلسان الحال والمقال اللهم مغفرتك اوسع من
ذنوبي ورحمتك ارجى عندي من عملي يا غفار الذنوب ويا ستار العيوب اغفر
ذنوبنا كلها دقها وجلها واولها وآخرها سرها وعلانيتها انه لا يغفر الذنوب
الا انت اللهم لا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين
واسألك يا الله ان ترد لي الى المدينة المشرفة في اسرع مدة واسر حال وترزقني
الاقامة بها وتوسع علي رزقك وتحفظني فيها انك من كل مخافة وشر كل ذي
شر وتعصمني من كل سوء وتأخذ بناصيتي الى ما يرضيك عني وارض عني
رضاء لا سخط بعده انك اهل التقوى واهل المغفرة واسألك ان تميتني في
بلد نبيك مرضيا عني مغفورا مستورا مرزوقا مجبورا منعما علي في البرزخ
ودار الكرامة محفوظا من اهوال يوم القيامة وترزقني مجاورة نبيك صلى الله
تعالى عليه وسلم حيا وميتا وفي يوم القيامة انك على ما تشاء قدير وبالاجابة جدير
يا من لا يعجزه شيء صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه استجب دعائي وادركني
بعفوك وعافيتك في الدنيا والآخرة وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم كمل هذا بخط جامعه محمد عابد بن احمد علي الانصاري السندي النقشبندي
في رجب سنة ١٢٤ ببلد النبي والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات سبحانك
لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولك الحمد حتى ترضى وصلى الله تعالى
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صورة للصفحة الأخيرة من كتاب «حصر الشارد» بخط الشيخ محمد عابد

٢ - روض الناظرين في أخبار الصالحين :

ذكر هذا الكتاب بهذا الاسم الشيخ محمد عابد في مواضع عديدة من شرحه لمسند الإمام أبي حنيفة: مُحِيلاً إليه، مصرِّحاً باسمه، وأنه من تأليفه.

منها ما جاء في «المواهب اللطيفة»[(١)] حين ذكر ترجمة أحدَ رجال سند الحديث الذي يشرحه، وهو الإمام التابعي الشهير سعيد بن جُبَيْر، وترجم له بنحو نصف لوحة، ثم قال: (وهو ذو مناقب كبيرة، وفضائل عديدة، وقد ذكرتُ فضائلَه في كتابي المسمى: «روضُ الناظرين في أخبار الصالحين») اهـ.

وفي المواهب اللطيفة [(٢)] أيضاً، عند ذكره لترجمة رجلٍ آخر من رجال سند حديثٍ آخر يشرحه، وهو الإمام الأوزاعي الفقيه الشهير، وقد ترجم له بنحو نصف لوحة، ثم قال:

(وقد استوفيتُ مناقبَه في كتابي: «روض الناظرين في أخبار الصالحين»). اهـ

* وهكذا يظهر من هذَيْن النصَّيْن أن الكتاب واسع جداً، كما عوَّدنا الشيخ محمد عابد في غالب كتبه، فهو يترجم للراوي بنصف لوحة، أي صفحة مخطوطة كاملة، ثم يُحيل بعد هذا لاستيفاء مناقبه إلى

---

(١) ج١ لوحة ٣٠٢ أ.

(٢) ج١ لوحة ٢٢٤ أ.

كتابه: «روض الناظرين».

* وذَكَرَه أيضاً الشيخ محمد عابد في إجازته [(١)] للعلامة الشيخ السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص، ضمن مؤلفاته التي أجازه بها، وأَذِن له بروايتها عنه.

ولم أقف على أثرٍ للكتاب في المخطوطات، بعد بحثي الطويل عنه فيما تيسر لي.

* وإن إحالة الشيخ محمد عابد إلى هذا الكتاب في شرحه لمسند أبي حنيفة، يدل على أن تأليفه له كان مبكراً، حيث انتهى الشيخ محمد عابد من تسويد كتابه: المواهب اللطيفة سنة ١٢٣٢.

* أما موضوع الكتاب ومحتواه، فعنوان الكتاب يدل عليه، وكأنه على غِرار «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني.

* * * * *

(١) الآتية الذكر قريباً.

٣- تراجم مشايخ الشيخ محمد عابد السندي ومشايخِهِم وأحوالِهِم إجمالاً:

هكذا جاء العنوان على المخطوط الذي وقفتُ عليه، مع أنه لم يترجِم فيه الشيخ محمد عابد إلا لشيخٍ واحد له فقط، وهو العلامة الشيخ يوسف ابن محمد بن علاء الدين المِزْجاجي، وبه استفتح التراجمَ، ثم جاءت بقية الصفحات لتراجم شيوخِ شيوخه.

والغريب أنه افتُتِحتْ صفحات الكتاب بعد البسملة بعنوان: «الفصل الثاني في ذكر مشايخي ومشايخهم وأحوالهم، فأما شيخنا العارف بالله النِّحرير الشيخ يوسف بن محمد بن علاء الدين المِزْجاجي...».

وليس هناك أي مقدمةٍ للكتاب، فيا ترىٰ ما هو الفصل الأول للكتاب؟ وأين هو؟ وما هو وضع الكتاب ؟.

ثم انتهت صفحات المخطوط بترجمة شيخ شيوخه العلامة الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي، المتوفى سنة ١٢٠١، وفي آخرها ذَكَرَ الشيخ محمد عابد بعضَ الآخذين عنه، ومنهم والدُه وعمُّه رحمهم الله جميعاً.

* وتاريخ هذه النسخة الخطية للكتاب سنة ١٣١٤، ولم يذكر الناسخ اسمَه، وكُتِب في الحاشية بخطٍ مغاير: «إلى هنا وُجد من خط المؤلف، وحصلت المقابلة، والحمد لله على ذلك» اهـ.

وهذه النسخة محفوظة في مكتبة الحرم المكي، ضمن كُتُب الشيخ عبدالستار الدهلوي، برقم (٢٧٨٢ عام)، وبرقم (٢٥٣٧) ميكروفيلم،

وهي في (٦٩) صفحة، وفي كل صفحة (٢١) سطراً.

وعنها صورة أيضاً في مكتبة الحرم النبوي الشريف، برقم الحاسب الآلي (٥٨٥٦)، والرقم الخاص (٣٤/٩٢٠).

* وقد ذَكَرَ هذا الكتاب ضمن مراجعه ومصادره الميرداد في مقدمة كتابه: نَشْر النَّوْر والزَّهَر[1] فقال: «ومنها مجموعة للمحدِّث الشيخ محمد عابد السندي الحنفي، جَمَعَ فيها مشايخَه وشيوخَهم، وترجم لهم». اهـ، ونَقَلَ منه في مواطن عدة من كتابه[2].

* وهكذا بقيتُ مدةً وأنا أتعجب مِن وَضْع هذا الكتاب بهذه الصورة، إلى أن يسَّر الله ما كَشَفَ لي حقيقة الأمر، حيث وقفت على كتابٍ طُبع لأول مرة سنة ١٤١٨، في دار الفكر ببيروت بعنوان: «نُزْهة رياض الإجازة المستطابة بذكر مناقِب المشايخ أهلِ الرواية والإصابة» للعلامة الشيخ عبدالخالق بن علي بن الزين المزجاجي الزَّبِيدي، المتوفى سنة ١٢٠١، وهو من مشايخ شيوخ الشيخ محمد عابد السندي.

وقد جاء في مقدمته: (أما بعد: فيقول الفقير إلى الله سبحانه عبدالخالق بن علي المزجاجي، كان الله سبحانه له فيما له من فضله راجي: إنه طَلَبَ مني الولدُ العلامة، ذو الهِمَّة العَلِيَّة والشَّهامَة، الكريم الجواد الوَسْمي: علي بن إسماعيل النهمي[3]... أن أجيزه في كل ما تجوز

(١) ص ٣٦ من مختصر نشر النور والزهر.

(٢) ينظر على سبيل المثال: نظم الدرر مختصر نشر النور والزهر لعبدالله غازي ص ١٤٦، مختصر نشر النور والزهر ص ٢٠٢، ٢٩٠.

(٣) المتوفى سنة ١٢٣٢، له ترجمة في البدر الطالع ١/٤٣٣.

لي روايته من مسموعٍ ومقروءٍ من العلوم الشرعية... وذَكر أن أذكر له شيئاً من مناقب مشايخي ومشايخهم، والآخذين عليهم وأحوالي... فأجبتُه إلى ذلك... وسمَّيتها: «نزهة رياض الإجازة المستطابة بذكر مناقب المشايخ أهل الرواية والإصابة» مشتملة على فصلين وخاتمة) [١] اهـ.

وقد جاء الفصل الأول في أسانيده بالمسلسلات، وكُتُبِ الأحاديث وغيرها، من صفحة (١٩) إلى صفحة (١٢٠).

ثم بدأ الفصل الثاني صفحة ١٢١ فقال: «الفصل الثاني: في ذكر مشايخي ومشايخهم وأحوالي»، وبدأ بترجمة شيخه العلامة الشيخ محمد ابن علاء الدين المزجاجي، إلى أن وصل إلى ذكر مَن أخذ عنه، فذكر ولدَه العلامة الشيخ يوسف بن محمد بن علاء المزجاجي، وهذا في صفحة ١٢٥، وترجم له أيضاً.

ثم استمر الكتاب في ذِكْر مشايخ الشيخ عبدالخالق إلى صفحة (٢٨٥)، فذكر ترجمةَ نفسِه وأسانيدَه، إلى آخر الكتاب صفحة (٤١٠).

* وبعد هذا العرض المجمل لمضمون كتاب: (نزهة رياض الإجازة)، أعود لموضوع كتاب الشيخ محمد عابد السندي في تراجم شيوخه ومشايخهم، فالذي ظهر لي تماماً، أن الشيخ محمد عابد السندي قد لخَّص كتابَه هذا، من كتاب: «نزهة رياض الإجازة» حرفياً، وزاد عليه زيادات ليست بالكثيرة جملة، لكنها واضحة بمقارنة الكتابين، وهي زيادات مفيدة لا تجدها عند غيره، سمعها من مشايخه هو [٢].

---

(١) ص ١٦-١٧ من نزهة رياض الإجازة.

(٢) ينظر على سبيل المثال: ترجمة العلامة الشيخ أبي الحسن السندي الكبير في كتاب =

* وقد صرَّح الشيخ محمد عابد في أكثرٍ من موضعٍ من كتابه بالنقل عنه، فيقول: (قال الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي...)، دون تسميته لاسم الكتاب الذي نقل عنه، وهو: نزهة رياض الإجازة.

وهكذا لما كانت بداية كتاب الشيخ محمد عابد بعد البسملة: (الفصل الثاني: في ذكر مشايخي ومشايخهم وأحوالهم إجمالاً)، وهو بعينه عنوان الفصل الثاني من كتاب نزهة رياض الإجازة، عرفتُ حينئذ سِرَّ بداية كتاب الشيخ محمد عابد بهذا العنوان.

ولكن الشيخ محمد عابد بدأ بترجمة شيخه الشيخ يوسف بن محمد ابن علاء الدين المزجاجي شيخ الشيخ عبدالخالق، التي تبدأ في نزهة رياض الإجازة صفحة ١٢٥، وأنقص ترجمة الشيخ محمد بن علاء الدين المزجاجي شيخ الشيخ عبدالخالق.

وبهذا زال عجبي، وعرفتُ موضوعَ كتاب الشيخ محمد عابد، وأنه تلخيص لذاك، مع زيادات أتى بها.

وأقدِّر أن الشيخ محمد عابد أراد أن يؤلف كتاباً في تراجم شيوخه وشيوخ شيوخه، فلما وقَفَ على كتاب شيخ مشايخه الشيخ عبدالخالق المزجاجي، وهو نزهة رياض الإجازة، لخَّصه فيما وُجد من أوراقٍ بخطه، وذلك كنواة لكتابٍ أوسع من هذا، يتضمن شيوخَه كلَّهم مع شيوخ شيوخه، ولعله شُغِل عن إتمامه، ثم تناقل النّسَّاخُ هذه الأوراق

الشيخ محمد عابد السندي، وما فيها من زيادات، مع مقابلتها بكتاب نزهة رياض الإجازة ص ١٤٤، وكذلك خاتمة الكتاب فيمن أخذ عن الشيخ عبدالخالق بن علي المزجاجي، وذِكْره لوالده وعمه، وغير هذا.

المبدوءة بالفصل الثاني.

* وأما ما وُضع على كتاب الشيخ محمد عابد من العنوان السابق، فالغالب أنه مِن تصرُّف مَن وقَفَ على هذه الأوراق، فعَنْوَنَ لها بعنوان بداية الكتاب.

* * * * *

* تنبيه: فيه تصحيحٌ لما قيل: إن للشيخ محمد عابد ثَبَتَيْن.

بعد أن بيَّنتُ ما سَبَقَ عن كتاب تراجم شيوخه وشيوخ شيوخه، أذكر ما وقَفْتُ عليه من كلامٍ في موضوع هذا الكتاب، للعلامة المؤرخ الشيخ عبدالستار الدهلوي المكي رحمه الله، وأبيّن ما فيه من نظر.

فقد قال في كتابه فتح الملك المتعالي[1] حين ترجم للشيخ محمد عابد:

«وله ثَبَتان في فن الأسانيد: أحدُهما رتَّبه على حروف الهجاء، تسهيلاً للمستفيدين، وآخرُ جَعَلَه على نمط المتقدِّمين رتَّبه على فَصْلين: في أسانيد الكتب، وفي تراجم شيوخه، وهما كتابان نفيسان لم يسمح الزمان بمثلهما» اهـ.

فقد جعل الشيخ عبدالستار ثَبَتَيْن للشيخ محمد عابد، أولهما: «حصر الشارد» المتداول، المرتّب على حروف الهجاء، والثَّبت الآخر مرتب

---

(١) ج ٣ لوحة ٥٤.

على فصلين: الأول منهما في أسانيد الكتب، والفصل الثاني في تراجم شيوخه، وهو الأوراق السابقة الذكر!؟.

وهذا الكلام فيه نظر، والصواب أن للشيخ محمد عابد ثبتاً واحداً وهو: حصر الشارد، والقسم الأول منه في أسانيد الكتب، والقسم الثاني في أسانيد المسلسلات، وهو خِلْوٌ تماماً عن تراجم مشايخه.

وأما الأوراق السابقة الذكر، التي هي في تراجم شيوخه وشيوخ شيوخه، فقد تمَّ بيان وَجْهها وأصلها، وهي التي جعلت الشيخ عبدالستار الدهلوي يقول ما نقلته عنه، والله أعلم.

* * * * *

٤ - مجموعة إجازات كتبها الشيخ محمد عابد السندي لبعض تلاميذه:

كَتَبَ الشيخ محمد عابد بخطه إجازات عديدةً مفردةً لعددٍ من تلامذته، سمَّاهم في مقدِّماتها، ومما وقفت عليه منها، أو على نقلٍ عنها:

١- إجازته لتلميذه الحاج محمد مبارك، وهي في ثلاث صفحات، بتاريخ سنة ١٢٢٣، محفوظةٍ في المكتبة المحمودية، في مجموع رقمه (٢٦٥٢)، وهي الرسالة الثالثة منه، وقد سميت في فهارس المحمودية باسم: مسانيد الشيخ محمد عابد السندي.

وعنها صورة في مكتبة الحرم المكي على ميكروفيلم، برقم (٢/٣١٧٧)، وفُهرست بعنوان: مسانيد الشيخ محمد عابد السندي.

٢- إجازة للشيخ السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص، وقد وصفه الشيخ محمد عابد في مقدمتها بقوله:

«... وكان منهم مولانا العلامة الفهامة، سلالة العلماء العاملين، ونُخبة الفضلاء المحقِّقين السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص، أعلى الله تعالى في الدارَيْن مراتبَ سَعْده، ورفع مراقي جَدِّه، فطلب مني الإجازة...».

وذكر فيها الشيخ محمد عابد بعضاً من مؤلفاته التي أجازه بها، ومنها شرح ألفية السيوطي في المصطلح، ولم أر ذكراً لهذا الكتاب في غير هذا الموضع.

وهذه الإجازة في ثلاث صفحات، محفوظة ضمن مجموع في مكتبة الحرم المكي، برقم (٥/٤٢٦٤) عام، وبرقم (٥/٤٢١٠) ميكروفيلم، وهي منسوخة عن نسخةٍ بخط الشيخ محمد عابد، وتاريخ الإجازة في

ربيع الأول سنة ١٢٤٤.

٣- إجازتان للشيخ عارف حكمة، ساق نصَّهما الآلوسي في «شَهِيِّ النَّغَم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحِكَم»[١]، إحداهما في ربيع الآخر سنة ١٢٣٥، والثانية في جمادى الأولى سنة ١٢٣٥، في المسجد الشريف النبوي، وقد وقفتُ على الأولى منهما بخط المؤلف، على ظهر رسالة الشيخ محمد عابد: «كشف الباس»، كما تقدم.

٤- وساق الكتاني [٢] طَرَفاً من كلام الشيخ محمد عابد في إجازته لتلميذه عبدالله البخاري (كوجك)، وفيها وَصْفُ الشيخ محمد عابد لمَا جَمَعَه في ثَبَتَه: «حصر الشارد»، وهي محفوظة عند السيد الكتاني [٣]، رحمه الله تعالى.

٥- وذكر الكتاني أيضاً حين عدَّ كبار تلاميذ الشيخ محمد عابد المجازين منه، والذين يروي الكتاني عنهم كتاب: «حصر الشارد»، ذكر أولهم الشيخ عبدالغني الدهلوي، وقال: «وكتَبَ له إجازة حافِلة عندي نسختُها»[٤].

٦- كما ذكر أيضاً أن إجازة الشيخ محمد عابد لتلميذه محمد برهان الحق بن محمد نور الحق الأنصاري اللكنوي الهندي، موجودة بخط

(١) ص ٢٠٣، ٢٠٥.

(٢) فهرس الفهارس ١/٣٦٣-٣٦٤.

(٣) فهرس الفهارس ١/٣٦٧، ومنها أيضاً نسخة في جامعة الملك سعود بالرياض، في أربع صفحات، ضمن مجموع برقم (١٥٣٦)، وهي الرسالة الثالثة منه، وقد حصلت على صورة عنها.

(٤) فهرس الفهارس ١/٣٦٥.

الشيخ محمد عابد على ظهر نسخةٍ من حصر الشارد استكتبها، والنسخة موجودة بفَرَنْكي مَحَلّ في الهند.

وغير هذه من الإجازات الكثيرة التي لم تَصِل إلينا.

* وأشير هنا إلى أن هذه الإجازات المفردة لكلٍ من تلاميذ الشيخ محمد عابد، لا تخلو كل واحدة منها من فوائد عظيمة، إذ هي من كتابة إمامٍ فَذٍّ عظيم.

ومن هذه الفوائد على سبيل المثال ما تقدم في إجازته لعبدالله البخاري من وَصْف عمله في حصر الشارد.

ومنها ذِكْرُه لمؤلفاته التي أجاز بروايتها عنه، والتي قد لا يوقف على ذكرها إلا في هذا الموضع، كما في إجازة السيد إبراهيم المخلص، وذِكْره لشرح ألفية السيوطي، فلم أر مَن ذكر هذا للشيخ محمد عابد إلا هنا من كلامه نفسه.

ومنها ما يذكره من أوصافٍ علمية لشيوخه الذين يذكرهم في الإجازات، ولتلاميذه الذين يُجيزهم، ولا شك أن هذا مفيد جداً في تراجمهم، ومعرفة مكانتهم.

كما أن ذِكْر أماكن الإجازات وتواريخها، يفيد في معرفة رحلات الشيخ محمد عابد، ونَشْره للعلم هنا وهناك، مما يزيدنا ثراءً في ترجمة وحياة هذا الإمام صاحب الإجازات.

وغير هذا من الفوائد الكثيرة، التي يمكن جمع شواردها بالقيام بدراسةٍ خاصةٍ لهذه الإجازات، لو يسّر الله الوقوف عليها.

* * * * *

الفصل الثالث

إبداعه في علم الفقه وأصوله، ومصنفاته الفقهية

لقد جاء ثناء العلامة الشوكاني وغيره على الشيخ محمد عابد بإتقانه للفقه الحنفي وأصوله، وهو بَعْدُ شابٌ في أول عِقْد الثلاثين من عمره، فكيف به وقد شاب؟ وفَتْحُ الفتَّاح عليه في العلوم كلها في ازدياد، وبخاصةٍ في الحديث والفقه.

وقد سخَّر الشيخ محمد عابد معرفته بالحديث الشريف، لأهم ما جاءت به السنة النبوية، وهو الاستدلال بها، واستنباط الأحكام منها، حيث هي المصدر الثاني من مصادر التشريع.

كما اجتمع له مع إتقانه للمذهب الحنفي وأصوله وفروعه، اليد الطولى أيضاً في علم الفقه العام المقارن بين المذاهب الأربعة وغيرها.

وناهيك بكتابه: «طوالع الأنوار شرح الدر المختار»، ليشهد أكبر شهادة على إمامته في الفقه الحنفي فروعِه وأصولِه، ومعرفةِ أدلة مسائله، ومأخذِ كل حكمٍ من أحكامه، واطلاعه على كتب المذهب المتصلة به من قريبٍ أو بعيد، مع إيراده للمذاهب الأخرى عَرَضاً بأدلة ومناقشات.

كما أن للشيخ محمد عابد عدة مجموعات وحواشٍ على كتب الفقه الحنفي، مما يؤكد عنايته به العناية التامة، والاهتمام البالغ به.

وتأتي كتبه التي جعلها شروحاً لأحاديث الأحكام، كشرحه لبلوغ المرام، و شرح مسند الإمام أبي حنيفة، وشرح مسند الإمام الشافعي،

وشرح كتاب تيسير الوصول وغيرها، لتقيم أكبر دليل على إمامته في الفقه العام المقارن بين المذاهب، بل بلوغه درجة عالية في الترجيح بينها، وهذا يظهر بوضوح تام لمن وقف على هذه الشروح.

* ومما يُذكر له في سعة فقهه ودقته فيه، تولّيه منصبَ القضاء سنين طويلة في اليمن في مدينة زبيد[1]، دارةِ العلم والعلماء المشهورة، فقد كان مُكْثه في اليمن أكثر من ثلاثين سنة، ولا شك أن هذه المدة الطويلة في القضاء، أكسبته خبرة علمية وعملية عظيمة، مما عاد به على شخصيته العلمية الفقهية الفذة.

* ويَصِفُه العلامة الشيخ محمد صابر بقوله: «الذي كان في علم القرآن والأحاديث حَبْراً، وفي أقوال الفقهاء والحكماء بحراً»[2].

* ومما يُلفِت الأنظار العلمية في مصنفات الشيخ محمد عابد الفقهية، ويستدعي - وبإلحاح - وقفةً علمية طويلة معه، هو كتابه السابق الذكر: «طوالع الأنوار»، الذي كتَبَه في آخر حياته العلمية في المدينة المنورة، وذلك بعد بلوغه تمام النضج والكمال في العلوم كلها، وبخاصة في الحديث والفقه.

فقد قام بهذا الشرح الحافل المبسوط على كتاب «الدر المختار» في فقه السادة الحنفية، مع التعرّض للمذاهب الفقهية الأخرى أحياناً، والاستدلال الواسع العجيب لما يذكره من مسائل، مع بيانه في الغالب درجة الأحاديث من قوّة وضعف، حتى بلغ الكتاب عشرة آلاف لوحة

---

(١) كما في فهرس الفهارس ٢/٧٢١ نقلاً عن التحفة الخيرية.

(٢) القول السديد (مخطوط).

مخطوطة، بما يعادل نحواً من ستين مجلداً أو أزيد، بحجم مجلدات الكتب المطبوعة في هذا الزمن[1].

وحقاً إن الإنسان ليعجب كل العجب، حين يسمع بعمله الموسوعي هذا ويطلع عليه، وسيقف منبهراً أمام هذه الجهود الجبارة التي قام بها الشيخ محمد عابد في هذا الكتاب النادر في وزنه العلمي، وجِرْمِه الحسي، ولكنه عون الله وتوفيقه لأحبابه.

وقد قال عنه صاحب اليانع الجني:

«هو شرح حافل جداً، استوفى فيه غالبَ فروع مذهب أصحابه، واستوعب مسائلَ الواقعات والفتاوى، بحيث إنه لو قيل: لم يَفُتْه منها إلا النَّزْر اليسير لم يُبْعِد ذلك البُعْد» اهـ.

وهو كتاب عظيم ينادي بنفسه، ويدعو للاهتمام به لإخراجه، وإيقاف أهل العلم عليه، وليكون رافداً جديداً لمكتبة الفقه الإسلامي عامة، ولمكتبة الفقه الحنفي خاصة[2].

---

(١) وهذا يذكّرنا ببعض الأعمال الموسوعية التي كانت في القرن الثالث عشر الهجري، فكان في أوائل ذلك القرن موسوعات الإمام محمد مرتضى الزبيدي، المتوفى سنة ١٢٠٥، صاحب شرح القاموس وشرح الإحياء، وجاء في وسطه الإمام ابن عابدين، المتوفى سنة ١٢٥٢، صاحب الحاشية الضخمة الشهيرة، وكان في ثلثه الأخير الإمام أبو الثناء محمود الآلوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠، صاحب تفسير «روح المعاني»، وغيرهم من كبار العلماء أصحاب المصنفات المبسوطة الكبيرة.

(٢) وقد تمَّ تحقيق قطعة منه من كتاب الطهارة، ونال بها محققها شهادة الدكتوراه، وهو الأخ الكريم الفاضل الشيخ سيد محمد عبدالكريم عبدالغفور السندي، وذلك بجامعة السند (بجامشورو)، ولم أطلع عليها.

وسأعرض فيما يلي إن شاء الله بنوع من الدراسة والتفصيل عن هذا الكتاب، لنرى كبير عمل الشيخ محمد عابد فيه، مع مقارنته بحاشيتي الطحاوي وابن عابدين على «الدر المختار»، ولتظهر مزية كل كتاب.

وبعد ذلك أذكر بقيةَ مؤلفاته الفقهية، وأختمها ببيان المنهج الفقهي للشيخ محمد عابد، مع إيراد نماذجَ من آرائه الفقهية واستدلالاته التي رجَّح فيها غير مذهبه الحنفي.

هذا، مع عرض نماذج من المسائل الفقهية التي بحثها الشيخ محمد عابد على المذاهب الفقهية الأربعة، من خلال كتبه الفقهية وشروحه الحديثية، وبذلك نقف على رحابة وسعة صدره في الفقه، وقوّة مباحثه، وعظيم تدقيقاته.

* * * * *

دراسة خاصة عن كتاب
طوالع الأنوار شرح الدر المختار

إن كتاب: «طوالع الأنوار» هو شرح عظيم لأحد أجلِّ الكتب المعتبرة المعتمدة في فقه السادة الحنفية، وهو كتاب: «الدُّرُّ المختار شرح تنوير الأبصار» لعلاء الدين الحَصْكفي محمد بن علي، المتوفى سنة (١٠٨٠) رحمه الله تعالى.

وأما «الدُّرُّ المختار» فهو شرح لمتنٍ معتمد مهم في فقه الحنفية، وهو: «تنوير الأبصار وجامع البحار» للتُّمُرْتَاشي محمد بن عبدالله، المتوفى سنة (١٠٠٤) رحمه الله تعالى.

وقبل الدخول إلى عتبة دار طوالع الأنوار، ووصف ما في تلك الدار، أذكر فيما يلي تعريفاً موجَزاً بكلٍّ من كتاب: «الدر المختار»، وكتاب: «تنوير الأبصار»، مع نبذةٍ عن مؤلِّف كلٍّ منهما، وبيان جملةٍ من الأعمال العلمية الفقهية التي قامت على كلٍّ من الكتابين، وبخاصة: الدر المختار.

بعد ذلك نَصِل إلى العمل العلمي الموسوعي النادر، الذي قام به الشيخ محمد عابد، وهو كتابه: طوالع الأنوار، ونرى جهوده العظيمة في إنشاء هذا الصرح الفقهي الكبير، مع نماذج مقارنة بينه وبين كلٍ من حاشيتي الطحطاوي وابن عابدين على الدر المختار.

١- التعريف بكتاب: «تنوير الأبصار وجامع البحار»، وذكر نبذة عن مؤلِّفه:

كتاب «تنوير الأبصار وجامع البحار» يقع في مجلد لطيف في فروع الحنفية، جَمَعَ فيه مؤلّفُه مسائلَ المتون المعتمدة، عوناً لمن ابتُلي بالقضاء والفتوى»[(١)]، مع زيادات عليها.

«وهو كتاب جليلُ المقدار، جَمٌّ الفائدة، دقَّق في المسائل كلَّ التدقيق، ورُزق فيه السَّعد، فاشتهر في الآفاق، وهو من أنفع كتب المذهب»[(٢)].

وقال شارحه الحصكفي [(٣)] مثنياً عليه:

«وهو الذي فاق كُتُبَ هذا الفن - أي الفقه الحنفي - في الضبط والتصحيح والاختصار، ولعَمْري لقد أَضْحَتْ روضة هذا العلم به مفتَّحةَ الأزهار، مسلسلةَ الأنهار، من عجائبه ثمرات التحقيق تُختار، ومن غرائبه ذخائرُ تدقيقٍ تُحَيِّر الأفكار».

* وهكذا فمن أهم مزايا هذا الكتاب، أنه جامعٌ لمسائل المختصرات والمتون المعتمدة في المذهب، مثل مختصر الطحاوي والقدوري والمختار للموصلي، وكنز الدقائق والوقاية وغيرها[(٤)]، التي هي كالبحار في الفقه، وهذا هو الذي قَصَده في عنوانه: «جامع البحار»، حيث جمع

(١) كشف الظنون ١/٢٠١.

(٢) خلاصة الأثر للمحبي ٤/١٩، ونقل كلامه ابنُ عابدين في مقدمة حاشيته ١/١٩.

(٣) الدر المختار ١/١٧.

(٤) ينظر المَذهب عند الحنفية ص ٩٣.

هذا المتن غالب مسائلها [١].

وقد طبع متن: «تنوير الأبصار وجامع البحار» في مجلد لطيف يقع في (٢٥٢) صفحة، في المطبعة العامرة المليجية بمصر، بدون تاريخ.

نبذة عن مؤلِّف كتاب: «تنوير الأبصار وجامع البحار»:

هو الإمام الكبير الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالله بن أحمد بن التُّمُرْتاشي الغَزِّي الحنفي، عمدة المتأخرين الأخيار، ورأس الفقهاء في عصره، وعلامة زمانه، صاحبُ التآليف العجيبة المتقنة، وله رسائل كثيرة، المولود سنة ٩٣٩، والمتوفى سنة ١٠٠٤ رحمه الله تعالى.

والتمرتاشي إما نسبة إلى تُمُرْتاش، وهي قرية من قرى خوارزم، أو نسبة إلى جده تمرتاش، وهذا ما رجحه ابنُ عابدين، وأما الغَزِّي فنسبة إلى غزة، بلدة بفلسطين [٢].

* وقد قامت أعمال علمية عديدة على هذا المتن: «تنوير الأبصار» تدل على اهتمام العلماء وعنايتهم البالغة به، واعتمادهم له [٣]، ومن أشهر

---

(١) كما في حاشية الطحطاوي على الدر المختار ١/١٢.

(٢) له ترجمة في خلاصة الأثر ٤/١٨، مقدمة حاشية ابن عابدين ١/١٨-١٩، الأعلام ٦/٢٣٩.

(٣) من هذه الأعمال التي قامت عليه:

١- مِنَحُ الغفّار شرح تنوير الأبصار، في مجلدين ضخمين، لمؤلِّف المتن التمرتاشي، كما في كشف الظنون ١/٥٠١، وتوجد منه نسخة خطية في المحمودية في جزأين تحت رقم (١١٥٠+١١٥١).

٢- وعلى الشرح السابق (منح الغفار) حاشية مفيدة لشيخ الإسلام خير الدين بن =

شروحه: شرح الحصكفي المسمى بالدر المختار، الذي شَرَحَه الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار.

٢- التعريف بكتاب: «الدُّرُّ المختار شرح تنوير الأبصار» للحصكفي.

وهو من أعظم وأشهر شروح: «تنوير الأبصار» للتمرتاشي، وقد أثنى عليه عمدة المحققين في المذهب ابنُ عابدين، في مقدمة حاشيته فقال:

أحمد الرملي، صاحب الفتاوى الخيرية، المتوفى سنة ١٠٨١ رحمه الله تعالى، كما في خلاصة الأثر ٢/١٣٤، وحاشية ابن عابدين ١/٣٢، وقد ردّ في هذه الحاشية على غالب اعتراضات الشارح على الكنز.

٣- ولولده نجم الدين محمد بن خير الدين الرملي، المتوفى سنة ١١١٣ حاشية سماها: لوائح الأنوار على منح الغفار، كما في إيضاح المكنون ٢/٥٧٦، ولمؤلفها ترجمة في الأعلام ٦/١١٩.

وتوجد منها قطعة في المحمودية برقم (١١٤٣)، في (٢٤٤) ورقة.

٤- كما شَرَحَ «تنوير الأبصار» المنلا حسين بن اسكندر الرومي نزيل دمشق، المتوفى نحو سنة ١٠٨٤، كما في إيضاح المكنون ٢/١٥٧٦، وله ترجمة في الأعلام ٢/٢٣٣.

٥- خزائن الأسرار وبدائع الأفكار في شرح تنوير الأبصار، للحصكفي، صاحب الدر المختار، المتوفى سنة ١٠٨٨، كما صرح بهذا في مقدمة الدر.

٦- وشَرَحَه أيضاً الشيخ عبدالرزاق، مدرس الناصرية بدمشق، كما في إيضاح المكنون ٢/٥٧٦.

٧- وكتب عليه شيخ الإسلام بالديار الرومية، وهو المولى محمد بن حسين الأنكوري (الأنقروي) صاحب الفتاوى، المتوفى سنة ١٠٩٨، كتب عليه كتابات في غاية التحرير والنفع، كما في خلاصة الأثر ٤/١٨، وحاشية ابن عابدين ١/١٩، ولصاحبها ترجمة في الخلاصة ٤/٣١٤.

«كتابٌ قد طار في الأقطار، وسار في الأمصار، وفاق في الاشتهار على الشمس في رابعة النهار، حتى أكبَّ الناسُ عليه، وصار مَفْزَعُهم إليه، وهو الحَرِيُّ بأن يُطلَب، ويكون إليه المذهب، فإنه الطراز المُذْهَبُ في المَذْهب، فلقد حوى من الفروع المنقَّحة، والمسائلِ المصحَّحة، ما لم يَحْوِه غيرُه من كبار الأسفار، ولم تَنْسُج على منواله يدُ الأفكار، بَيْدَ أنه لصِغَر حجمه، ووُفور علمه، قد بلغ في الإيجاز إلى حد الإلغاز...» اهـ.

* وأثنى عليه المصنِّف الحصكفي نفسه، فبعد أن ذكر مصادره في الكتاب قال:

«... مع تحقيقات سَنَحَ بها البال، وتلقيتُها عن فحول الرجال، ويأبى الله العصمة لكتابٍ غيرِ كتابه، والمُنْصِف من اغْتَفَرَ قليلَ خطأ المرء في كثير صوابه.

ومع هذا فمَن أتقن كتابي هذا، فهو الفقيه الماهر، ومن ظَفَرَ بما فيه، فسيقول بملء فيه: كم ترك الأوَّلُ للآخر، ومَن حصَّله فقد حَصَل له الحظ الوافر، لأنه هو البحر لكن بلا ساحل، ووابِلُ القَطْر غير أنه متواصل، بحُسْن عبارات، ورَمْز إشارات، وتنقيحِ معاني، وتحريرِ مباني، وليس الخبر كالعَيان، وستقرُّ به بعد التأمل العَيْنان.

فهاكَ مؤلَّفاً مهذَّباً بمهمات هذا الفَنّ، مُظْهِراً لدقائقَ استَعمَلْتُ الفكْرَ فيها إذا ما الليل جَنَّ، متحرّياً أرجحَ الأقوال، وأوجزَ العبارة، معتمِداً في دفع الإيراد أَلْطَفَ إشارة»(١) اهـ.

* وقد طبع الدر المختار مستقلاً في مجلدين، في زمن السلطان

(١) الدر المختار ١/٢٦-٣١.

العثماني عبدالمجيد خان سنة ١٢٧٧، في دار الطباعة العامرة بالآستانة.

وطبع أيضاً في مجلدين في مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بمصر القاهرة، بدون تاريخ، وكذلك طبع في مطبعة الواعظ بالقاهرة على نفقة مدرِّسي مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة في مجلدين.

* وقد كان المصنِّف الحصكفي بدأ بشرح تنوير الأبصار شرحاً مطولاً للغاية، يبلغ عشر مجلدات كبار، وبيَّض الجزءَ الأول منه، وسمّاه: خزائن الأسرار وبدائع الأفكار في شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، فلم يكمله بهذا الطول[١]، وصَرَفَ عِنان العناية نحو الاختصار، وسمى شرحه المختصر وهو المتداول بـ(الدر المختار)، كما صرَّح بذلك في مقدمته[٢].

نبذة عن مؤلِّف الدر المختار:

هو مفتي الحنفية بدمشق الشيخ محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبدالرحمن الحِصْني الأثري، المعروف بعلاء الدين الحَصْكفي، الإمامُ العالم المحدث الفقيه النحوي، مَن أقرَّ له بالفضل والتحقيق مشايخُه وأهلُ عصره، المولود بدمشق سنة ١٠٢٥، والمتوفى بها سنة ١٠٨٨، رحمه الله تعالى.

وله عدة مصنفات، منها: الدُّرُّ المُنْتَقَى شرح الملتقى (ملتقى الأبحر)، مطبوع، وله شرح على المنار في أصول فقه الحنفية سماه: إفاضة الأنوار على أصول المنار، وشرح قطر الندى في النحو، وغيرها من المصنفات.

---

(١) وصل فيه إلى باب الوتر والنوافل، كما في خلاصة الأثر ٤/٦٣، وينظر إيضاح المكنون ١/٤٢٨.

(٢) ١/١٦، وينظر إيضاح المكنون ١/٤٢٨.

* والحصكفي نسبة إلى: حِصن كيفا، وهو من ديار بكر شمالي سورية وجنوب تركيا، وكان القياس أن ينسبوا إليها: الحِصني، كما فعل البعض، لكن نسبوا إلى اسمين أضيف أحدهما إلى الآخر، وركَّبوا من مجموع الاسمين اسماً واحداً، ونسبوا إليه، مثل: عبدالله، فنسبوا إليه: العبدلي، وهكذا (١).

الأعمال العلمية الفقهية على الدر المختار (٢):

لقد كتب الله تعالى السَّعد والقبول لكتاب الدر المختار، حتى غدا العمدة عند المتأخرين في فقه السادة الحنفية، وأصبحت له مكانة عالية، واعتنى به العلماء عناية خاصة، وأكبّوا عليه، واهتموا به اهتماماً بالغاً، فكتبوا عليه الشروح والحواشي والتعليقات، لشرحه وتحقيقه وتحريره وتدقيقه، حتى بلغ عدد الأعمال العلمية التي قامت عليه ـ مما وقفت عليه ـ خمسةً وعشرين عملاً (٣).

وكان من أشهرها تداولاً واعتماداً: حاشية الطحطاوي وحاشية ابن عابدين، وكلاهما مطبوع.

---

(١) له ترجمة في خلاصة الأثر ٤/٦٣، مقدمة حاشية ابن عابدين ١/١٥، الأعلام ٦/٢٩٤.

(٢) كان محل ذِكْر هذه الأعمال في الحاشية هنا، للارتباط غير الوثيق بترجمة الشيخ محمد عابد، ولكن لطولها، واتصالها بطوالع الأنوار، إذ هي مثيلاته، آثرتُ ذِكْرها في صلب صفحات هذه الترجمة.

(٣) وغالب الظن أنه لو تيسَّر الاطلاع على مخطوطات تركيا، لتمَّ الوقوف على أكثر من هذا العدد بكثير، والله أعلم.

وفيما يلي آتي على ذكر هذه الأعمال التي وقفت عليها، مع التعريف بها، لتظهر مكانة «الدر المختار»، وبعدها أخصُّ بالدراسة شرح الشيخ محمد عابد على الدر المختار، وهو طوالع الأنوار، مع مقارنته بحاشيتي الطحطاوي وابن عابدين، لنتعرَّف على قيمته ومكانته العلمية الفريدة.

* أما الأعمال الفقهية على الدر المختار فهي:

١- مفاتح الأسرار ولوائح الأفكار شرح الدر المختار، لابن عبد الرزاق الدمشقي الخطيب، واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، المعروف بابن عبد الرزاق، العالم الفاضل الفقيه الأديب، ولد سنة ١٠٧٥، وتوفي رحمه الله سنة ١١٣٨[١].

وقد وصل في شرحه هذا إلى آخر كتاب الصلاة، ومن كتاب النكاح نبذة رائقة، وتحريرات فائقة[٢].

ومنه نسخة في مخطوطات الظاهرية[٣]، وكذلك في دار الكتب المصرية[٤].

وقد نقل عنه ابن عابدين في مواضع عديدة[٥].

٢- قرة الأنظار على شرح تنوير الأبصار (الدر المختار)، للقاضي أبي الطيب محمد بن عبدالقادر السندي المدني، العلامة الفقيه، المتوفى سنة

(١) له ترجمة في سلك الدرر ٢/٢٦٦، إيضاح المكنون ٢/٥٢٠، الأعلام ٣/٢٩٣.

(٢) كما ذكر المرادي في سلك الدرر ٢/٦٦.

(٣) فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ٢/٤١٦.

(٤) كما في الأعلام ٣/٢٩٣.

(٥) منها حاشية ابن عابدين ١/١٥، ٣٨.

١١٤٩، رحمه الله تعالى، وقد ذكره له مترجموه [١]، ونقل عنه الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار[٢].

ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة في مجلدين، الأول منهما برقم (١١٣١) في ٦٧٤ صفحة، وصل فيه إلى كتاب الربا، والثاني برقم (١٣١٢)، في ٧٠٤ صفحة.

٣- حاشية على الدر المختار، للعلامة الشيخ السيد أمين ابن السيد حسن المِيرغني [٣]، الفقيه الحنفي المكي، الجهبذ المحقق، كان على جانبٍ عظيم من التقوى والزهد والورع والصلاح، المتوفى بمكة المكرمة سنة ١١٦١، رحمه الله تعالى.

له مصنفات عديدة، فيها تحريرات فائقة، منها حاشية على شرح الزيلعي على الكنز (تبيين الحقائق)، وله رسائل عديدة [٤].

٤- ومن محفوظات المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة كتاب: دلائل الأسرار على الدر المختار، لخليل بن محمد بن إبراهيم الفتَّال الدمشقي، المتوفى سنة ١١٨٦[٥]، وهو في (٥٥٨) صفحة، برقم (١٠١٩)، وذكر

---

(١) له ترجمة في نزهة الخواطر ٦/١٦، تراجم أعيان المدينة المنورة ص ٨٨، لكن البغدادي في إيضاح المكنون ٢/٢٢٣ جعل وفاته سنة ١٢٠٠.

(٢) في عدة مواضع، منها في كتاب الشركة والوقف.

(٣) أصل كلمة (ميرغني): أمير غني، كما في مختصر نشر النور ص ١٣٦.

(٤) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ١٣٥، أعلام المكيين ٢/٩٥٠.

(٥) له ترجمة في سلك الدرر ٢/٩٩، الأعلام ٢/٣٢٢.

الزركلي وجود نسخة منه في بغداد.

ووصفها المرادي[١] بأنها «حاشية جليلة مفيدة».

ورأيت الشيخ محمد عابد ينقل عن هذه الحاشية في طوالع الأنوار[١].

٥- حاشية على الدر المختار، للإمام العلامة المحدث الفقيه الشيخ أبي الحسن السندي الصغير، المتوفى سنة ١١٨٧[٢]، رحمه الله تعالى، وقد نقل عنها الشيخ محمد عابد السندي في طوالع الأنوار[٣].

٦- حاشية على الدر المختار للعلامة المحقق المدقق الشيخ إبراهيم ابن مصطفى بن إبراهيم الحلبي، المتوفى سنة ١١٩٠، رحمه الله تعالى[٤]، سمّاها: تحفة الأخيار، وهي من محفوظات الأزهرية بالقاهرة، ومنها نسخة أيضاً في قصر(طوب قابي سراي) في تركيا، برقم ٤١٦٠.

٧- وللإمام ابن عابدين صاحب حاشية رد المحتار ـ الآتي ذكره ـ، حاشية خاصة على حاشية الحلبي هذه، تتبَّعه فيها، وسماها: رَفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار[٥].

٨- سِلك النُّضار[٦] على الدر المختار، للعلامة الفقيه المحدِّث

---

(١) ج١ لوحة ٤٢٧.

(٢) تقدمت ترجمته في مقدمة البحث.

(٣) ج ١ لوحة ٦٤٣، وفي كتاب الشركة والوقف وغيرها من المواضع.

(٤) له ترجمة في إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ ٧/٩٣-٩٥، الأعلام ١/٧٤.

(٥) أعيان القرن الثالث عشر ص ٣٨.

(٦) النُّضَار بالضم: الذهب. والجوهر الخالص من التِّبْر. القاموس المحيط (نضر).

الأديب المفنَّن، الذكي البارع الشيخ عبدالقادر بن صالح بن عبدالرحمن البانقوسي الحلبي، المولود بحلب الشهباء سنة ١١٤٢، والمتوفى بها سنة ١١٩٩[١]، رحمه الله تعالى.

وهو شرحٌ على الدر المختار، لكن لم يتمّه، وبيَّض من مسوّداته مجلدين، وصل فيهما إلى كتاب الصوم.

وذكر الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ في إعلام النبلاء[٢]، أن «المسودة موجودة بخطه عند أسعد أفندي العينتابي، من وجهاء حلب، والمبيضة موجودة عند المرحوم الشيخ إبراهيم أفندي المرعشي، وهي في مجلدين ضخمين». اهـ

وتوجد نسخة منه أيضا في متحف طوب قابي سراي بتركيا، ورقمها (٤١٦٩).

٩- حاشية على الدر المختار، للإمام العلامة القاضي الفقيه الحنفي المكي الشيخ جمال الدين محمد بن محمد الأنصاري.

ولد بمكة المكرمة، ونشأ فيها، وقرأ على كبار علمائها، منهم العلامة السيد أمين ميرغني وغيره، حتى برع وصار إماماً.

له تصانيف عديدة مفيدة، منها شرح على كنز الدقائق، وشرح على المنسك الصغير للملا رحمة الله، وشرح على المنسك الأوسط له.

---

(١) له ترجمة في سلك الدرر ٣/٤٩-٥٦، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٧/١١٣، الأعلام ٤/٣٩.

(٢) ٧/١١٤ في الحاشية.

قال العلامة الشيخ أحمد أبو الخير الميرداد في نشر النور والزهر[1]: «وحاشيته على الدر المختار هي إحدى الحواشي المعتبرة المرادة عند إطلاق قول العلامة ابن عابدين: (قال بعض المحشّين)، كما علمتُ ذلك بالتتبع لما هنالك، ونبّهتُ في هامش نسختي من رد المحتار». اهـ

ولم ينص الميرداد على سنة وفاته، وقال: إنه من أهل القرن الثاني عشر، رحمه الله تعالى.

١٠- حاشية على الدر المختار للعلامة الفقيه الشيخ مصطفى زين الدين بن محمد بن رحمة الله بن عبدالمحسن بن جمال الدين الأيوبي، نسبة إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، الخزرجي الحنفي الدمشقي، ثم المدني، ثم المكي، الشهير بالرحمتي.

ولد سنة ١١٣٥، وجاور بالمدينة المنورة سنة ١١٨٧، ثم انتقل إلى مكة المكرمة، وتوفي قُرْبَ الطائف في السَّيْل سنة ١٢٠٥، ودفن هناك، رحمه الله تعالى.

وحاشيته على الدر المختار في ثلاثة أجزاء: جزأين على القسم الأول من الدر المختار، وجزء من الآخر، ولم يتيسر له إتمامه، ومع هذا فعليها المعوَّل، كما في نشر النَّوْر والزهر[2]، ولذا يُلحظ أن ابن عابدين يُكْثر النقل عنها في حاشيته، وكذلك الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار.

---

(١) المختصر ص ٤٠٥، وقد ترجم له في هذا الموضع.

(٢) مختصر نشر النور والزهر ص ٤٩٨، وله ترجمة في ثَبَت ابن عابدين (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي) ص ٣١، أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم ص ٣٠، الأعلام ٧/٢٤١، وينظر هدية العارفين ٢/٤٥٤.

١١ - نخبة الأفكار على الدر المختار، حاشية لمحمد بن عبد القادر ابن أحمد بن محمد زاده الأنصاري المدني، كان حيًّا سنة ١١٩٤[١].

أما صاحب هدية العارفين[٢] ـ وتابعه عمر رضا كحالة ـ فنسبها لمحمد صالح بن عبد الله قاضي زاده المدني، ت ١٠٨٧.

وقد نقل عنها ابن عابدين في حاشيته في مواضع عديدة، سماها مرة: حاشية المدني[٣]، ومرة قال: (وفي النخبة)[٤]، وهكذا.

وتوجد نسخة من هذه الحاشية في الظاهرية بدمشق، في أربعة أجزاء، وأرقامها من ٢٥٦٧ إلى ٢٥٧٠.

١٢- نتائج الأفكار على الدر المختار، للعلامة الفقيه المحدِّث الشيخ محمد طاهر بن محمد سعيد سُنْبُل، المتوفى سنة ١٢١٨[٥].

ومن هذه الحاشية نسخة في مخطوطات الحرم المكي، برقم عام (٢١٨٥)[٦].

١٣- وللشيخ محمد طاهر سنبل هذا حواشٍ خاصة على كُتُبٍ معينة من الدر المختار، منها حاشيةٌ على كتاب المناسك فقط من الدر المختار،

---

(١) ينظر فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ٢/٢٤٢.

(٢) ٢/٢٩٥، وينظر إيضاح المكنون ٢/٦٣٠، معجم المؤلفين ١٠/٨٤.

(٣) رد المحتار ١/٣٤٤ و ٤٨٧.

(٤) رد المحتار ٢/٤٩٨.

(٥) له ترجمة في الأعلام ٦/١٧٢، أعلام المكيين ١/٥٢٧.

(٦) معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف للمعلمي ص ٣١٧.

سمّاها: ضياء الأبصار على مناسك الدر المختار، وصل فيها إلى باب الحج عن الغير [١].

ثم أكملها العلامة الفقيه إبراهيم بن محمد سعيد الفتّه المكي، تلميذ الشيخ محمد عابد السندي، المتوفى سنة ١٢٩٠، كما تقدم عند ذكره في تلاميذ الشيخ محمد عابد [٢].

وللشيخ محمد طاهر سنبل أيضاً حاشية على كتاب الدعوى من الدر المختار [٣].

وله تعليقات على كتابَيْ: البيوع والصوم، من الدر المختار [٤].

١٤- حاشية العلامة النحرير الشيخ أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي (الطهطاوي)، المتوفى سنة ١٢٣١ [٥]، رحمه الله تعالى.

والطهطاوي نسبة إلى (طهطا) بالقرب من أسيوط في مصر، وقد تقلّد مشيخة الحنفية في زمنه، وهذه الحاشية من مآثره العظيمة.

ومن مصادره المعتمدة في حاشيته هذه: حاشية الحلبي المتقدمة

---

(١) منها نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المكي برقم عام (١٨٤٣) و (١٩٦٩)، ينظر معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف ص ٣١٧، وينظر الأعلام ٦/ ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) وينظر مختصر نشر النور والزهر ص ٥١.

(٣) هدية العارفين ٢/ ٣٥٤.

(٤) مختصر نشر النور والزهر ص ٢٢٥.

(٥) له ترجمة في تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) ٣/ ٥٣١، حلية البشر ١/ ٢٧٠، الأعلام ١/ ٢٤٥.

برقم (٧)، كما صرّح الطحطاوي في مقدمة حاشيته.

وكان من المساعدين للإمام الطحطاوي في تأليف حاشيته على الدر المختار، تلميذُه الذي تخرج به، مفتي مكة المكرمة العلامة الفقيه الحنفي الشيخ محمد حسين كتبي، المولود سنة ١٢٠٢، المتوفى سنة ١٢٨١ [١]، رحمه الله تعالى.

وقد طبعت حاشية الطحطاوي في أربع مجلدات ضخام، في بولاق بمصر سنة ١٢٥٤، ثم صُوِّر عنها، وقد جَمَعَ فيها مؤلفها المواد التي كُتِبت على الكتاب، وضمَّ إليها غيرها.

وهي من المعتمدات المهمة جداً عند ابن عابدين في حاشيته، ويُكثر النقل عنها، بحيث إنه اصطلح على رمز (ط) عند النقل عنها، اختصاراً واكتفاءً عن تكرار اسم مؤلفها، وكذلك اعتمدها وأكْثَرَ النقلَ عنها الشيخ محمد عابد السندي في طوالع الأنوار.

١٥- حاشية للشيخ عبدالمولى بن عبدالله الدمياطي الحنفي، تلميذ الإمام السيد أحمد الطحطاوي، سماها: «تعاليق الأنوار على الدر المختار»، ونقل عنها الإمام اللكنوي في كتابه عمدة الرعاية [٢]، وكذلك في كتابه سِبَاحة الفكْر في الجهر بالذكر [٣]، وأيضاً في الفوائد البهية[٤]، ووصفها اللكنوي [٥] بأنها حاشية نفيسة.

---

(١) مختصر نشر النور والزهر ص ٤٧٦.

(٢) ص ١٧-١٨.

(٣) ص ٢٥.

(٤) ص ١٣.

(٥) التعليقات السنية على الفوائد البهية ص ١٣.

وقال: «قد طالعتها، وأولُها: الحمد لله رب العالمين مربّي الخلائق بإنعامه المبين الخ، وذكر في الديباجة أنه شرع فيها ليلة الأربعاء لخمسٍ وعشرين مضت من ذي الحجة سنة ١٢٣٢، وذكر في الآخر أنه فرغ منها يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة سنة ١٢٣٨، ولم أطلع على تاريخ ولادته ووفاته»[(١)] اهـ.

١٦- حاشية ردّ المحتار للإمام الشهير عمدة المتأخرين ابن عابدين محمد أمين بن عمر عابدين الحسيني، المولود سنة ١١٩٨، والمتوفى سنة ١٢٥٢[(٢)]، رحمه الله تعالى.

وهي الحاشية المشهورة المتداولة عند المتأخرين من الحنفية، وعليها مدار الفتوى، وقد قال ابن عابدين في أول مقدِّمتها، بعد أن أثنى على المتن (الدر المختار)، فوصف عَمَلَه في الحاشية، وبيَّن فضله ومزيّته، وصاحبُ الدار أدرى بما فيها، فقال:

«وقد كنتُ صَرَفْتُ في معاناته بُرهةً من الدهر، وبذلتُ له مع المشقة شُقَّة من جديد العمر، واقتنصتُ بشبكة الأفهام أجَلَّ شوارده، وقيَّدتُ بأوتار الأقلام جُلَّ أوابده، وصِرْتُ في الليل والنهار سميرَه، حتى أسرَّ إليَّ سِرَّه وضميرَه، وأطلعني على حُوره المقصورات في الخيام، وكَشَفَ لي عن وجوه مُخَدَّراته اللِّثام، فطَفِقتُ أُوَشِّي حواشي صفائح صحائفه اللطيفة، بما هو في الحقيقة بياض الصحيفة.

---

(١) وينظر إيضاح المكنون ١/٢٩٤.

(٢) له ترجمة مطوَّلة كتبها ابنه العلامة الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين ابن عابدين، في مقدمة ما أتمَّ به من حاشية والده التي سماها: قُرَّة عيون الأخيار لتكملة رد المحتار ٧/٧ طبعة البابي الحلبي.

ثم أردتُ جمعَ تلك الفوائد، وبَسْطَ سِمْط هاتيك الموائد، من متفرّقات الحواشي والرِّقاع، خوفاً عليها من الضَياع، ضاماً إلى ذلك ما حرَّره العلامة الحلبي، والعلامة الطحطاوي وغيرهما من محشِّي هذا الكتاب....

* وبذلتُ الجهد في بيان ما هو الأقوى، وما عليه الفتوى، وبيان الراجح من المرجوح، مما أُطلق في الفتاوي أو الشروح....

فدونك حواشي هي الفريدة في بابها، الفائقةُ على أترابها، المُسْفِرة عن نِقابها، لطلابها وخُطَّابها، قد أرشدَتْ مَن احتار من الطلاب، إلى فهم معاني هذا الكتاب، فلهذا سمّيتها: «ردّ المحتار على الدر المختار» اهـ.

وقد طُبعت هذه الحاشية عدة طبعات، وأصحها وأكثرها تداولاً طبعة بولاق الأولى بمصر، سنة ١٢٧٢، في خمس مجلدات كبار ضخام، ثم صورت عدة مرات[1].

وهناك طبعات أخرى للكتاب منها طبعة متداولة أيضاً، وهي طبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، كانت الطبعة الثانية منها سنة ١٣٨٦، وهي دون البولاقية في الصحة.

وصدر أخيرًا عام ١٤٢١ ما يعادل ربع الحاشية في طبعة جديدة محققة،

---

(١) وقد خُدمت هذه الطبعة بفهرس أبجدي لموضوعات الحاشية، قام به وزير الأوقاف الأسبق بدمشق المحامي القاضي الشيخ أحمد مهدي الخضر، وطبع في دمشق عام ١٣٨٣ في مجلد، في ٣١٦ صفحة.

وفي عام ١٤٠٠ طبعت وزارة الأوقاف الكويتية فهرسًا تحليليًّا أبجديًّا، أوسع بكثير من السابق، وأيسر في البحث، جاء في ٤٨٠ صفحة.

فيها عناية واضحة، وجهد كبير مشكور، جاء في سبع مجلدات كبار إلى آخر كتاب الحج، وذلك بعناية د/ حسام الدين فرفور ومجموعة من الطلاب، وجعلوا معها تقريرات الرافعي، وفهارس عديدة، طبع دار الثقافة والتراث بدمشق، يسّر الله لهم إتمام هذا العمل بهذه الصورة المشرقة.

١٧- قرة عيون الأخيار تكملة رد المحتار.

وهي حاشية على أبواب معينة من الدر المختار، جاءت تكملة لحاشية ابن عابدين، كتبها نَجْل ابن عابدين العلامة الفقيه الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين بن عمر بن عابدين، المولود سنة ١٢٤٤، والمتوفى سنة ١٣٠٦[١]، رحمه الله تعالى.

وقد طبعت هذه التكملة عدة طبعات، منها طبعة في مجلد واحد كبير، أُلحق بطبعة بولاق لحاشية ابن عابدين، وجُعلت في المجلد السادس منها، كما ألحقت هذه التكملة بطبعة مصطفى البابي الحلبي في مجلدين، وجُعلا في الأخير، أي المجلد السابع والثامن من هذه الطبعة.

* وأُبيّن فيما يلي عمل نجل الإمام ابن عابدين في تكملته هذه: قرة عيون الأخيار، وما هو الشيء الذي أكمله؟ مع بيان موضعه في المطبوع من الحاشية.

كان الإمام ابن عابدين رحمه الله قد بيَّض من حاشيته (رد المحتار) من الأول إلى أواخر كتاب القضاء، أي إلى ٤/٣٦٢ من طبعة بولاق، و٥/٤٤٨ من طبعة البابي الحلبي، إلى قول صاحب الدر: «وقد حرَّر محشِّي الأشباه المنعَ، قياساً...».

---

(١) له ترجمة في الأعلام ٦/٢٧٠.

ولم يبيِّض ابن عابدين من هذا الموضع إلى آخر كتاب الهبة.

ثم بيّض من كتاب الإجارة بعد الهبة، أي بداية الجزء الخامس من طبعة بولاق، وأول السادس من طبعة البابي الحلبي، إلى آخر الكتاب.

وعلى هذا تكون القطعة التي لم يبيِّضها ابن عابدين، هي من المجلد الرابع صفحة (٣٦٢) إلى آخره ص (٥٢٣) من طبعة بولاق، ويقابلها من طبعة البابي الحلبي من المجلد الخامس صفحة (٤٤٨) إلى آخره ص (٧٧١).

* وهكذا لما أُريد طَبْعُ حاشية ابن عابدين، قام ابنُه العلامة الشيخ محمد علاء الدين فجرَّد من نسخة والده المسوَّدة، ما كتبه والده من تعليقات وتحريرات واعتراضات على القسم الذي لم يبيّضه، وطُبع مع ما بُيِّض على حاله كما هو، بدون زيادة أو نقصان.

وعلى هذا صارت الحاشية (رد المحتار) المطبوعة بأجزائها الخمسة من طبعة بولاق، والأجزاء الستة من طبعة البابي الحلبي، كلها من تبييض ابن عابدين نفسه، ما عدا القسم غير المبيّض، الذي تمَّ بيانه آنفاً.

وهو يشمل من أواخر كتاب القضاء، ثم كتاب الشهادات، والوكالة والدعوى والإقرار والصلح والمضاربة والإيداع والعارية والهبة إلى آخرها.

ثم يأتي كتاب الإجارة إلى الأخير، وهو مما بيَّضه ابن عابدين(١).

* أما تكملة حاشية ابن عابدين لابنه الشيخ محمد علاء الدين، وهي قرة عيون الأخيار، فهي شرحٌ جديد مستقل لهذه القطعة التي لم يبيِّضها

(١) ينظر للمعلومات السابقة عن التكملة: حاشية ابن عابدين ٣٦٢/٤ (بولاق)، و٤٤٩/٥ (البابي الحلبي)، وكذلك مقدمة: قرة عيون الأخيار.

والدُه من الحاشية، مع التنبيه إلى أنه ضمَّن في تكملته هذه، ما وَجَـدَه في مسوَّدة الحاشية من نسخة والده.

١٨- تقريرات مفتي الديار المصرية العلامة الشيخ عبدالقادر بن مصطفى الرافعي [١]، على حاشية ابن عابدين، سمّاها: التحرير المختار على رد المحتار.

وكانت ولادة الرافعي سنة ١٢٤٨، وتوفي سنة ١٣٢٣، رحمه الله تعالى.

وهذه التقريرات إنما هي تحريرات واستدراكات مهمة جداً على حاشية ابن عابدين، كَتَبَها مؤلّفُها [٢] بعد أن قرأ حاشية ابن عابدين (رد المحتار) عدة مرات، ووقف في كل مرة منها على غوامضها وأسرارها، وكشف عنها حُجُبَ الخفاء حتى أضاءت لديه بأنوارها، فعلّق عليها تقريراته هذه، بعد أن أنفق فيها شطر عمره: بين مراجعةٍ وتنقيبٍ وإيضاح وتقريب ونظر وتحريرٍ وبحثٍ وتقرير.

* وقد جرَّد هذه التقريرات من نسخة المؤلف ولدُه وتلميذه محمد رشيد الرافعي بعد استئذانه، وقابل ذلك مع والده المؤلف بعد تجريده لها، ولم يزل يتعهّدها مؤلّفُها بالنظر والتنقيح، حتى كان آخر عهده بها في اليوم الآخر من شهر شعبان سنة ١٣٢٣، أي قبل وفاته ببضعة أيام، وقد فَرَغَ يومئذ من النظر فيها.

---

(١) له ترجمة في الأعلام ٤/٤٦، ولولده محمد رشيد الرافعي ترجمة خاصة لوالده مطبوعة، ومنها نسخة في مكتبة الشيخ عبدالقادر الشلبي في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

(٢) كما ذكر في مقدمة تقريراته.

* وقد استفاد الرافعي في تقريراته هذه من طوالع الأنوار للشيخ محمد عابد كثيراً جداً، فما تخلو غالباً صفحة من صفحات هذه التقريرات إلا وفيها نقل أو نقول عن الشيخ محمد عابد، يختمها بقوله: (اه سندي).

* وقد طبعت هذه التقريرات في مجلد مستقل بجزأين، في المطبعة الأميرية الكبرى بمصر سنة ١٣٢٤، ثم صوّرت عدة مرات، وألحقت بمجلد مستقل مع حاشية ابن عابدين طبعة بولاق، وأخيراً طبعت في باكستان، موزَّعة هذه التقريرات على محالّها من حاشية ابن عابدين، معتمدين طبعة مصطفى البابي الحلبي، وبذا يسّروا الوقوف على هذه التقريرات، وألزموا القارئ علمياً بالاطلاع عليها بأدنى نظرة.

١٩- تعليقات على حاشية ابن عابدين على الدر المختار.

كتبها العلامة الشيخ عبدالغني بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي اليساري الفاروقي، وهو مفتي الحنفية بطرابلس الشام، ومن قضاة مدينة تعز ثم صنعاء باليمن، ثم انقطع للعبادة في مكة المكرمة، وتوفي فيها سنة ١٣٠٧، وقيل ١٣٠١، رحمه الله تعالى [١].

٢٠- حاشية على رد المحتار لابن عابدين، كتبها العلامة الفقيه الشيخ عبدالحكيم الأفغاني، نزيل دمشق، المتوفى بها سنة ١٣٢٧ [٢]، صاحب: كشف الحقائق شرح كنز الدقائق.

---

(١) كما في الأعلام للزركلي ٣٢/٤، إيضاح المكنون ٢٨٢/١، هدية العارفين ٥٩٥/١، العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج ص٢٠٠.

(٢) كما ذكر الفاسي في معجم الشيوخ ٦٦/٢، وقد ترجم له في هذا الموضع، وينظر الأعلام للزركلي ٢٨٣/٣.

٢١- وللعلامة الشيخ عبدالحكيم الأفغاني هذا حاشية أيضاً على المتن، وهو الدر المختار للحصكفي[٢].

٢٢- حاشية على الدر المختار للشيخ السيد محمد ياسين ابن العلامة الشيخ عبدالله مِيْرْغَني، واشتهر والده بالمحجوب، الحسني المكي الحنفي.

ولد بمكة المكرمة، وكان عالماً فقيهاً ورعاً زاهداً، ومن مشايخه: الشيخ مصطفى الرحمتي، والشيخ محمد طاهر سنبل.

وكان من المدرِّسين بالمسجد الحرام، وعُرِض عليه منصب إفتاء الحنفية بمكة، فلم يَقْبَلْه لشدة ورعه، وكانت وفاته سنة ١٢٥٥، وقيل ١٢٥١، وعُمُره قد ناهز السبعين، رحمه الله تعالى[١].

وقد وقفتُ على نقلٍ عن هذه الحاشية في رسالةٍ مطبوعة من جمع الشيخ سليمان الخالدي النقشبندي المكي، في فتاوى علماء الحرمين وعلماء السلطنة العثمانية، في مسألة اشتراط كون ابتداء الطواف من الحجر الأسود ص ٢٥، وهي من محفوظات مكتبة الشيخ عبدالقادر الشلبي، برقم (٢٠٦٧) في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

٢٣ - شرح على الدر المختار، للعلامة الشيخ عبد القادر الخلاصي، فقد ذكر نجل الإمام ابن عابدين العلامة الفقيه الشيخ محمد علاء الدين في أول تكملة رد المحتار: قرة عيون الأخيار[٢]، وهو يعدّد تلاميذ والده، فذكر منهم: «العلامة الفاضل الشيخ عبدالقادر الخلاصي شارح الدر المختار، والألفية لابن مالك وغيرهما» اهـ.

---

(١) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ٤٩٢.

(٢) ص ١٣ طبعة البابي الحلبي.

ولم أقف له على ترجمة، لكن وقفتُ له على رسالة في (٣٣) ورقة، في مخطوطات مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، برقم (٦٦/٩٠٠) ترجم فيها لبعض العلماء والمشايخ، ومنهم شيخَه ابنَ عابدين، لوحة ٢١، وذكر أنه حجَّ معه سنة ١٢٣٣، وكان في خدمته[1].

٢٤ - سراج الأنوار على الدر المختار، شَرْحٌ متوسط كَتَبه العلامة الشيخ محمد علاء الدين نجل ابن عابدين صاحِبِ رد المحتار، المتوفى سنة ١٣٠٦، رحمه الله تعالى، وقد جاء في مقدمته: أنه التقطه من حاشية الطحطاوي، وتحفة الأخيار للحلبي، وردّ المحتار، وطوالع الأنوار للسندي.

وهو في جزأين، الأول منهما في ٣٥٠ ورقة، وجاء في آخره: يتلوه الجزء الثاني، أوله كتاب النكاح.

وهو بخط العلامة الشيخ محمد عبد الحق الإله آبادي (ت ١٣٣٣)[2].

وقد نقلت هذه المعلومات عن الفهرس القديم لمكتبة الحرم المكي، المطبوع سنة ١٣٩٢، ص٨١، لكن فوجئت حين لم أر لهذا الكتاب ذكراً في الفهرس الجديد، الذي صنع سنة ١٤١٥، وهو في عِداد الكتب المفقودة من مخطوطات المكتبة؟!.

٢٥- طوالع الأنوار على الدر المختار، للإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، المتوفى سنة ١٢٥٧، رحمه الله تعالى.

* * * *

---

(١) وقد ترجم في هذه الرسالة أيضاً للعلامة الشيخ عبدالغني الميداني تلميذ ابن عابدين، وصاحب «اللباب شرح الكتاب».

(٢) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص٢٣٣، الأعلام ١٨٦/٦.

تنبيه: فيه تصحيحٌ لنسبةِ عملٍ للدر المختار:

جاء في كتاب: تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي[١]، نقلاً عن الإمام العلامة الشيخ محمد أنورشاه الكشميري[٢]، المتوفى سنة ١٣٥٢، رحمه الله تعالى، وهو يتكلم عن خلاف العلماء في مسألة: الاقتداء في الصلاة بالمخالف في الفروع قال:

«... والقول الثالث فيه لنوح أفندي، وهو فاضلٌ ذكي متيقّظ، بعد الشيخ ابن الهُمَام، وله حاشيةٌ مبسوطة على الدر المختار، أودع فيها مباحث لطيفة، يُعلم منها أنه رجلٌ محقِّق». اهـ.

قلت: النص كما هو في فيض الباري، لكن الصواب - والله أعلم - أن العلامة نوح، له حاشية على الدرر والغرر لمنلا خسرو، وليس على الدر المختار، وبيان ذلك فيما يلي:

إن العلامة نوح أفندي هو نوح بن مصطفى القُونوي الرومي، الإمامُ الفقيه العلامة المفتي الحنفي، اشتهر في علومٍ عديدة، لاسيما التفسير والفقه والأصول والعقائد، وقد وُلد في بلاده قونية في تركيا، ثم رحل إلى مصر، واتخذها داراً له.

وله عدة مصنفات، منها حاشية على الدرر والغرر، لمنلاخسرو، سمّاها: نتائج النظر في حواشي الدرر والغرر، وقد توفي رحمه الله سنة ١٠٧٠[٣].

---

(١) ص ٧١.

(٢) فيض الباري ١/٣٥٢.

(٣) له ترجمة في خلاصة الأثر ٤/٤٥٨، هدية العارفين ٢/٤٩٨، الأعلام ٨/٥١.

أما كتاب الدُّرَر والغُرر، فأصله أن العلامة منلاخُسْرو (محمد بن فَرامُرْز)، المتوفى سنة ٨٨٥، رحمه الله تعالى، ألَّف كتاباً في فروع الحنفية سماه: (غُرَر الأحكام)، وهو متن متين، ثم شرحه في كتابٍ سماه: (دُرَر الحُكَّام في شرح غُرر الأحكام)[1].

وهو مطبوعٌ متداوَل، وعليه حواشٍ عدة، منها حاشية العلامة نوح السابقة الذكر.

وهذا الكتاب يختصرون اسمه أحياناً، فيقولون: الدرر والغرر، لمنلاخُسْرو، وأحياناً يسمونه: الدرر.

وغالب ظني أنه تصحَّف اسم هذا الكتاب على الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، أو على جامع «فيض الباري» وهو العلامة الشيخ محمد بدر عالم، وذلك حين ذُكر أن للعلامة نوح (حاشية على الدرر)، فتصحَّفت العبارة إلى: (حاشية على الدر)، وظُنَّ أنها حاشية على الدر المختار، وكان ما سبق بيانه.

وإلا فليس للعلامة نوح حاشية على الدر المختار، حيث إن الحصكفي انتهى من تأليف الدر المختار سنة (١٠٧١)، ووفاة العلامة نوح سنة (١٠٧٠)[2].

* * * * *

---

(١) ينظر كشف الظنون ١١٩٩/٢.

(٢) وقد بيّنت هذا كله تصحيحاً لما جرى، ولئلا تضاف حاشية نوح على أعمال الدر المختار.

النسخ الخطية لكتاب طوالع الأنوار :

١- توجد نسخة كاملة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة، وَقَفَها عليها العلامة الفقيه الشيخ عبدالقادر بن مصطفى الرافعي، صاحب التقريرات على حاشية ابن عابدين، المتوفى سنة ١٣٢٣، وتاريخ الوقفية سنة ١٣١٤.

وهذه النسخة خطّها جميل واضح، بلغ عدد لوحاتها عشرة آلاف لوحة تقريباً، وبالتحديد (٩٥٢٢) لوحة، موزّعة على ستة عشر جزءاً، وتاريخ نسخها من عام ١٢٩٣ إلى عام ١٢٩٦.

وقد قام بنسخها أربعة نُسَّاخ:

الأول: علي بن علي بن حسن الشرقاوي الحلواني، حيث نسخ منها تسعة أجزاء، وهي: (١ – ٣ – ٤ – ٦ – ٧ – ٩ – ١٠ – ١٣ - ١٦).

الثاني: مصطفى أبو سُنَّة، حيث نسخ منها خمسة أجزاء، وهي: (٢ – ٥ – ٨ – ١٤ - ١٥).

والثالث: يوسف زيادة البغدادي، حيث نسخ منها الجزء (١٢).

والرابع: عبده يوسف زيادة، حيث نسخ منها الجزء (١١)، ويظهر أنه ابن الناسخ السابق الذكر.

وفيما يلي قائمة تبين عدد أوراق كل جزء منها، واسم ناسخه، وتاريخ النسخ:

	رقم الجزء	عدد الأوراق	اسم الناسخ	التاريخ
١-	الأول	٧٦١	علي الشرقاوي	١٢٩٣
٢-	الثاني	٦٩٧	مصطفى أبو سنة	١٢٩٣
٣-	الثالث	٣٤١	علي الشرقاوي	١٢٩٣
٤-	الرابع	٤٨٨	علي الشرقاوي	١٢٩٤
٥-	الخامس	٤٤٧	مصطفى أبو سنة	١٢٩٤
٦-	السادس	٥١٦	علي الشرقاوي	١٢٩٣
٧-	السابع	٧٧٠	علي الشرقاوي	١٢٩٤
٨-	الثامن	٤٦٩	مصطفى أبو سنة	١٢٩٣
٩-	التاسع	٥١٧	علي الشرقاوي	١٢٩٦
١٠-	العاشر	٦٣٨	علي الشرقاوي	١٢٩٥
١١-	الحادي عشر	٥٨٢	عبده يوسف زيادة	١٢٩٢
١٢-	الثاني عشر	٧٠٣	يوسف زيادة البغدادي	-
١٣-	الثالث عشر	٧١٧	علي الشرقاوي	١٢٩٥
١٤-	الرابع عشر	٧٩٤	مصطفى أبو سنة	١٢٩٥
١٥-	الخامس عشر	٥٦٢	مصطفى أبو سنة	١٢٩٤
١٦-	السادس عشر	٥١٠	علي الشرقاوي	١٢٩٣

* وتوجد صورة كاملة (ميكروفيلم) لهذه النسخة الأزهرية بمكتبة

مركز البحث العلمي، بجامعة أم القرى، تحت الأرقام التالية: (١١٦) إلى (١٣١) فقه حنفي، مرتبة من الأول إلى السادس عشر.

* كما توجد صورة على الميكروفيلم للأجزاء الأربعة الأولى من هذه النسخة نفسها، في مخطوطات مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت الأرقام التالية:

ج١ برقم (٩٥٧٩)، ج٢ (٩٥٩٣)، ج٣ (٩٥٧٩)، ج٤ (٩٤٩٦).

٢- وتوجد نسخة كاملة أخرى من طوالع الأنوار في مكتبة قصر (طوب قابي سراي) بتركيا، وتقع في ثماني مجلدات كبار، وأرقامها كما جاء في فهرس مخطوطات هذه المكتبة[1] تبدأ من (٤١٦١) إلى (٤١٦٨)، ويبدأ الأول منها بكتاب الطهارة، والأخير بكتاب إحياء المَوَات إلى آخر الكتاب، وتقع هذه النسخة في (٣٣٦٠) ورقة، وفي كل صفحة (٣٧) سطراً.

٣- ورأيت في مكتبة مكة المكرمة (مكتبة مولد النبي ﷺ) جزأين من نسخة خطية أصلية ثالثة من طوالع الأنوار، كانت في حوزة مفتي مكة المكرمة العلامة الشيخ عبدالله سراج، وكَتَبَ على ظهرها ترجمة مختصرة لمؤلفها الشيخ محمد عابد السندي.

وهذان الجُزآن يمثّلان أول الكتاب، فالأول منهما يبدأ بكتاب الطهارة مباشرة بدون مقدمة للمؤلف، وبدون مقدمة للدر المختار، بل يبدأ الشرح مباشرة من كتاب الطهارة، كما هو الحال في النسخة الأزهرية، ونسخة طوب قابي سراي.

---

(١) ٢/٥٩٠.

وهذا الجزء الأول يقع في (٤٨٤) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٣) سطراً، ورقمه في المكتبة (٥) فقه حنفي.

أما الجزء الثاني فعدد لوحاته (٤٨٧) لوحة، وفي كل صفحة (٢٣) سطراً، ورقمه في المكتبة (١٠٨) فقه حنفي، وينتهي بالكلام عن الصلاة في الكعبة.

ولم يُذكر تاريخ نسخ الجزأين.

٤- ويوجد جزء من نسخةٍ خطية أصلية رابعة للكتاب، موقوفٌ بالمدينة المنورة، ونصُّ وقفيته كما جاء على غلافه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه، أما بعد: فقد وقف وحبَّس وسبَّل حضرةُ العلامة الفاضل، والإمام الكامل الشيخ أحمد سليمان باشا: «شرح طوالع الأنوار بشرح الدر المختار» على مَن يَنتفع به من ذريته وأهل العلمِ، القاطنين بالمسجد الكبير، الكائن بحارة المغاربة بجوار المِنْشِيّة، إنشاءَ جَدِّه المرحوم الأستاذ الشيخ عبدالرحيم.

وذرّيّتُه مقدّمون، وجَعَلَ مَقَرَّه خِزانة كتب المسجد المذكور، وإذا تعذّر الانتفاع بالاندراس - معاذ الله - فيكون مقرّه إلى المسجد النبوي، ينتفع به أهل العلم.

وجعل النَظَر عليه لمن يكون ناظراً على مسجد جَدِّه، وإذا آل إلى المسجد النبوي، يكون النظر للمتوكل عليه إذ ذاك، فمن بدَّله بعد ما سمعه فإن إثمه على الذي يبدلونه إن الله سميع عليم» اهـ نص الوقفية.

وقد آل هذا الجزء إلى مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، برقم (٣٠٥)، وعنه صورة على الميكروفيلم برقم (٤٢٠٦).

وهذا الجزء هو التاسع من هذه النسخة، ويقع في (٥١٥) لوحة بخط نسخي واضح، وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٩، على يد كاتبه الفقير معوَّض سلامة المالكي مذهباً، الخلوتي طريقة، الطهطاوي بلداً، وهي نسخة مقابلة على نسخة المؤلف.

ويبدأ من الشركة، وينتهي بآخر الوقف، وكُتِبَ في آخره: يتلوه كتاب البيع، وهو بداية الجزء الثاني من الدر المختار.

وكَتَب الناسخ في آخر هذا الجزء: «وكان الفراغ من تسويد المؤلف له في آخر ربيع الثاني سنة ١٢٤٧ في المدينة المشرفة المحمدية على مشرِّفها أفضل الصلاة وأكمل التحية» . اهـ

٥- وتوجد نسخة خامسة من طوالع الأنوار في هولندا (ليدن)، برقم (٥٩٦)، كما أفاد بهذا بروكلمان في الملحق[١]، وكذلك الدكتور عاصم حمدان علي حمدان في كتابه: المدينة المنورة بين الأدب التاريخ[٢].

وهذه النسخة كانت في المدينة المنورة ضمن مجموعة كبيرة جداً من المخطوطات، يبلغ عددها (٦٠٠) مخطوطاً، وقيل أكثر، في مكتبة السيد أمين بن حسن الحلواني المدني، المتوفى سنة ١٣١٦[٣] رحمه الله تعالى.

وقد آلت هذه المجموعة إلى هولندا سنة (١٣٠١) حيث ابتاعتها منه مكتبة (ليدن) بهولندا، الغنية بنفائس المخطوطات العربية، ثم تفرّقت هذه المخطوطات شَذَرَ مَذَر، بين هولندا (ليدن)، وألمانيا (برلين)، وأمريكا

---

(١) ٢/٤٢٨.

(٢) ص ٦٢، وينظر ص ٥٥.

(٣) له ترجمة في الأعلام ٢/١٥، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ص ٤٨.

(برنستون)، كما تفيد بذلك الفهارس.

٦- وذكر الشيخ غلام مصطفى القاسمي في مجلة يصدرها باللغة السندية، اسمها: (الرحيم)، أن الشيخ محمد عابد السندي أهدى نسخةً من كتابه: طوالع الأنوار لشيخه الشيخ محمد زمان السندي، في بلدة لواري من مضافات حيدر آباد، ولم يذكر شيئاً عن وجودها[١].

تاريخ انتهاء الشيخ محمد عابد من تأليف كتابه طوالع الأنوار:

قال الشيخ محمد عابد في نهاية الجزء الثاني من نسخة الأزهرية: «وقد تفضَّل الله تعالى عليّ بتمامه في سادس عشر شوال سنة ١٢٤٤ بالمدينة المشرفة.

وقد كنتُ حرَّرتُ شرحَ كتاب الصوم والزكاة سنة ١٢٣٦ أيضاً بالمدينة المنورة، وكتبتُ من أول الحج إلى بعض الجنايات في جُدَّة سنة ثلاثٍ وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٣، وأسأل الله تعالى أن يُعينني في إكمال كتاب الحج بغاية التوضيح والتنبيه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم». اهـ.

* وقال في نهاية الجزء الرابع، وبه ينتهي شرح آخر كتاب الحج:

«وَقَعَ الفراغُ من شرح كتاب الحج في المدينة المشرفة في ٢٤ صفر سنة ١٢٤٥». اهـ.

* وقال في نهاية الجزء الذي وجدته من النسخة الموقوفة على

---

(١) أفادني بهذا الأخ الكريم الفاضل الدكتور الشيخ سيد محمد عبدالكريم عبدالغفور السندي، الباحث بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

المسجد الكبير في حارة المغاربة بالمدينة المنورة، والذي يبدأ بكتاب الشركة، وينتهي بآخر كتاب الوقف قال:

«انتهى مؤلفه من هذا الجزء في آخر ربيع الثاني سنة ١٢٤٧ في المدينة المنورة». اهـ.

* وقال في نهاية جزء (١٦) وهو آخر كتاب طوالع الأنوار:

«أقول: وأنا المفتقر إلى رحمة ربه العزيز الغفَّار محمد عابد ابن الشيخ أحمد علي بن محمد مراد بن يعقوب بن محمود الأنصاري الخزرجي الأيوبي نسباً، السندي مولداً، المدني توطناً:

قد تفضَّل الله تعالى بإتمام هذا الشرح على الدر المختار، في بلدة مَنْبَع الأنوار، وسيد الأخيار، ومدينة المختار صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد كنت ابتدأت أيضاً فيها، إلا أني أولَ ما شرعتُ في تحرير كتاب الزكاة، وكتاب الصوم وكتاب النكاح والطلاق والعتاق والأيمان، وكتاب البيوع والكفالة، وبعضٍ من كتاب القضاء، اقتصرتُ في ذلك التحرير على القول الموضِّح بلا تطويل، لما عدا ما في الشرح.

ثم قدَّر الله لي الارتحال إلى الجهات اليمنية، فأقمت فيها سنين، وكتبتُ في كتاب الشهادات والوكالة كتابة مختصرة جداً.

ثم لم تساعِدْني المقادير الربانية على تحرير ما زاد على ذلك، حتى تفضَّل الله تعالى عليَّ بالرجوع إلى المدينة الشريفة، والبلدة المُنِيفة في سنة ألف ومائتين وثلاثة وأربعين، وطلب بعضُ أفاضل ذلك الوقت القراءة فيه، فلم يسَعْني إلا أن أشرع في تكميل شرحي هذا، من أوله حتى انتهيت الكتابة إلى آخر كتاب الصلاة.

ثم شرعت في تكميله من كتاب الحج إلى كتاب النكاح، ثم شرعتُ في تتميمه من آخر كتاب الأيمان إلى آخر الشرح، بإيراد أبحاثٍ وفروعٍ مستزادة على ما في الشرح.

فالحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، وأسأل الله تعالى أن يجعله مقبولاً في حضرته وفي خلقه، وينتفعَ به الخاص والعام في كافة الأقطار، ويجعله مكفِّراً للأوزار بفضله وكرمه، إنه رحيم كريم وهَّاب.

وكان اختتامه في يوم الثلاثاء في ٢٨ جماد الأول سنة ١٢٥١، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» اهـ.

وعلى هذا يكون تاريخ تأليفه للكتاب، بهذه الصورة الموسّعة، من زمن بدء الدرس به، وهو سنة ١٢٤٣ بالمدينة المنورة إلى سنة ١٢٥١ حين أتمّه.

* ويظهر من النصوص السابقة منهجُ الشيخ محمد عابد في هذا الشرح، فقد كان في بداية الأمر ينحو منحى الاختصار، وتحرير القول الموضِّح لنص الدر المختار فقط بلا تطويل، ثم لما طُلب منه في المدينة المنورة بعد أن استقرَّ فيها أن يقرأ للطلبة فيه، أعاد النظر فيما شرحه من الكتاب سابقاً، وغيَّر منهجه، فأطال في الشرح وتوسع، وأورد أبحاثاً وفروعاً مستزادة على ما سبق، وكان ما كان من هذا الخير الكبير، والفتح العظيم في التوفيق لإتمام الكتاب على هذه الصورة الحالية.

* وأنبه هنا أنني لم أقف على مقدمةٍ لهذا الكتاب، فقد خلَت النسخة الأزهرية من مقدمة، وكذلك نسخة مكتبةِ مكة المكرمة (المولد) لنرى فيها ما يكتبه المؤلفون عادة في مقدمة كتبهم، من بيانهم لعملهم ومنهجهم في

الكتاب، إلا إذا اعتبرنا ما ذكره الشيخ محمد عابد في آخر الكتاب – مما تقدم نقله – هو بمثابة مقدمة، وبيانٍ لمنهجه.

كما خَلت النسختين من شرحٍ لمقدمة الدر المختار، المتضمنة لمقدمة الحصكفي، وفيها كلام عن رسم المفتي ونحو هذا.

فلا أدري هل بدأ الشيخ محمد عابد مباشرة بشرح كتاب الطهارة، دون البدء بشرح مقدمة الدر المختار، وبدون مقدمةٍ منه لشرحه؟ أم أننا سنجد ذلك في النُسَخ الأخرى للكتاب، والتي لم يتيسر الوقوف عليها بعد؟ وإن كنتُ أستبعد الاحتمال الأخير، حيث إن النسخة التركية أيضاً، تبدأ بكتاب الطهارة، كما ذكر مفهرسو مكتبة (طوب قابي سراي)، والله أعلم بالحال.

* * * * *

مزايا كتاب
طوالع الأنوار شرح الدر المختار

يمتاز كتاب طوالع الأنوار بمزايا عظيمة، انفرد في كثير منها، وقد لا توجد مجتمعة في غيره، وأسجل هنا ما لاحظته منها من خلال مطالعاتي فيه، وهي كما يلي:

١- التدليل الواسع لغالب المسائل الفقهية الواردة في كتاب الدر المختار، فهو من أعظم كتب أدلة فقه الحنفية، إذ كان للشيخ محمد عابد اهتمام بالغ في تتبع أدلة المسائل والبحث عنها.

٢- اهتمام مؤلِّفه - لاطلاعه الواسع في الحديث - بإيراد روايات عديدة لكثير من الأدلة، مع الجمع بينها، وإزالة التعارض الظاهر بينها إن كان هناك تعارض.

٣- اعتناء مؤلفه بتخريج الأدلة التي يذكرها في الغالب، مع اهتمامه ببيان درجتها وحكمها، ولكن ليس بشكل مطرد.

٤- ذكره لفوائد حديثية نادرة منثورة في ثنايا الكتاب، قد لا تجدها عند غيره، أو تجدها لكن في مصادر عزيزة.

٥- كتاب طوالع الأنوار هو شرح كامل لنص الدر المختار، وليس بحاشية أو تعليقات على مواضع معينة دون أخرى، كما هو حال حاشية الطحطاوي وابن عابدين.

٦- اطلاع مؤلفه ووقوفه على غالب ما كُتِب من أعمالٍ علمية على الدر المختار، ونَقْله عنها، وتضمينه المجمَل لفوائدها وتحقيقاتها.

٧- التوسع والبسط الكبير في شرح النص الفقهي، مع التحقيق فيه، وإيراده لزياداتٍ وتفريعات وأبحاثٍ كثيرة، لم يذكرها غيره من شُرَّاح الدر المختار، ولذا قال صاحب اليانع الجني عن هذا الكتاب: «وهو حافلٌ جداً، استوفى فيه غالبَ فروع مذهب أصحابه، واستوعب مسائل الواقعات والفتاوى، بحيث إنه لو قيل: لم يَفُتْه منها إلا النَّزْر اليسير، لم يُبْعِد ذلك كلَّ البُعْد». اهـ.

٨- إيراده لتحقيقات لغوية وصرفية وأصولية مفيدة للغاية في بيان الأدلة والاستنباط منها، ممالا تجده عند غيره من شراح الدر المختار.

٩- تحقيقه الفقهي الواسع لخلاف فقهاء المذاهب الأربعة في مسائل كثيرة من الكتاب.

١٠- نقوله النادرة عن رسائلَ مؤلَّفةٍ في مسائل خاصة، لمؤلِّفين من علماء الهند والسند وغيرهم، غير مشهورة، فيها تحقيقات نادرة، لا تجدها في غير هذا الشرح.

١١- ثراء هذا الشرح بالمصادر الكثيرة، والتقاط المؤلف الفوائد الغزيرة النادرة منها، إذ كان زمن تأليف الكتاب في أواخر عمره، وقد تحصّلت عنده مكتبة عظيمة نادرة، ضَمَّت من الكتب والرسائل العجب العجاب.

وإن تتبُّعَ هذه المصادر ودراستها، يحتاج لجهد خاص كبير، لا تسعه هذه العجالة.

١٢- ذِكره للمفتى به المعتَمَدِ المصحَّحِ في المذهب وتحقيقه لذلك.

١٣- استدراكه على مَن سبقه من شُرَّاح الكتاب[1]، وهذا وإن كان طبيعياً عند العالم المحقق المتأخِّر زمنياً عن غيره، لكن يبقى مزية تُذكر له.

١٤- إن التوسُّع الكبير المشهود للمؤلِّف في كثيرٍ من المسائل الفقهية في هذا الشرح، يجعل من الممكن أن تُفرَد كثيرٌ من الأبحاث والإطالات في رسائل مستقلة خاصةٍ بتلك المسائل، حتى لقد بلغ طول إحدى المسائل (٤٠) لوحة من المخطوط.

١٥- ومن مزاياه أيضاً، أنه من آخر مؤلفات الشيخ محمد عابد، وذلك بعد أن استقر في المدينة المنورة، وقد بلغ من النُّضْج العلمي الدرجة القصوى في فنون كثيرة، وبالأخص في فن الحديث والفقه.

١٦- ومما زاد هذا الشرح أهمية فوق أهميته، وميزة وقوة وتحريراً وتحقيقاً وتدقيقاً، أن مؤلفه قد قام بتدريسه وشرحه للطلاب في درس القراءة خلال ثماني سنين، وهو يشرحه الشرح الأخير الموسَّع، من سنة ١٢٤٣ إلى سنة ١٢٥١ بالمدينة المنورة، وكان قد شَرَحَ الدر المختار من قبل لكن بشكل مختصر، كما تقدم.

١٧- امتازت عبارة الكتاب بكونها سهلةً غير صعبة، ولا مغلقة، وذلك مما ييسِّر التعامل مع الكتاب، والإقبال عليه.

* وبالجملة فمِحْوَرُ هذه المزايا هو تفنّن الشيخ محمد عابد حديثياً وفقهياً، وهو قد انفرد بهذا عن سائر الشرّاح الآخرين ـ أو أغلبهم ـ فإنهم فقهاء أصوليون.

وأيضاً كونه في مركز علمي كبير ـ الحرمين الشريفين ـ، مع اتصالاته

(١) ينظر كمثال: طوالع الأنوار ١/٦٨٥، وتقريرات الرافعي في مواضع كثيرة.

العلمية بالسند وما والاه واليمن ومصر، والعلماء الوارِدين إلى الحرمين، ورحلاته الكثيرة، مما وسَّع دائرة ثقافته ومصادره.

* وهكذا فالحق أن كتاب طوالع الأنوار بحرٌ زاخر، مليء بالدُّرَر والجواهر، وكنزٌ ثمين مخفي، يجب أن يُسعى لإظهاره سعياً حثيثاً، للكشف عن مكنوناته، وما أودع فيه مؤلِّفه من تحقيقات نادرة، وإفادات غالية، وإضافات مهمة، يسَّر الله تعالى خدمته وإخراجه على أحسن حال. اللهم آمين.

* * * * *

اعتماد كتاب طوالع الأنوار عند فقهاء الحنفية المتأخرين :

لقد كان الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري إماماً حجة معتمَداً في فنونٍ عديدة من العلوم، وذلك بشهادات كبار العلماء من مشايخه والمعاصرين له، ومَن بعدهم.

ومن هذه العلوم التي هو عمدة وحجة فيها علم الفقه عامة، وفقه الحنفية خاصة، ولذا نرى مَن جاء بعده، من كبار فقهاء الحنفية المعتمَدين، ممن كَتَبَ في الفقه الحنفي، نراه قد اعتمد الشيخَ محمد عابد تمام الاعتماد، مثل الإمام الفقيه الحنفي المدقق الشيخ عبدالقادر الرافعي، المتوفى سنة ١٣٢٣ رحمه الله تعالى، صاحب تقريرات الرافعي على حاشية ابن عابدين (التحرير المختار على رد المحتار).

فقد كان كتاب طوالع الأنوار عمدتَه الأولى في هذه الاستدراكات والتعقبات المهمة، حيث كانت لديه نسخة منه لا تغادره في غالب استدراكاته وتحريراته، فما تخلو صفحة من صفحات تقريراته غالباً إلا وفيها نقل، بل نُقول عن كتاب طوالع الأنوار، مع عزوه إليه بقوله: (اهـ سندي).

وهكذا نراه التقط الكثير جداً من الفوائد المهمة الغالية، والاستدراكات النادرة الحديثية والفقهية واللغوية وغيرها من كتاب طوالع الأنوار، وأودعها في تقريراته، واستمر هذا حتى آخر صفحات التقريرات، أي اشتمل ذلك جميع أبواب الفقه.

وهذا يدل ويؤكد على علو كعب الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار، وقبول استدراكاته على سابقيه، وبالأخص على ابن عابدين في حاشيته، ذلك الإمام الفقيه العمدة في المذهب، ومع هذا استدرك عليه، واعتمد استدراكاته مَن جاء بعده.

* وممن اعتمد كتاب طوالع الأنوار واستفاد منه، العلامة الشيخ محمد علاء الدين ابن عابدين، المتوفى سنة ١٣٠٦، وذلك في شرحه: سراج الأنوار على الدر المختار، كما صرح في مقدمته[(١)].

* وممن رأيتُه اعتمد كتاب طوالع الأنوار أيضاً، العلامة الفقيه الشيخ عبد الغني حسين المكي، المتوفى سنة ١٣٦٦ رحمه الله تعالى[(٢)] في حاشيته: (إرشاد الساري) على مناسك ملا علي القاري[(٣)]، نقلاً عن تقرير الشيخ عبد الحق، وعن غيره.

* وتقدم ذِكْرُ اعتماد الشيخ محمد عابد عند العلماء المعاصرين له، من القضاة والفقهاء ورؤساء الحرمين الشريفين، ورجوعهم إلى أقواله الفقهية، بل كان هو الحكم الفصل بينهم إذا اختلفوا.

* * * * *

(١) ينظر الفهرس (القديم) لمخطوطات الحرم المكي ص٨١.

(٢) له ترجمة في سير وتراجم، لعمر عبدالجبار ص ٩٦.

(٣) ص ٥٦ وغيره كثير من المواضع.

نماذج مقارنة بين شروح الدر المختار:
طوالع الأنوار وحاشيتي الطحطاوي وابن عابدين

إن من أشهر الأعمال العلمية المطبوعة على الدر المختار المعتمدة المتداولة بين العلماء وطلاب العلم: حاشية الطحطاوي، وحاشية ابن عابدين، وهما من الأعمال التي استفاد ونَقَلَ عنهما الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار، فقد نقل عن الطحطاوي كثيراً، وعن ابن عابدين بنسبة أقل بكثير (١).

وقد كانت هذه الأعمال العلمية الثلاثة متقاربة في الزمن جداً، فوفاة الطحطاوي رحمه الله سنة ١٢٣١، وابنُ عابدين انتهى من تبييض آخر الكتاب، من الإجارة إلى الأخير سنة ١٢٣٣، ثم بيّض من أول الكتاب إلى آخر الحج سنة ١٢٤٢، وبقيت قطعة لم يبيضها كما تقدم.

أما الشيخ محمد عابد السندي فقد انتهى من شرح كتاب الزكاة والصوم باختصار سنة ١٢٣٦، ولما استقر في المدينة المنورة سنة ١٢٤٣ شَرَحَ الدر المختار من جديد شرحاً مطولاً، انتهى من آخره سنة ١٢٥١.

ولا ريب أن لكل مؤلِّف قصداً وغرضاً ومنهجاً في كتابته وتأليفه، ولكلٍّ اهتمامٌ بجانبٍ من الجوانب.

---

(١) من هذه المواطن التي نقل فيها عنه: ١/٦٦٠، ١/١٦٥، ١/٦٧٢، ٢/٤٩١، وغيرها كثير.

ولما كانت الشهرة والتداول لحاشيتي الطحطاوي وابن عابدين، أردت أن أذكر هنا نماذج من كلٍ منهما، لمقارنتها مع كتاب طوالع الأنوار، ليظهر جلياً الفرقُ بين كل كتاب، وميزةُ كلٍ منها، واهتمامُ كلّ مؤلِّف وكاتب.

وليطمئن قلب كلٍّ مطلع وواقف عليها، أنه لا يُغني كتاب عن كتاب وإن كانا شرحين لمتن واحد.

* وفيما يلي ثلاثة نماذج من هذه الكتب الثلاثة، مع ذكري في أول كل مسألة نصَّ متن الدر المختار، الذي عليه قامت تلك الشروح.

* * * * *

مسألة الطهارة بالماء المشمَّس :

١- الدرُّ المختار[١]: «يُرْفَع الحَدَثُ بماءٍ مطلق، وبماءٍ قُصِدَ تشميسه بلا كراهة، وكراهته عند الشافعية طِبِّية».

٢- حاشية الطحطاوي على الدر المختار [٢]:

«قوله: (وبماءٍ) بالمدّ والتنوين. قوله: (قُصد تشميسه) قيد، لأنه لو لم يُقْصَد، لم يكره اتفاقاً. أبو السعود.

قوله: (طبية) أي لكونه يُورِث البَرَص.

والمنصوص عن مشايخ مذهبه أنه مما اجتمع فيه الكراهتان: الشرعية والطبية، بشرط أن يكون في إناءٍ في قُطْرٍ حارٍّ، وأن لا يبرد بعد ذلك.

وفيه أن الكراهة عنده لا تختص بقصد التشميس الذي هو موضوع المسألة» اهـ.

٣- حاشية ابن عابدين:

«قوله: (قُصِد تشميسه) قيد اتفاقي، لأنَّ المصرَّح به في كُتُب الشافعية: أن لو تشمّس بنفسه كذلك.

قوله: (وكراهته الخ) أقول:

---

(١) مع ابن عابدين ١/ ١٨٠.

(٢) ١/ ١٠٢.

المصرَّح به في شرحَيْ ابن حجر والرملي على المنهاج، أنها شرعية تنزيهية، لا طبية، ثم قال ابن حجر: واستعماله يُخشى منه البرص، كما صحَّ عن عمر رضي الله عنه، واعتمده بعضُ محققي الأطباء، لقبض زهومته على مسامِّ البدن، فتَحْبِس الدم، وذَكَرَ شروطَ كراهته عندهم، وهي: أن يكون بقُطر حارٍّ، وقت الحر، في إناءٍ منطبعٍ غير نقد، وأن يُستعمل وهو حار.

أقول: وقدّمنا في مندوبات الوضوء عن الإمداد أن منها أن لا يكون بماء مشمَّس، وبه صرّح في الحَلْبَة، مستدلاً بما صحَّ عن عمر من النهي عنه.

ولذا صرَّح في الفتح بكراهته، ومثله في البحر، وقال في معراج الدراية: وفي القنية: وتكره الطهارة بالمشمَّس، لقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها حين سخّنت الماء بالشمس: «لا تفعلي يا حميراء [(١)]، فإنه يورِث البرص» [(٢)].

---

(١) الحُمَيْراء: تصغير (حمراء)، بمعنى بيضاء اللون، مُشْرَبٌ بياضُها بحُمرة، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها كذلك، وهذا التصغير تصغير تحبيب.

ينظر النهاية ١/٤٣٨، تهذيب الأسماء واللغات ٣/٧١، تعليقات الأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله على كتاب: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص ٢١١-٢١٢.

(٢) لكن النووي في المجموع ١/٨٧ بعد أن ذكر هذا الحديث قال: «هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين، ومنهم من يجعله موضوعاً، وما روي عن عمر رضي الله عنه، فضعيف أيضاً باتفاق المحدثين، فحصل من هذا أن المشمس لا أصل لكراهته، ولم يثبت عن الأطباء فيه شيء، فالصواب الجزم بأنه لا كراهة فيه، وهذا هو الوجه الذي حكاه المصنِّف وضعَّفه، وكذا ضعّفه غيره، وليس بضعيف، بل هو الصواب =

وعن عمر مثله.

وفي رواية: لا يكره، وبه قال أحمد ومالك.

والشافعي: يكره إن قُصد تشميسه.

وفي الغاية: وكره بالمشمّسِ في قُطر حارٍّ في أوانٍ منطبعة، واعتبار القصد ضعيف، وعدمه غير مؤثِّر. اهـ ما في المعراج.

فقد علمتَ أن المعتمدَ الكراهةُ عندنا، لصحة الأثر، وأن عدمها روايةٌ.

والظاهر أنها تنزيهية عندنا أيضاً، بدليل عَدِّه في المندوبات، فلا فرق حينئذٍ بين مذهبنا ومذهب الشافعي، فاغتنم هذا التحرير» اهـ.

٤- طوالع الأنوار[1]:

(ويُرفَع الحدث مطلقاً أيضاً بماء قُصِد - على بناء المفعول - تشميسه، قيد، لأنه لو لم يُقصد، لم يُكره اتفاقاً. أبو السعود.

بلا كراهة عندنا، وكراهته عند الشافعية، لما أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت: سخَّنتُ ماءً في الشمس، فأتيتُ به النبيَّ ﷺ فقال: «لا تفعلي يا عائشة، فإنه يورِث البياض».

وفي إسناده محمد بن مروان السُّدِّي، وقد أجمعوا على ضعفه،

الموافق للدليل، ولنص الشافعي فإنه قال في الأم: «لا أكره المشمّس، إلا أن يكره من جهة الطب»، فهذا ما نعتقده في المسألة، وما هو كلام الشافعي، ومذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد وداود والجمهور أنه لا كراهة، كما هو المختار، وأما الأصحاب فمجموع ما ذكروا فيه سبعة أوجه». ثم سردها. انتهى من المجموع.

(١) مخطوط ١/١٧٤.

وقال: لا يُروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

قال الهيثمي: وقد رويناه من حديث ابن عباس.

قلت: وقد رواه العقيلي والدارقطني عن أنس مرفوعاً بلفظ: «لا تغتسلوا في الماء الذي يُسخَّن في الشمس، فإنه يُعدي من البرص».

وفي لفظ الدارقطني: «لا تغسلوا صبيانكم بالماء الذي سُخِّن من الشمس، فإنه يورِث البرص».

وفي إسناد العقيلي: سوادة، وكان غالياً في التشيع، يروي المناكير عن المشاهير.

وفي إسناد الدارقطني: زكريا بن حكيم، قال فيه أحمد ويحيى: ليس بشيء.

ولذلك قال ابنُ الملقِّن بعد كلام طويل: فتَلخَّص أن الوارد في النهي عن استعمال الماء المشمّس من جميع طرقه باطل لا يصح، ولا يحل لأحدٍ الاحتجاج به.

(طبّية) أي بكونه يورِث البرص، وكَرِهه لذلك جماعةٌ من الحنفية أيضاً.

ولذا قال في المِنَح: وقيل: يكره، وبه قال الشافعي.

قيل: وإنما كره لأن الشمس بحِدَّتها تَفْصِل زهومةً تعلو الماءَ، فإذا لاقت البدن بسخونته، خيف أن تَقْبِض عليه، فيَنْحَبِس الدم، فيحصل المرض.

ويشترط لكراهته: أن يكون بقُطر حارّ كالحجاز، وإناء منطبعٍ كنحاس، وأن لا يبرد بعد ذلك.

قال الإمام العلامة شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المُقْرِي

اليمني[1]: أُنهي مسألة الماء المشمّس إلى خمسة آلاف ألف وجه، ومائةِ ألف وأربعةٍ وثمانين ألف وجه، فقال رضي الله عنه:

يكره ما قُصد تشميسه دون غيره، ومنهم مَن لم ينظر إلى القصد، ومنهم مَن كرهه في الحجاز فقط، ومنهم مَن عمَّمه في البلاد الحارة، ومنهم مَن خصَّها بالفصول الحارة، ومنهم مَن خصَّه في الصيف الصائف.

ومنهم مَن خصص بما إذا كان في إناءٍ ضيق الرأس، ومنهم مَن خصص بما إذا انفردت الشمس بتسخينه، ولم تشارِكها النار.

ومنهم مَن خصص بما إذا استعمل للطهارة فيما يَعُمّ البدن كالجنابة، ومنهم مَن أَلحق مالا يعم بما يعم، ومنهم مَن خصَّص بمَن عمَّه البرص، ومنهم مَن خصص الحيَّ دون الميت، ومنهم مَن خصص أبدان النساء، ومنهم مَن خصَّص شديدة البياض منهن، ومنهم مَن خصص بالآدمي منهم، ومنهم مَن ألحق تطهير بدن غير الآدمي، ومنهم مَن ألحق تطهير غير البدن كالثوب ونحوه به، ومنهم مَن كرهه في البدن خاصة، وسوّى

---

(١) ترجم له الحافظ السخاوي في الضوء اللامع ٢/٢٩٢ ونقل ثناءً عظيماً عليه عن كبار العلماء، حتى قال الحافظ ابن حجر: له حِذْق تام، وما رأيت باليمن أذكى منه، فكان إماماً فقيهاً شافعياً، ذا فهم ثاقب، ورأي صائب، بل هو بَهاء الفقهاء، ونورالعلماء، محقّقاً مدقِّقاً، مشارِكاً في كثير من العلوم، والاشتغال بالمنثور والمنظوم، إن نَظَمَ أعجب وأعجز، وإن نَثَرَ أجاد وأوجز، بل قالوا فيه: يُربْي في الشعر على أبي الطيب المتنبي، وعمل قصيدة استنبط فيها معان كثيرة، تزيد على ألف ألف معنى. وله مصنفات كثيرة، منها كتاب عجيب لم يُسبق إلى مثاله، وهو: (عنوان الشرف الوافي)، وقد التزم أن تخرج من أوائله وأواخره وأواسطه علوم غير العلم الذي وُضع الكتاب له، وهو الفقه، فقد حوى مع الفقه على النحو والتاريخ والعروض والقوافي، وتوفي رحمه الله سنة ٨٣٧.

بين الطهارة وغيرها.

ومنهم مَن خصَّص الكراهة بما عدا الغسلة الأولى، ومنهم مَن خصصها بمَن يستعمله في غالب أوقاته، ومنهم مَن خصصها بما إذا عَلِم أنه يضره، ومنهم مَن خصصها بما إذا نهى عنه عَدْلان طبيبان.

ومنهم مَن خصصها بالأواني المنطبعة، ومنهم مَن خصها بما سوى النقدين، ومنهم مَن خصها بالنحاس والرصاص فقط، ومنهم مَن خص النحاس وحده، ومنهم مَن خص بما إذا انفصل من أجزاء الإناء شيء شاهده، ومنهم مَن خصص بما قبل تبريده.

هذا جملة ما قيل، فإذا أردت جمعَ هذه، فقل: المشمس بغير قصد أو بقصد، في الحجاز وسائر البلاد الحارة، في الفصول الحارة، في الفصول الباردة، في الصيف الصائف، في إناء ضيق الرأس غير مغطى بغطاء، في بدن الميت، في بدن الأبرص، في أبدان النساء، في أبدان شديدة البياض، في بدن غير الآدمي، في غير البدن، لفرط الحرارة، غير مفرطها، انفردت الشمس بتسخينه، أو شاركتها النار، استعمله للطهارة، لغير الطهارة، فيما يعم البدن كالجنابة، فيما لا يعم كالوضوء، فيما عدا الغسلة الأولى، في غالب الأوقات، في نادرها، عالماً أنه يضر، جاهلاً، نهى عنه الأطباء، أو لم ينهَوْا عنه، ولم يبلغ قلتين، أو بلَغَهُما، في إناء غير منطبع، منطبع من النقدين، من النحاس والرصاص، من النحاس خاصة، ولم ينفصل من أجزاء الماء شيء، أو انفصل، قبل تبريده، أو بعد تبريده، هل يكره فيه؟ وجهان.

هذه مسألة واحدة، ثم تبدل منها لفظة: قبل تبريده، فنقول: بعد تبريده، فيكون ذلك مسألتين، هذا على قولنا، ولم ينفصل، وإن جعلتَ

عوضَه: وانفصل كان فيه أيضاً مسألتين، فكان ذلك أربع مسائل.

هذا كله إذا كان في إناء غير منطبع، وإذا جعلت مكان غير المنطبع: المنطبع مما سِوَى النقدين، كان فيه أربع أُخرى، وفي المنطبع خاصة من الصُّفْر أربع، وفي المنطبع من النقدين أربع، فتكون الجملة عشرين مسألة.

هذا ولم يبلغ قلتين، وفيه إذا بلغها مثلها، تكون الجملة أربعين.

هذا وقد نهى عنه الأطباء، وفيه إذا لم يَنْهَ عنه مثلها، تكون الجملة ثمانين.

هذا إذا عَلم أنه يضر، وفي الجاهل مثلها، تكون الجملة مائة وستون.

هذا إذا استعمل في غالب الأوقات، وفي النادر مثلها، تكون الجملة ثلاث مائة وعشرين.

هذا فيما عدا الغسلة الأولى، وفي الأولى مثلها، تكون الجملة ست مائة وأربعين.

هذا فيما يعم البدن كالجنابة، وفيما لا يعم مثلها، تكون الجملة ست مائة وأربعين.

وبدن شديدة البياض ست مائة وأربعين، وبدن غير الآدمي ست مائة وأربعين، تكون الجملة خمسة آلاف ومائة وعشرين مسألة.

هذا كله إذا استُعمل للطهارة، وفيه إذا استعمل لغير الطهارة مثلها، تكون الجملة عشر آلاف ومائتين وأربعين.

هذا إذا انفردت به الشمس، وفيه إذا شاركتها النار مثلها، تكون الجملة عشرين ألفاً وأربعمائة وثمانين.

هذا إذا كان في فرط الحرارة، وفي الغالب مثلها ، تكون الجملة

أربعين ألفاً وتسعمائة وستين.

هذا إذا كان غير مغطى، وفي المغطى مثلها، تكون الجملة أحداً وثمانين ألفاً وتسعمائة وعشرين.

هذا إذا كان ضيق الرأس، وفي المفتوح مثلها، تكون الجملة مائةَ ألف وثلاثةً وستين ألفاً وثمانمائة وأربعين.

هذا في الفصول الحارة، وفي الفصول الباردة مثلها، تكون الجملة أربعمائة ألف وأحدٍ وسبعين ألفاً وخمسمائة وعشرين مسألة.

هذا كله في الحجاز، وفي البلاد الحارة مثلها، تكون الجملة ألف ألف وأربعمائة ألف مسألة وأربعة وتسعين ألفاً وخمسمائة وستين مسألة.

هذا كله بغير قصد، وفي المشمس بقصد مثلها، تكون الجملة ألفي ألف مسألة، وتسعمائة ألف مسألة وتسع وأربعين ألف مسألة ومائة وعشرين مسألة.

وكل مسألة من هذه المسائل فيها وجهان، إلا ما يتفرع على مسألتين، وهما استعماله لغير الطهارة في بدن غير الآدمي، وبغير الطهارة في غير البدن، فإن استعمال هذا غير مكروه قطعاً.

والذي لا خلاف فيه ثلاثمائة ألف وتسعة وخمسون ألفاً ومائة وعشرون مسألة، والمسائل التي فيها الخلاف ألفا ألف وخمسمائة ألف واثنان وتسعون ألفاً، وفي كل مسألة وجهان.

فجملة الوجوه خمسة آلاف ألف ومائة ألف وأربعة وثمانون ألف وجه. اهـ كلام المُقْري) اهـ من طوالع الأنوار.

* * * * *

مسألة وجوب سجدة التلاوة:

١- الدر المختار[١]: (باب سجود التلاوة: من إضافة الحكم إلى سببه، يجب بسبب تلاوة آية).

٢- حاشية الطحطاوي [٢]: (قوله: يجب: لقوله عليه الصلاة والسلام: «السجدة على مَن سمعها»[٣]، و (على): للإلزام. مِنَح). اهـ

٣- حاشية ابن عابدين: (قوله: يجب: أي وجوباً موسَّعاً في غير صلاة – كما سيأتي – ولا يجب على المُحتضَر الإيصاءُ بها، وقيل: يجب. قُنية. والثاني بالقواعد أليق. نهر.

والظاهر أنه يُخْرِج عنها، كصلاة فرض أو صوم يوم، لأنه المعهود. تأمل. رحمتي. ثم رأيته مصرَّحاً به في التتارخانية، مع تصحيح عدم الوجوب). اهـ

---

(١) مع ابن عابدين ١٠٣/٢.

(٢) ٣٢٢/١.

(٣) قال الزيلعي في نصب الراية ١٧٨/٢ حديث غريب، وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/٢ موقوفاً على ابن عمر، وعلقه البخاري في صحيحه ٥٥٧/٢ مع الفتح، من قول عثمان رضي الله عنه: «إنما السجود على من استمع»، وهو موصول في مصنف عبدالرزاق وسنن سعيد بن منصور بطريقان صحيحان، كما في الفتح.

٤- طوالع الأنوار [١]:

(تجب سجدة التلاوة لقوله ﷺ: «السجدة على مَن سمعها»، و(على): للإلزام.

ولما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:

«إذا قرأ ابنُ آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي. يقول: يا ويله، أُمِر ابنُ آدم بالسجود، فسجد، فله الجنة، وأُمِرت بالسجود، فامتنعت، فلي النار».

والأصل: أن الحكيم إذا حكى عن غير الحكيم أمراً، ولم يعقِّبه بالإنكار، كان دليل صحته، فهذا ظاهرٌ في الوجوب.

* مع أن السجدة تفيده أيضاً، لأنها على ثلاثة أقسام:

قسم فيه الأمر به، وقسم به تضمن حكاية استنكاف الكفار، حيث أُمروا به، وقسم فيه حكاية فعل الأنبياء عليهم السلام.

وكلٌّ من الامتثال والاقتداء ومخالفة الكفرة واجب، إلا أن يدل دليل في معيَّن على عدم لزومه.

لكن دلالتها فيه ظنية، فكان الثابت الوجوب لا الفرض). اهـ

* * * * *

---

(١) ٤٠٨/٢ ب + ٤٠٩ أ.

مسألة حكم الصيد وقطع الشجر في حرم المدينة المنورة:

١- الدر المختار[١]: (لا حَرَم للمدينة عندنا). اهـ

٢- حاشية الطحطاوي[٢]:

(قوله: لا حرم للمدينة عندنا: قال في البحر: اختلف العلماء في أن مكة مع حرمها، هل صارت حرماً آمناً بسؤال الخليل عليه الصلاة والسلام، أم كانت قبله كذلك؟ والأصح أنها ما زالت محرَّمة من حين خلق الله السموات والأرض. اهـ

ثم اعلم أنه ليس للمدينة حرم عندنا، فيجوز الاصطياد فيها، وقطع أشجارها.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما صريحةٌ في تحريم المدينة كمكة، وأوَّلَها أصحابُنا بأن المراد بالتحريم: التعظيم.

ويردُّه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إني حرّمت المدينة ما بين لابَتَيْها، لا تُقطع أغصانها، ولا يُصاد صيدها».

فهو صريح في أن لها حرماً كمكة، فلا يجوز قطع شجرها، ولا الاصطياد فيها.

---

(١) مع ابن عابدين ٢/٦٢٦.

(٢) ١/٥٦١.

والأحسن الاستدلال بحديث أنس الثابت في الصحيحين، إذ كان له أخٌ صغير يقال له: أبو عُمَير، وكان له نُغَيْر يَلعب به، فمات النُّغَير، فكان النبي ﷺ يقول: «يا أبا عُمير ما فَعَل النُّغَيْر».

ولو كان للمدينة حرم، لكان إرسالُه واجباً عليه، ولأنكر رسولُ الله ﷺ على إمساكه، ولا يمازحه.

وأجاب في المحيط عن الأحاديث الصريحة في أن لها حرماً، أنها من أخبار الآحاد فيما تعم به البلوى، لأن الشجر في المدينة أمرٌ تعم به البلوى، وخبر الآحاد إذا ورد فيما تعم به البلوى لا يُقبل، إذ لو كان صحيحاً، لاشتهر نقله فيما عمّ به البلوى. انتهى). اهـ.

٣- حاشية ابن عابدين [(١)]:

(قوله: لا حرم للمدينة عندنا: أي خلافاً للأئمة الثلاثة، قال في الكافي: لأنا عرَفْنا حِلَّ الاصطياد بالنص القاطع، فلا يحرم إلا بدليل قطعي، ولم يوجد.

قال ابن المنذر: وقال الشافعي في الجديد، ومالك في المشهور، وأكثر مَن لقينا من علماء الأمصار: لا جزاء على قاتل صيده، ولا على قاطع شجره.

وأوجب الجزاءَ ابنُ أبي ليلى وابنُ أبي ذئب وابنُ نافع المالكي، وهو القديم للشافعي، ورجَّحه النووي، وتمامه في المعراج). اهـ.

٤- طوالع الأنوار [(١)]:

---

(١) ٢/٦٢٦.

(لا حرم للمدينة عندنا، فيجوز الاصطياد فيها، وقَطْع أشجارها.

وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة في الصحيحين وغيرهما، صريحةٌ في تحريم المدينة كمكة.

منها في الصحيحين: «اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا - وفي رواية: دعا لأهلها - وإني حرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة».

وللبخاري من حديث أبي هريرة: «حُرِّم ما بين لابتي المدينة على لساني».

ولمسلم: «اللهم إني أحرّم ما بين جبليها مثل ما حَرَّم إبراهيمُ مكة».

وله: «اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة، فجعلها حراماً، وإني حرمت المدينة، فجعلتها حراماً بين مَأزِمَيْها، أن لا يُهْراق فيها دم، ولا يُحْمَل فيها سلاح لقتال، ولا يُخْبَط فيها شجر إلا لعلف».

ومَأزِما المدينة: جبلاها، كما صرَّح به النووي، وهما: عَيْر، وثَوْر، لما في رواية مسلم في حديث الصحيفة عن علي رضي الله عنه:

«المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْر إلى ثَوْر».

ولأبي داود مثله، وزاد: «إن رسول الله ﷺ قال: لا يُخْتلى خَلاها، ولا يُنَفَّر صيدها، ولا يُلتقط لُقَطَتُها إلا مَن أنشد بها، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا أن يقطع منها شجرة إلا أن يَعْلف رجل بعيرَه».

وكان أبو هريرة يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ما ذَعَرْتُها. قال

---

(١) ٤/٤٣٦-٤٣٧.

رسول الله ﷺ: «ما بين لابتيها حرام» أخرجه البخاري.

وزاد في رواية مسلم: وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حِمَى.

ولأبي داود: حَمَى رسولُ الله ﷺ كلَّ ناحيةٍ من المدينة بَريداً، لا يُخْبَط شجرها، ولا يعضد إلا ما يساق به الجَمَل.

وقد وردت بمعنى ما ذكرنا أحاديث كثيرة صحيحة جداً.

وللفضل الجَنَدي: أن سعداً رضي الله عنه قال في قصة العبد الذي وَجَدَه يعضد أو يخبط عِضاهَها بالعقيق: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن وَجَدَ مَن يعضد أو يخبطَ شيئاً من عِضاه المدينة، بَريداً في بَرِيد، فله سَلَبُه»...

فلم أكن لأردّ شيئاً أعطانيه رسولُ الله ﷺ.

* وتكلف أصحابنا الحنفية في الجواب عن هذه الأحاديث من وجوه متعددة.

- منها: ما قاله بعضهم: إن هذه الأحاديث مضطربة، لأنه وقع في رواية: «ما بين جبليها»، وفي رواية: «ما بين لابتَيْها»، وفي رواية: مأزِميها.

وتُعُقِّب بأن الجمع بينها واضح، وبمثل هذا لا تُرَدُّ الأحاديث الصحيحة، وأن الجمعَ لو تعذَّر، أمكن الترجيح، ولا شك أن رواية: «ما بين لابتيها» أرجح، لتوارد الرواة عليها، ورواية: «جبليها»، لا تنافيها.

فيكون عند كل لابة جبل، أو لابتيها من جهة الجنوب والشمال، وجبليها من جهة الشرق والغرب.

وتسمية الجبلين في رواية أخرى لا تضر.

وأما رواية: «مأزميها»، فهي في بعض طرق حديث أبي سعيد.

والمأزِم بكسر الزاي: المضيق بين الجبلين، وقد يطلق على الجبل نفسه.

- ومنها ما قاله الطحاوي: يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها: كون الهجرة كانت إليها، فكان بقاء الصيد والشجر مما يزيد في زينتها، ويدعو إلى ألفتها.

كما روى ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن هدم آطام المدينة، فإنها من زينة المدينة.

فلما انقطعت الهجرة، زال ذلك.

- ومنها ما أجاب في المحيط: بأنها أخبار الآحاد فيما تعم به البلوى، لأن الشجر في المدينة أمرٌ تعمّ به البلوى، وخبر الآحاد إذا ورد فيما تعم به البلوى لا يقبل، إذ لو كان صحيحاً، لاشتهر نقله فيما عمَّ به البلوى.

- ومنها أنه يعارض حديث أنس الثابت في الصحيحين، أنه كان له أخٌ صغير يُقال له أبو عُمَير، وكان له نُغَر يلعب به، فمات، فكان النبي ﷺ يقول: يا أبا عُمَير ما فعل النُّغَيْر؟.

قالوا: ولو كان للمدينة حرم، لكان إرسالُه واجباً عليه، ولأنكر رسول الله ﷺ على إمساكه، ولا يمازحه.

وحديثُ عائشة رضي الله عنها: كان لآل محمدٍ ﷺ بالمدينة وحوش يُمسكونها.

وحديث سلمة: أمَا إنك لو كنت تصيد بالعقيق، لشيَّعتك إذا ذهبت، وتلقيتُك إذا جئت، فإني أُحِبُّ العقيق.

كذا نقله في اللوامع، ولم يخرِّج للحديثين الأخيرين.

* ولا يخفى على كل عالِمٍ مُنْصِف متضلِّع في الحديث والفقه كراهة صيدها، وعضدِ شجرها لغير حاجة، تحصّناً من نهيه ﷺ، وخروجاً من خلاف العلماء، ويجب تعظيمها واحترامها، واحترام أهلها إكراماً لمن شرَّفها ﷺ والله أعلم) اهـ طوالع الأنوار.

* وهكذا يُلحظ من خلال هذه النماذج القليلة المقارنة بين هذه الأعمال الثلاثة على الدر المختار: الطحطاوي وابن عابدين وطوالع الأنوار، أن في كل منها من الفوائد والاهتمامات، ما ليس في الآخر، ولكلٍّ طالبٌ ومريد، مع ملاحظة أن المتأخّر قد يتضمّن الأسبق بنِسَبٍ مختلفة من هذا التضمين، مما يجعلنا لا يمكن أن نستغني عن الأسبق أبداً.

وهكذا كلما كثرت الشروح والحواشي والتعليقات على كتابٍ ما، كثرت الفوائد، من تحرير ذلك الكتاب، وتدقيقه، والتفريع عليه، وبذا يكون أكبر ثراء ونماء للعلم.

* * * * *

بقية مصنفاته الفقهية

تقدم ذكر كتاب **طوالع الأنوار** مع دراسة مفصلة عنه، وقد جعلته الأول من مصنفاته، لأَوْلَويَّته صورة ومعنى، وأما بقية كتبه الفقهية – مع أهميتها الفقهية – فهي رسائل مفردة في مسائل معينة، ومما وقفت عليه منها، مرتِّباً لها على حروف الهجاء:

٢- الأبحاث في المسائل الثلاث.

ذكر هذه الرسالة البغداديُّ في هدية العارفين (١)، وكذلك في إيضاح المكنون (٢)، ولم أقف عليها، ولكن قدّرت من عنوانها أنها في الفقه، ولذا ذكرتها هنا.

٣- رسالة في إخراج زكاة الحَبِّ بالقيمة.

وهي جواب عن سؤال وَرَد إليه من العلامة الشيخ يوسف بن محمد البطاح الأهدل (٣)، فقد جاء في أول هذه الرسالة:

---

(١) ٢/ ٣٧٠.

(٢) ١/ ١٠.

(٣) أحد كبار فقهاء الشافعية باليمن، ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين، وتفرّغ فيهما =

«هذا سؤال سأله مولاي العلامة الفهامة السيد يوسف البطاح، حين وَفَدَ إلى المدينة المشرفة زائراً سنة ١٢٣٤ ما ملخصه:

ما قولكم في إخراج زكاة الحَبِّ. هل يجوز إخراجها بالقيمة أم لا؟ وهل يجوز إخراجه خُبْزاً إذا كان أنفعَ للفقراء، وما يراعى في إخراج الخبز من الحب ... بيِّنوا بياناً شافياً عن جميع الأطراف، والمسألة واقعة، والسائل مستفيد، جُزِيتم خيراً.

فقلت في جوابه: بسم الله الرحمن الرحيم... وبعد فيقول أسير الشهوات محمد عابد...» الخ.

والرسالة في أربع صفحات بخط الشيخ محمد عابد، وفي كل صفحة (٢٥) سطراً، ضمن مجموع محفوظٍ بمكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم (٨٢)، ويبدأ السؤال لوحة (٩٨ب) إلى آخر لوحة (١٠٠أ).

٤ـ إلزام عساكر الإسلام بالاقتصار على القَلَنْسُوَة طاعةً للإمام.

موضوع الرسالة مهمٌ جداً في السياسة الشرعية، وفي بيان حدود طاعة الإمامِ الحاكمِ المسلم، كَتَبَها جواباً لسؤالٍ رُفع إليه في سنة ١٢٤٦، نصُّه:

«ما قولكم فيمن كان مأموراً من الإمام الأعظم بالاقتصار على

للتدريس والتأليف، ومن كتبه: إفهام الأفهام شرح بلوغ المرام، في مجلدين، وكانت وفاته بالطاعون بمكة المكرمة سنة ١٢٤٦، رحمه الله تعالى، له ترجمة في نيل الوطر ٤٢٤/٢، الأعلام ٢٥٣/٨.

القَلَنْسُوة، وكان منهياً عن شدِّ العمامة عليها، فهل يجب عليه السمع والطاعة، أم لا؟

فإن قلتم بالوجوب، فهل تكره الصلاة بالقلنسوة المفردة عن العمامة، أم لا؟

وما قولكم أيضاً فيمن أمَرَه الإمام بلُبْس ثوبٍ يمتاز به طائفةٌ من الكفار، هل يجب عليه السمع والطاعة، أم لا؟ بيِّنوا تؤجروا». اهـ

فكَتَبَ الشيخ محمد عابد هذه الرسالة في ٣ رجب سنة ١٢٤٦، وقد جاءت في خمس لوحات، وفي كل صفحة من لوحاتها ٢٨ سطراً.

والرسالة مشحونة بالفوائد الغزيرة فقهياً وحديثياً، كما هي عادة الشيخ محمد عابد، وبخاصة من ناحية التقاطه العجيب لأدلةٍ متناثرة، يستنبط منها أحكامَ ما هو بصدده، قد جَمَعَها نتيجة خبرةٍ علميةٍ طويلة دقيقة، فإنه كَتَبَ هذه الرسالة وقد قاربت سِنُّه من الستين عاماً.

وهي بخط تلميذ المؤلف، وهو الحاج أحمد بن عثمان خوجة، كَتَبَها عن خط مؤلفها في ٢٥ محرم سنة ١٢٤٧ بالمدينة المنورة، ببيته في حارة العَيْنِيَّة، وهي من محفوظات دار الكتب المصرية، تحت رقم (٦٤٥) فقه تيمورية، ورقم (٢١٦٤٥) ميكروفيلم.

٥- تغيّر الراغب في تجديد الوقف الخارب :

هذه الرسالة جواب عن سؤال وَرَدَ للشيخ محمد عابد، ونصُّه كما جاء في مقدّمتها بخط المؤلف الشيخ محمد عابد ما يلي:

«... أما بعد: فقد وَرَدَ في آخر ذي القعدة سنة ١٢٣٦ سؤالٌ ما

حاصله: أن مدرسةً خَرِبتْ، ولم يبق لها نقض، أعاد بناءَها بعضُ أهل الخير من خالص ماله، فهل يصير البناء بمجرد وقوفه على الأرض الموقوفة وقفاً، أم لابد من إنشاء الباني الآخر صيغة الوقف؟

فإذا قلتم لابد من الإنشاء، فهل له أن يشترط لوقفه شروطاً جديدة غير ما شَرَطه الواقف الأول للبقعة أو لا؟

فإن قلتم بأن له ذلك، فهل ما وَقَفَه الواقفُ الأول من العقارات على المدرسة الخاربة تعود إلى هذه الجديدة، مع أنه لما خربت، صُرِفت تلك العقارات إلى جهة أخرى قريبة منها، أم لا بد من صَرْفها إلى جهتها الأولى إلى اللفظ من حاكم الشريعة؟

ثم إن قلتم بردّها إلى المدرسة الجديدة، هل يستحق غَلَّتها مَن شَرَط له الواقف الثاني النظر والتدريس، أم لا؟.

فقلت مستعيناً بالله...» إلى آخر الرسالة.

وهي في ثلاث صفحات، وفي كل صفحة (٢٥) سطراً، ضمن مجموعٍ برقم (٨٢) شلبي، في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، من لوحة (٩٧أ) إلى (٩٨ب).

٦- رسالة في التوسل وأنواعه وأحكامه:

وهي جواب عن سؤال وَرَدَ إليه في ذلك، وتقع في (١٥) لوحة، ضمن مجموعٍ برقم (١١٤٣) في خزانة الرباط بالمغرب (كتاني).

٧- الحظ الأوفر لمن أطاق الصوم في السفر :

وهي رسالة كتبها الشيخ محمد عابد لبيان مسألةٍ وقع فيها الخلاف بين الفقهاء: هل الصوم في حق المسافر في رمضان أفضل أم الفطر؟

فقد ذكر الحديث الوارد في المسألة، وهو قوله ﷺ: «ليس من البِرّ الصيام في السفر»، ثم استعرض رواياته كلها، وتتبّع طرقه الواردة في كتب السنن والمسانيد وغيرها، وذكر أن عموم هذا الحديث معارِض لأحاديث كثيرة، ثبت فيها صوم النبي ﷺ في السفر.

كما ذكر الأحاديث التي تحثُّ على الأخذ بالرُّخَص.

ثم بحث الموضوع حديثياً وفقهياً وأصولياً، وحاول الجمع بين الأدلة ما أمكن، مع ذكر آراء العلماء في المسألة.

وهكذا جاءت الرسالة متضمنة لبحث كامل واسع في هذه المسألة، مشحونةٍ بفوائد غاليةٍ متنوعة كثيرة، فقد قال الشيخ محمد عابد في مقدمتها:

(أما بعد: فقد خطر في البال فوائد أصولية، ونُكات حديثية، ولطائف فقهية في حديث: «ليس من البر الصيام في السفر» فأردت تحريرها، ليدوم نفعها، وتتوفر فائدتها، والعلم صيد، والكتابُ قَيْدٌ، وها أنا أشرع في ذلك مستعيناً بالملك القدير، فإنه الميسّر لكل عسير.

اعلم أن أكثر الأصوليين ذهب إلى أن اللفظ الذي ورد بعد سؤال أو حادثة إما أن لا يكون مستقلاً، ونعني به ما لا يكون كلاماً مفيداً...» الخ.

وهذه الرسالة بخط مؤلفها، محفوظة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، ضمن مجموع رقمه (٢٦٤٠)، ورقم الرسالة (١٥)، ولم يؤرخ المؤلف تاريخ تأليفه لها، وهي في أربع لوحات، وفي كل صفحة من

لوحاتها (٢٦) سطراً.

* وقد تكلم المؤلف عن هذه المسألة نفسها بما يقارب حجم هذه الرسالة في كتابه: المواهب اللطيفة شرح مسند الإمام أبي حنيفة، في الجزء الأول، من لوحة ٤٤٤ إلى ٤٤٨.

وأشار في طوالع الأنوار ٢٨٥/٣ أن المسألة فيها بحث.

٨- رسالة في حكم إطعام الطعام في مناسبات الفرح أو التَّرَح

وهي جواب عن سؤال رُفع إليه في ذلك، وقد ساق المؤلف في أول الرسالة طائفةً كبيرة من الأحاديث النبوية في فضل إطعام الطعام.

وتقع الرسالة في (٦) لوحات، وفي كل صفحة من لوحاتها (١٨) سطراً، وتوجد نسخةٌ منها في مكتبة خزانة الرباط بالمغرب، ضمن مجموعٍ برقم (١١٤٣) كتاني، وتبدأ من صفحة (٢٩) من المجموع إلى صفحة (٤١)، ضمن الرسالة الثانية من المجموع.

٩- الخير العام في أحكام الحمّام.

ذكر هذه الرسالة الشيخ محمد عابد في كتاب: المواهب اللطيفة[1]، حيث قال:

«وأما آداب دخول الحمام على القواعد الطبّية، فقد ذكرنا ذلك مفصَّلاً في رسالتنا المسماة: الخير العام في أحكام الحمام»[2] اهـ.

---

(١) ١٥٦/١ أ.

(٢) وأذكر هنا للفائدة كتاباً في أحكام الحمام، أثنى عليه الحافظ السخاوي كثيراً، فقد ذكر في الضوء اللامع ٣٠٦/٩-٣٠٧ في ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن محمد =

١٠- شفاء قلبِ كلِّ سَؤول في جواز مَن تسمَّى بعبد النبي وعبدالرسول.

وهي رسالة لطيفة في معناها، رشيقة في مبناها، جاءت في لوحتين وربع، وفي كل صفحة من لوحاتها ثلاثون سطراً، وقد سمّاها بهذا الاسم المؤلِّفُ، كما جاء في مقدمتها، وهي جوابٌ لسؤال رُفع إليه في ذلك.

بيَّن فيه الشيخ محمد عابد حكم المسألة بياناً شافياً، وتكلم عنها من الناحية الفقهية والحديثية والعقدية واللغوية والبلاغية وغير هذا.

والرسالة بخط تلميذه الحاج أحمد بن عثمان خوجة، كَتَبَها بالمدينة المنورة في ٢٦ محرم سنة ١٢٤٧، وهي من مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم (٦٤٥) فقه تيمورية.

١١- غُنْيةُ الزَّكي في مسألة الوصي.

ابن مسلم بن علي بن أبي الجود التاج ابن الأمير ناصر الدين السالمي القاهري، ثم الكركي المقدسي الشافعي، ويعرف بابن الغرابيلي، المولود سنة ٧٩٦ بالقاهرة، ذكر أن له «مصنفات حسنة، منها كتاب في الحمَّام، جمع فيه بين المعقول والمنقول، أبان فيه عن فضل كبير، ونظر واسع، ذكر فيه ما ورد في الحمَّام من الأخبار والآثار، مع أقوال العلماء في دخوله، وما يتعلق بالعورة، واستعمال الماء فيه، والاستياك والوضوء والغسل، وقَدْر المكث فيه، وحكم الصلاة فيه، وأفضل الحمامات وأحسنها، وما يتصل بذلك من الطب، وحكم أجرة الحمام، وغير ذلك، وهو نهاية في الجَوْدة». اهـ

هذه الرسالة جواب عن سؤال أُرسل إلى الشيخ محمد عابد، ونصُّه كما جاء في مقدّمتها من كلام الشيخ محمد عابد قال:

«... وبعد: لما كان صفر سنة ست وثلاثين وألف ومائتين، وأنا بالمدينة المشرفة، على مشرِّفها أفضل الصلوات وأكمل التسليمات، وصلتني من مكة المشرفة ورقةٌ اشتملت على دعوى المدّعي، وشهادة الشهود، وفتوى مفتي وقتنا بها أبقاه الله تعالى، ونَشَر فيضَه.

أخبرني مَن أطلقها علي، أن المفتي عوَّل في تصويب ما حّرر – إن كان صواباً – أو تبيَّن ما فيه إن كان ثمَّة ما يوجب إصلاحه.

فتأملت ما فيها، فرأيتُ تحرير كلامٍ لا غنى عنه...، وتمَّ تحريره سنة ١٢٣٧ ربيع الثاني». اهـ.

وهذه الرسالة في ٩ صفحات، وفي كل صفحة (٢٦) سطراً، محفوظة بمكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مجموعٍ برقم (٨٢)، وتبدأ من لوحة (١٠٠ب).

١٢-القول الجميل في إبانة الفرق بين تعليق التزويج وتعليق التوكيل.

وهي رسالة فيها جواب عن سؤال أرسله شيخ الحرم الرئيس المعظَّم قاسم آغا إلى الشيخ محمد عابد، ونصُّه كما جاء في مقدمتها من كلام الشيخ محمد عابد قال:

«... إني كنت في المدينة المشرفة في سنة ١٢٣٦، وأرسل إليَّ شيخ الحرم الرئيس المعظَّم قاسم آغا وفَّقه ربه:

في بِكْرٍ بالغةٍ طَلَبَ منها بعضُ أقاربها أن توكِّل زيداً في تزويجها من ابن عمها، فقالت: وكَّلته إن رضيتْ أمي، فزوَّجها الوكيل من ابن عمها قبل أن تُشاوَر أمُّها، وأنكرت الشهود التعليق.

فهل يصح هذا العقد؟ أم لا بد من تجديد العقد بعد رضاء أمها؟ أفتونا مأجورين.

كَتَبَه مفتي المدينة المنورة أبو بكر بن عبدالسلام الداغستاني...»الخ.

ثم كَتَبَ الشيخ محمد عابد جوابه في صفحتين، وفي كل صفحة ٣٥ سطراً، والرسالة بخط المؤلف الشيخ محمد عابد في مكتبة الشلبي، المحفوظة في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مجموعٍ برقم (٨٢) لوحة ١٠٤.

* ثم تلت هذه الرسالة في المجموع نفسه، رسالة تتعلق بالمسألة ذاتها في صفحتين، عنوانها: القول السديد بتعليق الوكالة بالتقييد، للشيخ محمد صابر، وجاء في مقدمتها، وهي بخط الشيخ محمد عابد:

«... إني لما وصلتُ إلى مكة المشرفة في سنة ١٢٣٧ وَرَدَ علي سؤال عن مسألة:

«في بِكْرٍ بالغة... الخ، وفيها جواب من الشيخ أبي بكر بن عبدالسلام مفتي المدينة المنورة، وكان على غير الصواب، فمنعني قلة علمي أن أتكلَّم عليه، حتى ظفرت بالمدينة المنورة، فأمرني الشيخ العلامة، والحَبْر الفهامة الشيخ محمد عابد السندي مولداً، والمدني موطناً، أن أكتب عليه، وقد كَتَبَ بنفسه فيها جواباً صحيحاً، موافقاً لما في الكتب المعتمدة بالتحقيقات والتدقيقات المعتبرة، ولكن ما أظهره علينا هضماً لنفسه... فشرعت فيه امتثالاً للأمر، وسميته بالقول السديد...» الخ.

١٣- رسالة في كرامات الأولياء والتصديق بها :

وهي جواب عن سؤال رُفع إليه عن كرامات الأولياء، وهل هي جائزة الوقوع ؟ وهل التصديق بها واجب أم جائز؟

وقد جاء الجواب مع السؤال، في كراسة تبلغ ١٧ صفحة، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، وفي كل سطر ٩ كلمات، وهي مدرجةٌ بأوراق متتابعة مع الرسالة التالية[١]، كما سيأتي.

١٤ـ رسالة في تقبيل الصحابة رضي الله عنهم يدَ رسول الله ﷺ ورأسَه الشريف، وحكم التقبيل عامة :

وهي جواب عن سؤال رُفع إليه من السائل السابق عن كرامات الأولياء، ونصّه:

هل وَرَدَ في الأحاديث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقبّلون يدَ رسول الله ﷺ الكريمة، أو رأسَه، أو قدمَيْه الشريفتين، أو غيره من أعضائه الشريفة، أم لا؟

وقد جاء الجواب مع السؤال في كراسة تبلغ عشرين صفحة، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، وفي كل سطر ٩ كلمات.

---

(١) محل هذه الرسالة في التصنيف الموضوعي لرسائل الشيخ محمد عابد، أن تكون في كتب العقائد، وحين لم يكن له كتبٌ فيها، أدخلتها مع كتب الفقه لانفرادها، وأيضاً فهو سؤال ورد مع السؤال التالي عن حكم التقبيل.

وتوجد نسخةٌ من هذه الرسالة، مع الرسالة السابقة لها، في مكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، المحفوظة بمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، برقم (٣٠) شلبي، من ص ١٨ إلى آخر الرسالة ص ٣٨.

* وقد جاءت الرسالتَيْن السابقتَيْن متعاقبتَيْن في أوراق متتالية، حيث إن السؤال عن هذين الأمرَين كان من سائلٍ واحد، ولذا وضع الناسخ لهما عنواناً واحداً باسم: (الكرامة والتقبيل)، وأظنه من تَصَرُّفه.

وقد جاء في آخر الجوابين من كلام الشيخ محمد عابد ما يلي:

«هذا آخر ما فتح الله تعالى علي في إيراد الجواب على ما سأله السائل. قاله عَجِلاً، ورَقَمَه خَجِلاً أفقرُ عباد الله إلى رحمته، وأحوجهم إلى مغفرته: محمد عابد ابن المرحوم أحمد علي الأنصاري السندي، لاطَفَه ربه الغني. آمين.

وكان الجواب في سنة ١٢٢٤ هجرية، بعد دخولي في الحُدَيْدَة المحروسة، وعلى ساق العزم بالسفر إلى بعض الجبال، وأسأل الله العفو والغفران...».

ثم كَتَبَ الناسخ لهما ما يلي:

«محمد عبدالهادي، مكة المكرمة، تحضير البعثات ١٣٦٤/١٢/٢٩».

وكَتَبَ على الغلاف: «ضَبَطه وراجعه محمد عبدالهادي ١٣٦٥».

ويظهر من نَسْخه أنه ليس بطالب علم.

وقد نَسَخَها عن نسخة جاء في آخرها: «فَرَغتُ من تسويد هذه الرسالة في اليوم السابع من شهر ربيع الثاني، في سنة ألفٍ ومائتين وخمس

وستين هجرية، بعد الظهر، وأنا العبد الآثم القاضي قاسم ابن القاضي شهاب الدين المهري. عفا عنه وعن والديه. آمين إلى يوم الدين يارب العالمين». اهـ

* وتوجد من هاتين الرسالتين نسخة أخرى كانت في ملك السيد محمد عبدالحي الكتاني [1]، ثم آلت مع مكتبته إلى مكتبة خزانة الرباط بالمغرب، ضمن مجموعٍ برقم (١١٤٣) كتاني.

وتبدأ الرسالة الأولى من صفحة (٤١) من المجموع، إلى صفحة (٥١)، والرسالة الثانية من صفحة (٥٢) إلى صفحة (٦٠)، وفي كل صفحة منها (١٧) سطراً.

وهذه النسخة المغربية صحيحة مضبوطة، جاءت بخط نسخي جميل.

١٥- كَفُّ الأماني عن سماع الأغاني.

موضوع هذه الرسالة واضح من عنوانها، ولكن سبب تأليف الشيخ محمد عابد لها قد ذكره في مقدمتها بقوله:

«... هذه رسالة سمّيتها: كفّ الأماني عن سماع الأغاني، وأوجب ذلك أن بعضَ الأفاضل في أواخر رجب سنة ١٢٣٥، أرسل إليَّ رسالة [2] من مكة المشرفة، وذَكَرَ أن بعض الأعيان الأجِلَّة أظهرها في هذه الأيام، وهذا لفظها من أولها:

---

(١) ينظر فهرس الفهارس ٢/٧٢١، الأعلام للزركلي ٦/١٨٠.

(٢) أي رسالة مؤلَّفة في حِل سماع الأغاني.

(قال الإمام حُجَّة الإسلام أبو حامدٍ الغزالي في رسالته المسماة بـ:«بوارق الأسماع في تكفير مَن يُحرِّم السماع»، ما نصّه:

«قال: وفي إنكار سماع الغناء، وسماع ضرب الدف والأصوات الحسنة، مخالفةُ السُّنَّة، ومخالفةُ السنة اعتقاداً أو تحريماً: كفرٌ، والإعراض عنه، والانتهاء عنه فسق»).

أقول – الشيخ محمد عابد -: ونِسبةُ هذا الكلام إلى الإمام الغزالي مما تَمُجُّه الأسماع، وتَنْفِر عنه الطِّباع، والدليل على ذلك... الخ.

ثم قال:

إذا علمتَ هذا، فلنذكر الأدلة الواردة في النهي عن سماع الغناء من الكتاب والسنة، ثم نصوص أصحابنا الحنفية الذين صرَّحوا بتحريمه، ثم نتوجَّه إن شاء الله تعالى إلى الجواب عما أورده محرِّرُ الرسالة...» إلى آخر الجواب.

والرسالة تقع في ١٦ لوحة كبيرة، في كل صفحة من لوحاتها ٢٩ سطراً، وفي كل سطر ١٨ كلمة.

وهي بخط ابنِ عم الشيخ محمد عابد وتلميذِه الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ محمد حسين الأنصاري المدني.

وقد انتهى مؤلفها من تحريرها في غرة شعبان سنة ١٢٣٥ بالمدينة المنورة.

ووافق الفراغ من نَسْخِ ابن عمه لها، في العشاء الآخرة من ليلة الاثنين لسبعٍ بَقيْن من الشهر المذكور، والعام المزبور.

وهي من محفوظات مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مكتبة الساقزلي، برقم (١٣٩).

١٦- منال الرجاء في شروط الاستنجاء.

أصل هذه الرسالة أن الشيخ محمد عابد كَتَبَ أولاً صفحةً واحدة في شروط الاستنجاء، وسببُ جمعه لها ما قاله في أولها:

«إني لما رأيت بعضَ الناس يسألون العلماء الجهابذة تعنُّتاً عن شروط الاستنجاء، فربّما تحيَّر في جوابه مثلي القاصر، استخرتُ الله تعالى، وصَرَفتُ فكري إلى تحرير شيءٍ في ذلك...» الخ.

ولما اطلع على هذه الشروط بعض ملازميه، طلب منه أن يشرحها، فحرَّر شرحاً عليها في رسالة سمّاها: منال الرجاء في شروط الاستنجاء.

وقد جاءت هذه الرسالة في سبع لوحات بخط الشيخ محمد عابد، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، وهي محفوظة في مكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، بمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مجموعٍ برقم (٨٢) شلبي، وتبدأ من لوحة (١٠٨).

وأما الصفحة المفردة التي كتبها في شروط الاستنجاء أولاً، فهي في المجموع السابق نفسه، في لوحة (١٠٧).

وقد كتبها الشيخ محمد عابد، وهو مقابل للمواجهة الشريفة حال إقامته بالمدينة المنورة، وسأل في آخرها «أن يديم الله عليه إقامته بطيبة المشرفة حتى يموت بها شهيداً»، كما جاء في آخرها [١].

---

(١) وذكر هذه الرسالة أيضاً الكتاني في فهرس الفهارس ٢/٧٢١.

١٧- وله عدة مجموعات وحواشٍ على كُتُب الفقه الحنفي، كما قال الكتاني في فهرس الفهارس [١].

وقد رأيت له تعليقات وحواشٍ كثيرة، مليئةً بالفوائد على كتبه الخاصة التي كانت مِلْكَه، ثم آلت بعد وَقْفه لها إلى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، فما يخلو غالباً كتابٌ من كتبه في كل الفنون، إلا وتجد له عليه حواشٍ وإفادات، ومن ضمن هذه الكتب كُتُب الفقه الحنفي، ولعل هذا هو مراد الكتاني، والله أعلم.

١٨- ومما يضاف إلى مصنفاته الفقهية : شروحه على كتب الحديث المتقدمة الذكر، المتضمنة لأحاديث الأحكام، والتي ملأها الشيخ محمد عابد بالفقه المقارن على المذاهب الأربعة، مع التدليل الواسع للأقوال التي يذكرها، وهذه الكتب هي:

١- المواهب اللطيفة شرح مسند الإمام أبي حنيفة.

٢- معتمد الألمعي المهذَّب شرح مسند الإمام الشافعي المرتَّب.

٣- شرح بلوغ المرام.

٤- شرح تيسير الوصول، وهو مليء بأحاديث الأحكام.

* وأيضاً لو نظرنا إلى كتابه: «منحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري»، لرأينا أن من أعظم مقاصد وفوائد جَمعه لهذه الروايات متتابعة متتالية، هو سهولة استنباط الفقه والأحكام منها، وذلك بتيسير الوقوف

---

(١) ٧٢٢/٢.

على تفسير بعض الروايات لبعضها الآخر، أو تقييد مُطْلقها، أو تبيين مُجْملها، أو تخصيص عامِّها، أو توضيح مُشكلها، أو ترجيح أحد احتمالاتها، أو إظهار ما خفي منها.

وهكذا نرى ثروةً فقهية عظيمة، قد أكرم الله تعالى بها الإمامَ الشيخ محمد عابد، ووفَّقه لإنجازها، وعلى رأسها كتاب طوالع الأنوار، ذلك الكتاب الموسوعي العظيم، ثم يأتي بعده كتابه: المواهب اللطيفة شرح مسند أبي حنيفة، وشرح مسند الشافعي.

رحم الله الشيخ محمد عابد، وأجرى له ثواب ما قدَّم، وهيّأ الله الأسباب لخدمة وإحياء هذا التراث العظيم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

* * * * *

المنهج الفقهي للشيخ محمد عابد

تقدم بيان المكانة العالية المرموقة التي بلَغَها الشيخ محمد عابد السنديٍ في فنون العلوم كلها، وإتقانه لها، حيث كان محقّقاً بارعاً مبرِّزاً في كل منها، في القراءات والتفسير، وفي الحديث وفنونه، وفي الفقه وأصوله عامة، وفي الفقه الحنفي وأصوله خاصة، وكذلك في اللغة العربية، وغيرها من العلوم.

بل يمكن القول إنه مَلَك من العلوم ما يؤهله للاجتهاد والترجيح، ومع هذا فكان شأنه في الفقه شأن كبار الأئمة العلماء، الذين بلغوا تلك الرتبة الرفيعة، لكنهم كانوا يلتزمون بمذهبٍ من المذاهب الفقهية المعتمدة، ولا مانع بعد هذا أن يخرجوا عن ذلك المذهب الذي التزموه بعضَ خروج، لما يَلُوْح لهم من أدلةٍ أقوى من أدلة مذهبهم، تجعلهم يرجِّحون القول الذي توصلوا إلى أنه أقوى دليلاً، على مذهبهم الذي قلّدوه، ومشَوْا عليه في عباداتهم ومعاملاتهم عموماً.

وهكذا كان حال الشيخ محمد عابد السندي، فهو من كبار فقهاء الحنفية، مقلِّدا لهذا المذهب في غالب مسائله وفروعه، مع إتقانه التام لأدلة المذهب، وتحرِّيه لتحريرها، والتدقيق في استنباط أحكام المذهب منها، ولكنه إذا ما لاحت له أدلة أقوى من أدلة مذهبه في مسألةٍ ما، وظَهَرَ له أن الراجح فيها غيرُ مذهبه، فإنه يصرّح بترجيح ما توصل إليه من خلال بحثه، وإن خالف هذا مذهبَه الحنفي.

وكل ذلك بأدبٍ تامٍّ عالٍ، وبدون تعالٍ وتعالم وقَدْحٍ بغيره.

ومن أقوى الشواهد والأدلة على منهجه هذا: واقع كُتُبه، كطوالع الأنوار، والمواهب اللطيفة، وشرح مسند الإمام الشافعي وغيرها، بالإضافة إلى نصوصٍ عديدةٍ صريحة، ذكرها في أكثر من موضع، تنطق بهذا المنهج الذي بيَّنته عنه.

* وسأذكر فيما يلي ما وقفت عليه من أدلةٍ على منهجه السابق، ثم أُعقب ذلك ببعض الأمثلة على ترجيحاته وخروجه عن مذهبه الأصلي، المذهب الحنفي.

١- فمن هذه النصوص المتتابعة الشاهدة على منهجه، والناطقة به، ما سطَّره هو بذاته في كتابه: تراجم شيوخه وشيوخ شيوخه [١]، وذلك في ترجمة العلامة الشيخ أبي الحسن السندي الصغير، المتوفى سنة ١١٨٧ حيث قال عنه:

«كان إماماً علامةً محققاً متفنِّناً بارعاً في جميع العلوم، عالِماً بالسنة وآثارها، عامِلاً بها مجتهداً لا عصبية فيه، قد عَمِلَ بخلاف مذهبه مذهبِ أبي حنيفة فيما ظهر له فيه الحق على خلاف قول إمامه، كشيخه محمد حياة، وشيخِ شيخه أبي الحسن السندي الكبير.

فلقد أفاد وأجاد، فقد دُوِّنت الأحاديث، وبُيِّنت طُرُقها صحةً وحُسْناً وضعفاً ووَضْعاً، وبُيِّن اختلاف السلف وعملهم، وقد رَجَعَ الإمام أبو يوسف ومحمدٌ عن كثيرٍ من أقاويل أبي حنيفة، عملاً منهم بوصية شيخهما باتباع الحق حيث كان.

وتَبِعَهُما الطحاويُّ، ومن متأخِّريهم المحقِّق ابنُ الهمام، وقد خالف

---

(١) لوحة ٢٨ ب.

في كثيرٍ، وِفاقاً لبعض الأئمة، لقوة الدليل.

وهذا شأن العلماءِ الورثةِ للأنبياء، فإنَّ المتابَع هو الرسول ﷺ، والمجتهدُ يخطئ ويصيب، فإذا وَضَحَ الدليل، ولم يعارِضه شيء، أو لا يقوم في مقابله شيء، لقوّته عليه: وَجَبَ الاتباع». اهـ

وهذا النص منه بتفاصيله، يؤكد أن محلَّ هذه الترجيحات فيمن كان أهلاً للاجتهاد والترجيح، وبَلَغَ تلك الرتبة بتحقيق شروطها، أما غيرهم فلا يجوز لهم التجرؤ على هذا المقام العالي، الذي كَثُر أدعياؤه، حتى صار سلعة رخيصة يَسُومُها كلُّ مفلس.

٢- وهذا تلميذه وصاحبه الشيخ لطف الله جحاف، حين رَحَلَ مع الشيخ محمد عابد إلى الحجاز سنة ١٢١٦، واستجازا من الشيخ صالح الفُلاَّني، قال الشيخ جحاف:

«ورأيت إمامَ الحرمين الشيخ صالح الفُلاَّني يُجِلُّه ويُدْنيه من مَحَلِّه، لشَغَفه بالكتب الحديثية، وتحرِّيه لاتباع الدليل، مع تَظَهُّره بتقليد الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه»[1] اهـ.

٣- ويقول العلامة الشيخ الشِّجْني تلميذ الشوكاني في التقصار [2]في

(١) درر نحور الحور العين (مخطوط) حوادث سنة ١٢٢٠، ومعنى قوله: (مع تظهّره) أي كان يتحرى اتباع الدليل، مع افتخاره بتقليد الإمام أبي حنيفة، وغلبة ذلك عليه، وقوته فيه، ويتبين هذا المعنى بمراجعة مادة (ظهر) في القاموس المحيط، لا كما فهمه البعض، بأنه غَمْز للشيخ محمد عابد أنه كان يُظهر ما لا يفعل، إذ هذا المعنى تأباه سيرة وديانة الشيخ محمد عابد، وكذلك واقع نصوصه التي أوردت بعضها هنا.

(٢) (مخطوط) لوحة ٢٠٠.

ترجمة الشيخ محمد عابد:

«له يَدٌ طولى في الحديث، ولكنه يرجّح في عمل دينه مذهبَ الحنفية على ما صحَّ له» اهـ.

٤- ويصفه تلميذه الشيخ عاكش أيضاً بقوله: «وكان متحرِّياً لاتباع الدليل»[١].

٥- ويقول صاحب اليانع الجني[٢] لما ذكر طوالع الأنوار:

«وهو حافل جداً، استوفى فيه فروعَ مذهب أصحابه، واستوعب مسائلَ الواقعات والفتاوى، بحيث إنه لو قيل: لم يَفُتْه منها إلا النزر اليسير، لم يُبْعِد ذلك البُعْد، وهو في بيان غالبها سايَرَ أصحابَه، إلا قليلاً، والله أعلم» اهـ.

٦- ومن النصوص التي تؤكد منهج الشيخ محمد عابد السابق، ثناؤه على العلماء المتَّبعين لهذا المنهج.

فهذا تلميذه الشيخ عاكش يحكي عن شيخه الشيخ محمد عابد، أنه كان يثني على علماء صنعاء كثيراً، ويقول:

«قد طِفْتُ أكثر الآفاق، فلم أرَ مثلَ علمائها في التحقيق للعلوم، والاشتغال بالأحاديث، والتحرّي في عملهم في العبادة والمعاملة بما صحَّ به النص»[٣] اهـ.

---

(١) عقود الدرر.

(٢) لوحة ٣٥.

(٣) عقود الدرر، وحدائق الزهر.

٧- ومما يدل على سعة صدره في الخلاف الفقهي، وعدم تعصّبه لمذهبه، تقريرُه جوازَ تقليد مذهبٍ آخر غير مذهب الحنفية في المسائل الخلافية، ولو بعد الوقوع والنزول، وإن أدّى ذلك إلى التلفيق بينها، ولو من غير ضرورة.

فإنه بعد أن ذكر صاحبُ الدر المختار [١] مذهب الحنفية في عدم الجمع بين الصلوات إلا في عرفات، قال الحصكفي: «ولا بأس بالتقليد عند الضرورة، ولكن بشرط أن يلتزم جميع ما يوجبه ذلك الإمام، لما قدَّمنا أن الحكم الملفّق باطلٌ بالإجماع» اهـ.

قال الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار [٢] شارحاً ذلك:

(«ولا بأس بالتقليد عند الضرورة»: ظاهره: أنه عند عدمها لا يجوز، وهو أحد قولين في المذهب، والمختار جوازه، ولو من غير ضرورة، ولو بعد الوقوع والنزول، قاله السيد أحمد رحمه الله.

وقد أُفْرِدت مسائل التقليد برسائل عديدة على كلٍّ من القولين).اهـ

* وعلّق الشيخ محمد عابد على قول صاحب الدر: «بأن الحكم الملفَّق باطل»، بما يدل على عدم رضاه، وذلك بما نقله وقرَّره.

فقد ذكر الشيخ محمد عابد عقب هذه العبارة ما يلي:

«فائدة: قال الشُّرُنْبُلالي في رسالته المسماة: بـ (العِقد الفريد لبيان الراجح من الخلاف في جواز التقليد):

---

(١) ١/٣٨٢ مع حاشية ابن عابدين.

(٢) ١/٤٨٥.

واعلم أنه يصح التقليد بعد الفعل، كما إذا صلى ظانّاً صحتَها على مذهبه، ثم تبيَّن بطلانها في مذهبه، وصحتَها على مذهب غيره، فله تقليده، ويجتزئ بتلك الصلاة، على ما قال في البزازية: رُوي عن الإمام الثاني، وهو أبو يوسف رحمه الله، أنه صلَّى يوم الجمعة مغتسلاً من الحمَّام، وصلى بالناس، وتفرّقوا، ثم أُخْبِر بوجود فأرةٍ ميتة في بئر الحمَّام، فقال: إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة، إذا بلغ الماء قلتين لم يَحْمِلِ الخبث. اهـ). اهـ من طوالع الأنوار.

٨- وذكر الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار [١]، في مسألة إعادة ظهر الجمعة، مراعاةً لخلاف مَن يقول بإعادتها، لأن الجمعة لمن سَبَق، فبعد أن ذكر خلاف الفقهاء فيها قال:

(وقال الشيخ أَبو المعالي من علماء السند، المتوفى في حدود الثمانين والمائة والألف من الهجرة، ما لفظه:

«إتيان الرجل بعد الجمعة بأربعِ بنيةِ آخرِ ظُهْرٍ عليه: لا أصل له في الشريعة، كما ذكره صاحب البحر وغيره.

و[الأصل] [٢]جواز الجمعة، وإن كان مختلَفاً بين المذهبين، لكن تقرر في الأصول: أن مَن أتى بفعلٍ، فما دام يتردد بين أقوال الصحابة واختلاف العلماء، فسبيله الإمضاء، ووجوبُ تقليدِ مجتهد معين لا حجة عليه، لا من جهة الشريعة، ولا من جهة العقل، كما ذكره الشيخ ابن الهمام من الحنفية في فتح القدير، وفي كتابه المسمى بتحرير الأصول.

---

(١) ٢/ ٤٨٤.

(٢) هذه الكلمة غير موجودة في المخطوط، وأضفتها لاستقامة النص.

وبعدم وجوبه صرَّح الشيخ ابنُ الحاجب في مختصر منتهى الأصول من المالكية، والمحقق عضدُ الدين من الشافعية، وذَكَرَ ابنُ أمير الحاج في التحبير شرح التحرير، أن القرون الماضية من العلماء أجمعوا على أنه لا يحل لحاكمٍ ولا مُفْتٍ تقليد رجل واحد، بحيث لا يحكم ولا يفتي في شيء من الأحكام إلا بقوله.

وأما إقامة الصلاة بجماعة فمنشؤها الجهل العظيم، والجهلُ بحرٌ لا ساحل له، وهو تعالى أعلم) انتهى من طوالع الأنوار.

فقد ذكر هذا الشيخ محمد عابد، ولم يعقب عليه بكلمة واحدة، مما يدل على تقريره لهذا المنهج الذي ذكره الشيخ محمد أبو المعالي السندي، والله أعلم.

٩- وكان من منهجه رحمه الله، كما هو شأن العلماء الراسخين، تقديم نصوص الشريعة على قول كائنٍ مَن كان، إن ظهر له أن هذا القول خالف تلك النصوص، فقد قال في رسالته عن حكم إطعام الطعام:

«لا يَسَع العالم المنصِف المتمسِّك بذيل الحق إلا الرجوعُ إلى ما ثَبت في ذلك عنه ﷺ، والقولُ به، والاعتمادُ عليه، وهَجْرُ ما يخالفه، ولو كان القائل هُمَاماً». اهـ

١٠- بل كان من منهج الشيخ محمد عابد إنكارُه الشديد على مَن يذكر مسألة فقهية عن هوى وعصبية، بدون دليل عليها ولا برهان.

من ذلك ما ذكره في طوالع الأنوار [١] في باب الإمامة في الصلاة

---

(١) ٢/٢٢٧.

وشروطها، بعد أن نَقَلَ نصوصاً عن بعض الحنفية المتأخرين، في هل تجوز صلاة الحنفي خلف الشافعي؟ وهل تجوز مناكحة الشافعي لحنفية؟

فقال مُنْكِراً بشدةٍ:

«وأقبح منه مَنْعُ مناكحتهم - أي الشافعية - وليس هو إلا محض تعصب، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا» اهـ.

* وهذا المنهج للشيخ محمد عابد، وتأكيده على الاهتمام بذكر الأدلة لكل قولٍ يُقال، حتى يُعتبر ويُؤخذ به، واهتمامه الشديد هذا بأدلة مسائل مذهبه الحنفي، هو معنى كلمته التي نَقَلَها عنه الشوكاني في ترجمته في البدر الطالع [(١)]، حين رَحَلَ الشيخ محمد عابد إلى مصر، وعاد منها إلى اليمن، فسأله الشوكاني عن حال العلم وأهله في مصر، فأخبره:

«باندراس العلم في الديار المصرية، وأنه لم يَبْقَ إلا التقليد والتصوّف». اهـ

فهو غير منشرح الصدر لحال العلماء في مصر آنذاك، حيث قلَّ العلم عندهم، إذ اقتصروا على التقليد، كعامة الناس، ولم يهتموا بالدليل والحجة والبرهان للمذاهب والأقوال التي يقلدونها، فهو يرجو لهم نشاطاً في العلم وقوة، وزيادةَ بحثٍ وتدقيق فيه، لا أنه يريد ذَمَّ التقليد عموماً، إذ لا بد من التقليد.

ويؤكد هذا الفهم صياغة الإمام الشِّجْني في التقصار[(٢)] لجواب الشيخ محمد عابد بقوله: «ولم يبق بها إلا القليل من العلم أو التصوف».

---

(١) ٢/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) لوحة ٢٠٠.

* تنبيه: فيه ردٌّ على بعض المتطاولين على الشيخ محمد عابد:

هكذا كان المنهج الفقهي للشيخ محمد عابد، كمنهج كثيرٍ من كبار أئمة العلماء، لا كما اتهمه بعضُهم، منتقِصاً له بدون علم، بل متابعةً لغيره بدون تحقيق وتمحيص.

ولقد استغفرت الله تعالى كثيراً حين اطلعت على مقالٍ لكاتب معدودٍ في صفّ العلماء، ترجم فيه للشيخ محمد عابد بترجمة موجزة، تَخلَّلها كلامٌ يسوء ذكره، ولا يُستحسن نشره، وقد دعوتُ الله تعالى أن يسامح كاتبه، حيث انتقل إلى رحمة ربه الغفور الرحيم.

ثم رأيت أن أذكر كلامه هنا للاتعاظ والعبرة، ليحرص الإنسان أن لا يدوِّن بقلمه، أو يتكلم بلسانه ما لا يسرّه عند ربه.

فلا تكتبْ بكفِّك غيرَ شيءٍ يَسُرُّك في القيامة أنْ تراهُ

وهكذا فقد وقفت على مقالةٍ في مجلة الحج، الصادرة بمكة المكرمة، في الجزء التاسع منها للسنة الحادية عشرة، بتاريخ ١٦ ربيع الأول، سنة ١٣٧٧ صفحة ٥٧٢، كَتَبَها الأستاذ عبدالوهاب بن عبدالجبار الدهلوي المكي، المتوفى سنة ١٣٨١[1]، وعُنْوان مقاله:

(علامةٌ سلفي ضليع... وباحث معروف يقول: استفدتُ من هؤلاء المؤلفين!!؟)، وذَكَرَ محدث الحجاز الشيخ محمد عابد السندي بترجمة موجزة، ومما جاء فيها:

«... وكان الشيخ محمد عابد يدرِّس الكتب الستة في ستة أشهر،

(١) له ترجمة مختصرة في أعلام المكيين ١/ ٤٤١.

ولكن مع الأسف كان من المقلِّدين المتعصِّبين للمذهب الحنفي، مع أن من أشياخه الشيخ صالح الفُلاَّني المكي، والإمام الشوكاني، والعارف بالله الشيخ أحمد بن إدريس المغربي، وكلهم كانوا من العلماء العاملين بالسُّنَّة الداعين إليها، فسبحان مَن يُخرج الميِّتَ من الحي». اهـ بنصه!!!؟.

ثم تكرّم عليه بعد هذا الطعن والجرح، فمَنَحه من جُوده وكرمه الطائي، وختَم ترجمته بقوله: «وبالجملة كان الشيخ محمد عابد السندي ـ على جموده وشدة تعصبه لمذهبه ـ رجلاً نافعاً جزاه الله خيراً». اهـ.!!؟

قلت: نعم سبحان مَن يُخرج الميِّتَ من الحي، ويُخرج الحيَّ من الميت، وأستغفر الله العظيم من الاستشهاد بهذا النص في هذا المحل، سبحانك هذا بهتان عظيم.

فهل مَن كان يُحيي سنة رسول الله ﷺ في ربوع المدينة المنورة، وفي جَنَبَات مسجد رسول الله ﷺ: ميت؟ وهل كان الشيخ محمد عابد لا يعمل بالسنة ولا يدعو إليها كأشياخه وأساتذته؟!!

لكن المسلم الديِّن يصون نفسه عن الوقوع في الناس، فكيف بالوقيعة بأهل العلم، وبخاصةٍ مِن أهل العلم؟ نسأل الله أن يحفظنا وألسنتنا من الزلل، وأن يُلهمنا السداد والصواب.

* وأصل هذا الكلام، الذي فاه به هذا المترجِم للشيخ محمد عابد ـ سامحه الله ـ قد تقلَّده برُمَّته، وأَخَذَه من كلام الشيخ محمد صدّيق خان ابن حسن الحسيني القَنُّوْجي، المتوفى سنة ١٣٠٧، حين ترجم للشيخ محمد عابد في أبجد العلوم [1]، حيث قال:

---

(١) ١٧١/٣.

«ومن الاتفاقات أن الفُلاَّني – أي الشيخ صالح – له شدة في فَتِّ عَضُدِ التقليد، وهِمّةٌ في اتباع السنة لا يُتصوَّر عليها مزيد، وتلميذُه الشيخ محمد عابد السندي له عصبية في الجمود على المذهب الحنفي، مع كونه معروفاً بدَرْس الحديث، وهذا من غرائب الدنيا، وعجائب الدهر، بل ولا غَرْو، فإن عُمُر الدنيا قد انصرم، وكَثُر الاختلاف، وذهب الائتلاف، وعمَّ الفساد في البر والبحر، وسال به الوادي وطَمّ، ولم يَنْجُ من بليّات التقليد وآفات الرأي إلا مَن عصمه الله وعليه رحم». اهـ.

ثم قال الشيخ صديق خان بعد قليل: «وكان – يعني الشيخ محمد عابد – ذا عصبية للمذهب الحنفي، ولذلك تعقَّبه في بعض الرسائل له السيد العلامة أخونا أحمد بن حسن الحسيني القنوجي البخاري العرشي رحمه الله». اهـ

قلت: ولا يقول هذا إلا مَن لم يعرف الشيخ محمد عابد حقَّ المعرفة، والموضوع إنما هو اختلافُ مدارس ومشارب، نسأل الله الإنصاف والإخلاص، ورحم الله تعالى الجميع، وغفر لنا ولهم.

* * * * *

بعض المسائل الفقهية التي رجَّح فيها الشيخ محمد عابد غيرَ مذهب الحنفية

أذكر هنا بعض المسائل الفقهية التي رجّح فيها الشيخ محمد عابد السندي غير مذهبه الحنفي، وذلك على سبيل المثال، مما يسّر الله تعالى لي الوقوف عليه، لا على سبيل الاستقصاء.

وسأذكر عنوان المسألة فقط، وبيان رأيه فيها، دون سردٍ لنصه الذي فيه الترجيح، مع الإحالة إلى مكانه، وأبيّن رأي المذهب الحنفي الذي رجّح غيره.

١- **مسألة حرم المدينة المنورة**، وهل يجوز الصيد فيه وقَطْع شجره أم لا؟

رجّح الشيخ محمد عابد كراهة الصيد فيه وقطعِ شجره، لما ورد من أحاديث في تحريم المدينة، مع أن رأي المذهب الحنفي هو جواز ذلك وإباحته [(١)].

٢- **مسألة القراءة خلف الإمام**، رجَّح فيها الشيخ محمد عابد قول الإمام محمد، وهو وجوب القراءة على المقتدي في السرِّية، وقال: «هو أعدل الأقوال، وهو الذي فَهِم جمهور الصحابة، وبه تنتظم الأدلة التي

---

(١) وقد تقدم ذكر هذه المسألة مع المسائل المقارنة بين طوالع الأنوار وحاشية الطحطاوي وابن عابدين ص ٤٢٨.

تُذكر في القراءة خلف الإمام وعدمه، وبه يندفع التعارض الواقع بين الأحاديث المسنَدة، والآثار المختلفة»[١].

مع أن المذهب المعتمد عند الحنفية هو عدم القراءة خلف الإمام، لا في السرية ولا في الجهرية، بل تكره القراءة خلفه كراهة تحريم، كما نقل هذا ابن الهمام وغيرُه عن أهل المذهب [٢].

٣- **مسألة رفع اليدين في تكبيرات الانتقال**، وسَّع الشيخ محمد عابد الأمر في هذه المسألة، ولم يرجّح قولاً من الأقوال، فإنه بعد أن ذكر قولَ الجمهور القائلين باستحباب الرفع، وقولَ الحنفية القائلين بعدم الرفع، بل بكراهته [٣]، قال:

«إن ابنَ مسعود إنما أخبر بما شَهِدَه من الرسول ﷺ، وغيرُه أخبر بما شهد، وكلا الحديثين صحيح، وليرجِّح المجتهد ما يرجّح» [٤].

* * * * *

(١) المواهب اللطيفة ١/٢٤٥ مخطوط.

(٢) الهداية مع شروحها فتح القدير وغيره ١/٢٩٤، الدر المختار مع حاشية ابن عابدين ١/٥٤٤.

(٣) حاشية ابن عابدين ١/٥٠٦.

(٤) المواهب اللطيفة ١/٢٢٧.

نموذجان من المسائل الفقهية المقارنة
مما كتَبَه الشيخ محمد عابد

١- مسألة اشتراط المَحْرَم لسفر المرأة :

ذكر الشيخ محمد عابد في كتابه: المواهب اللطيفة شرح مسند أبي حنيفة [(١)] عند شرحه لحديث:

«لا تسافر المرأة يومين إلا مع ذي مَحْرم» قال:

(ففي الحديث دليلٌ على مَنْع المرأة من السفر إذا لم يكن معها زوجُها أو ذو مَحْرَم لها.

وأجاز الشافعي رحمه الله سفرها مع النسوة الثقات[(٢)].

والحديث ردٌّ عليه، إلا أنه استدل بحَجِّ أمهات المؤمنين في أيام عمر رضي الله عنه.

فقد أخرج البخاري عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف إذْنَ عمر لأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجَّها، فبَعَثَ معهن عثمانَ بن عفان وعبدَالرحمن بن عوف.

وزاد البيهقي: «وكان عثمان يسير أمامهن، وعبدُ الرحمن خلفهن،

---

(١) ١/١٩٨-١٩٩.

(٢) أي لحج الفريضة، ينظر مغني المحتاج للشربيني ١/٤٦٧.

وعلى هَوَادِجِهنَّ الطيالسة الخُضْر».

وفي رواية له: «فإذا نزلن، أَنْزَلَهُنَّ بصَدْر الشِّعْب، فلم يصعد إليهن أحد، ونزل عبدُ الرحمن وعثمانُ بذَنَبِ الشِّعب».

وروى ابن سعد من مرسَل أبي جعفر الباقر قال: «مَنَعَ عمرُ أزواجَ النبي ﷺ الحج والعمرة، حتى إذا كان آخر عام، فأذِنَ لهنَّ».

* واختلف العلماء في أن المَحْرَم للمرأة، هل هو من الاستطاعة، حتى لا يجبُ عليها الحجُّ إلا بوجود المَحْرم، أم لا؟

فقال أبو حنيفة باشتراطه، وتَبِعَه أحمد، وقال مالك والشافعي: لا يُشترط ذلك.

واستدل أبو حنيفة وأحمد بحديث الباب، فإن سفرها للحج من جملة الأسفار الداخلة تحت المَنْع، فيمتنع إلا مع المَحْرم.

والذين لم يشترطوا، أجازوا سفرها مع رُفقةٍ مأمونين إلى الحج، رجالاً أو نساءً، في سفرها.

ومع امرأة واحدة: خلافٌ في مذهب الشافعي.

* وهذه المسألة تتعلق بالنصَّيْن إذا تعارضا، وكان كل واحد منهما عامّاً من وجه، وخاصّاً من وجه.

بيانه: أن قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ يدخل تحته الرجال والنساء، فيقتضي ذلك، أنه إذا وَجَدَت الاستطاعة المتفق عليها، أن يجب عليها الحج.

وقوله ﷺ: «لا تسافر المرأة...» الحديث، خاص بالنساء، عام في الأسفار، فيقوم في كل واحد من النصَّيْن عموم وخصوص، ويحتاج إلى

الترجيح من خارج، وقد وَجَدْنا ذلك فيما أخرجه الدارقطني عن أبي أمامة: «لا تسافر المرأة سفر ثلاثة أيام أو لحجٍ إلا ومعها زوجُها».

وعند الشيخين عن ابن عباس مرفوعاً: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي مَحْرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعه محرم.

فقال رجل: يا رسول الله. إني أريد أن أخرج في جيش كذا، وامرأتي تريد الحج؟

فقال: اخرج معها».

فقد أوجب الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم وجودَ المَحْرم في سفر الحج، فليس لأحدٍ أن يخرج في سفر الحج عن عموم الحديث، ويخصِّصَ بقول الله تعالى: ﴿ولله على الناس﴾ الآية.

بل ذلك مما يدل على أن المَحْرَم من الاستطاعة. والله أعلم.

غير أن حجَّ أمهات المؤمنين مشكِلٌ جداً، ولم أظفر بما يُجاب عنه، إلا أن نقول: لهنَّ مزية لم توجد لغيرهن، وهو أن نكاحهن محرَّمٌ أبداً، لكونهن أمهات للمؤمنين، وهذا وَصْفٌ عظيم ينبغي مراعاته، وعدم اطِّراحه، فتأمَّل). اهـ.

٢- مسألة استحباب الإسفار بصلاة الفجر:

ذكر الشيخ محمد عابد في كتابه: المواهب اللطيفة شرح مسند أبي حنيفة[(١)] عند شرحه لحديث: «أسفِروا بالصبح، فإنه أعظم للثواب».

---

(١) ١/١٨١-١٨٣، وعزا في طوالع الأنوار ١/٤٦٢ أ للتوسع في مسألة الإسفار إلى =

قال: «وعند أصحاب السنن والبيهقي والدارمي من حديث رافع بن خَدِيج. حسن صحيح.

قال الحافظ: وصحَّحه غيرُ واحد... .

وقد أوَّلتِ الشافعية حديث الإسفار، بأن المراد منه: تبيُّنُ طلوعِ الفجر، ووضوحه للرائي يقيناً.

قال ابن دقيق العيد: وفي هذا التأويل نظر، فإنه قبل التبيُّن والتيقّن في حالة الشك لا تجوز الصلاة، فلا أجر فيها.

ثم ذكر الشيخ محمد عابد تعقبَ ابن الهمام على مَن حَمَلَه على المجاز، ثم قال:

وأما ما قاله الشيخ أبو الحسن السندي «إن ظاهر حديث ابن حِبَّان ومَن وافقه يقتضي تأخير صلاة الفجر إلى آخر وقتها، وهو خلاف ما اتفق عليه الفريقان، فلابُدّ له من التأويل»:

فهو كلام مردود، لأن تلك الروايات وإن اقتضت إيقاعَها، أو إيقاع جزءٍ منها بعد خروج وقتها، فلا شك أنه يشملها النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس، خصوصاً عند رعاية قوله: «لا يتحرّى أحدُكم فيصلي عند طلوع الشمس».

فإذا كان النهي مقيداً بعدم بقاء الوقت بعد طلوع الشمس، كان المراد من أعظمية الإسفار ما سنذكره في حَدِّه، فإن المحدود من الوقت، قد يخرج منه الغَلَس بالضرورة، فلا يكون إلا الإسفار، فتكون الأعظمية

المواهب اللطيفة.

ظاهرة، وهي مشهودة بالتجارب، فافهم.

وأما ما قال أيضاً: «وأقرب التأويلات حَمْلُه على طول القراءة، فإنه المناسب لازدياد الأجر، حسب ازدياد الإسفار، لا مجرد الإسفار، كيف وقد علمتَ أن أعظم الأعمال أجراً أشدُّها على النفس، ولا شك أن ذلك في التغليس لا الإسفار، فكلّما زاد الإسفار، خفّت الصلاة على النفس». انتهى.

فهو كلام خالٍ عن التحقيق، لأن ترتّب زيادة الأجر على زيادة المشقة ليست على سبيل العموم، فناهيك الوصال منهي عنه، مع أن المشقة فيه متوفرة.

وتأويله بطول القراءة، تقتضي ما اقتضته رواية ابن حبان، فإن القراءة ربما يطيلها المصلي حتى يخرج الوقت، وذلك غير مرادٍ بالإجماع، والله أعلم». اهـ من المواهب اللطيفة.

* ثم بيَّن الشيخ محمد عابد حدَّ الإسفار ووقتَه، وذكر بطولٍ أدلة الحنفية وأدلة القول الثاني، وهو قول الشافعي ومالك وأحمد، أن المستحب هو الصلاة بغلس، ثم قال:

«فالحاصل أن الأئمة قد اتفقوا جميعاً على أن وقت صلاة الفجر إنما يدخل بعد طلوع الفجر الصادق، ويمتد إلى طلوع الشمس، ولا مخالف في ذلك، وإنما الخلاف في الأفضلية في وقت الإتيان بها.

فذهبت الشافعية ومَن وافقهم إلى أن التغليس أفضل، واستدلوا بالأحاديث التي ذكرناها، وذهبت الحنفية ومَن وافقهم إلى أن الإسفار بها أفضل، لأمورٍ قدَّمناها»، وزاد أدلة أخرى، ثم قال:

«ومنها حديث: «أسفِروا بالفجر»، وقد تقررت صحته عند

المحدثين، وما روَوْه من فعله ﷺ من التغليس بالفجر، فهـو فعـلٌ، وذاك قولٌ، والفعل يحتمل الخصوصية، بناءً على أنه ﷺ لمـا رأى كـونَ النـاس حديثي عهدٍ بالإسلام، يألفون القيام من النوم بسـهولة، كـان يصـلي بهـم بغلس، حتى إذا كان أحدُنا تأخر انتباهه من النوم، ممن لم يصلِّ مع النبي ﷺ أدرك وقتاً صالحاً لصلاته، بخلاف ما لو واظب على الصـلاة بهـم في الإسفار، لتراخَوْا في القيام من النوم، وربما أفضى ذلـك في بعضـهم إلى فوات الوقت.

فما كان تغليسه ﷺ إلا خاصاً بهذا المعنى، وعلى هذا يُـنزَّل حـديث عائشة، وسائرِ مَن روى التغليس في صلاة الفجر.

ثم نبَّههم مع ذلك على أن الإسفار بها أفضل، كما نـبَّههم بـأن تـأخير العشاء إلى ثلث الليل أفضل، مع أنـه كـان ﷺ يواظـب علـى أدائهـا بهـم جماعة قبل ذلك.

فنحن لا ننكر تغليسه ﷺ، كما أنكـرت الشـافعية إسـفاره ﷺ بصـلاة الفجر، مع ما أوضحناه من الأدلة الصريحة، في أنـه صـلاها في الإسـفار أيضاً.

ولم يذكروا جواباً صـريحاً في حـديث: «أسـفروا في الفجـر»، وإنمـا احتاجوا إلى تأويلاتٍ فاسدةٍ، قد قرَّرنا بطلانها فيما سبق.

فالأَوْلى للمُنْصِـف أن يقـول: إنـه ﷺ صـلى الفجـر بغلـس، وصـلى الإسفار أيضاً، ونبَّه على فضيلة الإسفار، فما تغليسـه إلا للمصـلحة الـتي ذكرناها، والله أعلم.». اهـ من المواهب اللطيفة.

* * * * *

الفصل الرابع
تقدُّمه في علوم اللغة العربية وفنونها ومصنفاتُه فيها

لقد أثنى العلماء العارفون بالشيخ محمد عابد على تقدمه في العلوم كلها، وأنه كان من المبرِّزين فيها.

ومع هذه الشهادة العامة، جاءت شهادة خاصة على إتقانه لعلوم اللغة العربية، فقد قال العلامة الشوكاني حين ترجم له، بعد أن خَبَره وتتلمذ عليه الشيخ محمد عابد، وقرأ عليه، في فنون كثيرة قال: «وكانت له معرفة متقنة بالنحو والصرف» اهـ.

وهذه الشهادة من الشوكاني كانت في حق الشيخ محمد عابد، وهو إذ ذاك شاب، في نحو الثالثة والعشرين من عمره، فكيف حاله في ذلك وقد شاب؟ ولا ريب أنه ازداد معرفةً ودقةً وإتقاناً.

وقال العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لكتاب: منحة الباري: «وقد قرأ الشيخ محمد عابد على عمه وغيره في العلوم، وأحرز فنونها، وحقّق أصولها وفروعها، من نحو وصرف، وبيان ولغة، وفقه... وبرّز في كلّ فنٍّ منها...» اهـ.

* ولشهرته بالنحو عدّه بعضهم من النحويين، كما في «مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان»[1]، عند ذِكْر رجال سند المسلسل بالنحاة.

---

(١) ينظر إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان ص ٢٣٤ للشيخ محمد ياسين =

ووصفه تلميذه العلامة المحدث الشيخ عبدالحق العثماني البَنَارسـي، في رسالته التي جمع فيها أسانيد شيخه الشيخ محمـد عابـد فقـال: «وأمـا شيخنا الجليل الحامل لعلوم الخليل الشيخ محمد عابد...»[١].

والخليل هو خليل بن أحمد الفراهيدي، أحد أشهر أعلام أئمـة اللغـة والنحو والأدب، المتـوفى سـنة ١٧٠، صـاحب كتـاب: العـين في كـلام العرب، الذي أتى فيه بما لم يسبقه إليه أحد، وهو مخترع علم العروض، واستنبط علم النحو ما لم يُسبق إليه [٢].

* ويظهر اهتمام الشيخ محمد عابـد باللغـة العربيـة وعلومهـا وفنونهـا، وتحقيقاته العلمية فيها، من خلال كتاباته ومصنفاته الفقهية، وشروحه للكتب الحديثية، والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة، تظهر لكل مَن طالع فيها.

* ومما وقفت عليه من **مؤلفاته في الصرف**، رسالة سمَّاهـا: (منـاهج الصرفيين) في (١٣) لوحة، وفي كل صـفحة مـن لوحاتهـا (٢٤) سـطراً، محفوظة في مكتبة الحرم المكي، برقم عام ٢/٣١٧٨.

وهي مكونة من ثلاثة أقسام، وكل قسـم يبـدأ بخطبـة فيهـا الحمدلـة والصلاة على النبي ﷺ.

وقد جاء في مقدمة القسم الأول: «الحمد لله وصـلاته وسـلامه علـى عبـاده الـذين اصـطفى، اعلـم أن حـروف الهجـاء ثلاثـون حرفـاً، سـبعة وعشرون منها تسمى صحيحة، وثلاثة منها تسمى حروف اللين...» إلخ.

الفاداني رحمه الله.

(١) نزهة الخواطر ٧/٢٦٩.

(٢) له ترجمة في إنباه الرواة للقفطي ١/٣٧٦.

وهذا القسم ينتهي في اللوحة الخامسة، وفي آخره قال: تمّت وبالخير عمّت.

ثم يبدأ القسم الثاني، وفيه بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي ﷺ «وبعد: فهذه فوائد متعلقة بعلم الصرف وقواعده، مما لا غنى للطالب عنها، واعلم أن الأَلِف لا تكون إلا ساكناً...» إلخ.

وتنتهي هذه الفوائد في اللوحة الثامنة من الرسالة بقوله: والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم تبدأ بسملة وحمدلة وصلاة على النبي ﷺ، وبعدها قال:

«اعلم أيَّدك الله تعالى في الدارين، أن جميع كلمات العرب لا تخلو من ثلاثة أقسام، إما اسم أو فعل أو حرف...» إلخ.

وختمت الرسالة بقوله: «كَمُلت هذه الرسالة المسماة: بمناهج الصرفيين، ليلة الاثنين، خامس ربيع الأول سنة ١٢٥٢، على يد معرِّبها محمد عابد بن أحمد علي ابن شيخ الإسلام محمد مراد الأنصاري الخزرجي الأيوبي السندي، في المدينة المشرفة، والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم». اهـ.

وهي ليست بخط الشيخ محمد عابد، ولم يُكتب اسم ناسخها.

* وقول الشيخ محمد عابد في آخرها: «كَمُلت على يد معرِّبها محمد عابد...» يدل على أن الرسالة كانت لمؤلِّفٍ غيره بلغة أخرى، ثم قام هو بترجمتها إلى العربية.

* * * * *

الأسلوب اللغوي العالي للشيخ محمد عابد :

لقد امتاز الشيخ محمد عابد في كتاباته بأسلوبٍ لغوي قوي متين، وبعبارات أدبية، وألفاظ عالية، يستعمل لكل مقام ما يناسبه من الأسلوب والألفاظ، مع رزانة واتزان الفقهاء والمحدثين، كما امتازت عبارات شروحه بقوتها وسلاستها، وسهولة فهمها ومَنالها، فلا تجد فيها غموضاً أو تعقيداً.

وكمثال على أسلوبه العالي الرفيع، أنقل ما كتبه في مقدمة كتابه: «منحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري»، وكان تاريخ كتابته لها سنة ١٢٢٠، فإنه حين ذكَر أصلَ كتابه، وهو صحيح البخاري قال:

«... وكان مصنِّفُه - الإمام البخاري - رحمه الله تعالى أجلَّ العلماء قَدْراً، وأعظمَهم فَخْراً، وأنورَهم بدراً، وأرفعَهم خَطَراً، إذا غاص في المشكلات استخرج الدُّرَرَ العظيمة منها، وإن بَحَثَ عن خبايا الكنوز الدقيقة نبَّه على جواهرها وما فيها.

صرَفَ عمره في تحصيل السُّنَّة الغَرَّاء، وأذهب دهرَه في استنباط الأحكام منها، حتى صار كتابُه نزهةً للناظرين، وجَلْوةَ عروسٍ للمستبصرين.

غَرَفَت الأنام من وابل خيره العام، ورَضَعَت العلماء من ثَدْي علومه حتى تعسَّر لهم الفِطام.

... فإذا تحقَّقْتَ ما قلتُه، وأجريتَ خيولَ فِكرك فيما رَقَمْتُه، وجدتَ المحكومَ عليه بالصحة من البخاري مجتمعاً في هذا الكتاب، خالياً عن غير الصحيح بلا شك ولا ارتياب.

... وسيَحْمَد كتابي هذا مَن فاقت في علم الحديث معرفتُه، وطابت سَجِيَّتُه، وتنزَّهت عن الحقد والحسد سريرتُه.

وأرجو من كل ناظرٍ فيه إصلاحَ ما وقع من الزلل، وتسديلَ ما حصل من الخَلَل، فإن تَرَ ما يَشِيْنُ فَوَارِه كرماً، وإن تَرَ ما يَزِين فأَفْشِه...» اهـ

* ومن ذلك أيضاً ما قاله في مقدمة إجازته للشيخ السيد إبراهيم مخلص(١)، وفيها براعة استهلال لطيفة، بما يناسب الإجازة، مِن ذِكر أسماء أنواع أقسام الحديث ونحو ذلك، فقد قال:

«الحمد لله الذي أجاز المنقطع إلى رحمته بمتواتِر آلائه، وعمَّ الأنام بمَشهور نَعمائه، أحمده على القديم والحديث من إحسانه، وأشكره على متواتر بِرِّه وامتنانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله المُفِيضُ نِعَمَه على كل عَزيزٍ وغريب، فشَمِلت كلَّ بعيد وقريب، شهادةً تتكفَّل لقائلها ببلوغ منتهى الأمل، وقَبول الحَسَن من العمل.

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبدُه ورسوله خيرُ نبيٍ، وأكرمُ مرسَلٍ، موضِّحُ كلِّ مُشْكِلٍ، وكاشفُ كلِّ مُعْضَل.

وأصلي وأسلم عليه، فهو المرشِد لأمَّته باللسان الفصيح، والقول الصحيح.

مَن اتَّبعه كان عملُه مقبولاً مرفوعاً، ومَن خالف هَدْيَه كان متروكاً موضوعاً.

---

(١) تقدم ذكرها ضمن إجازاته لتلاميذه في كتبه الحديثية.

وعلى آله الكرام، وصَحْبه الفِخام، ما تَسَلْسَلَت رَحَماتُ الرحيم، وأصابت الخاصَّ والعام، وأما بعد...» اهـ.

* والشواهد على أسلوبه اللغوي الرفيع، وبيانه العالي كثيرة، ولكن المقام يضيق عن أكثر من هذا.

* إتقان الشيخ محمد عابد للغة الفارسية :

مع تقدم الشيخ محمد عابد وإتقانه للغة العربية وفنونها، فكان متقناً للغة الفارسية أيضاً.

ومما يدل على ذلك، أنه ترجم كتاب: «مناهج الصرفيين» من الفارسية إلى العربية، كما تقدم، وترجم أيضاً كتاب: «نافع الخلق في الطب» من الفارسية إلى العربية، حين طَلَبَ منه ذلك صديقه العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي، كما سيأتي ذكره قريباً عند الكلام عن حِذْقه في علم الطب.

* كما يغلب على الظن إتقانه لِلُغةِ آبائه وأجداده، لغة بلاد السند، إذ هي لغة خاصة مستقلة.

* * * * *

الفصل الخامس

إمامته في علم المناظرة

ويسمى علم آداب البحث [١]، وصناعة التوجيه، وهو علمٌ يُبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام والأدلة بين المتناظِرين، من حيث إنها يَثْبُت بها المدَّعى على غيره، وبه يُقتدَر على معرفة الصواب وإظهاره، وبه تتكون مَلَكةٌ عند المناظِر لمعرفة طريق المناظرة، لئلا يقع في الخَبْط، وليتَّضح له الصواب.

وقد كان الشيخ محمد عابد، كما وَصَفَه تلميذه العلامة الشيخ عاكش، بأنه «الإمامُ النظَّارُ السابِق، الذي لا يُشَقُّ له غُبَار»[٢].

وسبق ذكر ما كان عليه الشيخ محمد عابد من الذكاء المفرِط، والفهمِ السريع الصحيح النادر، الذي تميّز به حتى على العلماء العارفين الكبار في عصره.

* * * * *

(١) ينظر مفتاح السعادة لطاش كبري زادة ١/ ١٨٠، ترتيب العلوم ص ١٤١-١٤٢.

(٢) حدائق الزهر، وعقود الدرر.

الفصل السادس

حِذْقه في علم الطب، ومصنفاته فيه

«لقد كانت للشيخ محمد عابد اليد الطولى في علم الطب، ومعرفة كتبه، وكان مقصوداً لأهل العِلَل، متطبِّباً حاذقاً، يباشر الأمر بنفسه»[١]، ويرى العليلُ النفعَ ظاهراً، ويتقهقر المرض متأخراً.

وما أن وصل الشيخ محمد عابد السندي إلى اليمن، واستقر في الحُدَيْدة، واشتهر بمعرفته لعلم الطب، وحِذْقه فيه، حتى طلبه إمام اليمن في صنعاء المنصور بالله سنة ١٢١٣[٢]، طبيباً خاصاً له، «وكان يُدْنيه منه، ويُقِرّ له بالمعرفة الخارقة بالطب»[٣]، وكذلك كان يقرّ له بذلك ولدُه الإمام المتوكل.

ويُلحظ هنا أن هذه الشهرة للشيخ محمد عابد في الطب وحِذْقه وتقدّمه فيه، وهو بعد إذ ذاك شاباً في نحو الثالثة والعشرين من عمره، حين رحل من مكة إلى اليمن.

* ويصف تحقيقَه في علم الطب العلامة الشيخ إبراهيم الحوثي، في تقريظه لمنحة الباري، وهو يذكر علوم الشيخ محمد عابد وتفننه، فقال:

---

(١) من كلام الشيخ عاكش تلميذ الشيخ محمد عابد في حدائق الزهر، وعقود الدرر.

(٢) البدر الطالع ٢/٢٢٧.

(٣) درر نحور الحور العين (مخطوط).

«وبرَّز في كل فنٍ منها، واشتهر بالحديث والطب، وحُمِدت مباشراته لعلاج الأمراض، مع تحقيقه لكليات ذلك العلم وجزئياته».اهـ

* ويظهر أن أستاذه وشيخه في علم الطب، هو عمه ووالده، فقد ذكر الشيخ إبراهيم الحوثي في تقريظه لمنحة الباري، «أن عمه الشيخ محمد حسين الأنصاري ووالده أحمد علي تعلّقا بعلم الطب والمباشرة للعلاج، فزادت شهرتهما، وقُصِدا لعلم الأبدان والأديان».

* ومن مظاهر إتقانه لعلم الطب، أنه حين يتعرض للأحاديث الطبية في شرح مسند أبي حنيفة وغيره، تراه يفيض بمعارفه الطبية في شرح ما هو في صدده، ويذكر فوائد لا تجدها عند غيره، وينقل من كتبٍ قلَّ مَن يطلع عليها غيره.

* ومن ذلك أنه لما جاء ذِكْرُ (الحمّام) في كتابه المواهب اللطيفة[(١)] قال:

«وأما آداب دخول الحمَّام على القواعد الطبية، فقد ذكرنا ذلك مفصَّلاً في رسالتنا المسماة: (الخير العام في أحكام الحمّام)».

* ومن اهتمامات الشيخ محمد عابد بعلم الطب وكتبه، ما حكاه عنه صاحبه وتلميذه الشيخ لطف الله الجحاف فقال[(٢)]:

«وهو -أي الشيخ محمد عابد- أول مَن أخرج إلى اليمن كتاب: «تحفة المؤمنين في الطب»[(٣)]، وقال: هو أمتن كتابٍ في هذا العلم، لا

---

(١) ١/١٥٦أ.

(٢) درر نحور الحور العين (مخطوط)، نيل الوطر ٢/٢٨٠.

(٣) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ١/٢٦٠، وفي هدية العارفين ٢/٣٠٨، وهو =

يُساميه كتاب، وحكى لنا أن مؤلفه خطَّه بالفارسية، وإنما عُرِّب مـن بعـده بأعوام، وأنه التزم في المفردات والمركبات لازماً، ولم يقلِّد السـابقين في تجربتهم، حتى خَبَرَ ما جرَّبوه، فإن كان صِدْقاً جَزَم به، وقـال: مجـرَّب، وإن لم يَصدُق عنده، قال: جرَّبوه، أو قال: نحو هذه العبارة.

وأرانا في آخر كتابه ما ضنَّت به الحكماء، ولم يُظهِروه، وكَتَبوه بالقلم اليوناني، ولم يُسمَح لنا ببيانه، حتى وقفنا على ذلك القلـم وتعريبـه بخـط إبراهيم العجمي، الخارج إلى اليمن سنة ١٢١٤» اهـ.

* **ومما وقفت عليه من مؤلفات الشيخ محمد عابـد في علـم الطـب،** رسالةٌ سماها: «فـكُّ المحنـة بمعالجـة الحُقْنـة»، تكلـم فيهـا بتوسـع عـن المعالجة بالحقنة، وطريقتها وفوائدها، وهي بخطه الدقيق الوسط في سبع لوحات، في كل صفحة منها (٣٧) سطراً، حرّرها في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٨ في صنعاء المحمية.

وهـي محفوظـة في المكتبـات الوقفيـة في مكتبـة الملـك عبـدالعزيز بالمدينة المنورة، ضمن مكتبة (ساقزلي)، ورقمها (٩٥٩) ساقزلي.

وقد قال في مقدمتها:

«... لما كان من فنون المعالجـة التـداوي بالحُقْنـة، وكانـت ذا مَنْقبـة عظيمة، وفائدة جسيمة، ورأيت بعض الناس في زماننـا قـد تعلّقـوا بهـا، وكلما أتاهم عارضٌ وَصَفوها، وبادروا إليهـا، وهـي لاشـك أنهـا جليلـة

باللغة الفارسية، من تأليف محمد مؤمن بن محمد زمان الحسـيني التنكـابني الـديلمي المارندراني، الطبيب الشيعي، المتوفى في حدود سنة ١١١٠، وهو في مجلـدٍ كـبير، ألَّفه لسليمان شاه الصَّفَوي.

الفائـدة، لأنهـا تُسـرع بـذوبان الأخـلاط الجامـدة، وتجـذب المـواد المتصاعدة، وتُفرّج الكرب عن العليل في أسرع الأوقـات، وتؤمِّنـه مـن ذوق بشاعة الدواء، وشمّ الروائح الكريهـة في سـائر الحـالات، أردت أن أجمع فيها فوائد مما لا يستغني عنـها اللبيـب، ويحتـاج إليهـا كـل عليـل وطبيب، مستعيناً بالملك المعبود، فإنـه مُفِـيضُ كـل خـير، ومهـيء كـل مقصود» اهـ

* ومن الرسائل التي تعتبر من **مصنّفاته في علم الطب**، رسالة ترجمها الشيخ محمد عابد مـن الفارسـية إلى العربيـة، اسمهـا: «نـافع الخَلْـق في الطب» ترجمها لصديقه الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحوثي، وهي منسـوخة بتاريخ ٥ رمضـان سـنة ١٢١٧، بخـط الشـيخ إبـراهيم الحـوثي في (١٧) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاتها (٢٦) سطراً.

وتوجد نسخة منها في المكتبة الغربيـة في الجـامع الكـبير في صـنعاء اليمن، ضمن مجموعٍ برقم (١١) طب، وهي أول رسالة منه، من صـفحة (١) إلى (١٧).

«وقد ألَّفها باللغة الفارسية عبدالفتاح المخاطَـب مـن الرسـول الأمـين بخواجة عبدالله نمكين...» كما جاء في مقدِّمة الرسالة [١].

* * * * *

* وهكذا بعد هذا العرض الطويل المفصَّل لعلوم الشيخ محمد عابـد المتنوعة الكثيرة، التي بلغ فيها الدرجة العالية الرفيعة، وبعد ذكر مصنفاته

---

(١) استفدت هذه المعلومات عن هـذه الرسـالة مـن مؤسسـة الملـك فيصـل الخيريـة للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض جزاهم الله خيراً.

الواسعة والكثيرة، يُلحظ أن هذا الخير العميم إنما هو بما أفاضه الله عليه من البركة له في أوقاته وعلمه، فَعلِم وعمِل، وعلَّم وصنّف وأفاد الناس.

وقد جاء هذا النشاط العلمي العظيم، والإنتاج الكبير، مع انشغاله بأعمالٍ كثيرة، وأعباء عظيمة، التي قد يحول بعضها دون مجموعها من ذلك، ولكنه توفيق الله وعونه.

ومن أبرز هذه الأعمال التي كان يقوم بها مع تصنيفه للكتب:

١- تقلده القضاء في مدينة زبيد باليمن سنين طويلة، ومعلوم كم في ذلك من مشغلة.

٢- تدريسه المستمرّ، ونشره للعلم أينما حلَّ وارتحل.

٣- رحلاته العلمية وأسفاره الكثيرة، حتى إنه طاف أكثر البلاد والآفاق.

٤- انشغاله بعلم الطب، وتطبيب الناس عامة، وملوك اليمن خاصة.

٥- تقلده منصب رئيس علماء المدينة المنورة، ولا ريب أن هذا يجعله منشغلاً بهم وباجتماعاتهم ومباحثاتهم ونحو ذلك.

* كما يُلحظ أن الله تعالى قد زاده فضلاً على ذلك، حيث كتب الله لمصنفاته الحفظ والبقاء، فغالبها محفوظ بخطه، وقد هيأ الله لها القبول والانتشار بين الناس في حياته قبل مماته، على ضخامة حجمها، فقد استنسخها العلماء، وتداولوها فيما بينهم، وما ذاك إلا لعلوّ شأنها، ورفعة مكانتها، وعسى الله أن يهيأ الأسباب لطبعها وانتشارها في هذا الزمن.

ومما وقفت عليه من أخبار تداول كتبه واستنساخها، أنني وقفت على ست نُسَخ من كتابه طوالع الأنوار، هذا الكتاب الذي بلغت إحدى نسخه

عشرة آلاف لوحة، وهذه النُسَخ منها ما خُطَّ في حياته، ومنها ما هو بعد مماته.

كما أنني وقفت على عشر نسخ من كتابه: المواهب اللطيفة، الذي بلغت إحدى نسخه (١٠١٧) لوحة، إحداها نُسِخ من نسخة المؤلف سنة ١٢٥١.

وهكذا فضل الله تعالى عظيم، يؤتيه من يشاء، لا رادَّ لما أعطى، ولا معطي لما منع، نسأله سبحانه وتعالى من فضله العظيم أن يكرمنا بما هو أهله، هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

ورحم الله الشيخ محمد عابد رحمة واسعة، وأعلى درجته في العليين، وجمعنا معه في مستقر رحمته مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

* * * * *

مؤلفات الشيخ محمد عابد مرتبةً على حروف الهجاء

بعد هذا العرض الطويل لعلوم الشيخ محمد عابد، وبيان مصنفاته مفرَّقةً حسب موضوعاتها، أذكرها هنا متتاليةً مرتَّبةً على حروف الهجاء، ليسهل الوقوف عليها جملة واحدة، وليُلَمَّ شَعَثها، وتجتمع بعد تلك الفرقة.

١- الأبحاث في المسائل الثلاث. (رسالة).

٢- إخراج زكاة الحَبِّ بالقيمة. (لوحتين).

٣- إلزام عساكر الإسلام بالاقتصار على القَلَنْسُوة طاعةً للإمام. (٥ لوحات).

٤- إيجاز الألفاظ لإعانة الحُفَّاظ. (كتاب).

٥- تراجم مشايخ الشيخ محمد عابد ومشايخهم وأحوالهم إجمالاً. (٦٩ صفحة).

٦- ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة. (١٥٨ لوحة) مطبوع.

٧- ترتيب مسند الإمام الشافعي. (مجلد كبير في جزأين) مطبوع.

٨- تَغَيّر الراغب في تجديد الوقف الخارب. (لوحتين).

٩- رسالة في تقبيل الصحابة رضي الله عنهم يدَ رسول الله ﷺ، ورأسَه الشريف، وحكم التقبيل عامة. (١٢ لوحة).

١٠- رسالة في التوسل وأنواعه وأحكامه. (١٥ لوحة).

١١- حصر الشارد من أسانيد محمد عابد. (١٥٤ لوحة).

١٢- الحظ الأوفر لمن أطاق الصوم في السفر. (٤ لوحات).

١٣- رسالة في حكم إطعام الطعام في مناسبات الفـرح أو التَّـرَح. (٦ لوحات).

١٤- الخير العام في أحكام الحمَّام. (رسالة).

١٥- روض الناظرين في أخبار الصالحين. (مؤلَّف ضخم).

١٦- سُلافة الألفاظ في مسالك الحُفَّاظ. (رسالة).

١٧- شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث. (مؤلَّف كبير).

١٨- شرح بلوغ المرام. (لم يكمله).

١٩- شرح تفسير ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، من تفسير البيضاوي. (٤٣٤ لوحة).

٢٠- شرح تيسير الوصول لابن الديبع (شرح ١٦٠٠ حديث).

٢١- شفاءُ قلبِ كلِّ سَؤول في جـواز مَـن تَسـمَّى بعبـد الـنبي وعبـد الرسول. (لوحتين).

٢٢- طوالع الأنوار شرح الدر المختار (٩٥٢٢ لوحة)، في ١٦ مجلد مخطوط.

٢٣- غُنْية الزكي في مسألة الوصي. (٥ لوحات).

٢٤- فَكُّ المِحْنَة بمعالجة الحُقْنَة. (٧ لوحات).

٢٥- القول الجميل في إبانة الفرق بين تعليق التزويج وتعليق التوكيل. (لوحتين).

٢٦- رسالة في كرامات الأولياء، والتصديق بها. (٩ لوحات).

٢٧- كشف الباس عما رواه ابنُ عباس مشافهةً عـن سـيِّد النـاس ﷺ. (٦ لوحات).

٢٨- كفُّ الأماني عن سماع الأغاني. (١٦ لوحة).

٢٩- مجالس الأبرار.

٣٠- مجموعة إجازات كتبها لمستجيزيه.

٣١- مجموعة حواشٍ على عددٍ من كتب الفقه الحنفي.

٣٢- مُعْتَمد الألمعي المهذَّب في حَلِّ مسند الإمام الشافعي المرتَّـب. (أكثر من ٥٠٠ لوحة)، ولم يكمله.

٣٣- منال الرجاء في شرح شروط الاستنجاء. (٧ لوحات).

٣٤- مناهج الصرفيين. (١٣ لوحة).

٣٥- مِنْحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري. (٤٨٣ لوحة).

٣٦- المواهب اللطيفة في شرح مسند الإمام أبي حنيفة. (ألف لوحة).

٣٧- نافع الخلق في الطب. (١٧ لوحة).

* وفيما يلي ملْحَقٌ أذكر فيه الكتب التي نُسبت للشيخ محمـد عابـد، وهي ليست له.

* * * * *

مُلْحَق
فيه ذِكْرُ كُتُبٍ نُسِبَتْ خطأً للشيخ محمد عابد

لقد حَصَلَ خطأ للبعض في نسبة بعض الكتب للشيخ محمد عابد، على أنها من تصنيفه، والواقع والصواب أنها ليست له، وفيما يلي أبيّن هذه الكتب، مع ذكر سبب الخطأ في نسبتها له.

١- حاشية على مسند الإمام أحمد:

نُسبت هذه الحاشية للشيخ محمد عابد في فهارس مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي في عدة أجزاء [(١)].

وسبب الخطأ في نسبتها للشيخ محمد عابد، اعتماد الفهرسة في الجامعة الإسلامية على ما كُتِب على غلاف هذه المصوّرة، وأنها للشيخ محمد عابد، حيث نسبها له خطأً القائمون على فهرسة مكتبة (خداي بخش) في الهند، إذ هناك النسخة الأصلية لهذه المصوّرة، وكتبوا ذلك على غلافها، فحصلت المتابعة.

والصواب أن هذه الحاشية للعلامة المحدث الشيخ أبي الحسن السندي الكبير محمد بن عبدالهادي، المتوفى سنة ١١٣٨، وقيل ١١٤١،

(١) وأرقامها في مخطوطات الجامعة الإسلامية كما يلي: (١٦٢٥ ف) في ٢١٩ ورقة، (١٦٢٧ ف) ج١ في ٩٠ ورقة، (١٦٢٧ ف) ج٢ في ٢٢٠ ورقة، (٣٦٢٣ ف) في ٣٢٣ ورقة.

صاحب الحواشي على الكتب الستة، كما يُعلم ذلك من مراجعة ترجمته[1]، ولم يذكر أحدٌ من مترجمي الشيخ محمد عابد نسبة هذا الكتاب له.

٢- نفحات النسيم الهندي على أغصان الريحان الجُدِّي.

توجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة في المكتبة المحمودية، ضمن مجموعٍ برقم (٢٧٨٤)، بخط الشيخ محمد عابد، وقد سقطت الورقة الأولى منها، وكُتِب على غلافها بخطٍ حديث: (نفحات النسيم الهندي، لمولانا محمد عابد السندي)، وهو في الغالب خط الشيخ إبراهيم الخُتَني، أحدِ علماء المدينة المنورة المشهورين، المتوفى سنة ١٣٨٩، وكان من عادته رحمه الله أن يكتب على ظهور كُتُب المكتبة المحمودية مثل هذه التعريفات بها.

والواقع أن هذه الرسالة ليست من مؤلفات الشيخ محمد عابد، وقد تابعه على هذا الخطأ بعض من ترجم للشيخ محمد عابد.

ومما يؤكد عدم صحة نسبتها إليه، ما جاء في آخرها بخط الشيخ محمد عابد:

«... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عدد خلق الله بدوام الله.

قال المؤلف رضي الله عنه، وجَذَبَه بعلائق رحمته إلى أنوار هدايته وإياي بحوله وقوته: كان تاريخ تحريرها يوم الثلوث، ثالث رجب الحرام سنة ١٢٠٠. انتهى.

---

(١) في نزهة رياض الإجازة المستطابة ص ١٤٤-١٤٥، الأعلام ٦/١١١.

كتبه الحقير المفتقر إلى جَذَبات ربه صوبَ فيوضات رحمته محمد عابد بن أحمد علي السندي الأنصاري الخزرجي، في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٢٠» اهـ من المخطوط.

ولم أهتدِ لاسم مؤلفها، لكن أتوقع أنها لعمّه الشيخ محمد حسين الأنصاري.

٣- ديوان الشيخ محمد عابد السندي.

نَسَبَ هذا الديوان للشيخ محمد عابد السندي، الزركليُّ حين ترجم له في الأعلام [(١)]، وأفاد أن مخطوطته في جزءٍ صغير محفوظ في خزانة الرباط في المغرب، برقم (١٧٥٦) كتاني، ووصَفَه بقوله: «ونَظْمُه حَسَن، أكثره في المناسبات» اهـ.

وكذلك نَسَبَه له صاحب نزهة الخواطر [(٢)]، معتمداً على بحر النفائس[(٣)]، فقال: «له -أي للشيخ محمد عابد - أبيات رائعة رقيقة، منها: قوله مخمِّسا أبياتَ بعض أئمة اليمن، نقلتُها من بحر النفائس» اهـ، ثم نقل أبياتاً منها.

وهكذا كل مَن جاء بعد الزركلي وصاحب نزهة الخواطر، نَسَبَ هذا الديوان للشيخ محمد عابد حين ترجموا له، متابعين لهما.

* وقد سَعَيْت كثيراً في الحصول على هذا الديوان، وانتظرت سَنَةً

---

(١) ٦/١٨٠.

(٢) ٧/٤٩٠.

(٣) لم أقف على مؤلِّفه.

تقريباً، حتى يسَّر الله تعالى وقوفي على صورة عنه [١]، وهو في (٨٤) صفحة، وعلى صفحة العنوان كُتِب: «ديوان المرحوم الشيخ محمد عابد السندي رحمه الله تعالى».

وقد طالعت هذا الديوان كله، فوجدته كما وصَفَ الزركلي، ووجدت فيه [٢] الأبيات التي نقلها صاحب نزهة الخواطر.

لكن لفَتَ نظري أنني وجدت فيه شعراً مؤرَّخاً بمناسبةٍ كانت سنة ١١٩٣، وشعراً آخر بمناسبةٍ كانت سنة ١١٩٧، ونحو هذا، مما جعلني أستغرب هذه التواريخ، إذ ولادة الشيخ محمد عابد في حدود سنة ١١٩٠، فيَبْعُد جداً أن ينظم هذا الشعر الحَسَن، وهو في الثالثة أو السابعة من عمره.

وهكذا إلى أن استوقفني نصٌّ منثورٌ وليس بمنظوم، جيء به بين القصائد كمقدمة لبعضها، وهو في الديوان صفحة ٧٤، فرأيتُ فيه عبارةً كَشَفَتْ لي حقيقة اسم مؤلِّف هذا الديوان، وأنه ليس لصاحب هذه الترجمة، إنما هو لسَمِيٍّ له، فقد قال في صفحة ٧٤ من الديوان:

«كَتَبَها بَبنانه، وأنشاها من هَذَيان بَيانِه... المرتجي رحمة ربه الرحيم المُبْدِي محمد عابد بن عبدالله السندي، المتشرِّف بميلاد دار الهجرة، ضاعف الله له بها أجره، وأصلح حاله...» اهـ.

---

(١) بسعاية الأستاذ الدكتور الفاضل، الحبيب الأديب فضيلة الشيخ عبدالسلام هرّاس، حفظه الله بخير وعافية، مشكوراً مأجوراً، الأستاذ بجامعة القرويين بفاس في المغرب.

(٢) ص ٥٤.

عندها فرحت كثيراً أني وقفتُ على الحقيقة، وحزنتُ أنني انتظرت زمناً طويلاً لأقف على كتابٍ وديوان لمترجَمنا الشيخ محمد عابد بن أحمد علي، وإذ به لعالمٍ آخر، اسمه محمد عابد بن عبدالله، وكلاهما سندي، ولكن صاحب الديوان وُلد في المدينة المنورة، وأما مترجَمنا فوُلد في السند، وكذلك اسم والد مؤلف الديوان (عبدالله)، وأما مترجَمنا فاسم والده: (أحمد علي).

ثم وجدت لصاحب هذا الديوان ذِكراً وترجمةً في هدية العارفين(١)، وسمَّاه «عابد بن عبدالله المدني الأديب الحنفي، توفي سنة ١٢١٣، وله ديوان شعر» اهـ.

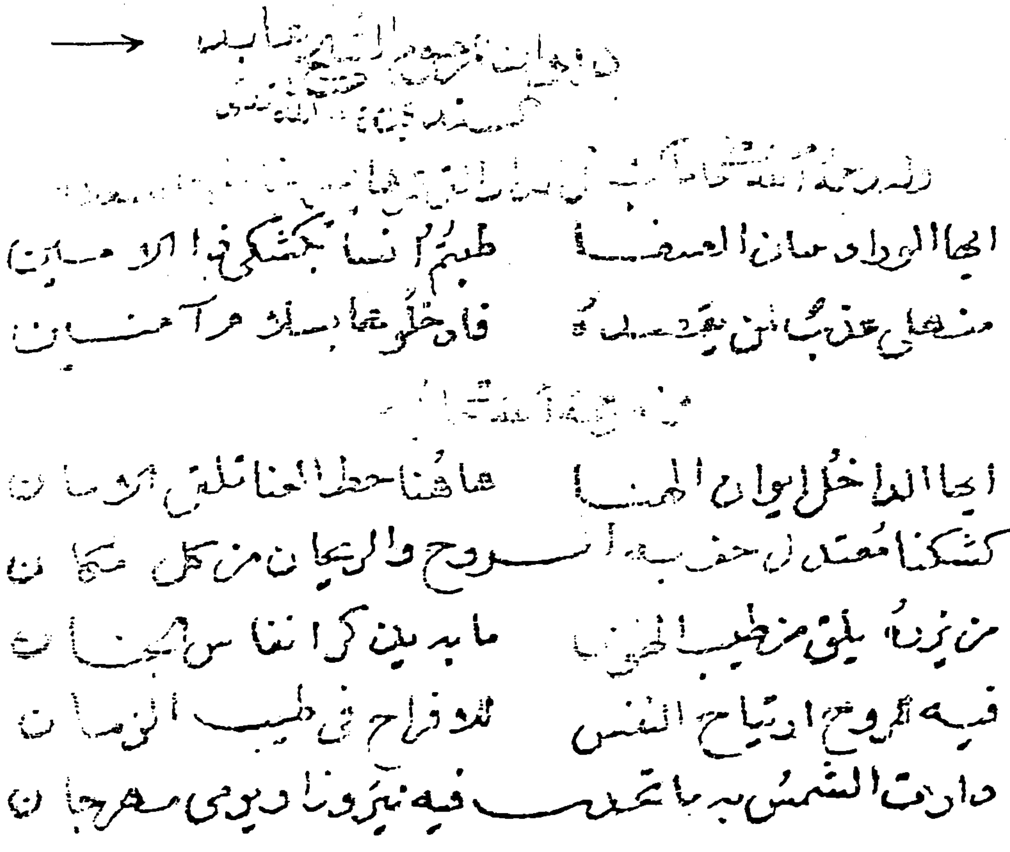
مع أن اسمه محمد عابد، كما تقدم، وتبع البغداديَّ – معتمِداً عليه – صاحبُ معجم المؤلفين(٢)، ولكن سماه: (عابدين) ولعله خطأ مطبعي، وذَكَرَ أنه مدني حنفي شاعر، وأنه أقام بدمشق، وتوفي سنة ١٢١٣، وأحال إلى هدية العارفين، وإلى فهرس مخطوطات الظاهرية.

وفيما يلي صورة لصفحة عنوان الديوان، وللصفحتين اللتين فيهما بيان مؤلِّفه، ومكان ولادته.

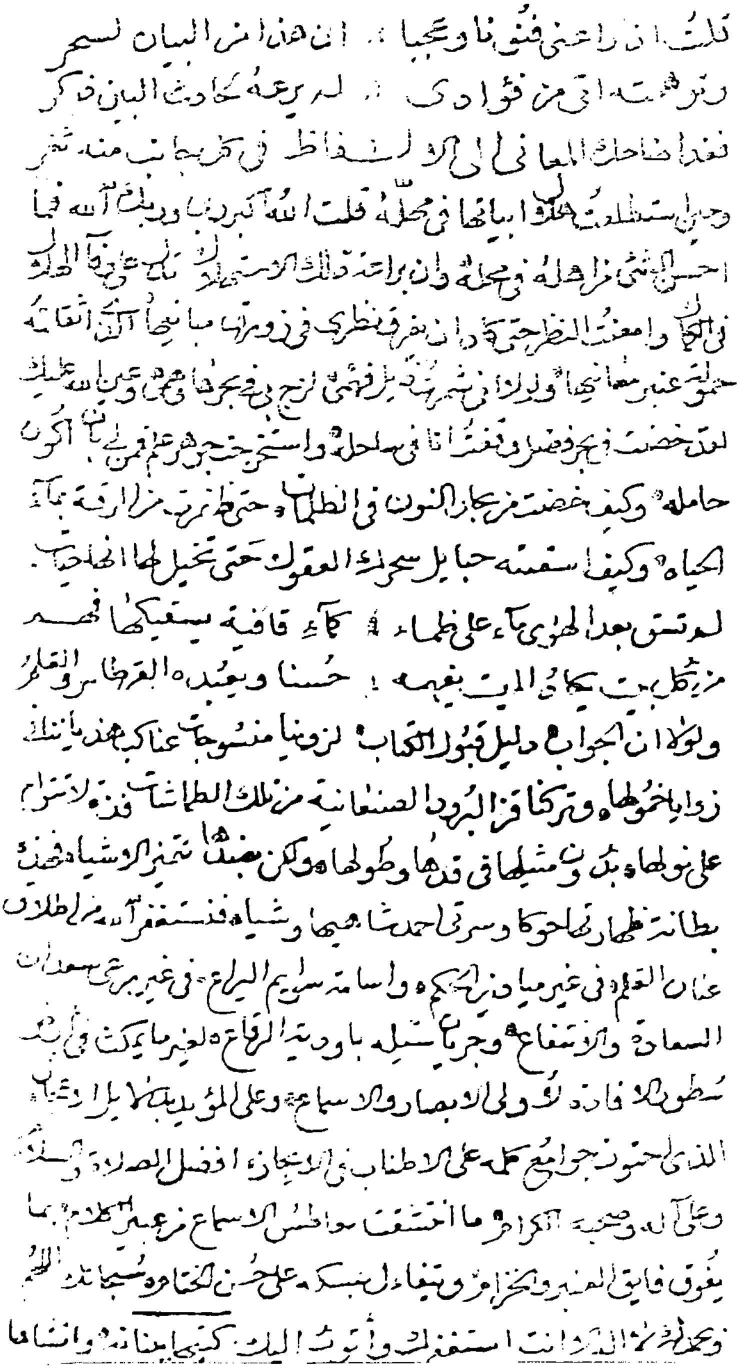
---

(١) ١/٤٣٥.

(٢) ٥/٤٩.



صورة لصفحة الغلاف من ديوان الشيخ محمد عابد بن عبد الله السندي



قلت إذ راعني فنونا وعجبا ... إن هذا من البيان لسحر
ونرشته إلى من فؤادي ... لم يرعه حادث البين فكر
فغدا ضاحك المعاني إلى أن لـ ... ألفاظ في كل جانب منه ثغر
وحين استطلعت حللًا أبياتها في محله قلت الله أكبر ربنا وربك الله فما
أحسن الشيء من أهله في محله وإن يراعه ذلك الأوستاذ لم تك عن تنميق الحلة
في الكمال وأمعنت النظر حتى كدت أن نفر ونظري في زورتها مباينها التي أتقانه
حتى عن معانيها ولولا أن شهرته في فهمي لزج بي في بحرها وعين الله عمله
لقد خضت في بحر فضل ونقت أنا في ساحله واستخرجت جوهر علم من أين آكون
حامله وكيف خضت من بحار النون في الظلمات حتى ظفرت من أرقة بماء
الحياة وكيف استقيته حبائل سحرك العقول حتى تخيل لها الفلحات
لم تسق بعد الهوى ماء على ظماء ... كماء قافية يسقيكها فهم
من كل بيت يكاد الميت يفهمه ... حسنا ويعبده القرطاس والقلم
ولولا أن الجواب دليل قبول الكتاب لزودنا منسوجات عناكب هذه ما أنك
زوايا خمولها وتركنا قز البرود الصنعانية من تلك الطاشات في زوايا الانزواء
على نولها بل ومثلها في قدرها وطولها ولكن بعثنا تميز الوشا ... ثمت
بطانة ظهارتها لحوكا وسرتها حمدا شابهها وشياه فنستغفر الله من إطلاق
عنان القلم في غير ميادين الحكم وإسامة سوايم اليراع في غير مرعى سعدان
السماع والاستماع وجرها بسلسلة بأودية الرقاع لغير ما يمكث في الأرض
سطورها فائدة لأولي الأبصار والأسماع وعلى المؤيد بالآيات البينات
الذي حوى جوامع كلمه على الإطناب في الإيجاز أفضل الصلاة والسلام
وعلى آله وصحبه الكرام ما أنشقت معاطس الأسماع من عبير الكلام بما
يفوق فائق العنبر والخزام وتفاءل بمسكه على حسن الختام وسبحانك اللهم
وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتبها جنانه وأنشاها

صورة لصفحة (٧٢) من ديوان الشيخ محمد عابد بن عبد الله السندي

من ديوان [illegible] عن الغيام تحت منثوره ومسطوره اعني الخليقة
وانا أفقر [illegible] وبحقيقة الغرق ببحار الذنوب المغترف منها كل حين
ذنوب المرتجي روح رحمة مولاه الرحيم المتين محمد عابد بن عبد الله السندي
المشرف [illegible] دار الهجرة ضاعف الله له بها أجره واصلح خلقه وزكى عمله
[illegible] وغفر له ولوالديه ولمن نظر بعين الرضا اليه [illegible]
آثار [illegible] وذلك بعد ان جمع [illegible] العلم من
[illegible] سفينة نجاته من بحر ظلماته في تحصيل المطالب
المطالب الشرعية [illegible] في ساعة قد ذابت
[illegible] النفس [illegible] العشق فلاحت نسمات
[illegible] من آخر الليالي البيض من ثاني
[illegible] تاريخ [illegible] لها زهرة من سلطانة العرف
التمكين [illegible] على آله وصحبه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاسماع [illegible] فيه صنوف الرقاع [illegible]
[illegible] العزيب [illegible] الناي عن المحب [illegible]
[illegible] روائح الفرج [illegible] ولمحات [illegible]
[illegible] الطيب [illegible] الاجابة الذي [illegible] أعظم ساعد [illegible]
[illegible] واستقيا ازهار التوحيد الناشي [illegible]
[illegible] الرقائق [illegible] والحقائق المستنتجة [illegible]
[illegible] انفاس الخليل الكريم والصديق الحميم [illegible] التسليم [illegible]
الكرب العظيم [illegible] المتقد المقيم لتصبح كنار ابراهيم وتمسي في برد [illegible]
رافلا في حلل النعم [illegible] عادة الرؤف اللطف مع كل [illegible]

الى [illegible]

صورة لصفحة (٧٣) من ديوان الشيخ محمد عابد بن عبد الله السندي

٤- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة:

توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، ضمن مجموعٍ برقم (٢٧٨٤)، بخط الشيخ محمد عابد، وحيث لم يُكْتَب عليه اسم مؤلفه، ولكونه بخط الشيخ محمد عابد، فكتب على غلافه الشيخ إبراهيم الخُتَني رحمه الله أنه من تأليف الشيخ محمد عابد، وتابعه مَن تابعه على هذا الخطأ.

والصواب أن هذا الكتاب للشوكاني محمد بن علي، المتوفى سنة ١٢٥٠، وهو مطبوع متداول.

* * * * *

الخاتمة

وفي نهاية هذه الرحلة المباركة مع هذا الإمام الفَذِّ العظيم الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، والتي دامت أكثر من سنتين، مع انشغالي بأعمالٍ أخرى، أقول: الحمد لله الذي يسَّر لي هذا، ووفّقني إليه، وأعانني عليه، وما ذلك إلا بمنِّه وفضله جلَّ وعلا، فبنعمته تتم الصالحات.

وقد كَشَفَتْ لنا هذه الدراسة عن كنوزٍ مخبّآت، وعن جواهر ثمينة، ودُرَرٍ يتيمة، قلَّ مَن عاينها واطلع عليها، فأبهج نفسَه بجمالها، وشنَّف سمعَه بسماع أخبارها.

- فقد عرفنا من خلالها أخبار كوكبة نيِّرة من كبار علماء السند وفقهائهم، من أحفاد سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، منهم جدُّ الشيخ محمد عابد، وهو شيخ الإسلام القاضي الواعظ الإمام المحقق الشيخ محمد مراد السندي الأنصاري، ومنهم عمُّه العلامة الفقيه الحنفي المحقق، الطبيب الحاذق الشيخ محمد حسين السندي الأنصاري، وكذلك والده العلامة الفقيه الشيخ أحمد علي السندي الأنصاري.

وغيرهم من سلسلة آبائه وأجداده، تلك السلسلة الذهبية التي توارثت العلم أباً عن جد، ولم يَخْلُ عن الفضل والعلم منها أحد.

- كما وقفنا على صلة الشيخ محمد عابد الوثيقة بحكام اليمن، حين أقام فيه أكثر من ثلاثين سنة، وكيف كانت متوَّجة بالنزاهة والزهد والورع.

- واستفدنا دروساً عظيمة، فيها عِبَرٌ وعِظات، وذلك من خلال ذكر أخلاقه الكريمة، وأدبه العالي الجمّ الفريد.

- ورأينا مكانته العالية المرموقة بين علماء عصره، فقد كان مرجعهم العلمي، الذي يفزعون إليه في حلِّ عويصات مسائل العلم، وهذا قبل أن يكون رئيساً لعلماء المدينة المنورة، وأما بعد فمن باب أولى.

- وتمَّ التعرُّف على أسماء وأخبار شذرة كريمة من شيوخ الشيخ محمد عابد وتلاميذه، والذين يمثّلون فترة زمنية علمية، لم تحظ بدراسة وافية تؤدي حقَّها.

* كما تمَّ الوقوف على صورٍ مُلفتةٍ للنظر فخراً وإعجاباً، من نشاط الشيخ محمد عابد العلمي، مما له أثر كبير في شَحْذ الهمم، وتقوية العزائم.

- وهكذا عرفنا إمامته في علوم كثيرة، وبالأخص علم الفقه وعلم الحديث، وكونه كان طبيباً حاذقاً ناجحاً للغاية.

- ففي الحديث كان آية باهرة في حفظه واستحضاره، فإذا ما حدّث من ذاكرته، فكأنما يُملي من كتاب، وكان يُقرئ الكتب الحديثية الستة في الحرم النبوي في شهر واحد رواية، ودراية في ستة أشهر.

- وفي علوّ إسناده كان فريداً، فبينه وبين الإمام البخاري صاحب الصحيح تسعة رجال، ولذا كان يقول: لمثلي فليُسْعَ، لأن بيني وبين البخاري تسعة.

- وكان من أبرز أعمال هذه الرحلة مع هذا الإمام العلم، زيارتنا لمكتبته العامرة العظيمة النادرة، التي وقفها على المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، والتي لازالت عامرة يستفاد منها، تبتسم لناظرها ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

- وقد أهدت إلينا هذه الدراسة تُحَفاً من مصنَّفات الشيخ محمد

عابد، وآثاره العلمية النادرة في مثالها، والتي لازالت حبيسة دور المخطوطات، تنتظر من يحنو ويعطف عليها، لإبرازها، ونَشْر نُوْرها ونَوْرها الفوَّاح.

ومن أعظم هذه التُّحف:

١- طوالع الأنوار شرح الدر المختار (في فقه السادة الحنفية).

هذه الموسوعة الفقهية الضخمة، التي بلغت عدد لوحات إحدى نسخها عشرة آلاف لوحة.

٢- المواهب اللطيفة شرح مسند الإمام أبي حنيفة.

وهو من أعظم شروح المسند، ويقع في أزيد من ألف لوحة مخطوطة.

٣- مُعْتَمَد الألمعي في حَلِّ مسند الإمام الشافعي.

وهو في أزيد من خمسمائة لوحة مخطوطة.

٤- منحة الباري في جَمْع روايات صحيح البخاري.

وهو كتابٌ ليس له مثيل، ولم يَنسُج أحدٌ على منواله، ويقع في نحو خمسمائة لوحة مخطوطة.

وغيرها من مؤلفاته الكثيرة، والتي كان منها رسائل فريدة في بابها.

- وكان من أبرز ما يطالعه القارئ في هذه الترجمة، تلك الدراسة الفقهية المفصَّلة، التي تمَّت على كتاب طوالع الأنوار، مع مقارنته بالشروح المطبوعة للدر المختار، لإبراز ميزة كلٍّ منها.

- ومن خلالها أيضاً وقفنا على جَمْعٍ من الأعمال العلمية التي قامت

على كتاب الدر المختار، من شروح وحواشي وتعليقات، والتي بلغت خمسةً وعشرين عملاً، مع بيان مؤلفيها، وأماكن وجودها، وحجمها ونحو ذلك، مما لم يُجمع في غير هذا المكان.

* وعرفنا أيضاً المنهج الفقهي للشيخ محمد عابد، وسعة صدره في مسائل الخلاف، فهو حنفي مقلد لمذهب السادة الحنفية، مع اهتمامه الشديد بالأدلة، ولكنه إذا ما بَدَتْ له قوة أدلة مذهب آخر في مسألة معينة، تراه يرجّح ما رجَّحه الدليل، مع كل أدب واحترام لرأي غيره.

- وهكذا أهدت إلينا هذه الدراسة عند ذكر شرح الشيخ محمد عابد لمسند الإمام أبي حنيفة، ومسند الإمام الشافعي، ما قام به من تحقيقات نادرة فيهما، مع التعرّف على بقية شروح كلٍ من المُسْنَدَيْن، ومزية كل منها، مع مقارنة نصٍّ من شرحه لمسند الإمام أبي حنيفة مع شروح أخرى.

* هذا، وأنا على يقين تام، أنه لو تهيأت الأسباب والظروف أكثر من هذا لدراسة مؤلفات هذا الإمام العظيم دراسة وافية متأنية، وبعمق ودقة، لظهر لنا من العلوم والمنح والمواهب عنده، أكثر بكثير مما وقفنا عليه، مما لا يمكن إبرازه بهذه الدراسة العَجِلة، والحمد لله على كل حال.

وأسأله سبحانه المزيد من فضله العظيم، والإخلاص والتوفيق في أعمالي كلها، مع العفو والعافية، والقبول والسداد والتيسير، إنه بَرٌّ رحيم جواد كريم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

سائد بن محمد يحيى بكداش

الفهارس

* * * * *

فهرس أسماء مَن وقفت عليهم من شيوخ الشيخ محمد عابد

* * * * *

فهرس أسماء مَن وقفت عليهم من تلامذة الشيخ محمد عابد

* * * * *

فهرس أسماء مصنفات
الشيخ محمد عابد

* * * * *

فهرس المصادر

١ـ أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)، صديق بن حسن خان القَنُّوجي، ت ١٣٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ـ إتحاف الإخوان باختصار مَطمح الوجدان، محمد ياسين الفاداني، ت ١٤١٠، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١/١٤٠٨.

٣ـ إتحاف المستفيد بفريدات الأسانيد، محمد ياسين الفاداني، ت ١٤١٠، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١/١٤٠٨.

٤ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت ٩١١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٤/١٣٩٨.

٥ـ إجازة الشيخ ارتضى علي خان العمري للشيخ عبدالله البخاري (كوجك)، ارتضى علي خان العمري، ت ١٢٧٠، (مخطوط).

٦ـ إجازة الشيخ عباس بن جعفر بن صديق الصديقي للشيخ عبدالستار الدهلوي المكي، عباس بن جعفر الصديقي، ت ١٣٢٠، (مخطوط).

٧ـ إجازة الشيخ محمد عابد لتلميذه الحاج محمد مبارك، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٨ـ إجازة الشيخ محمد عابد لتلميذه عبدالله البخاري (كوجك)، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٩ـ إجازة الشيخ محمد عابد للشيخ السيد إبراهيم ابن السيد حسين المخلص، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٠ـ إجازة الشيخ محمد عابد السندي للشيخ عارف حكمة، (مخطوط).

١١ـ الاختيارات الزَّبْنية من تراجم ذرية خالد بن الوليد المخزومية، عبدالله محمد الزبن الخالدي، مطابع ابن سينا، القاهرة، ط١/١٤١٨.

١٢ـ إخراج زكاة الحبّ بالقيمة، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٣ـ إدارة الألحاظ لحَلٍّ إيجاز الألفاظ، يحيى بن محمد الأخفش (القرن الثالث عشر)، (مخطوط).

١٤ـ الأربعون البلدانية، محمد ياسين الفاداني، ت ١٤١٠، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢/١٤٠٧.

١٥ـ إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري، عبدالغني حسين المكي، ت ١٣٦٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦ـ الأسانيد العليَّة المتصلة بالأوائل السنبلية، عبدالله ابن القاضي المحدّث حسين بن محمد السُّبَيْعي الخزرجي الأنصاري الحُدَيْدي اليماني، توفي في أواسط القرن الرابع عشر.

وهي رسالة مطبوعة ضمن مجموعة كتب للشيخ محمد طاهر سنبل بعنوان: الثمار الجَنِيَّة في المجموعة السنبلية، عني بطبعها رشيد بن عمر سنبل، الناشر: مكتبة عبدالحفيظ وعبدالشكور فدا، مكة المكرمة، سنة ١٣٧٧.

١٧ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ت ٨٥٢، (وبحاشيته الاستيعاب لابن عبد البر)، ط١/١٣٢٨، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، ت ١٣٩٦، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦/١٩٨٤م.

١٩ـ الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، من سنة ١٣٠١ إلى سنة ١٣٨٥، زكي محمد مجاهد، ت ١٤٠٠، قدّم للكتاب محمد زاهد الكوثري، طبع مصر، القاهرة، ١٣٦٨.

٢٠ـ أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المعلمي، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١/١٤٢١ .

٢١ـ إعلام النُّبَلاء بتاريخ حلب الشَّهباء، محمد راغب بن محمود الطباخ، ت١٣٧٠ ، صححه وعلق عليه محمد كمال، دار القلم العربي بحلب، ط٢/١٤٠٨ .

٢٢ـ أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، خليل بن أحمد مختار مردم بك، ت ١٣٩٧ ، تقديم وتعليق عدنان خليل مردم بك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٩٧٧ .

٢٣ـ إلزام عساكر الإسلام بالاقتصار على القَلَنْسُوَة طاعة للإمام، محمد عابد السندي، (مخطوط) .

٢٤ـ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي: مَعْلَمة العلوم الإسلامية، إياد خالد الطباع، دار القلم (سلسلة أعلام المسلمين ٦٤)، دمشق ط١/١٤١٧ .

٢٥ـ الإمام زيد (حياته وعصره وآراؤه الفقهية)، محمد بن أحمد أبو زُهرة، ت ١٣٩٤ ، دار الفكر العربي، القاهرة .

٢٦ـ أوجز المسالك إلى موطأ مالك، محمد زكريا الكاندهلوي، ت ١٤٠٣ ، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ط٣/١٤٠٠ .

٢٧ـ إيجاز الألفاظ لإعانة الحفاظ ، محمد عابد السندي، (مخطوط مع شرحه: إدارة الألحاظ).

٢٨ـ إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون، إسماعيل بن محمد باشا البابانى البغدادي، ت ١٣٣٩ ،صورة عن طبعة استانبول، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢.

٢٩ـ تتمة شرح مسند الإمام الشافعي للسَّنْبَلاويني (أتمَّ به شرح الشيخ محمد عابد)، يوسف بن عبدالرحمن السنبلاويني المصري ثم المكي، ت ١٢٨٥ ، (مخطوط) .

٣٠ـ البحر الذي زَخَر في شرح ألفية الأثر، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت ٩١١، (مخطوط).

٣١ـ البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، للشوكاني محمد بن علي، ت ١٢٥٠، دار المعرفة، بيروت.

٣٢ـ بروكلمان (تاريخ الأدب العربي)، (الملحق باللغة الألمانية)، كارل بروكلمان، ت ١٣٧٥، طبعة ألمانيا.

٣٣ـ تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي محمد بن محمد، ت ١٢٠٥، طبع وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت.

٣٤ـ تاريخ أمراء المدينة المنورة (١هـ ـ ١٤١٧هـ)، عارف أحمد عبدالغني، دار كنان، دمشق، ط١/١٤١٨.

٣٥ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، ت ١٣٣٨، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط٥/١٤٠٦.

٣٦ـ التبيان للزجر عن شرب الدخان، محمد حسين بن محمد مراد السندي الأنصاري، ت ١٢٠٢، (مخطوط).

٣٧ـ التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية (تاريخ الدولة العثمانية العلية)، إبراهيم بك حليم، ت بعد ١٣٢٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١/١٤٠٨.

٣٨ـ تذكرة الحفاظ، للذهبي محمد بن أحمد، ت ٧٤٨، تصحيح عبدالرحمن المعلمي، دار الفكر، بيروت.

٣٩ـ تذكرة مشاهير السند، للوفائي دين محمد، حيدر آباد السند، ط١/١٤٠٧.

٤٠ـ تراجم أعيان المدينة المنورة، (لمؤلف مجهول)، تحقيق محمد التونجي، دار الشروق، جدة، ط١/١٤٠٤.

٤١ـ رسالة في تراجم بعض العلماء والمشايخ، عبدالقادر الخلاصي تلميذ الإمام ابن عابدين، (مخطوط).

٤٢ـ تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر، وآثارهم الفقهية، عبدالفتاح أبو غدة، ت ١٤١٧، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١/١٤١٧.

٤٣ـ تراجم شيوخ محمد عابد السندي ومشايخهم، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٤٤ـ ترتيب العلوم، (ساجقلي زاده) محمد بن أبي بكر المرعشي، ت ١١٤٥، تحقيق محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١/١٤٠٨.

٤٥ـ ترتيب مسند الإمام أبي حنيفة، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٤٦ـ ترتيب مسند الإمام الشافعي، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٤٧ـ تعريف العشائر والخِلاَّن بشعوب وقبائل الفُلاَّن، ألفا هاشم الفوتي، محمد بن أحمد، ت ١٣٤٩، المطبعة الماجدية بمكة المكرمة، ط١/١٣٥٤.

٤٨ـ التعليق الممجد على موطأ محمد، محمد عبدالحي اللكنوي، ت ١٣٠٤، تحقيق تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، ط١/١٤١٢.

٤٩ـ التعليقات السنية على الفوائد البهية، اللكنوي محمد عبدالحي، ت ١٣٠٤ = الفوائد البهية.

٥٠ـ تغيّر الراغب في تجديد الوقف الخارب، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٥١ـ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي عبدالله بن عمر، ت ٦٨٥، الطبعة العثمانية، ١٣٢٩، تصوير دار الجيل، بيروت.

٥٢ـ رسالة في تقبيل الصحابة رضي الله عنهم يدَ رسول الله ﷺ ورأسَه الشريف وحكم التقبيل عامة، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٥٣ـ تقريرات الرافعي (التحرير المختار على ردّ المحتار)، الرافعي عبد القادر بن مصطفى، ت ١٣٢٣، دار الطباعة الأميرية ببولاق، ١٣٢٤، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤٠٧/٢.

٥٤ـ التِّقصار في جِيد زمن علامة الأقاليم والأمصار (خاص بترجمة الإمام الشوكاني)، للشِّجْني محمد بن الحسن، ت ١٢٨٦، (مخطوط).

٥٥ـ تنسيق النظام في مسند الإمام (شرح مسند الإمام أبي حنيفة برواية الحصكفي)، محمد حسن السنبهلي، ت ١٣٠٥، (طبعة حجرية)، مير محمد كتب خانة، كراتشي، باكستان.

٥٦ـ تنوير الأبصار وجامع البحار، للتمرتاشي محمد بن عبدالله، ت ١٠٠٤، المطبعة العامرة المليجية، القاهرة.

٥٧ـ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي يحيى بن شرف، ت ٦٧٦، صورة عن الطبعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٨ـ تيسير الوصول إلى جامع الأصول، لابن الدَّيبع الشيباني عبدالرحمن ابن علي، ت ٩٤٤، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٥٩ـ ثَبَت ابن عابدين (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي)، محمد أمين بن عمر عابدين، مطبعة المعارف، سورية، دمشق، سنة ١٣٠٢، تصحيح محمد أبي الخير عابدين.

٦٠ـ ثلاث رسائل في استحباب الدعاء ورَفع اليدين فيه بعد الصلوات المكتوبة، (محمد هاشم التتوي السندي وأحمد بن الصديق الغماري ومحمد ابن عبدالرحمن الأهدل) اعتنى بها عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١٤١٧/١.

٦١ـ الثمرة البهية في الصحابة البدرية، محمد بن سالم الحِفْني، ت ١١٨١، تقديم مصطفى عبدالرازق بك، ومحمد زاهد الكوثري، عني بنشره: السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٥٩.

٦٢ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي أحمد بن علي، ت ٤٦٣، تحقيق محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤١٤.

٦٣ـ حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) لابن عابدين محمد أمين بن عمر، ت ١٢٥٢، طبعة بولاق + طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢/١٣٨٦.

٦٤ـ حاشية الطحطاوي على الدر المختار، أحمد بن محمد، ت ١٢٣١، صورة عن الطبعة البولاقية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥.

٦٥ـ حاشية على مسند الإمام أحمد، لأبي الحسن السندي الكبير محمد ابن عبدالهادي، ت ١١٣٨، (مخطوط).

٦٦ـ حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان العصر، حسن بن أحمد الضمدي، الملقب بعاكش، ت ١٢٨٩، (مخطوط) + مطبوع بتحقيق إسماعيل ابن محمد البشري، ط١/١٤١٣.

٦٧ـ حصر الشارد من أسانيد محمد عابد، نسخة المؤلف من المحمودية + نسخة أخرى من مكتبة عارف حكمت، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٦٨ـ الحظُّ الأوفَر لمن أطاق الصوم في السفر، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٦٩ـ رسالة في حكم إطعام الطعام في مناسبات الفرح أو الترح أو نحو ذلك، محمد عابد السندي، (مخطوط).

٧٠ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للبيطار عبدالرزاق بن حسن، ت ١٣٣٥، تحقيق حفيده: محمد بهجة البيطار، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٠.

٧١ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي محمد أمين بن فضل الله، ت ١١١١، دار صادر، بيروت.

٧٢ـ خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام، أحمد بن زيني دحلان، ت ١٣٠٤، المطبعة الخيرية، مصر، ط١/١٣٠٥.

٧٣ـ الدر المختار شرح تنوير الأبصار، للحصكفي محمد بن علي، ت ١٠٨٨ = حاشية ابن عابدين.

٧٤ـ الدرُّ المنتظَم في مناقب عارف الحِكَم، (لمؤلف مجهول)، (مخطوط).

٧٥ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ت ٨٥٢، دار الجيل، بيروت.

٧٦ـ درر نحور الحور العين في سيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين، (المنصور هو حاكم صنعاء)، لطف الله بن أحمد جَحَّاف، ت ١٢٤٣، (مخطوط).

٧٧ـ دِرهم الصُّرَّة في وضع اليدين تحت السرّة، محمد هاشم التَّتَّوي السندي، ت ١١٧٤، تقديم عبدالفتاح أبو غدة، تحقيق نعيم أشرف نور أحمد، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط١/١٤١٤.

٧٨ـ دفينة المطالب للطالب والراغب، (أناجيل المفتين)، محمد مراد بن محمد يعقوب السندي الأنصاري، ت ١١٩٨، (مخطوط).

٧٩ـ ديوان الإمام الشافعي (محمد بن إدريس ت ٢٠٤)، جمعه وعلق عليه: محمد عفيف الزعبي، نشر: مكتبة المعرفة، حمص، سورية + دار العلم بجدة، ط٣/١٣٩٢.

٨٠ـ ديوان محمد عابد بن عبدالله السندي المدني، محمد عابد بن عبدالله السندي المدني، ت ١٢١٣، (مخطوط).

٨١ـ رجال السند والهند إلى القرن السابع، أطهر المباركفوري الأعظمي الهندي عبدالحفيظ بن محمد حسن، ت ١٤٠٠ تقريباً، دار الأنصاري، القاهرة، ط٢/١٣٩٨.

٨٢ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرَّفة، محمد جعفر الكتاني، ت ١٣٤٥، تقديم وفهرسة محمد المنتصر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤/١٤٠٦.

٨٣ـ الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، محمد عبدالحي اللكنوي، ت ١٣٠٤، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٣/١٤٠٧.

٨٤ـ سِبَاحة الفكر في الجهر بالذكر، اللكنوي محمد عبدالحي، ت ١٣٠٤، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٤/١٤٠٨.

٨٥ـ سِلْك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي محمد خليل بن علي، ت ١٢٠٦، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ودار ابن حزم، بيروت، ط٣/١٤٠٨

٨٦ـ سنن الترمذي (الجامع)، محمد بن عيسى، ت ٢٧٩، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

٨٧ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي محمد بن أحمد، ت ٧٤٨، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٩٨٢/٢ م

٨٨ـ سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر، عمر عبدالجبار، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة، ط١٣٨٥/٢ .

٨٩ـ الشافي العِيّ على مسند الشافعي، للسيوطي جلال الدين، ت ٩١١، (مخطوط) .

٩٠ـ الشافي في شرح مسند الشافعي، ابن الأثير المبارك بن محمد، ت ٦٠٦، (مخطوط) .

٩١ـ شرح تفسير ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم من تفسير البيضاوي، محمد عابد السندي، (مخطوط) .

٩٢ـ شرح صحيح مسلم، للنووي يحيى بن شرف الدين، ت ٦٧٦، (مخطوط) .

٩٣ـ شفاءُ قلبِ كلِّ سؤول في جواز مَن تسمَّى بعبد النبي وعبدالرسول، محمد عابد السندي، (مخطوط) .

٩٤ـ شهيُّ النَّغَم في ترجمة شيخ الإسلام عارِف الحِكَم، للآلوسي محمود ابن عبدالله، ت ١٢٧٠، تحقيق محمد العيد الخطراوي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط١٤٠٣/١ .

٩٥ـ صحيح البخاري (مع الفتح)، محمد إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ = فتح الباري .

٩٦ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت ٢٦١، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٩٧ـ صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٣/١٤١٣ .

٩٨ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي محمد بن عبدالرحمن، ت ٩٠٢ ، دار مكتبة الحياة، بيروت .

٩٩ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد محمد بن سعد، ت ٢٣١ ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.

١٠٠ـ طبقات المفسرين، للداودي محمد بن علي، ت ٩٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٠١ـ طوالع الأنوار شرح الدر المختار، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٠٢ـ ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني (في مصطلح الحديث)، محمد عبدالحي اللكنوي، ت ١٣٠٤ ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٣/١٤١٦ .

١٠٣ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي عبدالرحمن بن حسن، ت ١٢٣٧ ، دار الجيل، بيروت .

١٠٤ـ عقود الجواهر والدرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر، حسن بن أحمد الضمدي، الملقب بعاكش، ت ١٢٨٩ ، (مخطوط) .

١٠٥ ـ العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج، عبد الفتاح أبو غدة، ت ١٤١٧ ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٤/١٤١٦.

١٠٦ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢/١٤١٩.

١٠٧ـ عمدة الرعاية على شرح الوقاية، اللكنوي محمد عبدالحي، ت ١٣٠٤ ، مكتبة تهانوي، ديوبند، الهند .

١٠٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني محمود بن أحمد، ت ٨٥٥، (مخطوط) .

١٠٩- غُنْية الزكي في مسألة الوصي، محمد عابد السندي، (مخطوط) .

١١٠- رسالة في فتاوى علماء الحرمين وعلماء السلطنة العثمانية في مسألة اشتراط كون ابتداء الطواف من الحجر الأسود، جَمْع الشيخ سليمان الخالدي النقشبندي، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة .

١١١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ت ٨٥٢، المكتبة السلفية، دار الفكر .

١١٢- فك المحنة بمعالجة الحقنة، محمد عابد السندي، (مخطوط) .

١١٣- فهرس الخزانة التيمورية، القاهرة، ١٩٧١ م .

١١٤- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات، للكتاني محمد عبدالحي بن عبدالكبير، ت ١٣٨٢، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢/١٤٠٢ .

١١٥- فهرس مخطوطات قصر طوب قابي سراي، استانبول، تركيا، ط١/١٩٦٤م .

١١٦- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي محمد عبدالحي، ت ١٣٠٤، دار المعرفة، بيروت .

١١٧- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني محمد بن علي، ت ١٢٥٠، (مخطوط) .

١١٨- فيض الباري بشرح صحيح البخاري، محمد أنور شاه الكشميري، ت ١٣٥٢، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٧ .

١١٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي محمد عبدالرؤوف بن علي، ت ١٠٣١، دار المعرفة، بيروت .

١٢٠ـ فيض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، عبدالستار بن عبدالوهاب الصديقي الدهلوي المكي، ت ١٣٥٥، (مخطوط).

١٢١ـ القاموس المحيط، للفيروز آبادي محمد بن يعقوب، ت ٨١٧، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧١.

١٢٢ـ قضاة المدينة المنورة (من عام ٩٦٣ إلى عام ١٤١٨)، عبدالله بن محمد ابن زاحم، مكتبة العلوم والحِكَم، المدينة المنورة، ط١/١٤١٨.

١٢٣ـ قواعد في علوم الحديث، ظفر أحمد العثماني التهانوي، ت ١٣٩٤، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

١٢٤ـ القول الجميل في إبانة الفرق بين تعليق التزويج وتعليق التوكيل، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٢٥ـ القول السديد بتعليق الوكالة بالتقييد، محمد صابر (من علماء القرن الثالث عشر)، (مخطوط).

١٢٦ـ قُرَّة عيون الأخيار لتكملة رد المحتار، محمد علاء الدين بن محمد أمين بن عابدين، ت ١٣٠٦ = حاشية ابن عابدين.

١٢٧ـ رسالة في كرامات الأولياء والتصديق بها، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٢٨ـ كَشْف الباس عما رواه ابنُ عباس مشافهةً عن سيد الناس ﷺ، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٢٩ـ كف الأماني عن سماع الأغاني، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٣٠ـ كفاية المستفيد لما علا من الأسانيد، محمد محفوظ بن عبدالله التُّرْمِسِي الجاوي ثم المكي، ت ١٣٣٨، صححه وعلق عليه محمد ياسين الفاداني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥/١٤٠٨.

١٣١ـ لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ت ٨٥٢، (مخطوط بخط الشيخ محمد عابد السندي) .

١٣٢ـ اللؤلؤ المكنون في تحقيق مدِّ السكون، محمد هاشم بن عبدالغفور التَّتَّوي السندي، ت ١١٧٤ ، تحقيق عبدالقيوم بن عبدالغفور السندي، مكتبة الجامعة البنورية، كراتشي، باكستان، ط١/ ١٤٢٠ .

١٣٣ـ المتنبي (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني بجدة، ط١/١٤٠٧ .

١٣٤ـ مجالس الأبرار، محمد عابد السندي، (مخطوط) .

١٣٥ـ مجلة الحج، مكة المكرمة، جزء ٩، سنة ١٣٧٧ .

١٣٦ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، ت ٨٠٧، (مخطوط) .

١٣٧ـ مختار الصحاح، للرازي محمد بن أبي بكر، ت ٦٦٦، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٣٨ـ مختصر طبقات الحنابلة، محمد جميل بن عمر الشَّطِّي، ت ١٣٧٩، طبع دمشق، ١٣٣٩ .

١٣٩ـ مختصر نشر النَّوْر والزَّهَر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار: محمد سعيد العمودي المكي، ت ١٤١١، وأحمد علي بن أسدالله الكاظمي المكي، ت ١٤١٣، والأصل من تأليف عبدالله ميرداد أبو الخير، ت ١٣٤٣، طبعة النادي الثقافي بمكة المكرمة + طبعة دار المعرفة، بيروت، ط٢/١٤٠٦ .

١٤٠ـ المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، عاصم حمدان علي حمدان، من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، رقم ٦٩، ط١/١٤١٢ .

١٤١ـ المَذْهب عند الحنفية، محمد إبراهيم أحمد علي، بحث منشور ضمن كتاب برقم ٢٦، في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، تحت عنوان: دراسات في الفقه الإسلامي.

١٤٢ـ مرآة الجَنان وعِبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لليافعي اليمني المكي عبدالله بن أسعد، ت ٧٦٨، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط٢/١٤١٣.

١٤٣ـ مَسْنَد الأنام في مُسند الإمام (أبي حنيفة) (شرح ملا علي القاري)، علي بن سلطان القاري، ت ١٠١٤، (مخطوط) + طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٥.

١٤٤ـ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، عبدالله محمد الحبشي، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٤٠٨.

١٤٥ـ معتمد الألمعي المهذَّب شرح مسند الإمام الشافعي المرتَّب، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٤٦ـ معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، ت ٦٢٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤٧ـ معجم الشيوخ (رياض الجنة أو المدهش المطرب)، للفاسي عبدالحفيظ بن محمد الطاهر بن عبدالكبير، ت ١٣٥٠، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، ط١/١٣٥٠.

١٤٨ ـ المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، سهيل صابان، مطبوعات مكتبة الملك فهد بالرياض، ١٤٢١، رقم الكتاب ٤٣.

١٤٩ـ معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المعلمي، من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ط١/١٤١٦.

١٥٠ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ت ١٤٠٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥١ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني محمد بن أحمد، ت٩٧٧، صورة عن طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٧.

١٥٢ـ مفتاح السعادة، ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى)، ت ٩٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٥.

١٥٣ـ المقتطف من إتحاف الأكابر بأسانيد المفتي عبدالقادر (بن أبي بكر الصديقي المكي، ت ١١٣٨)، محمد ياسين الفاداني، ت ١٤١٠، أما إتحاف الأكابر فهو من تخريج الشيخ محمد هاشم بن عبدالغفور السندي التتوي، ت ١١٧٤، دار البشائر الإسلامية، ط٢/١٤٠٨.

١٥٤ـ مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدِّثين، محمد قاسم عبده الحارثي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط١/١٤١٣.

١٥٥ـ مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث، محمد عبدالرشيد النعماني، ت ١٤٢٠، اعتنى به عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٤/١٤١٦.

١٥٦ـ مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة بين الماضي والحاضر، عبدالرحمن بن سليمان المزيني، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالرياض، ط١/١٤٢٠.

١٥٧ـ المناسك وعمدة الناسك، للرحمتي مصطفى بن محمد بن رحمة الله الأيوبي، ت ١٢٠٥، (مخطوط).

١٥٨ـ منال الرجاء في شروط الاستنجاء، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٥٩ـ مناهج الصرفيين، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٦٠- منحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٦١- منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر (شرح ألفية السيوطي في المصطلح)، محمد محفوظ بن عبدالله التُّرْمِسِي الجاوي ثم المكي، ت ١٣٣٨، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١٣٧٤/٣.

١٦٢- مهذَّب الهداية (في فقه الحنفية للمرغيناني)، محمد حسين بن محمد مراد السندي الأنصاري، ت ١٢٠٢، (مخطوط).

١٦٣- المواهب اللطيفة شرح مسند الإمام أبي حنيفة، محمد عابد السندي، (مخطوط).

١٦٤- موسوعة حلب المقارنة، محمد خير الدين الأسدي، ت ١٩٧١م، أعده للطباعة محمد كمال، جامعة حلب، ط١٤٠٨/١.

١٦٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، ت ٨٧٤، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٣/١.

١٦٦- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)، عبدالحي بن فخر الدين الحسني، ت ١٣٤١، نشر: طيب آكادمي، باكستان، ١٤١٣.

١٦٧- نزهة رياض الإجازة المستطابة بذكر مناقب المشايخ أهل الرواية والإصابة، عبدالخالق بن علي المزجاجي، ت ١٢٠١، تحقيق مصطفى عبدالكريم، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٩/١.

١٦٨- نشأة باكستان، شريف الدين بيرزاده، (وزير خارجية باكستان سابقاً)، نقله إلى العربية: عادل صلاحي، جدة، السعودية، ط١٣٨٩/١.

١٦٩- نصب الراية لأحاديث الهداية، للزيلعي عبدالله بن يوسف، ت ٧٦٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٣٩٣/٢.

١٧٠ـ نظم أسماء شيوخ أبي الحسن السندي الصغير، لأبي الحسن السندي الصغير، ت ١١٨٧، (مخطوط).

١٧١ـ نظم الدرر في علم الأثر (ألفية السيوطي في المصطلح)، للسيوطي جلال الدين عبدالرحمن، ت ٩١١، (مخطوط).

١٧٢ـ نظم الدرر مختصر نشر النَّوْر والزَّهَر، عبدالله بن محمد غازي المكي، ت ١٣٦٥، (مخطوط).

١٧٣ـ نفحات النسيم الهندي على أغصان الريحان الجُدِّي (لمؤلف مجهول)، (مخطوط).

١٧٤ـ النفحة المسكية في الأسانيد المتصلة بالأوائل السنبلية، محمد ياسين الفاداني المكي، ت ١٤١٠، كوتبهارو، كلنتن، ماليزيا، المطبعة الأهلية، ط٢/١٩٨١م.

١٧٥ـ النَّفَس اليماني في إجازة القضاة بني الشوكاني، (وفيه أجاز أولادَ العلامة الشوكاني، وهم: علي وأحمد ويحيى)، عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، ت ١٢٥٠، مركز الأبحاث والدراسات اليمنية، ١٩٧٩م.

١٧٦ـ النُّكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، ت ٨٥٢، تحقيق ربيع بن هادي عمير، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١/ ١٤٠٤.

١٧٧ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، ت ٦٠٦، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت.

١٧٨ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبدالقادر بن شيخ العيدروسي، ت ١٠٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٥.

١٧٩ـ نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، محمد بن محمد بن زبارة الحسني اليمني، ت ١٣٨٠، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠.

١٨٠ـ هِجَرُ العلم ومعاقِلُه في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، بيروت + دار الفكر، دمشق، ط١/١٤١٦.

١٨١ـ هدية العارفين أسماءَ المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي بن محمد أمين البابانى، ت ١٣٣٩، صورة عن طبعة إستانبول، دار الفكر، ١٤٠٢.

١٨٢ـ وصية الشيخ محمد عابد بتوزيع ممتلكاته ببندر (المَخَا) باليمن حين غادره إلى المدينة المنورة، (مخطوط).

١٨٣ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلِّكان أحمد بن محمد، ت ٦٨١، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٨٤ـ اليانع الجَنِي في أسانيد الشيخ عبدالغني (الدهلوي)، محمد بن يحيى التُّرُّهتي، ت ١٢٩٣ تقريباً، (مخطوط)، وهو مطبوع أيضاً في حاشية كشف الأستار عن رجال معاني الآثار، لرشدالله السندي.

* * * * *

فهرس الموضوعات التفصيلي

* * * * *

فهرس الموضوعات الإجمالي

* * * * *